

تأليف

الإمام الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي

(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

دراسة وتحقيق

أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الجزء السابع

أ. د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

يطلب من :



مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع

مكة المكرمة ـ العزيزية ـ مدخل جامعة أم القرى ت ـ ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس ـ ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية الشارع العام ت ـ ٥٢٧٣٠٢٧ ص. ب ٢٠٨٢

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

وتسمى المصابيح[1]، وهي ثلاث وخمسون آية في المدني، وأربع في الكوفي[2]، وهي مكية بإجماعهم.

قرأتُ على الشيخ أبي القاسم علي بن أبي الفرج بن أبي منصور الموصلي، أخبركم أبو القاسم يحيى بن أسعد بن يحيى بن بوش الخباز فأقرَّ به، أخبرنا أبو العز أحمد بن عبيدالله بن كادش، أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين بن محمد الجازري الكاتب، حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى النهرواني الجريري، حدثنا أبو بكر ابن الأنباري، حدثنا محمد -يعني: المروزي-، حدثنا أحمد بن أيوب، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن زياد[3] مولى بني هاشم، عن محمد بن كعب القرظي قال: قال عتبة بن ربيعة، وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ منفرد ناحية: أريد أن أقوم إلى محمد فأعرض عليه أموراً ليكف عن أمره هذا، فأيها شاء أعطيناه إذا رجع لنا عن هذا، فقالوا له: شأنك أبا الوليد، وكان عتبة سيداً حليماً، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي، إنك منا بحيث قد علمت من الصميم في النسب والمكان من العشيرة، وإنك قد أتيتَ قومك بما لم يأت أحد قومه بمثله، سفّهتَ أحلامنا، وكفَّرت آبائنا،

---

(١) وتسمّى سورة فصلت أيضاً.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢٠).

(٣) يزيد بن زياد، ويقال: بن أبي زياد، ويقال: يزيد بن زياد بن أبي زياد المدني، ثقة (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٨٧، والتقريب ص:٦٠١).

وعبتَ آلهتنا، وفرّقت كلمتنا، فإن كان هذا المال تبغيه جمعنا لك أموالنا حتى تكون أيسرنا، وإن كنت تميل إلى الرئاسة رأسناك علينا ولم نقطع أمراً دونك، وإن كان لرأي من الجن يعتادك أعذرنا في الجد والاجتهاد حتى ينصرف عنك، فإن الرأي قد يحمل صاحبه على ما لا يصل إلى بذله، ورسول الله ﷺ ساكت يسمع، فلما سكت عتبة قال له رسول الله ﷺ: اسمع يا أبا الوليد ما أقول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * حمٓ * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ ومضى رسول الله ﷺ في القراءة حتى انتهى إلى السجدة فسجد، وعتبة مُصْغٍ يستمع، قد اعتمد على يديه من وراء ظهره، فلما قطع رسول الله ﷺ القراءة قال: يا أبا الوليد قد سمعتَ الذي قرأت عليك فأنت وذاك، فانصرف عتبة إلى قريش في ناديها فقالوا: والله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي مضى به من عندكم، ثم قالوا له: وما وراءك أبا الوليد؟ فقال: والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا السحر، ولا الكهانة فأطيعوني في هذه، وأنزلوها بي، خلوا محمداً وشأنه واعتزلوه، فوالله ليكونن لما سمعت من قوله نبأ، [فإن][1] أصابته العرب كفيتموه بأيدي غيركم، وإن كان ملكاً أو نبياً كنتم أسعد الناس به؛ لأن ملكه ملككم، وشرفه شرفكم، فقالوا: هيهات، سحرك محمد يا أبا الوليد، فقال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما شئتم[2].

---

(١) في الأصل: فا.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (١/ ٢٢١). وذكره ابن إسحاق في السيرة النبوية (٢/ ١٣٠-١٣٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٠٩) وعزاه لابن إسحاق وابن المنذر والبيهقي في الدلائل وابن عساكر.

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿تنزيل﴾[(١)] قال الزجاج[(٢)]: "تنزيل": مبتدأ، خبره: ﴿كتاب فصلت آياته﴾ هذا مذهب البصريين.

وقال الفراء[(٣)]: يجوز أن يرتفع "تنزيل" بـ"حمٓ"، ويجوز أن يرتفع بإضمار: هذا.

وقال الزمخشري[(٤)]: إن جعلتَ "حمٓ" اسماً للسورة كانت في موضع المبتدأ. و"تنزيل" خبره. وإن جعلتَها تعديداً للحروف كان "تنزيل" خبر مبتدأ محذوف، و"كتاب" بدل من "تنزيل"، أو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف[(٥)]، ويجوّز الزجاج أن يكون "تنزيل" مبتدأ، و"كتاب" خبره. ووجهه: أن تنزيلاً تخصص

---

(١) في الأصل زيادة قوله: الكتاب. وهو خطأ.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٧٩).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٤١٤).

(٤) الكشاف (٤/ ١٨٩).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٠)، والدر المصون (٦/ ٥٥).

بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ.

قوله تعالى: ﴿فصلت آياته﴾ مُفسّر في أول هود.

﴿قرآناً﴾ نصب على الحال[١]. أي: فصلت آياته في حال كونه قرآناً عربياً.

وقيل: نصب على المدح والاختصاص[٢].

﴿لقوم يعلمون﴾ متعلق بـ"تنزيل" أو بـ"فصلت"[٣].

قال صاحب الكشاف[٤]: الأجودُ أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده، أي: قرآناً عربياً كائناً لقوم عرب، لئلا يفرق بين الصلات والصفات.

﴿بشيراً ونذيراً﴾ صفة لـ"قرآناً"[٥]. وقرئ: "بشير ونذير" بالرفع[٦]، صفة للكتاب، أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿فهم لا يسمعون﴾ لا يقبلون. وقد ذكرنا مثل هذا فيما مضى.

﴿وقالوا قلوبنا في أكنّة﴾ أغطية، وقد سبق ذكره وذكر الوقر[٧].

وهذه تمثيلات لنُبُوِّ قلوبهم عن تقبل الحق الذي جاء به.

﴿فاعمل إننا عاملون﴾ قال الفراء[٨]: اعمل ما تعلم من دينك إنا عاملون بما

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٠)، والدر المصون (٦/ ٥٥).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٥٥).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٥٥-٥٦).

(٤) الكشاف (٤/ ١٨٩).

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ٥٦).

(٦) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٦٣)، والدر المصون (٦/ ٥٦) وهي قراءة زيد بن علي.

(٧) في سورة الأنعام، عند الآية رقم: ٢٥.

(٨) معاني الفراء (٣/ ١٢).

نعلم من ديننا.

وقال ابن السائب: اعمل في هلاكنا إنا عاملون في هلاكك[١].

وقد سبق ذكر الويل في البقرة.

فإن قيل: هذه السورة مكية والزكاة فرضت بالمدينة، فكيف وصفهم في معرض الذم بمنع الزكاة؟

قلتُ: عنه أجوبة:

أحدها: معناه: الذين لا يزكون أعمالهم. قاله ابن عمر ومجاهد[٢].

الثاني: لا يأتون ما يصيرون به أزكياء. قاله الحسن[٣]. وهو معنى قول ابن عباس: لا يشهدون أن لا إله إلا الله[٤].

الثالث: لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة. قاله الضحاك[٥].

فإن قيل: على هذا القول لم خص منع الزكاة من بين أوصافهم المذمومة بالذِّكر؟

قلتُ: تقريعاً لهم بالشُّحِّ الذي تأنف منه النفوس الأبية والأمة العربية.

فإن قيل: لم قرنه في الذِّكر بالكفر بالآخرة؟

قلتُ: لتوغله في الإثم، ولذلك ألحق مانع الزكاة بالكافر في شرعته، ونصب

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٦٨).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٤٢).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٦٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٩٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣١٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٤٢).

لهم [الصّدّيق][1] راية القتال حتى عاودوا رشدهم وعادوا عن إلحادهم.

قوله تعالى: ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ أي: غير مقطوع ولا منقوص.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ قال ابن عباس وعبد الله بن سلام والسدي والأكثرون: يوم الأحد ويوم الاثنين[2].

ومن حديث أبي هريرة في صحيح مسلم قال: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر

---

(١) في الأصل: الصدق. والصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه الحاكم مطولاً (٢/ ٥٩٢ ح٣٩٩٧)، والطبري (٢٤/ ٩٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٣٦٣)، والنحاس في ناسخه (ص: ٦٨٠-٦٨١) كلهم عن ابن عباس، ومن طريق آخر أخرجه أبو الشيخ (٤/ ١٣٦٦) عن عبدالله بن سلام. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٤٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣١٤، ٣١٥) وعزاه لابن جرير والنحاس في ناسخه وأبي الشيخ في العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن عبد الله بن سلام، وعزاه لأبي الشيخ في العظمة.

فيها يوم الاثنين ...»[١].

وقد ذكرت الحديث في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض﴾ [٥٤]، وذكرنا ثمة ما لا غنى لك عن النظر فيه، وذكرنا كيفية خلق السماوات والأرض في أوائل البقرة.

قوله تعالى: ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها﴾ وهي الجبال.

فإن قيل: ما الحكمة في [تثبيتها][٢] بالجبال من فوقها، وهلاّ كانت لها دعائم كسائر الأبنية؟

قلتُ: جعلها فوقها لاستقرارها والانتفاع بها والاستدلال على قدرة مُنشئها وعظمته، وليعلم أن للماسك والممسوك قادراً ممسكاً.

﴿وبارك فيها﴾ بإجراء أنهارها وإنشاء أشجارها وإخراج زرعها وثمارها.

﴿وقدّر فيها أقواتها﴾ أرزاق أهلها بما يصلحهم في معايشهم.

﴿في أربعة أيام سواء﴾ قرأ أبو جعفر: "سواءٌ" بالرفع. وقرأ يعقوب وعبد الوارث والقزاز عن أبي عمرو: "سواءٍ" بالجر، والباقون بالنصب[٣].

قال الزجاج[٤]: من قرأ بالخفض جعل سواء صفة للأيام. المعنى: في أربعة أيام مستويات تامات، ومن نصب فعلى المصدر، على معنى: استوت سواءً

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٩ ح٢٧٨٩). قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٩٥): وهو من غرائب الصحيح.

(٢) في الأصل: تثبتها. والصواب ما أثبتناه.

(٣) النشر (٢/ ٣٦٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٨٠).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٨١).

واستواءً، ومن رفع فعلى معنى: هي سواء.

ومعنى: [﴿للسائلين﴾][1] معلق بقوله تعالى: ﴿وقدّر فيها أقواتها﴾ لكل محتاج من خلقه إلى القُوت.

وإنما قيل: "للسائلين"؛ لأن كلاً يطلب القُوت ويسأله، ويجوز أن [يكون للسائلين][2] لمن سأل: في كم خُلقت السموات والأرض؟

فقيل: خُلقت الأرض في أربعة أيام سواء، لا زيادة على ذلك ولا نقصان، جواباً لمن سأل. هذا كلام الزجاج.

قلتُ: والمعنى الأول قول ابن زيد[3]، والثاني قول قتادة[4].

قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ أي: عمد إليها وهي دخان متصاعد من الماء.

قال المفسرون: لما خلق الله تعالى الماء أرسل عليه الريح فثار منه دخان، فارتفع وسما[5].

﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً﴾ أي: جيئا بما خلقتُ فيكما لمصالح عبادي، أو افعلا ما آمركما [اختياراً][6] أو اضطراراً.

---

(١) في الأصل: السائلين. والتصويب من معاني الزجاج (٤/ ٣٨١).

(٢) في الأصل: السائلين. والتصويب والزيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٩٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٩٧). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٧/ ٣١٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٤٥).

(٦) في الأصل: اختياياراً.

قال ابن عباس: رَكَّبَ فيهما العقل فخاطبهما، فقال للسموات: أطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وقال للأرض: شقِّقي أنهارك وأخرجي ثمارك[(١)].

﴿قالتا أتينا طائعين﴾ قال ابن عباس: أتت السماء بما فيها، والأرض بما فيها[(٢)].

قال أبو النصر: نطق من الأرض موضع الكعبة، ونطق من السماء ما بحيالها، فوضع الله تعالى فيها حرمه[(٣)].

وقيل: إن ظهور الطاعة منهما قام مقام قولهما[(٤)].

قال الزجاج[(٥)]: "طائعين" منصوب على الحال، وإنما قال: "طائعين" دون طائعات؛ لأنهن جرين مجرى ما يعقل ويُميز، كما قال في النجوم: ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ [يس:٤٠]. وقد قيل: أتينا نحن ومن فينا طائعين.

ويروى: أن بعض الأنبياء قال: يا رب! لو أن السموات والأرض حين قلت لهما: "ائتيا طوعاً أو كرهاً" عصتاك ما كنت صانعاً بهما؟ قال: كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما، قال: وأين تلك الدابة؟ قال: في مرج من مروجي، قال: يا رب وأين ذلك المرج؟ قال: في علم من علمي[(٦)].

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٧٩ ح٧٣)، والطبري (٢٤/ ٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣١٦-٣١٧) وعزاه لابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٢).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٣).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٢).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٣٨١).

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٣٤٤).

قولهِ تعالى: ﴿فقضاهن﴾[١] قال الزجاج[٢]: أي: خلقهنّ وصورهنّ.

قال أبو [ذؤيب][٣] الهذلي:

وعَلَيْهِمَا مَسْرُودتَانِ قَضَاهُما   دَاودُ أوْ صَنَعَ السَّوابغَ تُبَّع[٤]

أي: عملهما وصنعهما.

﴿سبع سماوات في يومين﴾ قال ابن عباس وعبد الله بن سلام: يوم الخميس ويوم الجمعة[٥].

﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ قال قتادة: خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وملائكتها وما يصلحها[٦].

وقال مجاهد: أوحى ما أراد، وأمر بها شاء[٧].

﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ يريد: النجوم، سُمِّيت بذلك؛ لإضاءتها.

﴿وحفظاً﴾ قال الزجاج[٨]: وحفظناها من استماع الشياطين بالكواكب

(١) في الأصل زيادة قوله: "سبع" وستأتي بعد.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٨١).

(٣) في الأصل: ذؤب. والصواب ما أثبتناه.

(٤) انظر البيت في: الدر المصون (٦/ ٥٩)، والبحر (٧/ ٤٦٧)، واللسان (مادة: صنع، قضي)، والطبري (١/ ٥٠٩، ١١/ ٩١، ٢٢/ ٦٧)، والقرطبي (٢/ ٨٧، ١٤/ ٢٦٨، ١٥/ ٣٤٥)، وزاد المسير (٧/ ٢٤٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٩٩) عن السدي. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٤٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ٩٩). وذكره الماوردي (٥/ ١٧٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣١٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٧) أخرجه مجاهد في تفسيره (ص: ٥٧٠) والطبري (٢٤/ ٩٩)، كلاهما بلفظ: قال: مما أمر به وأراد.

(٨) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٢).

حفظاً.

وقال الزمخشري[1]: يجوز أن يكون مفعولاً له على المعنى، كأنه قال: وخلقنا المصابيح زينة وحفظاً.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا﴾ أي: إن تولوا عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فقل﴾ محذراً لهم ومخوفاً: ﴿أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾.

وروي شاذاً عن ابن كثير: "صَعْقَةً مثل صَعْقَةِ" بغير ألف فيهما[2].

والمعنى: أنذرتكم أن ينزل بكم ما نزل بمن كفر من الأمم قبلكم من العذاب الشديد، الوقع الذي كأنه صاعقة.

وخصّ هاتين الأمّتين بالذِّكْر؛ لأن قريشاً كانت تمُرُّ بمنازلهم وآثارهم في

---

(١) الكشاف (٤/ ١٩٦).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٦٨)، والدر المصون (٦/ ٥٩).

أسفارهم.

﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي: من كل جانب، وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يؤمنوا.

وقال الحسن: أنذروهم وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة[١]، فقد جاؤوهم بالوعظ والتخويف من جهة الزمن الماضي والمستقبل.

وقيل: جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم.

فإن قيل: كيف يستقيم هذا القول وقد قال: "جاءتهم الرسل"؟

قلتُ: الرسل كلهم جاؤوا بدين التوحيد وإيجاب التصديق بكل رسول، فكأن الرسل جميعهم قد جاؤوهم.

﴿ألا تعبدوا﴾ يعني: أي: لا [تعبدوا][٢]. وقيل: هي مخففة من الثقيلة.

قالوا استبعاداً لإرسالهم إليهم وتكذيباً لهم: ﴿لو شاء ربنا﴾، ومفعول "شاء" محذوف، تقديره: لو شاء إرسال الرسل ﴿لأنزل ملائكة﴾ ولم يرسل بشراً، ﴿فإنا بما أرسلتم به كافرون﴾ هذا ليس اعتراف منهم برسالتهم، وإنما هو على طريقة التهكم بما أرسلتم به على زعمكم.

ثم قَصَّ الله تعالى قصة عاد وثمود فقال: ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق﴾ أي: تكبروا وعتوا على الناس، أو تكبروا عن الإيمان ﴿وقالوا﴾ حين توعدهم هود بالعذاب: ﴿من أشد منا قوة﴾ فنحن ندفع ما يجيء به، اغتراراً بفخامة أجسامهم وعِظَم أجرامهم.

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٩٦).

(٢) في الأصل: يعبدوا.

قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ قال أبو عبيدة[١]: هي الشديدة الصوت.

قال الزمخشري[٢]: هي العاصفة التي تُصَرْصِر، أي: تصوّت في هبوبها.

وقال الزجاج[٣]: وأكثر التفسير: أنها الشديدة البرد.

قال غيره: هي الباردة التي تحرق ببردها، تكرير لبناء الصرّ، وهو البرد الذي يصرّ، أي: يجمع.

وقال مجاهد: هي السموم[٤].

﴿في أيام نحسات﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة: "نحِسات" بكسر الحاء، وأسكنها الباقون من العشرة[٥].

فمن كسر الحاء، فالواحد: "نَحِس"، مثل: فَرِق وحَذِر، وجُمِعَ على ذلك. ومن أسكن الحاء فالواحد "نَحْس".

قال الزمخشري[٦]: إما مخفف نَحِس، أو صفة على فَعْل، أو وصف لمصدر.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٩٦).

(٢) الكشاف (٤/ ١٩٩).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٠٢). وذكره الماوردي (٥/ ١٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٤٨).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٥)، والكشف (٢/ ٢٤٧)، والنشر (٢/ ٣٦٦)، والإتحاف (ص:٣٨٠-٣٨١)، والسبعة (ص:٥٧٦).

(٦) الكشاف (٤/ ١٩٩).

قال مجاهد وقتادة: "نَحِسَات": مشؤومات[١].

قال ابن عباس: كُنَّ آخر شوال من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء، وذلك ﴿سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾، قال: وما عُذّب قوم إلا في يوم الأربعاء[٢].

وقال الربيع بن أنس: أولها يوم الجمعة[٣].

وقال السدي: يوم الأحد[٤].

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ وقرأتُ لعاصم من رواية المفضل عنه: "ثموداً" بالنصب والتنوين[٥].

قال المبرد: والوجه الرفع، تقول: زيد ضربته، والنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده.

قال قتادة: المعنى: وأما ثمود فبينا لهم سبيل الخير والشر[٦].

﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ أي: اختاروا الكفر على الإيمان ﴿فأخذتهم﴾

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٧٠)، والطبري (٢٤/ ١٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣١٧-٣١٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٤).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٤٨).

(٤) مثل السابق.

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٨١)، والدر المصون (٦/ ٦٣).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣١٨) وعزاه لعبد بن حميد.

[الصاعقة ﴿صاعقة][1] العذاب﴾ أي: قارعة العذاب ﴿الهون﴾ والهُون والهوان بمعنى واحد. وقد سبق ذكره، ومجازه: فأخذتهم [صاعقة][2] العذاب ذي الهوان.

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار﴾ قرأ نافع ويعقوب وأبان عن عاصم: "نَحْشُرُ" بالنون على البناء للفاعل "أعداءَ" بالنصب. وقرأ باقي القراء العشرة في جميع طرقهم المشهورة: "يحشر" بالياء المضمومة على البناء للمفعول، "أعداءُ" بالرفع[3].

والقراءة الأولى محمولة على قوله: ﴿ونجينا الذين آمنوا﴾، ويؤيدها قوله تعالى:

---

(١) في الأصل: الصاعة صاعة.

(٢) في الأصل: صاعة.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٥-٦٣٦)، والكشف (٢/ ٢٤٨)، والنشر (٢/ ٣٦٦)، والإتحاف (ص:٣٨١)، والسبعة (ص:٥٧٦).

﴿يوم نحشر المتقين﴾ [مريم:٨٥]، والثانية محمولة على "يوزعون"، والكلام تم عند قوله تعالى: ﴿وكانوا يتقون﴾، فلا معنى لحمل ما بعده عليه.

و﴿يوزعون﴾ مُفسّر في النمل[1].

قوله تعالى: ﴿وقالوا لجلودهم﴾ الأظهر: أنها الجلود المعروفة.

وقيل: الأيدي والأرجل[2].

وقال السدي: هي الفروج[3].

وعن ابن عباس: كالقولين[4].

والآخرين قالوا لها حين شهدت عليهم: ﴿لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ هذا تمام كلام الجلود.

وفي هذا الموضع إشكالان ما رأيت أحداً من المفسرين ذكرهما:

أحدهما: أن الشهادة صدرت من السمع والأبصار والجلود، فَلِمَ أفرد الجلود باللوم والسؤال دون السمع والأبصار؟

الثاني: أن حق الجواب أن يكون: شهدنا لكيت وكيت، فلم قالوا: أنطقنا الله، وهم لم يسألوهم عن ذلك؟

قلتُ: على الإشكال الأول إن أريد الجلود المعروفة فلا إشكال فيه؛ لاشتمالها

---

(١) عند الآية رقم: ١٧.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٦) عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٠٦) عن الحكم الثقفي، وعبيد الله بن أبي جعفر. وذكره الماوردي (٥/ ١٧٦) عن ابن زيد.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٦)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٠).

على سائر الأجسام، فلومها وسؤالها شامل لجميع أجزاء البدن، وإن أريد الأيدي والأرجل؛ فلأنهما معتمد الجسد وبهما عامة أكسابه، ويؤيده قوله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ [يس:٦٥]، وإن أريد الفروج؛ فلأن جنايتها أشد من جناية البصر والسمع، والعقوبة الكائنة بسببها أعظم.

وأما الثاني فجوابه أن يقال: لما كان مقصودهم بالسؤال اللوم بقولهم: لم شهدتم علينا؟ أجابوا واعتذروا: قالوا: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء بالشهادة وألجأنا إليها بطريق القهر والاضطرار الذي أنطق كل شيء.

قال أنس بن مالك: «ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا تسألون مِمَّ ضحكت؟ فقالوا: مِمَّ ضحكت يا رسول الله؟ قال: عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، قال: يقول: يا رب أليس وعدتني ألا تظلمني؟ قال: فإن لك ذلك، قال: فإني لا أقبل عليّ شاهداً إلا من نفسي، قال: أو ليس كفى بي شهيداً والكرام الكاتبين؟ قال: فيختم على فيه، وتتكلم أركانه بما كان يعمل، فيقول لهنّ: بُعْداً لَكُنَّ وسُحقاً، عنكنَّ كنتُ أجادل»[1]. هذا حديث انفرد مسلم بإخراجه.

قال الله تعالى: ﴿وهو خلقكم أول مرة﴾ هذا تقرير. المعنى: إنطاق الجوارح، واستدلال على القدرة على ذلك بالخلق الأول.

قوله تعالى: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨٠ ح٢٩٦٩).

جلودكم﴾ السبب في نزولها: ما أخبرنا به شيخنا الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه بقراءتي عليه في شعبان سنة تسع وستمائة بظاهر دمشق قال: أخبرنا أبو محمد عبدالقادر بن أبي صالح بن عبدالله الجيلي ببغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن المظفر بن سوسن التمار، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزاز قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن العباس بن نجيح سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، حدثنا محمد بن مسلمة، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا المسعودي[1]، عن الأعمش[2]، عن أبي وائل[3] -فيما يعلم المسعودي-، عن عبدالله قال: «بينما أنا مستتر بأستار الكعبة إذ دخل ثلاثة نفر عظيمة بطونهم، قليل فقههم، [ثقفيان][4] وختن لهما قرشي، أو قرشيان وختن لهما ثقفي، فقال أحدهما لصاحبه: ترى الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إذا رفعنا، ولا يسمع إذا خفضنا.

قال عبدالله: فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بقولهما، قال: فنزل القرآن: ﴿وما

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الكوفي المسعودي، كان ثقة صدوق، كثير الحديث، وقد اختلط قبل موته، مات سنة ستين ومائة (تهذيب التهذيب ٦/ ١٩٠-١٩١، والتقريب ص:٣٤٤).

(٢) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم، أبو محمد الكوفي الأعمش، يقال: أصله من طبرستان، وولد بالكوفة سنة إحدى وستين، كان ثقةً ثبتاً في الحديث، عارفاً بالقراءات، لكنه يدلس، وكان محدث أهل الكوفة (تهذيب التهذيب ٤/ ١٩٥-١٩٦، والتقريب ص:٢٥٤).

(٣) شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفي. أدرك النبي ﷺ ولم يره، كان ثقة كثير الحديث، مخضرم، مات بعد الجماجم سنة اثنتين وثمانين (تهذيب التهذيب ٤/ ٣١٧، والتقريب ص:٢٦٨).

(٤) في الأصل: ثقيفيان. والتصويب من الصحيحين.

كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾»[١]. هذا حديث صحيح اتفق الشيخان على إخراجه في صحيحيهما، فرواه البخاري عن الحميدي، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود، ورواه أيضاً عن الصلت بن محمد[٢]، [عن][٣] يزيد بن زريع[٤]، عن روح بن القاسم، عن منصور، ورواه أيضاً عن عمرو بن علي، عن يحيى، عن سفيان الثوري، عن منصور.

فكأنني من هذين الطريقين لقيت من حدثني به عن أصحاب أصحاب البخاري.

والمعنى: ما كنتم تستخفون من أن تشهد عليكم جوارحكم لأنكم لا تستطيعون الاختفاء منها.

﴿ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾ قال ابن عباس: كان الكفار يقولون: إن الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١٨-١٨١٩ ح٤٥٣٨، ٤٥٣٩، ٤٥٤٠). ومسلم (٤/ ٢١٤١ ح٢٧٧٥).

(٢) الصلت بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي المغيرة البصري، أبو همام الخاركي، ثقة صدوق (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٨٢، والتقريب ص:٢٧٧).

(٣) في الأصل: بن. والصواب ما أثبتناه.

(٤) يزيد بن زريع العيشي، ويقال: التميمي، أبو معاوية البصري الحافظ، كان ثقة حجة كثير الحديث، توفي بالبصرة سنة اثنتين وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٨٤-٢٨٥، والتقريب ص:٦٠١).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥١).

﴿وذلكم﴾: مبتدأ، ﴿ظنكم﴾: خبره، ﴿الذي ظننتم﴾: صفة الخبر، ﴿أرداكم﴾: خبر بعد خبر[١].

ويجوز أن يكون "ذلكم": مبتدأ، "ظنكم": بدل منه، "أرداكم": خبره[٢].

ومعنى: "أرداكم": أهلككم.

﴿فإن يصبروا﴾ يعني: على العذاب ﴿فالنار مثوى لهم﴾ يريد: لا ينفعهم صبرهم، ﴿وإن يستعتبوا﴾ يسألوا العُتْبَى، وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعاً مما هم فيه، ﴿فما هم من المعتبين﴾ المُجَابين إلى ما طلبوا من الرضا، تقول: استعتبت فلاناً؛ إذا طلبت منه أن يُعْتَبَ، أي: يُرْضَى. وأعْتَبَني فلان؛ إذا أرضاك بعد إسخاطه إياك[٣].

وقرأ الحسن البصري: "وإن يُسْتَعْتَبُوا" بضم الياء، على البناء للمفعول[٤].

﴿فما هم من المعتبين﴾ أي: لا سبيل لهم إلى ذلك؛ لأنهم غير قادرين عليه.

۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٢١)، والدر المصون (٦/ ٦٣-٦٤).

(٢) مثل السابق.

(٣) انظر: اللسان (مادة: عتب).

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٧٣)، والدر المصون (٦/ ٦٤).

يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿وقيّضنا لهم قرناء﴾ أي: [وسببنا][1] لمشركي مكة أخداناً من الشياطين، كما قال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾ [الزخرف:٣٦].

﴿فزيّنوا لهم ما بين أيديهم﴾ قال الكلبي: ما بين أيديهم من أمر الآخرة، وهو قولهم لهم: لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب، ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا، فزينوا لهم اللذات[2].

وقيل: بالعكس[3].

وقيل: ما بين أيديهم ما فعلوه، وما خلفهم ما عزموا على فعله[4].

﴿وحق عليهم القول﴾ يعني: كلمة العذاب ﴿في أمم﴾ أي: في جملة أمم.

وموضع "في أمم" من الإعراب: النصب على الحال من الضمير في "عليهم"[5]، أي: حَقَّ عليهم القول كائنين في جملة أمم.

﴿إنهم كانوا خاسرين﴾ يريد: الذين قيض لهم القرناء والأمم.

---

(١) في الأصل: وسنينا. والمثبت من زاد المسير (٧/ ٢٥٢).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٢) بلا نسبة.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ١١١) عن السدي. وذكره الماوردي (٥/ ١٧٨).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٢).

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ٦٤).

قوله تعالى: ﴿والغوا فيه﴾ قال الزجاج[١]: عارضوه بكلام لا يُفهم يكون ذلك الكلام لغواً، يقال: لَغَا [يلغو][٢] لغواً، ويقال أيضاً: لَغَا يَلْغَى لَغْواً؛ إذا تكلم باللغو، وهو الكلام الذي لا يحصل منه على نفع ولا على فائدة، ولا تفهم حقيقته.

وقرأ جماعة، منهم عيسى بن عمر: "والغُوا" بضم الغين[٣].

قال أبو الفتح ابن جني[٤]: يقال منه: لَغَا يَلْغُو فهو لاغٍ، ومنه الحديث المرفوع: ((من قال في الجمعة: صَهْ، فقد لغا))[٥].

ويقال فيه: لَغِيَ يَلْغَى لغاً.

وقال الأخفش: من فتح الغين كان من لغا يلغى، مثل: طغى يطغى، ومن ضم الغين كان من لغا يلغو، مثل: دعا يدعو.

قال المفسرون: كانت قريش توصي بعضهم بعضاً: إذا سمعتم القرآن من محمد وأصحابه فارفعوا أصواتكم باللغو لتُشَوِّشُوا عليهم[٦].

وقال ابن عباس: قعوا فيه وعيبوه[٧].

وقال مجاهد: والغوا فيه بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق[٨].

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٤).

(٢) في الأصل: يلغي. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٧٣)، والدر المصون (٦/ ٦٥).

(٤) المحتسب (٢/ ٢٤٦-٢٤٧).

(٥) أخرجه أبو داود (١/ ٢٧٦ ح١٠٥١).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٢).

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٨).

(٨) أخرجه مجاهد (ص:٥٧١)، والطبري (٢٤/ ١١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٢-٣٢٧٣).
=

﴿فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً﴾ قال ابن عباس: يوم بدر[١].

﴿ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون﴾ في الدنيا وفي الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ذلك جزاء أعداء الله النار﴾ فيه الوجهان المذكوران في إعراب: "وذلكم ظنكم". ويجوز فيه وجه ثالث وهو: أن يكون "النار": ابتداء، و ﴿لهم فيها دار الخلد﴾: خبراً[٢]، ويكون الوقف على قوله تعالى: ﴿أعداء الله﴾.

وقيل: ذلك إشارة إلى الأسوأ، ويجب أن يكون التقدير: أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون، حتى تستقيم هذه الإشارة، و"النار" عطف بيان للإشارة، أو خبر مبتدأ محذوف[٣].

قوله تعالى: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ قال الزجاج[٤]: النار هي الدار، كما تقول: لك في هذه الدار دار السرور، وأنت تعني الدار بعينها. قال الشاعر:

أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيها ويسأَلُهَا ... يأْبى الظلامةَ منه النَّوفلُ الزُّفَرُ[٥]

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي: يقولون يوم القيامة ﴿ربنا أرنا اللذين أضلانا﴾.

وقد ذكر اختلاف القراء في "أرنا" في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وأرنا

= وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٢١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٠٣).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٢)، والدر المصون (٦/ ٦٥).

(٣) مثل السابق.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٥).

(٥) البيت لأعشى باهلة، يرثي أخاه المنتشر بن وهب. وهو في: اللسان (مادة: زفر، قفر، نفل)، والقرطبي (١٦/ ٢٩٩)، وزاد المسير (١/ ٤٣٤، ٧/ ٢٥٣).

مناسكنا﴾ [البقرة:١٢٨]، وأشرنا إلى تعليل ما قرؤوا به.

﴿من الجن والإنس﴾ يريدون: إبليس وقابيل؛ لأن إبليس سَنَّ الكفر، وقابيل سَنَّ القتل بغير حق.

وقيل: أرادوا دعاة الضلالة من الجن والإنس.

والمعنى: أرناهما ومكنّا منهما.

﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ في النار ﴿ليكونا من الأسفلين﴾ أي: في الدرك الأسفل من النار. سألوا ذلك حنقاً عليهم حيث كانوا السبب في إضلالهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ قال الزمخشري[1]: "ثم" لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة. وفضلها عليها؛ لأن الاستقامة لها الشأن كله. ونحوه قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ [الحجرات:١٥]. والمعنى: ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ثم استقاموا على أن الله ربهم وحده[2].

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٠٤).

(٢) أخرج الطبري في تفسيره (٢٤/ ١١٤) عن أبي بكر الصديق في قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً. وذكره الماوردي (٥/ ١٧٩).

ويؤيد هذا القول: ما أخرجه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ قال: قد قال الناس ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو [ممن][١] استقام»[٢].

وقال ابن عباس: استقاموا على أداء الفرائض[٣].

وقال قتادة: استقاموا على الطاعة[٤].

وقال السدي: استقاموا على الإخلاص والعمل إلى الموت[٥].

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في كتاب الزهد بإسناده عن الزهري: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو يخطب الناس على المنبر: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ قال: استقاموا على الطريقة والله بطاعته ثم لم يروغوا روغان الثعالب[٦].

وقال سفيان بن عبد الله الثقفي: يا رسول الله! أخبرني بأمر أعتصم به؟ قال: قل: ربي الله ثم استقم[٧].

وقال قتادة: كان الحسن إذا تلا هذه الآية بكى وقال: اللهم أنت ربنا فارزقنا

---

(١) في الأصل: مؤمن من. والتصويب من الترمذي (٥/ ٣٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٦ ح٣٢٥٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ١١٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٢٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ١١٥). وذكره الماوردي (٥/ ١٧٩).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٤).

(٦) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١٤٤).

(٧) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٧ ح٢٤١٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤ ح٣٩٧٢)، وأحمد (٣/ ٤١٣).

الاستقامة[١].

﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يعني: عند الموت[٢]، بالبشرى.

وقال قتادة: عند خروجهم من قبورهم للبعث[٣].

وقيل: البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وإذا قاموا من قبورهم[٤].

﴿أن لا تخافوا﴾ "أنْ" بمعنى: أي. وقيل: مخففة من الثقيلة، على معنى ضمير الشأن.

قال مجاهد: لا تخافوا الموت ﴿ولا تحزنوا﴾ على أولادكم[٥].

وقال عكرمة: لا تخافوا أمامكم ولا تحزنوا على ما خلفكم[٦].

وقد ذكرنا فيما مضى: أن الخوف غَمٌّ يلحق الإنسان لتوقع المكروه. والحزن: غَمٌّ لوقوع المكروه.

ثم تقول لهم الملائكة: ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ أي: نحن

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١١٥).

(٢) أخرجه مجاهد في تفسيره (ص:٥٧١)، والطبري (٢٤/ ١١٦) عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٢٣) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد والبيهقي في الشعب عن مجاهد.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٠) عن ثابت ومقاتل، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٤) عن قتادة.

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ١٨٠).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٢٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٤).

الذين نتولاكم في الدنيا ونحبكم لما نرى من أعمالكم الصالحة، ونحن الذين نتولاكم اليوم إلى أن تدخلوا الجنة.

﴿ولكم فيها ما تدعون﴾ قال مقاتل[1]: ما تتمنّون.

وقال غيره: ما تدعون أنه لكم فهو مملوك لكم بحكم ربكم[2].

﴿نُزُلاً﴾ نصب على الحال من الموصول أو من الضمير الموصول المحذوف[3].

أي: ما تدعونه نُزُلاً، والنُّزُل: رزق النزيل، وهو الضيف. وقد أشرنا إلى ذلك فيما مضى.

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ هذا عام في كل من اتَّصف بهذه الأوصاف الثلاثة، ويدخل في عموم ذلك ما قاله المفسرون.

وقد روى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنها نزلت في المؤذِّنين. وهو قول

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٦٧).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٠) من قول ابن عيسى.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٢)، والدر المصون (٦/ ٦٧).

عائشة ومجاهد[(١)].

وقال ابن عباس: هو رسول الله ﷺ دعا إلى شهادة لا إله إلا الله[(٢)].

"وعمل صالحاً" قال ابن السائب: أدى الفرائض[(٣)].

وقالت عائشة: صلى ركعتين بعد الأذان[(٤)].

وقال عكرمة: صام وصلى[(٥)].

"وقال إنني من المسلمين" أي: دان بالإسلام واعتقده، كما تقول: أنا أقول مقالة أهل الحديث، أي: أعتقد عقيدتهم وأذهب إلى مذهبهم.

قوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ قال الزجاج[(٦)]: و"لا" زائدة مؤكدة. المعنى: لا تستوي الحسنة والسيئة. ومثله قال الفراء، وأنشد:

ما كان يرضي رسولَ الله فعلُهم والطيبان أبو بكر ولا عمر

قال علي عليه السلام: "الحسنة": حب آل رسول الله ﷺ، و"السيئة": بغضهم[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٠٤ ح٢٣٤٧) عن عائشة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٢٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه عن عائشة.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٧).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٨١).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٧).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٢٥) وعزاه لعبد بن حميد.

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٦).

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٢).

وقال ابن عباس: "الحسنة": الإيمان، و"السيئة": الشرك[١].

وقال الضحاك: "الحسنة": الحلم، و"السيئة": الفحش[٢].

وقيل: "الحسنة": المداراة، و"السيئة": الغلظة[٣].

وقد أشرنا فيما مضى من كتابنا إلى أن هذه الأقوال وأمثالها لم تذكر لحصر المراد من الكلام، بل هي لبيان جنس [بذكر][٤] بعض أنواعه.

قال صاحب الكشاف[٥]: إن [قلت][٦]: هلاّ قيل: فادفع بالتي هي أحسن؟

قلتُ: هو على تقدير قائل قال: فكيف أصنع؟ فقيل: ادفع بالتي هي أحسن.

فإن قلت: إذا كان المعنى "ولا تستوي الحسنة والسيئة"، فالقياس على هذا التقدير أن يقال: ادفع بالتي هي حسنة.

قلتُ: أجل، ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة، ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة؛ لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها.

﴿فإذا الذين بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ قال عكرمة: الولي: الصديق، والحميم القريب[٧].

أخرج البخاري في أفراده عن ابن عباس «في قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) وهو قول ابن عيسى. ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ١٨٢).

(٤) في الأصل: يذكر. والصواب ما أثبتناه.

(٥) الكشاف (٤/ ٢٠٥).

(٦) في الأصل: قالت. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٢).

أحسن﴾ قال: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوه عصمهم الله وخضع لهم عدوّهم»[١].

وقال مقاتل[٢]: نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب، كان مؤذياً لرسول الله ﷺ، فصار له ولياً بعد أن كان عدواً. ونظيره قوله تعالى: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ [الممتحنة:٧].

قوله تعالى: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ قال الزجاج[٣]: وما يُلَقَّى هذه الفعلة، وهي دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا على كظم الغيظ، ﴿وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ من الخير.

وقال السدي: إلا ذو جَدّ[٤].

وقال قتادة: الحظ العظيم: الجنة[٥].

وقال الحسن: والله ما عَظُمَ حَظٌّ دون الجنة[٦]، فيكون المعنى: وما يلقاها إلا من وجبت له الجنة.

قوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾ قال الزمخشري[٧]: النزغ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١٤).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٦٧) وفيه: أن نزولها في أبي جهل.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٠). وذكره الماوردي (٥/ ١٨٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٢٧) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٢).

(٧) الكشاف (٤/ ٢٠٦).

والنسغ بمعنىً، وهو شبيه بالنخس. فالشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه ببعثه على ما لا ينبغي. وجعل النزغ نازغاً، كما قيل: جدّ جدّه، أو أريد: وإما ينزغنك نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر. وقد فسرنا هذه الآية في آخر سورة الأعراف[١].

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿واسجدوا لله الذي خلقهن﴾ إن قيل: كيف قال: الذي خلقهن، وقد قال: ﴿الليل والنهار والشمس والقمر﴾ وهي مُذَكَّرَة، فقد قال الزجاج[٢]: فيها وجهان:

أحدهما: أن ضمير غير ما يعقل على لفظ التأنيث، تقول: هذه كِبَاشُك فَسُقْها، وإن شئت قلت: فَسُقْهُنَّ، وإنما يكون "خلقهن" لما [يعقل][٣] لا غير، ويجوز أن يكون "خلقهنّ" راجع على معنى الآيات في قوله تعالى: ﴿ومن آياته﴾.

---

(١) عند الآية رقم: ٢٠٠.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٧).

(٣) في الأصل: يفعل. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

فصل

واختلفوا في موضع السجدة هاهنا على قولين:

أحدهما: "تعبدون". قاله ابن مسعود وأصحابه والحسن[١]، وإليه ذهب الشافعي لذكر لفظ السجدة قبله.

الثاني: "يسأمون". قاله ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب ومسروق وقتادة[٢]، وإليه ذهب أبو حنيفة وعلماؤنا؛ لأن به تمام الكلام.

قوله تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة﴾ قال الزجاج[٣]: مُتَهَشِّمَةً مغبرّة.

وقال الزمخشري[٤]: الخشوع: التذلل والتقاصر، فاستعين بحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها.

﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ وقرأ أبو جعفر: "وربأَت" بهمزة مفتوحة بعد الباء[٥].

قال الزجاج[٦]: "رَبَتْ": عظمت، ورَبَأَتْ: ارتفعت. وقد ذكرناه في سورة الحج[٧].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٩).

(٢) مثل السابق.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٧).

(٤) الكشاف (٤/ ٢٠٦).

(٥) النشر (٢/ ٣٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٣).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٨).

(٧) عند الآية رقم: ٥.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾ سبق تفسير الإلحاد وذكر اختلاف القُرَّاء فيه في أواخر سورة الأعراف[١].

والمراد به هاهنا: التكذيب بالآيات، في قول قتادة[٢].

والميل عن الأدلة، في قول أبي مالك[٣].

ومعاندة الرسل في قول السدي[٤].

والمكاء والصفير عند تلاوة القرآن، في قول مجاهد[٥].

﴿لا يخفون علينا﴾ وعيدٌ لهم على التحريف، ﴿أفمن يلقى في النار خير﴾ وهو أبو جهل، في قول عامة المفسرين.

---

(١) عند الآية رقم: ١٨٠.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٣٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٣). وذكره الماوردي (٥/ ١٨٤).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٥٧١)، والطبري (٢٤/ ١٢٣). وذكره الماوردي (٥/ ١٨٤).

﴿أم[١] من يأتي آمناً يوم القيامة﴾ وهو عمار بن ياسر، في قول عكرمة[٢].

ورسول الله ﷺ، في قول ابن السائب ومقاتل[٣].

وعمر بن الخطاب، [في][٤] قول ابن زياد[٥].

وحكى الثعلبي[٦]: أنه عثمان بن عفان.

وحكى الواحدي[٧]: أنه حمزة، رضي الله عنهم.

والظاهر: أنه عام في كل مؤمن وكافر.

وباقي الآية وعيد وتهديد.

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم﴾ وهو القرآن، في قول عامة المفسرين.

وخبر "إنّ": ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾[٨]. وقيل: محذوف، تقديره: كفروا به أو يجازون بكفرهم[٩].

---

(١) في الأصل زيادة قوله: "خير" وقد سبقت.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٣٠) وعزاه لابن عساكر.

(٣) ذكره مقاتل (٣/ ١٦٨)، والماوردي (٥/ ١٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٦١).

(٤) في الأصل: وفي.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٦١) حكاية عن الماوردي.

(٦) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٨).

(٧) الوسيط (٤/ ٣٧).

(٨) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٦٨): وقد استُبعد هذا من وجهين: أحدهما: كثرة الفواصل، والثاني: تقدم من يصح الإشارة إليه بقوله: "أولئك"، وهو قوله: ﴿والذين لا يؤمنون﴾، واسم الإشارة يعود على أقرب مذكور.

(٩) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٢)، والدر المصون (٦/ ٦٨).

وقال الزمخشري[(١)]: إن قلت: بم اتصل قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾؟

قلتُ: هو بدلٌ من قوله تعالى: ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾؛ لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله.

﴿وإنه لكتاب عزيز﴾: منيع محمي.

قال ابن عباس: كريم على الله[(٢)]. وقال السدي: غير مخلوق[(٣)].

﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ أي: لا يتطرق إليه بوجه من الوجوه.

قال سعيد بن جبير: لا يأتيه التكذيب[(٤)].

وقال قتادة: لا يستطيع إبليس أن ينقص منه حقاً ولا يزيد فيه باطلاً[(٥)].

فإن قيل: أليس قد تأوّله المبطلون وحرّفه الملحدون إلى مقاصدهم وأقرب الأشياء عهداً بذلك ما حكيته في سورة الحجر من إلحاد ذلك الزائغ الذي [حرّف][(٦)] كتاب الله في ملأ من الأشراف؟

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٠٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٦٢) كلاهما عن ابن السائب الكلبي. وذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٣٦٧) عن ابن عباس.

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٣٦٧).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٦٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٣٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن الضريس.

(٦) في الأصل: حر.

قلتُ: الذي ضمنه الله تعالى حفظ كتابه، وأن الباطل لا يلبس به، وذلك حاصل والحمد لله.

وأما تحريف الغالين وتأويل الزائغين فقد قيض الله سبحانه وتعالى رجالاً يبيّنون عواره ويوضحون فساده، ويدفعون ما ليس منه.

قوله تعالى: ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ قال قتادة وجمهور المفسرين: المعنى ما يقول المشركون لك إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الأقوال المؤذية، كقولهم: ساحر ومجنون[١]. فتكون الآية على هذا القول تعزية للنبي ﷺ.

وقال الكلبي: المعنى: ما تخبر إلا ما أخبر الأنبياء قبلك، وهو ﴿إن ربك لذو مغفرة﴾ لمن آمن بالله وصدق المرسلين ﴿وذو عقاب أليم﴾ لمن كفر بالله وكذّب المرسلين[٢].

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٣٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) ذكره الماوردي (٧/ ٣٣٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٦٣) حكاية عن الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً﴾ أي: لو أنزلنا القرآن بلسان أعجمي ﴿لقالوا لولا﴾: هلاَّ ﴿فُصِّلَت﴾ أي: بُيِّنَت ﴿آياته﴾ بأن تنزل عربية، ولقالوا إنكاراً لذلك: ﴿أأعجمي وعربي﴾ أي: أقرآن أعجمي ورسول عربي؟، أو مرسل إليه عربي؟، والمعنى الأول قول سعيد بن جبير[١]، والثاني قول السدي[٢].

ومعنى الكلام: أنهم قوم شأنهم التعنت واتباع الهوى والتكذيب.

قرأ ابن كثير في رواية قنبل من طريق ابن شوذب وابن عامر من رواية الحلواني عن هشام: "أعجمي" بهمزة واحدة مقصورة مع سكون العين، وهي قراءة الحسن والضحاك والجحدري، ومثلهم عمرو بن ميمون، إلا أنه فتح العين. وقرأ الباقون بهمزتين على الاستفهام على اختلاف أصولهم[٣].

قال أبو الفتح[٤]: أما من قرأ "أَعْجَمِيٌّ" بقصر الهمزة وسكون العين، فعلى أنه خبر [لا استفهام، أي][٥]: لقالوا: لولا فصلت آياته. ثم أخبر فقال: الكلام الذي جاء به أَعْجَمِيٌّ، أي: قرآن وكلام أَعْجَمِيّ. ولم يخرج مخرج الاستفهام على معنى التعجب والإنكار على قراءة الكافة. وأما قراءة عمرو بن ميمون فهو منسوب إلى العجم.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٦). وذكره الماوردي (٥/ ١٨٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٣٣) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٧). وذكره الماوردي (٥/ ١٨٦).

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٦-٣٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٧)، والكشف (٢/ ٢٤٨)، والإتحاف (ص:٣٨١)، والسبعة (ص:٥٧٦-٥٧٧).

(٤) المحتسب (٢/ ٢٤٨).

(٥) زيادة من المحتسب (٢/ ٢٤٨).

وقال الزجاج في قراءة الحسن[١]: المعنى: هلا بُيِّنَتْ آياته، فجعل بعضها بياناً للعرب وبعضها بياناً للعجم. وقد ذكرنا فيما مضى الفرق بين الأعجمي والعجمي[٢].

قال الزمخشري[٣]: إن قلت: كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل إليهم وهم أمة العرب؟

قلتُ: هو على ما يجب أن يقع في إنكار المنكر لو رأى كتاباً عجمياً كُتِبَ إلى قوم من العرب، يقول: أكتاب عجمي ومكتوب إليه عربي، وذلك لأن مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه، لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة، فوجب أن يجرد لما سيق له من الغرض، [ولا][٤] يوصل به ما يحتمل غرضاً آخر. ألا تراك تقول -وقد رأيتَ لباساً طويلاً على امرأة قصيرة-: اللباس طويل واللابس قصير، ولو قلت: اللابسة قصيرة، جئت بما هو [لكنة][٥] وفضول قول؛ لأن الكلام لم يقع في ذكورة اللابس [وأنوثته][٦]، إنما وقع في غرض وراءهما.

﴿قل هو﴾ أي: القرآن ﴿هدى وشفاء﴾ إرشاد إلى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٩).

(٢) في سورة الشعراء عند تفسير الآية رقم: ١٩٨.

(٣) الكشاف (٤/ ٢٠٨).

(٤) في الأصل: لا. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: لكونه. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: وأنوثيته. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

فإن قلت: ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر﴾ منقطع [عن][1] ذكر القـرآن، فما وجه اتصاله به؟

قلتُ: لا يخلو إما أن يكون "الذين لا يؤمنون" في موضع الجر معطوفـاً عـلى قوله تعالى: ﴿للذين آمنوا﴾ على معنى قولك: هو للذين آمنوا هدى وشفاء، وهـو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر؛ إلا أن فيه عطفاً على عاملين، وإن كان الأخفـش يجيزه. وإما أن يكون مرفوعاً على تقدير: والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ، أو في آذانهم منه وقر.

وقد ذكرنا فيما مضى أن الوَقْر: الصَّمَم.

قوله تعالى: ﴿وهو عليهم عمى﴾ وقرأ جماعة، منهم: ابن عباس، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص: "عَمٍ" بكسر الميم[2]، وقراءة الأكثرين أرجح، وهي اختيار أبي عبيد؛ لقوله: ﴿هدى وشفاء﴾، فكذلك "عمى" مصدر مثلهما، قال: ولو أنهما "هادٍ وشافٍ" لكان الكسر في "عمٍ" أجود؛ ليكون نعتاً مثلهما.

﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ تحقيق لمعنى إعراضهم وبُعدهم عن الحـق، كأنهم لفرط ذلك كالذي يُصاح به من مكان بعيد، فهو لا يَسمع النداء.

والآية التي [بعدها][3] مفسرة في آخر سورة هود[4].

---

(١) في الأصل: من. والمثبت من الكشاف (٤/ ٢٠٨).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٧/ ٤٨١)، والدر المصون (٦/ ٧٠).

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) عند تفسير الآية رقم: ١١٠.

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿وما تخرج من ثمرة من أكمامها﴾ قرأ نافع وابن عامر وحفص: "ثَمَراتٍ" على الجمع؛ لأن المعنى عليه؛ لأنه لا يريد ثمرة دون ثمرة. وقرأ الباقون "ثَمَرة" على لفظ الإفراد[1]، والمراد: الكثرة، ويقوِّي ذلك قوله تعالى: ﴿وما تحمل من أنثى﴾.

قال الزمخشري[2]: الكِمُّ -بكسر الكاف-: وعاء الثمرة، كجُفِّ الطَّلْعَة.

وقال غيره: غلافُ كل شيء: كُمُّه، ومنه قيل للقلنسوة: كُمَّة؛ لأنها تغطي الرأس، [ومن هذا][3] كُمَّا القميص؛ لأنهما يغطيان [اليدين][4].

والمعنى: وما يحدث من شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضعها إلا وهو عالم به.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٧-٦٣٨)، والكشف (٢/ ٢٤٩)، والنشر (٢/ ٣٦٧)، والإتحاف (ص:٣٨٢)، والسبعة (ص:٥٧٧).

(٢) الكشاف (٤/ ٢٠٩).

(٣) زيادة من زاد المسير (٧/ ٢٦٥).

(٤) في الأصل: اليد. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

﴿ويوم يناديهم أين شركائي﴾ يريد: على زعمهم أنها شركاء في الإلهية.

﴿قالوا﴾ يعني: المشركين. وقيل: الشركاء. والأول أظهر.

﴿آذنَّاك﴾ أعلمناك بما علمت من عقائدنا الآن، أو يقولون ذلك وقد سبق إعلامهم به أول ما سئلوا.

ثم أعيد عليهم السؤال توبيخاً وتقريعاً، فحكى الله تعالى ذلك عنهم، أو يكون ذلك إنشاء للإيذان.

﴿ما منا من شهيد﴾ يشهد بأن لك شريك. تبرّؤوا من شركائهم حين تبيَّنوا وحدانية الله تعالى، فلم ينفعهم ذلك.

وإن قلنا: هو من قول الشركاء، فالمعنى: ما منا من شهيد يشهد بما أضافوه إلينا من الشركة.

﴿وظنوا﴾ أيقنوا ﴿ما لهم من محيص﴾.

وكان سهل يقف على قوله: "وظنوا"، على معنى: وظنوا ظناً.

لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ أو من دعائه الخير، فحذف الفاعل وأضافه إلى المفعول.

والمعنى: لا يسأم من طلب السعة في المال وسوغ النعم.

﴿وإن مسه الشر﴾ وهو الفقر والضيق ﴿فيئوس قنوط﴾.

قال الزمخشري[١]: بُولغ فيه من طريقين؛ بناء فعول، والتكرير. وهذه صفة الكافر، بدليل قوله تعالى: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف:٨٧].

﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعدْ ضراء مسته﴾ أي: ولئن فرجنا عنه فأذقناه غنى بعد فقر، أو صحة بعد مرض ﴿ليقولن﴾ أشَراً وبَطَراً وبغياً: ﴿هذا لي﴾ أي: حقي وصل إليّ؛ لأني أستوجبه بما عندي من الاستحقاق له.

ثم يتمادى في جهله وغيه حتى يقول إنكاراً لقدرة الله تعالى على البعث بعدما رأى وشاهد من تقلبات أحواله وآثار تصرفات الله تعالى فيه: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾.

ثم يقول على سبيل الفرض والتقدير: ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ الحالة الحسنى من النعمة والكرامة كما أعطاني في الدنيا.

قال الحسن بن علي عليهما السلام: الكافر في أُمنيتين، أما في الدنيا فيقول: لئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى، وأما في الآخرة فيقول: يا ليتني كنت تراباً[٢].

ثم [هدّدهم][٣] بالآية التي تلي هذه.

---

(١) الكشاف (٤/ ٢١٠).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٣٧٣).

(٣) في الأصل: هدهم.

والآية التي بعدها مُفسَّرة في أواخر بني إسرائيل[١].

والمراد بالعريض: الكثير. والعرب تستعمل الطول والعرض في معنى الكثرة، يقولون: أطال فلان الكلام وأعْرَض؛ إذا كثر[٢].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يستدرجهم بألطف طريق وأن يستنزلهم عما هم عليه من العناد فقال: ﴿قل أرأيتم﴾ أي: أخبروني ﴿إن كان﴾ يعني: القرآن ﴿من عند الله ثم كفرتم به﴾ هذا الكفر وعاندتموه هذا العناد ﴿من أضل ممن هو في شقاق بعيد﴾ عن الهدى.

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ قال الحسن ومجاهد: "في الآفاق": فتح أقطار الأرض، "وفي أنفسهم": فتح مكة[٣].

وقال قتادة وغيره: سنريهم وقائعنا في الأمم الخالية، وذلك بسيرهم في

---

(١) في سورة الإسراء، عند الآية رقم: ٨٣.

(٢) انظر: اللسان (مادة: عرض).

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ٥). وذكره الماوردي (٥/ ١٨٩) كلاهما عن السدي، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠).

الأرض، وفي أنفسهم يوم بدر[١].

وقيل: "وفي أنفسهم": وهو كونهم خلقوا نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظامـاً، إلى أن نقلوا إلى العقل والتمييز[٢].

﴿حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ يريد: القرآن، ﴿أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ فهو يشهد لك وعليهم.

والآية التي بعدها مُفسَّرة فيما مضى، ومضمونها: تهديدهم. والله تعالى أعلم.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٦٧).

(٢) وهو قول الزجاج. انظر: معاني الزجاج (٤/ ٣٩١-٣٩٢).

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي خمسون آية في المدني، وثلاث وخمسون في الكوفي[1].

وهي مكية في قول ابن عباس وعامة المفسرين[2].

ويحكى عنه أيضاً أن فيها من المدني: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً ...﴾ إلى آخر أربع آيات[3]، واستثنى مقاتل: ﴿ذلك الذي يبشر الله﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بذات الصدور﴾، وقوله تعالى: ﴿والذين إذا أصابهم البغي﴾ إلى قوله تعالى: ﴿من سبيل﴾[4].

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي: أقسم الله سبحانه وتعالى بحلمه ومجده وعلمه وسنائه وقدرته[5].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢١).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٣٥) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن ابن الزبير، وعزاه لابن مردويه.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧٠).

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٥٣).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢) عن ابن عباس، والقرطبي في تفسيره (١٦/ ٢) عن محمد بن كعب.

وقال في رواية ابن أبي طلحة: هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم الله به[١].

وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن[٢].

وقال كثير من المفسرين: هي حروف مقطعة من حوادث آتية[٣].

قال عطاء: الحاء من حرب، والميم من تحويل ملك، والعين من عدو مقهور، والسين من [استئصال بسنين][٤] كسني يوسف، والقاف من قدرة الله تعالى في ملكوت الأرض[٥].

وقال بكر بن عبدالله المزني: حم حرب تكون بين قريش والموالي، فتكون الغلبة لقريش على الموالي، ["م"][٦] ملك بني أمية، "ع" علو ولد العباس، "سين" سناء المهدي، "ق" قوة عيسى بن مريم [حين][٧] ينزل فيقتل النصارى ويخرب البِيَع[٨].

وفي مصحف ابن مسعود: "حم سق" بغير عين[٩].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧١).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٢).

(٤) في الأصل: استيعال يستبين. والمثبت من زاد المسير (٧/ ٢٧١).

(٥) ذكره الثعلبي (٨/ ٣٠٣) بنحوه، والماوردي (٥/ ١٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧١).

(٦) في الأصل: من. والتصويب من تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٣).

(٧) في الأصل: حتى. والمثبت من تفسير الثعلبي، الموضع السابق.

(٨) ذكره الثعلبي (٨/ ٣٠٣). وكل ذلك لا دليل عليه من الشارع وإنما هو اجتهاد.

(٩) انظر: الطبري (٢٥/ ٦)، والماوردي (٥/ ١٩٢).

ويروى: أن ابن عباس كان يقرؤها كذلك[١].

وسئل حسين بن الفضل: لم قطع ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ ولم يقطع ﴿كهيعص﴾ و ﴿المٓص﴾، يعني في خط المصحف؟. فقال: لكونها بين سور أوائلها حم، فجرى مجرى نظائرها قبلها وبعدها.

ولأنهما عُدّا آيتين وعدت أخواتها التي كتبت موصولة آية[٢].

وقيل: لأن أهلَ التأويل لم يختلفوا في ﴿كهيعص﴾ وأخواتها أنها حروف التهجي لا غير، واختلفوا في ﴿حمٓ﴾ فجعلها بعضهم فعلاً ماضياً على معنى "حُمَّ"، أي: قضي ما هو كائن إلى يوم القيامة[٣].

قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: مثلُ ذلك الوحي، أو مثل ذلك الكتاب ﴿يوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾ من الرسل.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحيت إليه ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾، فذلك قوله تعالى: ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾[٤].

قرأ ابن كثير: "يوحَى" بفتح الحاء على البناء للمفعول به.

فعلى هذا؛ يرتفع اسم "الله" بما دل عليه "يوحى"، كأنه قيل: مَنِ الموحي؟ فقال: الله تعالى.

---

(١) انظر: الطبري (٢٥/ ٦)، والماوردي (٥/ ١٩٢).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١١٩).

(٣) مثل السابق.

(٤) مثل السابق.

قال أبو علي(١): ومما يقوي هذه القراءة قوله تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك﴾ [الزمر:٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وأوحي إلى نوح﴾ [هود:٣٦].

وقرأ الباقون "يوحِي" بكسر الحاء على البناء للفاعل(٢)، فيرتفع اسم الله بإسناد الفعل إليه.

وقرأتُ لعاصم من رواية أبان عنه: "نُوحِي" بالنون(٣)، فيرتفع اسم الله تعالى بالابتداء.

وما بعده إخبار، و﴿العزيز الحكيم﴾ صفتان، والظرف خبر(٤).

تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿تكاد السموات يَنْفَطِرْنَ من فوقهن﴾ قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: "يَنْفَطِرْنَ" بالنون وتخفيف الطاء وكسرها. وقرأ الباقون: "يَتَفَطَّرْن" بتاء مفتوحة مع تشديد الطاء وفتحها(٥).

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٢).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٩)، والكشف (٢/ ٢٥٠)، والنشر (٢/ ٣٦٧)، والإتحاف (ص:٣٨٢)، والسبعة (ص:٥٨٠).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٢٧٢)، والدر المصون (٦/ ٧٤).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٣)، والدر المصون (٦/ ٧٤).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٠)، والكشف (٢/ ٢٥٠)، والنشر (٢/ ٣١٩)، والإتحاف (ص:٣٨٢-٣٨٣)، والسبعة (ص:٥٨٠).

وقد ذكر في آخر مريم "تكاد"[(١)].

والمعنى: تكاد السموات يتفطرن من عظمة الله تعالى وعلو شأنه.

واستدل الزجاج على صحة هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وهو العلي العظيم﴾، وهذا معنى قول الضحاك وجمهور المفسرين[(٢)].

وقيل: المعنى: يكدن يتفطرن من عظمة من فوقهن من العرش والكرسي والملائكة الصافين والحافين من حول العرش، لهم زجل التسبيح والتهليل والتقديس إلى غير ذلك، مما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى من الملكوت العلوي.

وقال ابن عباس: المعنى: تكاد السموات كل واحدة منها تنفطر فوق التي تليها من قول المشركين: اتخذ الله ولداً[(٣)]، فتكون نظيرَ الآية التي في أواخر مريم[(٤)].

قال الزمخشري[(٥)]: لما جاءت كلمة الكفر من الذين تحت السموات، كان القياس [أن][(٦)] يقال: ينفطرن من جهتهن[(٧)]، أي: من الجهة التي منها جاءت الكلمة، ولكن بولغ في ذلك، فجُعلت مؤثرة في جهة الفوق، كأنه قيل: يَكَدْنَ

---

(١) عند الآية رقم: ٩٠.

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٧). وذكره الماوردي (٥/ ١٩٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٣٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وأبي الشيخ عن قتادة.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٣).

(٤) عند الآية رقم: ٩٠.

(٥) الكشاف (٤/ ٢١٤).

(٦) في الأصل: أ. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) في الكشاف: تحتهن.

ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن. هذا خلاصة ما ذكره المفسرون.

ويجوز أن يكون الضمير في قوله تعالى: ﴿من فوقهن﴾ راجعة إلى الأرضين. وقد تقدم ذكرها في قوله تعالى: ﴿ما في السموات وما في الأرض﴾، وهو الذي أشار إليه الزمخشري.

قوله تعالى: ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ أي: يُصَلُّون. وقيل: يُنَزِّهُون الله تعالى ويُعَظِّمُونه.

﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ قال ابن السائب وغيره: سببُ استغفار الملائكة لمن في الأرض: أن الملائكة لما رأت المَلَكَين[1] [اللذين اختُبرا][2] وبُعثا إلى الأرض [ليحكما بينهم][3]، فافتتنا بالزهرة -على ما حكيناه في البقرة-، فأتيا إدريس، وهو جد أبي نوح عليهما السلام فسألاه أن يدعو الله لهما، سبَّحت الملائكة بحمد ربهم واستغفرت لبني آدم[4].

والذي يقتضيه البحث الصحيح: أنه من العام الذي يراد به الخصوص، وأن استغفارهم للمؤمنين خاصة، بدليل قوله تعالى في موضع آخر: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ [غافر:٧]، وقوله تعالى حاكياً عنهم: ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ [غافر:٧].

---

(١) أي: هاروت وماروت.

(٢) في الأصل: الذين اختيراً. والتصويب من الماوردي (٥/ ١٩٣).

(٣) زيادة من الماوردي، الموضع السابق.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٣).

ثم إن الله تعالى قد أخبر أن الملائكة يَلْعَنون الكفار في قوله تعالى: ﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة﴾ [البقرة:١٦١] فكيف تتوارد اللعنة والاستغفار على محل واحد؟ وهذا قول الضحاك والسدي[١].

وزعم مقاتل[٢]: أن هذه الآية منسوخة بالآية المخصوصة.

وليس هذا بشيء.

وزعم ابن السائب: أن المراد باستغفارهم لمن في الأرض: سؤال الرزق لهم[٣].

وقال صاحب الكشاف[٤]: يحتمل أن يقصدوا بالاستغفار: طلب الحلم والغفران في قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا﴾ إلى أن قال: ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ [فاطر:٤١]، وقوله تعالى: ﴿إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ [الرعد:٦] والمراد: الحلم عنهم، وأن لا يُعاجلهم بالانتقام، فيكون عاماً.

وهذا قول محتمل.

والتفسير الصحيح ما ذكرته لك أولاً [فاعتمد][٥] عليه، فإن كتاب الله تعالى يُصَدِّقُ بعضُه بعضاً.

قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي: جعلوا له أنداداً يوالونهم

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٣).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٧٣).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧٣).

(٤) الكشاف (٤/ ٢١٤).

(٥) في الأصل: فا تعتمد.

ويعبدونهم من دون الله.

﴿الله حفيظ عليهم﴾ رقيبٌ عليهم على أحوالهم، وهو يتولى حسابهم وجزاءهم.

﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي: ما أنت يا محمد بموكل عليهم، فتقهرهم على الإيمان وتضطرهم إليه، إنما أنت رسول مبلغ.

وجمهور المفسرين قالوا: هذه الآية منسوخة بآية السيف[١]. وقد أوضحتُ لك منهج الصواب في هذه الآية وأضرابها في مواضع من كتابي، فاسلكه.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً﴾ قال الزمخشري[٢]: الكاف مفعول به لـ"أوحينا". و"قرآناً عربياً" حال من المفعول به، أي: [أوحيناه][٣] إليك، وهو قرآن عربي بيِّن، لا لَبْسَ فيه عليك، لتفهم ما يقال لك، ولا تتجاوز حد الإنذار.

ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر "أوحينا"، أي: ومثلُ ذلك الإيحاء البيِّن

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٤)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٤).

(٢) الكشاف (٤/ ٢١٥).

(٣) في الأصل: أوحينا. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

المُفْهم أوحينا إليك قرآناً عربياً بلسانك ﴿لتنذر﴾. يقال: أنذرته كذا وأنذرته بكذا. وقد عَدَّى الأول، أعني: "لتنذر أم القرى" إلى المفعول الأول، والثاني وهو قوله تعالى: ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ إلى المفعول الثاني.

﴿أم القرى﴾ مكة، والمراد: لتنذر أهلها، ﴿ومن حولها﴾ في موضع نصب.

﴿وتنذر يوم الجمع﴾ وهو يوم القيامة، سمي بذلك لاجتماع الأولين والآخرين فيه. وفيه أقوال غير ذلك ذكرتها عند قوله تعالى: ﴿لينذر يوم التلاق﴾ في حَمَ المؤمن[1].

﴿لا ريب فيه﴾ مُفسَّر في أول سورة البقرة.

ثم أخبر الله تعالى عن حال المجموعين فيه فقال: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾.

أخرج الإمام أحمد من حديث شفي الأصبحي، عن عبدالله بن عمرو قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضاً على كفَّيه ومعه كتابان فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ قلنا: لا يا رسول الله، فقال: الذي في يدي اليمنى هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم، عدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام، إذ هم في الطينة منجدلون، فليس يزاد فيهم ولا ينقص منهم، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة. ثم قال للذي في يساره: هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم، وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفاً في

---

(١) في سورة غافر، عند الآية رقم: ١٥.

الأرحام، إذ هم في الطينة منجدلون، وليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم، إجمال من الله تعالى عليهم إلى يوم القيامة. فقال عبدالله بن عمرو: ففيم العمل إذاً؟ فقال: اعملوا، وسددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل، ثم قال تعالى: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾»[1].

وفي لفظ آخر: «فرغ [ربكم][2] من العباد؛ فريق في الجنة وفريق في السعير»[3].

ثم أخبر الله تعالى أن افتراقهم الموجب لتفرقهم فرقتين في الجنة والسعير بمشيئته، فقال تعالى: ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ أي: جماعة متفقة على دين الإسلام؛ كقوله تعالى: ﴿لجمعهم على الهدى﴾ [الأنعام:٣٥].

﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾ قال أنس [بن][4] مالك: في الإسلام[5].

﴿والظالمون﴾ وهم الكافرون ﴿ما لهم من ولي ولا نصير﴾.

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٤٩ ح٢١٤١)، وأحمد (٢/ ١٦٧ ح٦٥٦٣).

(٢) في الأصل: ربك. والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) انظر: سنن الترمذي (٤/ ٤٤٩)، ومسند أحمد (٢/ ١٦٧).

(٤) زيادة على الأصل.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٤).

أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا﴾ الهمزة للإنكار، والفاء في ﴿فالله﴾ جوابُ شرطٍ مقدرٍ، أي: إن أرادوا ولياً حقيقاً بالولاية ﴿فالله هو الولي﴾ لا ما تولوه.

وقال ابن عباس: فالله وليك يا محمد وولي من اتبعك[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ حَضٌّ لهم على إفراد الله سبحانه وتعالى بالولاية؛ لاختصاصه بالقدرة، وتخويفٌ لهم من اتخاذهم أولياء من دونه، بما يستلزم إحياء الموتى من الحساب والجزاء على الأقوال والأعمال.

قوله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء﴾ أي: من شيء من أمر الدين أو من غيره ﴿فحكمه إلى الله﴾ تعالى.

قال مقاتل[٢]: هو يحكم فيه.

قوله تعالى: ﴿ذلكم الله ربي﴾ "ذلكم": مبتدأ، "الله": عطف بيان، "ربي": نعت له، والخبر: قوله تعالى: ﴿عليه توكلت وإليه أنيب﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف، أو بدل، أو نعت، أو مبتدأ خبره: ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾[٤].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧٤).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٧٣).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٤).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٤)، والدر المصون (٦/ ٧٦).

وقرئ شاذاً: "فاطرِ" بالجر[1]، على معنى: فحكمه إلى الله فاطر السموات، وما بين الصفة والموصوف اعتراض.

﴿جعل لكم﴾ أي: خلق لكم ﴿من أنفسكم﴾ أي: من جنسكم من بني آدم ﴿أزواجاً﴾، قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي[2]: يعني: نساء، ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾ أصنافاً، ذكوراً وإناثاً.

قال الزجاج[3]: المعنى: خلق الذكر والأنثى من الحيوان كلّه.

وقال صاحب الكشاف[4]: المعنى: وخلق من الأنعام أزواجاً. ومعناه: وخلق للأنعام أيضاً من أنفسها أزواجاً.

ويجوز عندي أن يكون المعنى: وجعل لكم يا بني آدم أزواجاً من جنسكم، وجعل لكم أيضاً من الأنعام أزواجاً، ذكوراً وإناثاً يتناسلون لأكلكم ولركوبكم، ولغير ذلك من أنواع الانتفاع المتعلق بها. ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى: ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ [البقرة:٢٩].

ولأنه لو أراد المعنى الذي ذكره صاحب الكشاف لما اقتصر على بهيمة الأنعام؛ لأن جميع الحيوانات قد خلق الله تعالى لها من أنفسها أزواجاً، بل أراد الامتنان على عباده بما خلق لهم من الأزواج من جنسهم للسكون وغيره، ومن بهيمة الأنعام للأكل والركوب وغيرهما.

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٨٨)، والدر المصون (٦/ ٧٦). وهي قراءة زيد بن علي.

(٢) زاد المسير (٧/ ٢٧٥).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٩٥).

(٤) الكشاف (٤/ ٢١٧).

﴿يذرؤكم﴾ قال الفراء وغيره: يُكَثِّركم. يقال: ذرأ الله تعالى الخلق: بَثَّهم وكثَّرهم.

قال الزجاج[١]: يُكَثِّركم بجعْله منكم ومن الأنعام أزواجاً.

وقال السدي: يخلقكم[٢].

وقوله تعالى: ﴿فيه﴾ في الأرحام. وقيل: في البطن. وقيل: في الزوج. وقيل: "فيه" بمعنى: به، أي: يذرؤكم ويُكَثِّرُكُم بما جعل لكم من الأزواج.

وقال الزمخشري[٣]: المعنى: يذرؤكم في هذا التدبير، وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجاً، حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل.

والضمير في "يذرؤكم" يرجع إلى المخاطبين والأنعام، مغلباً فيه المخاطبون العقلاء.

فإن قلت: هلا قيل: يذرؤكم به؟

قلتُ: جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير؛ كما قال ثعلب: ليس كهو شيء، [والمثل][٤] زائد للتوكيد[٥]. وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾ في سورة البقرة[٦].

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٣٩) وعزاه لابن جرير.

(٣) الكشاف (٤/ ٢١٧).

(٤) في الأصل: المثل. والتصويب من الماوردي (٥/ ١٩٥).

(٥) انظر قول ثعلب في: الماوردي (٥/ ١٩٥).

(٦) عند الآية رقم: ١٣٧.

وقال الزجاج[1]: هذه الكاف مؤكدة، المعنى: ليس مثله شيء، ولا يجوز أن يقال: ليس مثل مثلِهِ شيء؛ لأن من قال هذا فقد أثبت المثل لله، تعالى عن ذلك عُلُوّاً كبيراً.

وقال الزمخشري[2]: قالوا: مثلك لا يبخل، فنفوا البخل عن مثله، وهم يريدون نفيه عن ذاته، قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية، لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده فقد نفوه عنه. ونظيره قولك للعربي: العرب لا تخفر الذمم، كان أبلغ من قولك: أنت لا تخفر.

لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾

وما بعده مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿شرع لكم﴾ أي: بيّن وأوضح لكم ﴿من الدين ما وصى به نوحاً﴾.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٩٥).

(٢) الكشاف (٤/ ٢١٧).

قال قتادة: من تحليل الحلال وتحريم الحرام[١].

قال الحكم: تحريم البنات والأمهات والأخوات[٢].

وقيل: التوحيد[٣].

وقال مجاهد: لم يبعث الله نبياً إلا وصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والإقرار لله تعالى بالطاعة، فذلك دينه الذي شرع لهم[٤]. وهذا المعنى يروى عن ابن عباس.

وقيل: هو قوله تعالى: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾. وفي هذه الآية مستدل لمن يرى أن ما لم ينسخ من شرع من قبلنا شرع لنا.

قوله تعالى: ﴿أن أقيموا الدين﴾ في محل النصب على البدل من مفعول "شَرَعَ"، أو في موضع الرفع[٥]، كأنه قيل: ما ذلك المشروع؟ فقال: هو إقامة الدين، ونحوه: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ [الأنبياء:٩٢].

﴿كبر على المشركين﴾ أي: عَظُمَ عليهم ﴿ما تدعوهم إليه﴾ من التوحيد ورفض الأنداد. ﴿الله يجتبي إليه من يشاء﴾ الضمير راجع إلى "الدين". والمعنى: الله يصطفي ويختار لدينه من شاء.

ورأيت في بعض التفاسير: أنهم الذين ولدوا في الإسلام[٦].

﴿ويهدي إليه﴾ يرشد إلى دينه ﴿من ينيب﴾ يقبل إليه من أهل الكفر.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٤٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٤٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧٦).

(٤) ذكره الثعلبي (٨/ ٣٠٦).

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ٧٧-٧٨).

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٧) من قول الكلبي.

ثم ذمّ أهل الكتاب بكفرهم وظلمهم بعد إيمانهم وعلمهم فقال: ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ أن الفُرْقة ضلال وفساد.

وقيل: "من بعد ما جاءهم العلم": وهو نعت محمد ﷺ وصفته.

﴿بغياً بينهم﴾ قال الزجاج[1]: فعلوا ذلك بغياً بينهم، أي: للبغي.

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهو عِدَتُهُم بتأخيرهم إلى يوم القيامة، وذلك في قوله تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم﴾ [القمر:٤٦].

﴿لقضي بينهم﴾ قضاء فصل بإنزال العذاب.

﴿وإن الذين أورثوا الكتاب﴾ من اليهود والنصارى ﴿من بعدهم﴾ أي: من بعد الرسل.

وقيل: "الذين أورثوا الكتاب": هم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد النبي ﷺ من بعد إسلامهم.

وقيل: "الذين أورثوا الكتاب": هم المشركون، والكتاب: القرآن.

"من بعدهم" أي: من بعد أهل الكتاب.

﴿لفي شك منه مريب﴾ أي: من الكتاب. وهو القرآن، على الأقوال كلها، أو التوراة، على القولين الأولين.

وقيل: لفي شك من محمد ﷺ.

فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٩٦).

وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿فلذلك﴾ قال الفراء[١]: المعنى: فإلى ذلك، تقول: دعوت إلى فلان، ودعوت لفلان.

قال ابن السائب: المشار إليه: القرآن[٢].

وقال مقاتل[٣]: التوحيد.

والأجود في نظري: أن تكون الإشارة إلى ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين﴾.

وقال الزمخشري[٤]: المعنى: فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تَشَعُّب الكفر شعباً ﴿فادع﴾ إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية، ﴿واستقم﴾ عليها وعلى الدعوة إليها ﴿كما أمرت﴾ أي: كما أمرك الله تعالى في القرآن، ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ الباطلة المختلفة.

﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ يريد: الإيمان بجميع الكتب المنزلة؛ لأن الذين تفرقوا آمنوا بالبعض وكفروا بالبعض.

﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ إذا ترافعتم إليّ.

وقيل: لأعدل بينكم في تبليغ الرسالة.

﴿الله ربنا وربكم﴾ فهو يقضي بيننا وبينكم ﴿لنا أعمالنا﴾ عبادة الله ودين

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٢).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧٨).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ١٧٥).

(٤) الكشاف (٤/ ٢٢٠).

الإسلام، ﴿ولكم أعمالكم﴾ طاعة الشيطان وعبادة الأصنام ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ أي: لا خصومة بيننا وبينكم في الدين.

فصل

ذهب أكثر المفسرين إلى نسخ ما اشتملت عليه هذه الآية من مشاهدة الكفار ومتاركتهم. وذهب جماعة من المفسرين إلى أنها محكمة، وأن المعنى: لا حجة بيننا وبينكم بعد ظهور الحق ووضوحه؛ لأن المحاجة بعد ظهور الحجة لا حاجة إليها[1].

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿والذين يحاجون في الله﴾ أي: يخاصمون في دينه.

قال قتادة: هم اليهود قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، فنحن خيرٌ منكم[2].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٥)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٤٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

وقال غيره: هم المشركون.

﴿من بعد ما استجيب له﴾ قال مجاهد: من بعد ما أسلم الناس(١).

وقيل: من بعد ما أقروا بالميثاق.

والأظهر عود الضمير في "له" إلى الله تعالى.

وقيل: يعود إلى النبي ﷺ.

وقيل: من بعد ما استجاب الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ دعاءه على المشركين يوم بدر.

﴿حجتهم داحضة عند ربهم﴾ أي: باطلة زائلة، وسمى خصومتهم حُجّة؛ لاعتقادهم أنها حجة، فهي كقوله تعالى: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء:٢٧].

قوله تعالى: ﴿الله الذي أنزل﴾ إليك ﴿الكتاب﴾ يريد: القرآن، أو جنس الكتب ﴿بالحق﴾ أي: ملتبساً بالحق مقترناً، ﴿والميزان﴾ قال ابن عباس: يعني: العدل. وهذا قول قتادة وجمهور المفسرين(٢).

والمعنى: أنزل الأمر به في كتبه، وسمى العدل ميزاناً؛ لما فيه من ظهور الحق والتسوية بين الخلق.

وحُكي عن مجاهد أن المراد: الميزان الذي يوزن به(٣).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٢٠)، ومجاهد (ص:٥٧٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٤٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٠).

ومعنى إنزاله: إلهام الخلق العمل به.

﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ مُفسَّر في أواخر سورة الأحزاب[١].

فإن قيل: كيف طابق ذكر اقتراب الساعة وذكر إنزال الكتاب والميزان؟

قلتُ: براهين وجوب الإيمان بالكتاب والاعتصام بالعدل قطعية، وشهود ثبوتها مقبولة عِند حاكم العقل، فالمعتاد لمعظم الناس [عند][٢] الأخذ بذلك إنما هو الركون إلى الحياة الدنيا والسكون إلى شهواتها، والاغترار بزينتها، فوعظهم بقرب مجيء الساعة مُعَرِّضاً بفناء الدنيا وذهاب ما اغتروا به من شهواتها وزينتها، استمالة لهم إلى الدين المنجي من عذابها.

وقال الزمخشري في جواب هذا السؤال[٣]: الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط، فكأنه قيل: أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم.

قوله تعالى: ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة﴾ أي: يجادلون ويلاجون، كأنّ كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه، أي: يستخرجه.

قال الزجاج[٤]: "يُمارُون": تدخلهم المِرْيَة والشك.

و"اللطيف": مُفسّر في الأنعام[٥].

---

(١) عند الآية رقم: ٦٣.

(٢) في الأصل: عن. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) الكشاف (٤/ ٢٢١).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٩٧).

(٥) عند الآية رقم: ١٠٣.

﴿يرزق من يشاء﴾ أي: يوسع له في الرزق؛ لأن رزقه واصل إلى جميع الخلق.

مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ أي: من كان يريد بعمله ثواب الآخرة ﴿نزد له في حرثه﴾ الحسنة بعشر أمثالها ونزيد.

وقيل: نزد له نشاطاً وقوة في الطاعة.

﴿ومن كان يريد حرث الدنيا﴾ قال ابن قتيبة[1]: يقال: فلان يحرث للدنيا، أي: يعمل لها ويجمع المال.

﴿نؤته منها﴾ قال السدي: هو المنافق، وكان رسول الله ﷺ يعطيه سهمه من الغنيمة.

﴿وما له في الآخرة من نصيب﴾ لأنه عمل لغير الله.

قوله تعالى: ﴿أم لهم شركاء﴾ الهمزة للتقرير والتقريع، وشركاؤهم: شياطينهم

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٩٢).

الذين أطاعوهم في الشرك وإنكار البعث وإرادة حرث الدنيا، وهذا هو الدين الذي شرعوه لهم لم يأذن به الله.

﴿ولولا كلمة الفصل﴾ وقد سبق تفسيرها ﴿لقضي بينهم﴾ أي: بين المؤمنين والكافرين، أو بين المشركين وشركائهم.

قوله تعالى: ﴿وإن الظالمين﴾ يعني: المشركين، بدليل قوله تعالى: ﴿ترى الظالمين﴾ يعني: في الآخرة ﴿مشفقين مما كسبوا﴾ أي: خائفين مما اجترحوا من الشرك والشك والأعمال السيئة.

ثم قابل ذلك بقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون﴾ يتمنّون ﴿عند ربهم﴾ منصوب على الظرف لا [بـ"يشاؤون"][1]، ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾ المنّ العظيم.

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: "يَبْشُرُ" بفتح الياء وضم الشين، وقرأ باقي

(١) في الأصل: يشاؤون. والتصويب من الكشاف (٤/ ٢٢٢).

القراء العشرة من جميع طرقهم "يُبَشِّر" بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين وتشديدها[١]. فالقراءة الأولى من بَشَرَهُ يَبْشُرُه، والثانية من بَشَّرَهُ يُبَشِّرُه.

وقرأ حميد بن قيس: "يُبْشِرُ"[٢]، من أَبْشَرَ، يقال: بَشَرَ وأَبْشَر وبَشَّر.

قال صاحب الكشاف[٣]: والأصل: ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده، فحذف الجار، كقوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه﴾ [الأعراف:١٥٥]، ثم حذف الراجع إلى الموصول، كقوله تعالى: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ [الفرقان:٤١]، أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده.

قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ اختلفوا في سبب نزوله على قولين:

أحدهما: أن المشركين اجتمعوا في مجمع فقال بعضهم لبعض: أترون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً؟. قاله قتادة[٤].

وقال ابن عباس: كانوا يؤذونه بمكة، فنزلت هذه الآية[٥].

الثاني: أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة كانت تنوبه نوائب وليس في يده سعة، فقالت الأنصار: إن رسول الله ﷺ قد هداكم الله تعالى به وليس في يده سعة، فاجمعوا له من

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٠-٦٤١)، والنشر (٢/ ٢٣٩-٢٤٠)، والإتحاف (ص:٣٨٣)، والسبعة (ص:٢٠٥-٢٠٦).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٧/ ٤٩٣)، والدر المصون (٦/ ٨٠).

(٣) الكشاف (٤/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٣).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٤٦) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

أموالكم ما لا يضركم، ففعلوا، ثم أتوه به، فنزلت هذه الآية. قاله ابن عباس أيضاً[١].

وفي هذا الاستثناء وجهان:

أحدهما: أنه متصل، على معنى: لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني في نفسي لقرابتي منكم، وهذا لقريش خاصة؛ لأنه لم يكن بطن من بطونهم إلا وبينه وبينهم قرابة[٢]. وهذا المعنى قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد والأكثرين[٣].

أو على معنى: إلا أن تودوا أهل قرابتي، وهو قول علي بن الحسين وسعيد بن جبير والسدي[٤].

ثم المراد بقرابته قولان:

أحدهما: أنهم فاطمة وعلي وولداهما رضي الله عنهم. روي مرفوعاً إلى النبي ﷺ[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي (٨/ ٣١٠).

(٢) قال الحافظ ابن كثير (٤/ ١١٤): ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٥٧٥)، والطبري (٢٥/ ٢٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٤٦) وعزاه لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ٢٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٤٨) وعزاه لسعيد بن منصور عن سعيد بن جبير.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٤٧ ح٢٦٤١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٤٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه بسند ضعيف من طريق =

القول الثاني: أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة ويقسم فيهم الخمس، وهم بنو هاشم وبنو المطلب.

فإن قيل: أي: المعنيين أشبه بسبب النزول؟

قلتُ: المعنى الأول أشبه بقول ابن عباس الأول وقول قتادة. والمعنى الثاني أشبه بقول ابن عباس الأخير.

الوجه الثاني: أنه استثناء منقطع، على معنى: لكن أسألكم أن تودوني لقرابتي، أو تودوا قرابتي أهل بيتي.

وقال الحسن: المعنى: إلا أن تودوا الله تعالى وتتقربوا إليه بالطاعة والعمل الصالح[١].

وقال ابن زيد: إلا أن تودوا لي كما تودون قرابتكم[٢]. هذا بالقول الثاني في سبب النزول أشبه.

وقيل[٣]: إلا أن تودوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم[٤]. وهو بعيد.

قوله تعالى: ﴿ومن يقترف حسنة﴾ أي: يكتسب حسنة، ﴿نزد له فيها حسناً﴾.

وقرأتُ لأبي عمرو من رواية عبدالوارث: "يَزِدْ" بالياء[٥]، وهي قراءة جماعة،

= سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٢٦). وذكره الماوردي (٥/ ٢٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٢٤). وذكره الماوردي (٥/ ٢٠٢).

(٣) قوله: "وقيل" مكرر في الأصل.

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٠٢) من قول عبدالله بن القاسم، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٥) حكاية عن الماوردي.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٢٨٥)، والدر المصون (٦/ ٨٠).

منهم: ابن السميفع، وعاصم الجحدري.

وزيادة حسنها من جهة الله تعالى: مضاعفتها.

والظاهر: عمومها في أي حسنة كانت.

وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً﴾ قال: [المودة لآل][١] محمد ﷺ[٢].

﴿إن الله غفور﴾ يغفر لمن تاب وأناب ﴿شكور﴾ يشكر اليسير ويجزل عليه الثواب.

قوله تعالى: ﴿أم يقولون افترى على الله كذباً﴾ "أمْ" منقطعة، والاستفهام بمعنى التوبيخ، تقديره: بل أيقول الكفار: أفترى محمد ﷺ على الله كذباً؟

﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ قال مجاهد: يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم[٣].

وقال قتادة: "يختم على قلبك": ينسيك القرآن[٤]، ويقطع عنك الوحي.

يعني: لو افترى على الله الكذب لفعل ذلك به.

وقال صاحب الكشاف[٥]: المعنى: فإن يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم، حتى تفتري عليه الكذب، فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من

---

(١) في الأصل: المراد آل. والتصويب من الدر المنثور (٧/ ٣٤٨).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٤٨).

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٠٣) عن مقاتل، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٣) بلا نسبة.

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٥٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) الكشاف (٤/ ٢٢٦).

كان في مثل حالهم، وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله. ومثال ذلك: أن يخون بعض الأمناء فيقول: لعل الله خذلني، لعل الله أعمى قلبي، وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب. وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله. ثم قال[1]: ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق ﴿بكلماته﴾ بوحيه أو بقضائه، كما قال تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه﴾ [الأنبياء:١٨] يعني: لو كان مفترياً كما تزعمون لكشف الله تعالى افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه. ويجوز أن يكون عِدَةً لرسول الله ﷺ بأنه يمحو الباطل الذي هُم عليه من البهت والتكذيب، ويثبت الحق الذي أنت عليه بالقرآن أو بقضائه الذي لا مردّ له من نصرتك عليهم.

وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿ويمحو الله الباطل﴾[2]: ليس بمردود على "يختم" فيكون جزماً، وإنما هو مستأنف، ومثله مما حذف منه الواو: ﴿ويدع الإنسان بالشر﴾ [الإسراء:١١].

وقال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، تقديره: والله يمحو الباطل[3].

وقال الزجاج[4]: الوقف عليها "ويمحو" بواو. والمعنى: والله يمحو، غير أنها كتبت في المصحف بغير واو؛ لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٢٥ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن

---

(١) أي: الزمخشري في الكشاف.

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٦).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٩٩).

فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ مُفسّر في سورة براءة[1].

﴿ويعلم ما يفعلون﴾ قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "تفعلون" بالتاء، على الخطاب لجميع المكلفين. وقرأ الباقون بالياء، حملاً على ما قبله من الغيبة[2].

قوله تعالى: ﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾ أي: يستجيب لهم، فحذف اللام، كما [حذف][3] في قوله تعالى: ﴿وإذا كالوهم﴾.

أو يكون المعنى: ويستجيب دعاء الذين آمنوا.

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾ قال: يشفعهم في إخوانهم، ﴿ويزيدهم من فضله﴾ قال: يشفعهم في إخوان إخوانهم[4].

وقيل: المعنى: ويستجيب الذين آمنوا لله بالطاعة، جعلوا الفعل للمؤمنين. وهو قول بعيد؛ لأن ما قبله وبعده خبر عن الله تعالى.

---

(١) عند الآية رقم: ١٠٤.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤١)، والكشف (٢/ ٢٥١)، والنشر (٢/ ٣٦٧)، والإتحاف (ص:٣٨٣)، والسبعة (ص:٥٨٠-٥٨١).

(٣) زيادة من الكشاف (٤/ ٢٢٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٥١) وعزاه لابن جرير من طريق قتادة عن أبي إبراهيم اللخمي.

قوله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع فتمنيناها، فأنزل الله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض... الآية﴾[1].

والمعنى: لو وسع عليهم فيه لطغوا وتطاول بعضهم على بعض. وشاهدُ صحةِ ذلك ما عُرف وأُلف من أحوال ذوي البسطة في المال والقدرة.

وقيل: هو من البغي الذي هو بمعنى الكبر، أي: لتكبروا في الأرض وراموا العلو فيها.

قال ابن عباس: بغيُهم طلبُهم منزلة بعد منزلة، ودابة بعد دابة، ومركباً بعد مركب، وملبساً بعد ملبس[2].

قال بعض السلف: لو رزق الله تعالى العباد بغير كسب لطغوا وبغوا وسعوا في الأرض فساداً، ولكن شغلهم بالكسب والمعاش رحمةً منه وامتناناً[3].

﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ أي: ينزل أرزاقهم بمقدار تقتضيه حكمته وعلمه.

﴿إنه بعباده خبير بصير﴾ فهو يعلم ما فيه صلاحهم وفسادهم.

فإن قيل: نرى البغي موجوداً في الأرض بدون البسط في الرزق؟

قلتُ: لعمري إنه لموجود، لكنه لو بسط لهم الرزق لتضاعف البغي بتضاعفه، فكأن عدم البسط مقللاً لا مزيلاً بالكلية.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٧).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٧).

(٣) أخرجه الثعلبي (٨/ ٣١٧) من قول شقيق بن إبراهيم الزاهد.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ قرأ نافع وعاصم وابن عامر: "يُنَزِّلُ" بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف[١]. وقد سبق ذكره.

"من بعد ما قنطوا": أيسوا منه.

﴿وينشر رحمته﴾ قال السدي: المطر[٢]. ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح نشراً[٣] بين يدي رحمته﴾ [الأعراف:٥٧].

قال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أجدبت الأرض وقنط الناس؟ قال: مطرتم إذاً، ثم قال: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾[٤]. وهذا المعنى قول عامة المفسرين.

وحكى أبو سليمان الدمشقي: أن الرحمة: الشمس بعد المطر[٥].

﴿وهو الولي الحميد﴾ الذي يتولى عباده بإحسانه، الحميد المحمود على ذلك.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

---

(١) الحجة للفارسي (١/ ٣٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤١)، والكشف (١/ ٢٥٤)، والنشر (٢/ ٢١٨-٢١٩)، والإتحاف (ص:٣٨٣)، والسبعة (ص:١٦٤-١٦٦).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٩).

(٣) وقراءة حفص: ﴿بشراً﴾.

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ٣١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٥٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٨).

قوله تعالى: ﴿وما بث فيهما من دابة﴾ يجوز أن يكون محمولاً على المضاف فيكون مرفوعاً، أو المضاف إليه فيكون مجروراً.

فإن قيل: الدواب في الأرض فكيف قال: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما﴾؟

قلتُ: هو مثل قوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [الرحمن:٢٢] وإنما يخرج من أحدهما وهو الملح، وسِرُّ ذلك: أن الشيء يجوز أن ينسب إلى جملته هو ملتبس [ببعضها][١]، كقوله عليه الصلاة والسلام: «ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل من هذيل»[٢]، ومعلوم أن خزاعة لم يتمالؤوا على قتل الهذلي، وإنما قتله بعضهم.

ومثله قول بعض بني هاشم:

وعند غني قطرة من دمائنا ... وفي أسد أخرى تعدّ وتذكر[٣]

وقال بعض أهل العلم: يجوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران، فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الأناسي. ولا يبعد أن يخلق الله تعالى في السموات حيواناً يمشون فيها مشي الأناسي على الأرض[٤].

﴿وهو على جمعهم﴾ بعد تمزقهم وتمزق أشعارهم وأبشارهم ﴿إذا يشاء قدير﴾.

---

(١) في الأصل: بعضها. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ١٧٢ ح٤٥٠٤).

(٣) البيت لابن أبي عقب الليثي، وهو في: تاريخ الطبري (٣/ ٣٣٢، ٤٦٦).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٢٩).

قال الزمخشري(١): "إذا" تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي، قال الله تعالى: ﴿والليل إذا يغشى﴾ [الليل:١]، ومنه: ﴿إذا يشاء﴾، وقال الشاعر:

وإذا ما أشاء أبعث منها آخر الليل ناشطاً [مذعورا](٢)

قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ قرأ نافع وابن عامر: "بما كسبت" بغير فاء، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقون "فبما كسبت" بالفاء، وكذلك هي في سائر المصاحف(٣).

قال الزجاج(٤): وهي أجود.

قال أبو علي(٥): اعلم أن "ما" من قوله: ﴿وما أصابكم من مصيبة﴾ يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون شرطاً، ويكون قوله تعالى: ﴿أصابكم﴾ في موضع جزم بالشرط، فمن قدرها هذا التقدير لم يجز عنده حذف الفاء من قوله تعالى: ﴿فبما كسبت﴾ على قول سيبويه، وغيره يجيز ذلك، ويستدل عليه بقوله تعالى: ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ [الأنعام:١٢١].

والآخر: أن يكون "ما" بمعنى: الذي، ويكون "أصابكم" صلة "ما". فمن قدر

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٢٩).

(٢) في الأصل: مذاعورا. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

والبيت لكعب بن زهير، وهو في: القرطبي (١/ ٢٠١، ٥/ ٢٩١)، وروح المعاني (٢٥/ ٤٠).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٢-٣٦٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٢)، والكشف (٢/ ٢٥١)، والنشر (٢/ ٣٦٧)، والإتحاف (ص:٣٨٣)، والسبعة (ص:٥٨١).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٩٩).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٣).

"ما" هذا التقدير فإثبات الفاء وحذفها جائزان على معنيين مختلفين، أما إذا ثبتت الفاء ففي إثباتها دليل على أن الأمر الثاني وجب بالأول، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار﴾ [البقرة:٢٧٤]، ثم قال تعالى: ﴿فلهم أجرهم﴾ [البقرة:٢٧٤] فثبات الفاء يدل على أن وجوب الأجر إنما [هو][1] من أجل الإنفاق، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ [النحل:٥٣]، وإذا لم تذكر الفاء جاز أن يكون الثاني وجب للأول، وجاز أن يكون لغيره.

قال[2]: والأولى إذا كان جزاءً غير جازم -يعني: أن تكون "ما" بمعنى: الذي- أن تثبت الفاء؛ كقوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾ [النساء:٧٩].

واختلفت أقوال المفسرين في معنى الآية، فقال الحسن البصري: وما أصابكم من الحدود على المعاصي فبما كسبت أيديكم[3].

وقال غيره: المعنى ما أصاب المؤمن من مكروه في نفس أو مال أو ولد أو غيره فبما كسبت يده من الذنوب.

قال مرة الهمداني: رأيتُ على كف شريح قرحة فقلت: يا أبا أميّة ما هذا؟ قال: بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير[4].

وقال أحمد بن أبي الحواري: قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا

---

(١) زيادة من الحجة (٣/ ٣٦٣).

(٢) أي: أبو علي الفارسي في الحجة (٣/ ٣٦٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ٣٢-٣٣). وذكره الماوردي (٥/ ٢٠٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٥٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) أخرجه الثعلبي (٨/ ٣٢٠).

اللوم عمن أساء إليهم؟ قال: لأنهم علموا أن ما ابتلاهم الله تعالى به بذنوبهم. قال الله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾[١].

وقال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليبلغه إياها إلا بها[٢].

فإن قيل: ما بال الطفل والمجنون يصابان ولا ذنب لهما؟

قلتُ: لما ذكرته آنفاً، وهو في حقهما لرفع درجتهما إن كانا من أهل السعادة، كما يمتحن النبي والولي.

فإن قيل: يجوز أن تكون الآية متناولة للكافر أيضاً؟

قلتُ: نعم، ويكون ما أصابه في الدنيا من البلاء من جملة ما يعذب به.

فإن قيل: على هذا فما نصنع بقوله تعالى: ﴿ويعفو عن كثير﴾؟

قلتُ: يكون مخصوصاً بالمؤمنين، أو يكون على عمومه في حق الناس، صالحهم وطالحهم، وغير ممتنع عقلاً وشرعاً أن يتجاوز الله تعالى عن بعض ذنوبه، فلا يعذبه عليها.

وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾

---

(١) أخرجه الثعلبي (٨/ ٣٢٠).

(٢) ذكره الثعلبي، الموضع السابق.

وما بعده مُفسّر إلى قوله: ﴿ومن آياته الجواري في البحر كالأعلام﴾ أي: ومن عجائب مخلوقاته الجواري.

أثبت الياء في الحالين: ابن كثير ويعقوب، ووافقهما في الوصل: نافع وأبو جعفر وأبو عمرو، وحذفها باقي العشرة في الحالين[١]. وقد أشرنا إلى علة ذلك فيما مضى.

والمراد بالجواري: السُّفُن، واحدتها: جارية، وهي السائرة في البحر.

"كالأعلام": وهي الجبال، واحدها: عَلَم.

قال الخليل: كل موضع مرتفع عند العرب فهو عَلَم.

قالت الخنساء:

وإنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الهداةُ به كأنهُ عَلَمٌ في رأسه نَارُ[٢]

﴿إن يشأ يسكن الريح﴾ يريد: جنس الرياح.

وفي قراءة أبي جعفر ونافع: "الرياح" على الجمع[٣].

﴿فيظللن﴾ يعني: الجواري ﴿رواكد﴾ ثوابت ﴿على ظهره﴾ أي: على ظهر البحر واقفات لا يجرين.

﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار﴾ على البلاء ﴿شكور﴾ على النعماء.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٢)، والكشف (٢/ ٢٥٤)، والنشر (٢/ ٣٦٨)، والإتحاف (ص:٣٨٣)، والسبعة (ص:٥٨١).

(٢) البيت للخنساء. انظر: ديوانها (ص:٤٩)، والقرطبي (١٦/ ٣٢)، والبحر (٧/ ٤٩٧)، والدر المصون (٦/ ٨٢)، وروح المعاني (٢٢/ ٢٢٦، ٢٥/ ٤٢).

(٣) الحجة للفارسي (١/ ٣٩٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:١١٨-١١٩)، والكشف (١/ ٢٧٠)، والنشر (٢/ ٢٢٣)، والإتحاف (ص:٣٨٣)، والسبعة (ص:١٧٣).

﴿أو يوبقهن﴾ يهلكهن ﴿بما كسبوا﴾ بسبب ما كسبوا من الذنوب ﴿ويعف عن كثير﴾.

قوله تعالى: ﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا﴾ قرأ نافع وابن عامر: "ويعلمُ" بالرفع. وقرأ الباقون بالنصب(١).

فمن رفع؛ فعلى الاستئناف حيث كان بعد الجزاء، وإن شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف.

ومن نصب؛ قال الزمخشري(٢): عطف على تعليل محذوف، تقديره: ولينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون، ونحوه قوله تعالى: ﴿ولنجعله آية للناس﴾ [مريم:٢١].

وقال مكي رحمه الله(٣): من نصب فعلى الصرف. ومعنى الصرف: أنه لما كان قبله شرط وجواب، وعطف "ويعْلَمَ" عليه لا يحسن في المعنى؛ لأن علم الله تعالى واجب، وما قبله غير واجب، فلم يحسن الجزم في "يعلم" على العطف على الشرط وجوابه، لأنه يصير المعنى: وإن يشأ يعلم، فلما امتنع العطف عليه على لفظه، عطف على مصدره، والمصدر اسم، فلم يمكن عطف فعل على اسم، فأضمر "أن" ليكون مع الفعل اسماً، فيعطف اسماً على اسم، فانتصب الفعل بـ"أن" المضمرة، فالعطف مصروف عن لفظ الشرط إلى معناه، فلذلك قيل: نُصِبَ على الظرف،

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٣-٣٦٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٣)، والكشف (٢/ ٢٥١)، والنشر (٢/ ٣٦٧)، والإتحاف (ص:٣٨٣)، والسبعة (ص:٥٨١).

(٢) الكشاف (٤/ ٢٣٢).

(٣) الكشف (٢/ ٢٥٢).

وعلى هذا أجازوا: إن تأتني وتعطيَني أُكرمْك، فنصبوا "تعطيني" على الصرف؛ لأنه صرف عن العطف على "تأتني"، فعطف على مصدره، فأضمرت "أن" لتكون مع الفعل مصدراً، فيعطف اسم على اسم، ولو عطف على "تأتني" كان المعنى: إن تأتني وإن تعطي أكرمك. فبوقوع أحد الفعلين يقع الإكرام إذا جزمت، وعطفتَ على لفظ "تأتني"، ولم يرد المتكلم هذا، إنما أراد: إذا اجتمع الأمران منكَ وقع مني الإكرام، فالتقدير: إن يكن منك إتيان وإعطاء أكرمك.

ومعنى الآية: ويعلم الذين يجادلون في آيتنا ويخاصمون فيها بالباطل عند إحاطة الهلاك والغرق بهم.

وقيل: يعلمون بعد البعث.

﴿ما لهم من محيص﴾ أي: مهرب ومَعْدِل.

فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "كَبِيرَ الإثم"[1]، أي: عظيمه. والمراد: الجمع.

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٣)، والكشف (٢/ ٢٥٣)، والنشر (٢/ ٣٦٧-٣٦٨)، والإتحاف (ص:٣٨٣-٣٨٤)، والسبعة (ص:٥٨١).

وقد ذكرنا الكبائر في سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ [النساء:٣١]، وهو معطوف على قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ وكذلك ما بعده.

﴿والفواحش﴾ الذنوب المفرطة في القبح، ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ أي: هم الأجدرون بأن يغفروا حالة الغضب ويكظموا على ما في أنفسهم، رغبة في الثواب ورهبة من العقاب.

وقد ذكرنا في سورة آل عمران[1] وأواخر الأعراف[2] طرفاً من الأخبار والآثار الواردة في فضل الكظم والعفو والتجاوز عند الغضب.

قوله تعالى: ﴿والذين استجابوا لربهم﴾ أجابوه فيما دعاهم إليه، ﴿وأقاموا الصلاة﴾ مُفسّر في أول سورة البقرة.

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ أي: لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه. فأثنى الله تعالى عليهم بذلك.

قال الحسن: ما تشاور قوم إلا هُدوا لأرشد أمرهم[3].

وقد أشرنا إلى فضيلة المشاورة في سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ [آل عمران:١٥٩].

والشورى مصدر بمعنى التشاور.

---

(١) عند تفسير الآية رقم: ١٣٤.

(٢) عند تفسير الآية رقم: ١٩٩.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص:١٠٠). وذكره الماوردي (٥/ ٢٠٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٥٧) وعزاه لعبد بن حميد والبخاري في الأدب وابن المنذر.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ أي: ذو شورى.

قال علي عليه السلام: اجتمع لأبي بكر مال مرة، فتصدق به كله في سبيل الله [والخير][(١)]، فلامه المسلمون وخطأه الكافرون، فأنزل الله تعالى: ﴿فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا﴾[(٢)] إلى قوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾[(٣)]. خص به أبا بكر وعمَّ به من اتبعه.

قوله تعالى: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ قال ابن جريج: إذا بغى المشركون عليهم انتصروا بالسيف منهم[(٤)].

وقال زيد بن أسلم: كان أصحاب رسول الله ﷺ فرقتين بمكة، فرقة منهم كانت تؤذى فتعفو عن المشركين، وفرقة كانت تؤذى فتنتصر، فأثنى الله تعالى عليهم جميعاً، فقال في الذين لم ينتصروا: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ وقال في المنتصرين: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾[(٥)].

وقال في رواية أخرى عنه: ذكر الله تعالى المهاجرين وكانوا[(٦)] صنفين، صنفاً عفى[(٧)]، وصنفاً انتصر فقال: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ فبدأ بهم، وقال [في

---

(١) في الأصل: لخير. والتصويب من الكشاف (٤/ ٢٣٣).

(٢) في الأصل زيادة قوله: وزينتها. وهو خطأ.

(٣) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٢٣٢-٢٣٣)، والقرطبي (١٦/ ٣٦).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٠٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٥٨) وعزاه لابن المنذر.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٩١).

(٦) في الأصل زيادة قوله: "له". وانظر النص في: زاد المسير (٧/ ٢٩١).

(٧) في الأصل زيادة قوله: "الله تعالى عنهم" وهو وهم. انظر: الطبري (٢٥/ ٣٧)، وزاد المسير (٧/ ٢٩١).

المنتصرين: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ وقال][1]: ﴿والذين استجابوا لربهم﴾ إلى قوله: ﴿ينفقون﴾ وهم الأنصار، ثم ذكر الصنف الثالث فقال: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ من المشركين[2].

وقيل: إنها عامة في جميع الناس.

قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون أن يُستذلوا، فإذا قدروا عفوا[3].

فإن قيل: هل يحمدون على الانتصار؟

قلتُ: نعم إذا لم يكن المنتصر متعدياً فيه؛ لأنه إذا تجرأ في الانتصار فَجَانَبَ ما لا يسيغه الشارع له، وفَعَلَ ما يبيحه له كان مطيعاً لله تعالى، ألا ترى أن مجتنب المعاصي ممدوح محمود في الآية السالفة، وهي قوله تعالى: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾.

فإن قيل: فكيف يجمع بين هذه الآية الدالة على كونهم محمودين وبين الآيات المشتملة على فضيلة العفو؟

قلتُ: لا تناقض بين الحالتين، فإن المنتصر على الوجه المشروع محمود على الوجه الذي ذكرناه، والعافي له رتبة الفضيلة، حيث أغضى عن حقه وكظم على ما في نفسه ابتغاء وجه الله تعالى، وصار هذا بمنزلة من استحق دَمَ إنسان قصاصاً، فإنه إن طالب القصاص على الوجه المشروع أو الدية على الوجه المقدر في الشرع

---

(١) زيادة من زاد المسير (٧/ ٢٩١-٢٩٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٣٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٩١-٢٩٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٩). وذكره البخاري تعليقاً (٢/ ٨٦٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٥٧) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

كان محسناً باعتبار اقتفائه أثر الشرع، وإن عفى كان أجمل وأفضل.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ مثل قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾ [البقرة:١٩٤]. وقد سبق الكلام عليه.

قال مجاهد والسدي: إذا قال له كلمة أجابه بمثلها من غير أن يتعدَّى[١].

وقال مقاتل[٢]: هذا في القصاص في الجراحات والدماء.

ثم رغب في العفو فقال: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ تعالى.

قال الحسن: إذا كان يوم القيامة ينادي مُنادٍ: ليقم من كان أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا[٣].

﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ الذين يبدؤون بالظلم.

﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ هذا من باب إضافة المصدر إلى المفعول. ويفسره

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٥٩) وعزاه لابن جرير.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٨٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٩٣)، والسيوطي نحوه في الدر (٧/ ٣٥٩) وعزاه لابن مردويه.

قراءة من قرأ: "بعد[١] ما ظُلِمَ"[٢].

﴿فأولئك﴾ إشارة إلى معنى "من" دون لفظها ﴿ما عليهم من سبيل﴾ بعقاب ولا عاب ولا عتاب.

﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس﴾ يبتدؤونهم بالظلم، ﴿ويبغون في الأرض﴾ بالفساد والتكبر ﴿بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾.

﴿ولمن صبر وغفر﴾ أي: صبر على الظلم، وغفر فلم ينتصر ﴿إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ مُفسّر في آل عمران[٣].

ويروى: أن رجلاً سَبَّ رجلاً في مجلس الحسن البصري، فكان المسبوب يكظم، ويعرق فيمسح العرق، ثم قام فتلا هذه الآية، فقال الحسن: عقلها والله [وفهمها][٤] إذ ضيّعها الجاهلون[٥].

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ

---

(١) في الأصل زيادة قوله: من. وانظر النص في: المصادر التالية.

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٧/ ٥٠٠)، والدر المصون (٦/ ٨٦).

(٣) عند الآية رقم: ١٨٦.

(٤) زيادة من القرطبي (١٦/ ٤٤).

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٤٤).

﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده﴾ أي: ما له من ولي بعد الله يتولى هدايته، أو منعه من الله تعالى.

﴿وترى الظالمين لما رأوا العذاب﴾ في الدار الآخرة ﴿يقولون هل إلى مردّ من سبيل﴾ مرجع إلى الدنيا لنصلح ما أفسدنا.

﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أي: على النار، ودلّ عليها ذكر العذاب من قبل.

﴿خاشعين﴾ خاضعين متواضعين ﴿من الذل﴾. وبعض القُرّاء يقف على: "خاشعين"، ويبتدئ: ﴿من الذل ينظرون من طرف خفي﴾ فيجعل "من الذل" متعلقاً بـ"ينظرون".

قال الأخفش[1]: الطَّرْفُ: العين.

قال ابن عباس: "من طرف خفي": أي: ذليل[2].

وقال قتادة: يسارقون النظر[3].

وقال أبو عبيدة[4]: ينظرون ببعض العين.

ويروى: أنهم يحشرون عُمْياً فلا ينظرون إلى النار إلا بقلوبهم، وهو النظر من

---

(١) معاني الأخفش (ص:٢٨٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٤٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٦١) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ٤٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٦١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٠١).

طرف خفي[(١)].

وفيه بُعْدٌ.

وكان يونس يقول: "مِنْ" بمعنى الباء، [مجازه][(٢)]: بطرف خفي[(٣)].

قوله تعالى: ﴿يوم القيامة﴾ إن تعلق بـ"خسروا"؛ كان المعنى: وقال الذين آمنوا في الدنيا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

وإن تعلق بـ"قال"؛ كان المعنى: وقال الذين آمنوا يوم القيامة إذا رأوا المشركين على الصفة الفظيعة والحال الشنيعة: إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم.

ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله﴾ أي: استجيبوا له [بالتوحيد][(٤)] والطاعة.

وقوله: ﴿من الله﴾ "مِنْ" صلة "لا مردّ"، على معنى: لا يرده الله بعد ما حكم به، أو "مِنْ" صلة "يأتي"، أي: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على ردِّه.

---

(١) ذكره الطبري (٢٥/ ٤٢)، والماوردي (٥/ ٢١٠).

(٢) في الأصل: محازة.

(٣) انظر: القرطبي (١٦/ ٤٦).

(٤) في الأصل: التوحيد.

﴿ما لكم من ملجأ يومئذ﴾ تلجؤون إليه ﴿وما لكم من نكير﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من منكر ينكر ويغيِّر ما بكم. قاله ابن السائب[١].

الثاني: ما لكم من إنكار، أي: لا تقدرون أن تنكروا شيئاً. قاله جماعة، منهم الزجاج[٢].

﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ سبق تفسيره[٣].

﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ منسوخ بآية القتال عند أكثر المفسرين[٤].

﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان﴾[٥] هو اسم جنس.

قال المفسرون: يريد: الكافر.

﴿منا رحمة﴾ نعمة من صحة وغنى وغيرهما، ﴿فرح بها﴾ أعجب بها غير شاكر ولا ذاكر.

﴿وإن تصبهم سيئة﴾ بلاء من مرض وفقر وغيرهما ﴿فإن الإنسان كفور﴾ بالله ونعمه.

لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢١٠).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٤٠٢).

(٣) في سورة النساء، آية رقم: ٨٠.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٧)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٥).

(٥) في الأصل زيادة قوله: رحمة هم.

قوله تعالى: ﴿لله ملك السموات والأرض﴾ خزائنها وما فيهما، فهو يتصرف كيف يشاء، ﴿يهب لمن يشاء إناثاً﴾ كما وهب للوط وشعيب عليهما السلام، ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ كإبراهيم ويعقوب.

﴿أو يزوجهم﴾ يقرنهم ﴿ذكراناً وإناثاً﴾ كما وهب لمحمد ﷺ.

وقال مجاهد وجمهور المفسرين: هو أن تلد المرأة غلاماً ثم جارية، ثم غلاماً ثم جارية[١].

وقال محمد بن الحنفية: أن تلد المرأة توأمين ذكراً وأنثى[٢].

﴿ويجعل من يشاء عقيماً﴾ لا يولد له؛ كيحيى بن زكريا، وعيسى بن مريم عليهما السلام.

وهذه الأقسام موجودة في جميع الناس، وإنما ذكرنا الأنبياء عليهم السلام تمثيلاً.

﴿إنه عليم﴾ بمصالح العباد وما يصلح لكل واحد منهم من الأولاد ﴿قدير﴾ على ما يصلحهم.

قال الزمخشري[٣]: فإن قلت: لم قدم الإناث أولاً على الذكور مع تقدمهم عليهنّ، ثم رجع فقدمهم، ولم عرّف الذكور بعدما نكّر الإناث؟

قلتُ: لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى، وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده، ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث؛ لأن

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٧٧)، والطبري (٢٥/ ٤٤). وذكره الماوردي (٥/ ٢١١).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢١١)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٦٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) الكشاف (٤/ ٢٣٦-٢٣٧).

سياق الكلام أنه فاعل ما [يشاؤه][١] لا [ما][٢] يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهمّ، والأهمّ واجب التقديم، وليَلي الجنس الذي كانت العرب [تَعُدُّهُ][٣] بلاءً ذكر البلاء، فلما أخَّرَهم لذلك تدارك تأخيرهم، وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم؛ لأن التعريف تنويه وتشهير، كأنه قال: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن، لكن لمقتضى آخر.

۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر﴾ سبب نزولها: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً [صادقاً][٤] كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال لهم: لم

---

(١) زيادة من الكشاف (٤/ ٢٣٧).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: بعده. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الماوردي (٥/ ٢١٢)، وزاد المسير (٧/ ٢٩٧).

ينظر موسى إلى الله، ونزلت هذه الآية[١].

ومعنى الآية: ما صلح لبشر ﴿أن يكلمه الله﴾ إلا على أحد أوجه ثلاثة:

﴿إلا وحياً﴾ في المنام، أو بطريق الإلهام، كما أوحى إلى إبراهيم في ذبح ولده، وإلى أم موسى بما قذف في قلبها، ومنه قول عبيد بن الأبرص:

وأَوْحَى إليَّ اللهُ أنْ قَدْ تَأَمَّرُوا   بإبل أبي أوفى فَقُمْتُ عَلَى رِجْلِ[٢]

أي: ألهمني وقذف في قلبي.

﴿أو من وراء حجاب﴾ وهو أن يسمع كلامه ولا يراه، كما كَلَّمَ الله تعالى موسى. وهذا الوجه الثاني.

﴿أو يرسل رسولاً﴾ من ملائكته، إما جبريل أو غيره إلى من اختصه بالنبوة واختاره للرسالة، وجبريل أمين الوحي، وهو صاحبه الملازم له. وهذا الوجه الثالث.

قرأ نافع: "أو يرسلُ" بالرفع، ﴿فيوحيْ﴾ بسكون الياء، على الاستئناف والقطع مما قبله، أو على إضمار مبتدأ، تقديره: وهو يرسل.

وقال أبو علي[٣]: "يرسل" فعل مضارع قد وقع موقع الحال، والتقدير: ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو إرسالاً، "فإرسالاً" معطوف على "وحياً" الذي هو مصدر في موضع الحال.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢١٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٩٧).

(٢) البيت في: البحر المحيط (٧/ ٥٠٣)، وروح المعاني (٢٥/ ٥٤)، والكشاف (٤/ ٢٣٧).

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٦-٣٦٨).

وقرأ الباقون "يرسلَ"، "فيوحيَ" بالنصب فيهما[1]، حملاً على معنى المصدر؛ لأن قوله: "إلا وحياً" معناه: إلا أن يوحي، فيعطف "أو يرسل" على أن يوحي.

فإن قيل: هل يجوز أن يكون معطوفاً على "أن يكلمه الله"؟

قلتُ: كلا؛ لأن معناه على هذا التقدير: وما كان لبشر أن يرسل رسولاً، أو أن يرسله الله رسولاً. والمعنيان فاسدان.

قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ أي: وكما أوحينا إلى الرسل أوحينا إليك روحاً، وهو القرآن، وسائر ما أوحيناه إليه سمي روحاً؛ لأنه حياة القلوب.

قال مقاتل[2]: وحياً بأمرنا.

﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ قال ابن قتيبة ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وأكثر المحققين[3]: ما كنت تدري ما القرآن وشرائع الإيمان، فإن شرائع الإيمان تسمى إيماناً. قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة:١٤٣] يريد: صلاتكم.

ولا بد من هذا التقدير، فإن النبي ﷺ لم يشرك بالله طرفة عين، ولا جهلَ التوحيد.

قال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه: من زعم أن النبي ﷺ كان

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٤)، والكشف (٢/ ٢٥٣)، والنشر (٢/ ٣٦٨)، والإتحاف (ص:٣٨٤)، والسبعة (ص:٥٨٢).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٨٣).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٦١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٩٨).

على دين قومه فهو قول سوء، أليس كان لا يأكل ما ذبح على النُّصُب[١].

﴿ولكن جعلناه نوراً نهدي﴾ يريد: الكتاب والإيمان.

﴿وإنك لتهدي﴾ أي: [إنك لترشد][٢] وتدعو ﴿إلى صراط مستقيم﴾.

قوله تعالى: ﴿صراط الله﴾ بدل من الأول[٣].

وقد فَسَّرنا ﴿الصراط المستقيم﴾ في الفاتحة[٤].

قوله تعالى: ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ إيذان بالبعث وتنبيه على الجزاء. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: السنة للخلال (١/ ١٩٥-١٩٦)، وزاد المسير (٧/ ٢٩٨).

(٢) في الأصل: إن سد. ولعل الصواب ما أثبتناه. وانظر: القرطبي (١٦/ ٦٠).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٦)، والدر المصون (٦/ ٨٩).

(٤) الآية:٦.

سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي تسع وثمانون آية في العدد المدني والكوفي[1]، ومكية بإجماعهم[2].

واستثنى مقاتل منها آية واحدة فقال: هي مدنية وهي: ﴿واسأل من أرسلنا... الآية﴾[3].

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿حم * والكتاب المبين﴾ سبق تفسير "حم" في أول آل حم، وتفسير "الكتاب المبين" في أول سورة يوسف.

وهذا قسمٌ جوابه: ﴿إنا جعلناه﴾.

قال مجاهد: أوحيناه[4].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢٣).

(٢) قال السيوطي في الدر (٧/ ٣٦٥): أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت بمكة سورة "حم" الزخرف.

(٣) انظر: زاد المسير (٧/ ٣٠١)، والإتقان في علوم القرآن (١/ ٥٣).

(٤) انظر قول مجاهد في: الماوردي (٥/ ٢١٥)، ولفظه: "قلناه"، بدل: "أوحيناه".

وقال السدي: أنزلناه[١] ﴿قرآناً عربياً﴾.

وقيل: صَيَّرناه، ولذلك تعدى إلى مفعولين.

فإن قيل: إنما يُقْسَمُ على الشيء إذا كان في مظنة الخفاء، وكون هذا القرآن عربياً لا يفتقر في تقريره وتحقيقه إلى قَسَم؛ لأنه لا ينكر؟

قلتُ: لم يقسم على كون القرآن عربياً فقط، إنما أقسم على كونه قرآناً، ثم وصفه بكونه عربياً امتناناً عليهم بإنزاله بلسانهم، إرادةَ أن يعقلوه ويفهموه، ألا تراه أتبع ذلك بقوله: ﴿وإنه﴾ يعني: القرآن.

وقال ابن جريج: ما يكون من الخلق من طاعة أو معصية أو إيمان أو كفر[٢].

والأول أصح[٣].

﴿في أم الكتاب﴾ أي: في أصله، وهو اللوح المحفوظ، كما قال في موضع آخر: ﴿بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ﴾ [البروج:٢١-٢٢].

﴿لدينا﴾ أي: عندنا ﴿لعلي﴾ رفيع الشأن ﴿حكيم﴾ محكم بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، أو حكيم ذو حكمة وبلاغة.

قوله تعالى: ﴿أفنضرب عنكم الذِّكْر صفحاً﴾ قال ابن قتيبة[٤]: أفنمسك عنكم، فلا نذكركم؟

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢١٥).

(٢) مثل السابق.

(٣) ورجحه غير واحد من المفسرين؛ كالطبري (٢٥/ ٤٨) وغيره.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٣٩٥).

"صفحاً": أي إعراضاً. يقال: صَفَحْتُ عن فلان؛ إذا أعرضت عنه[١].
والأصل في ذلك: أن تُولِّيَه صفحة عنقك. قال كُثيِّر يصف امرأة:

صَفُوحاً فَمَا تَلْقَاكَ إلا بَخِيلةً فمنْ مَلَّ منْها ذلكَ الوصلَ مَلَّتِ[٢]

أي: معرضة بوجهها، يقال: ضربت عن فلان كذا؛ إذا أمسكته، وأضربت عنه[٣].

وقال الزمخشري[٤]: الفاء للعطف على محذوف، تقديره: [أَنُهْمِلُكُم][٥] فنضربَ عنكم الذكر إنكاراً لأن يكون الأمر على خلاف ما تقدم. و"صَفْحاً" مصدر، من صفح عنه: إذا أعرض، منتصب على أنه مفعول له، على معنى: أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به، إعراضاً عنكم؟.

قرأ نافع وحمزة والكسائي: "إن كنتم قوماً مسرفين" بكسر الهمزة، وفتحها الباقون[٦].

وقال أبو علي[٧]: من كسر الألف جعل "إنْ" شرطاً، واستُغْنِيَ عن جوابه بما

---

(١) انظر: اللسان (مادة: صفح).
(٢) البيت لكثير، وهو في: اللسان (مادة: صفح)، والقرطبي (١٦/ ٦٣)، وزاد المسير (٧/ ٣٠٢)، والبحر (٨/ ٧).
(٣) انظر: اللسان (مادة: ضرب).
(٤) الكشاف (٤/ ٢٤١).
(٥) في الأصل: أنمهلكم. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.
(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٤)، والكشف (٢/ ٢٥٥)، والنشر (٢/ ٣٦٨)، والإتحاف (ص:٣٨٤)، والسبعة (ص:٥٨٤).
(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٩).

تقدَّمه، ومن فتحها فالمعنى: لأن كنتم، فموضع "أنْ" نصب على أنه مفعول له.

قال قتادة: المعنى: أفنمسك عن إنزال القرآن من أجل أنكم لا تؤمنون[1]؟.

قوله تعالى: ﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين﴾ يشير إلى كثرة الرسل قبل محمد ﷺ.

﴿وما يأتيهم﴾ حكاية حال ماضية، على معنى: وما كان يأتيهم ﴿من نبـي إلا كانوا به يستهزؤون﴾. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ.

ثم خَوَّفَ كفار قريش فقال: ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشاً﴾ قوة ﴿ومـضى مثـل الأولين﴾ أي: سبق وصفُ عقابهم فيما أنزلناه عليك.

وقيل: سبق تشبيه حال أولئك بهؤلاء في التكذيب، فستَقَعُ بينهم المشابهة في الإهلاك.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

---

(١) ذكره الثعلبي (٨/ ٣٢٨)، من قول قتادة وابن زيد.

ثم أبان عن جهل كفار قريش، حين أقروا بأن العزيز العليم خالق السموات والأرض، وهم مع ذلك يعبدون الحجارة، فقال تعالى: ﴿ولئن سألتهم.. الآية﴾.

والتي تليها مُفسّرة في سورة طه[١].

والمعنى: لعلكم تهتدون بالسبل في طرقكم وأسفاركم، أو: لعلكم تهتدون إلى معرفة المُنْعِم عليكم. وهو قول سعيد بن جبير[٢].

وقيل: لعلكم تهتدون إلى معايشكم[٣].

﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ مُفسّر في سورة الحجر[٤].

قال ابن عباس: يريد أنه ليس كما أنزل على قوم نوح بغير قَدَر فأغرقهم، بل هو بقَدَر ليكون نافعاً[٥].

﴿فأنشرنا﴾ أحيينا ﴿به بلدة ميتاً﴾، ﴿كذلك تُخْرَجُون﴾ مُفسّر فيما مضى.

قرأ حمزة والكسائي وابن عامر بخلاف عنه: ["تَخرُجُون"][٦] بفتح [التاء][٧] وضم الراء، وقرأ الباقون بالعكس من ذلك[٨].

---

(١) عند الآية رقم: ٥٣.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢١٧).

(٣) مثل السابق.

(٤) عند الآية رقم: ٢١.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٠٤).

(٦) في الأصل: يخرجون. والتصويب من مصادر التخريج.

(٧) في الأصل: الياء. والتصويب من المصادر التالية.

(٨) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٥-٦٤٦)، والكشف (١/ ٤٦٠)، والنشر (٢/ ٣٦٧-٣٦٨)، والإتحاف (ص:٣٨٤)، والسبعة (ص:٥٨٤).

قوله تعالى: ﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾ يعني: أصناف الحيوان من ذكر وأنثى.

وقال سعيد بن جبير: يعني: الأصناف كلها[١].

قال الحسن البصري: الشتاء والصيف، والليل والنهار، والشمس والقمر، والجنة والنار[٢].

﴿وجعل لكم من الفلك﴾ وهي السفن ﴿والأنعام﴾ يريد: الإبل ﴿ما تركبون﴾ أي: تركبونه.

﴿لتستووا على ظهوره﴾ قال أبو عبيدة[٣]: هاء التذكير في "ظهوره" لـ: "ما".

قال الزمخشري[٤]: على ظهور ما تركبون، وهو الفُلْكُ والأنعام.

﴿ثم تذكروا نعمة ربكم﴾ بالتسخير والتيسير ﴿إذا استويتم عليه وتقولوا﴾ ذِكْراً وشُكْراً: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾.

قال ابن عباس ومجاهد: مطيقين[٥].

قال ابن قتيبة وغيره[٦]: يقال: أنا مُقْرِن لك؛ أي: مطيق لك، ويقال: هو من قولهم: أنا قِرْن لفلان؛ إذا كنت مثله في الشدة، فإذا قلت: أنا قَرْن فلان -بفتح

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢١٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٠٢).

(٤) الكشاف (٤/ ٢٤٣).

(٥) أخرجه الطبري (٢٥/ ٥٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٦٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٣٩٥).

القاف-، فمعناه أن تكون مثله في السنّ. قال ابن هَرْمَة:

وأقْرَنْتُ ما حَمَّلتني ولَقَلَّما يُطاقُ احتمالُ الصَّدِّ يا دَعْدُ والهَجْرِ [1]

﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ أي: راجعون في الآخرة.

سَنَّ الله تعالى لراكب الفُلْكِ والإبل قولَ هذا، بعد ذكر النعمة وشكرها، وتنزيه المنعم بها، والاعتراف بالعجز عن الاستيلاء عليها، لولا تسخيره جَلّت عظمته؛ لأنها حالة لا يؤمن فيها التلف، خصوصاً راكب البحر.

ولقد قيل لبعضهم بعد خروجه من البحر: ما أعجب ما رأيت فيه؟ قال: سلامتي.

فينبغي للمتلبس بهذه الحالة استذكار الآخرة والاستعداد لها، فليجتلب ما ينجيه؛ من طاعة الله، ويجتنب ما يرديه من معصيته، ولا يتخذ ذلك مقراً لفسقه ولهوه، كعادة أكثر ملوك زماننا وأتباعهم وأضرابهم، يشربون الخمور، وتضرب لهم القيان بالمعازف على صهوات الخيل، وفي البحور، لا يرجون لله تعالى وقاراً، ولا يعرفون نعم الله عليهم، ولا يخشون هجوم الموت وهم في مثل هذه الحالة، التي هلك بسببها خلق كثير، ما ذاك إلا استيلاء الغفلة على قلوبهم، وقلة المبالاة بأمر آخرتهم.

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في مسنده، ومسلم في صحيحه -واللفظ للإمام- من رواية عبدالله بن عمر: «أن النبي ﷺ كان إذا ركب راحلته -يعني: للسفر- كَبَّر ثلاثاً، ثم قال: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا

---

(١) البيت لابن هرمة، وهو في: البحر (٨/ ٩)، والدر المصون (٦/ ٩٣)، وروح المعاني (٢٥/ ٦٩)، والكشاف (٤/ ٢٤٤).

إلى ربنا لمنقلبون﴾، ثم يقول: اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا السفر، واطْوِ لنا البعيد، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا.

وكان إذا رجع إلى أهله قال: آيبون تائبون إن شاء الله، عابدون لربنا حامدون»[١].

وفي بعض الألفاظ: «اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب، في الأهل والمال»[٢].

وروى علي عليه السلام: «أن النبي ﷺ كان إذا وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فإذا استوى على الدابة قال: الحمد لله على كل حال، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، وكبر ثلاثاً، وهلّل ثلاثاً»[٣].

قال قتادة: في هذه الآية تعليمكم، تقولون إذا ركبتم في الفُلك: ﴿بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم﴾، وإذا ركبتم الإبل قلتم: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾، وإذا نزلتم من الفلك والأنعام تقولون: اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين[٤].

ويروى: «أن الحسين بن علي رضي الله عنهما رأى رجلاً ركب دابة فقال: سبحان الذي سخر لنا هذا، فقال: أبهذا أمرتم؟ فقال: وبم أمرنا؟ قال: أن تذكروا

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٩٧٨ ح١٣٤٢)، وأحمد (٢/ ١٤٤ ح٦٣١١).

(٢) أخرجه مسلم، الموضع السابق، وأحمد (٢/ ١٥٠ ح٦٣٧٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٤ ح٢٦٠٢)، والترمذي (٥/ ٥٠١ ح٣٤٤٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ٥٤).

نعمة ربكم إذا استويتم عليه، وكان قد أغفل حمد الله فنبهه عليه))[١].

﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ متصل بقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولون خلقهن العزيز العليم﴾ المعنى: وجعلوا له مع اعترافهم أنه الخالق الفاعل لما عدّدوه من نعمه عليهم من عباده، يريد: الملائكة [جزءاً][٢]، أي: بعضاً له، وهو قولهم: الملائكة بنات الله.

قال الزجاج[٣]: وقد أنشدني بعض أهل اللغة بيتاً يدل على أن معنى "جزء" معنى الإناث، ولا أدري البيت قديم أم موضوع[٤]، أنشدني[٥]:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٥٤) عن أبي مجلز أن الحسن بن علي...، وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٦٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن أبي مجلز قال: رأى حسين بن علي...

(٢) في الأصل: جزاءاً.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٤) في زاد المسير واللسان: مصنوع.

(٥) نقل صاحب اللسان (مادة: جزأ) كلام الزجاج هذا وزاد: والمعنى في قوله: ﴿وجعلوا له من عباده =

إنْ أجْزَأَتْ حرةٌ يوماً فلا عَجَبٌ قد تُجْزِئُ الحُرَّةُ المذكارُ أحيانا[١]

أي: [إن][٢] أنثت: ولدت أنثى.

قال الزمخشري[٣]: ومن بدع التفاسير: أن الجزء في لغة العرب: اسم للإناث، وما هو إلا كذب على العرب، ووضع مستحدث منحول، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه: أجزأت المرأة، ثم صنعوا بيتاً وبيتاً، وأنشد:

إن أجزأتْ ....

قوله تعالى: ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين﴾ "أمْ" منقطعة، تقديره: بل اتخذوا، الهمزة للإنكار؛ تجهيلاً لهم وتعجيباً من شأنهم، حيث جعلوا لله من عباده جزءاً.

ثم لم يقنعوا بذلك حتى جعلوا له الأخس وهو الإناث، [وأصفاهم][٤] بالأخص وهم الذكور.

= جزءاً﴾، أي: جعلوا نصيب الله من الولد: الإناث، ثم قال: ولم أجده في شعر قديم، ولا رواه عن العرب الثقات، وأنشد أبو حنيفة:

زوَّجْتُها من بناتِ الأوسِ مُجْزِئَةً للعوْسَجِ اللدْنِ في أبياتِها زَجَلُ

يعني: امرأة غزالةً بمغازل سُوِّيَتْ من شجر العوسج.

(١) البيت في: اللسان (مادة: جزأ)، وغريب القرآن (ص:٣٩٦)، والدر المصون (٦/ ٩٣)، وزاد المسير (٧/ ٣٠٥)، والقرطبي (١٦/ ٦٩)، والبحر المحيط (٨/ ١٠).

(٢) زيادة من معاني الزجاج (٤/ ٤٠٧).

(٣) الكشاف (٤/ ٢٤٥).

(٤) في الأصل: والاصفاهم.

والذي بعدها مُفسّرة في سورة النحل[١].

قوله تعالى: ﴿أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾ قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "يُنَشَّأُ" بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين. وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين[٢]. فمن خَفَّفَ بناه على الثلاثي، من قولهم: نَشَأَ الغلام، ونَشَأت الجارية، فهو فعل لا يتعدى. ومن شَدَّدَ بناه على الرباعي بتضعيف العين، على: نَشَّأَ يُنَشِّأ، مثل: قَتَّلَ يُقَتِّلُ، وهو أيضاً إنكار عليهم وتوبيخ لهم، على معنى: أجعلتم مَنْ هو بهذه الصفة المذمومة ولداً للرحمن عز وجل، وهو يُربَّى في الزينة والنعمة، فإذا التفّت عليه المحافل في الخصام والجدال، غيرُ مبين بحجة، لضعف عقله ونقصان فطرته.

قال قتادة في هذه الآية: قلما تتكلم امرأة تريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها[٣].

قال بعض العلماء[٤]: وفي هذه الآية تنبيه على أن النَّشْءَ في الزينة والنعومة من المعايب والمذام، وأنه وصف ربات الحجال، ولذلك عدُّوا قول الحطيئة في الزبرقان:

---

(١) عند الآية رقم: ٥٨.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٦)، والكشف (٢/ ٢٥٥)، والنشر (٢/ ٣٦٨)، والإتحاف (ص:٣٨٥)، والسبعة (ص:٥٨٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) هو الزمخشري، انظر: الكشاف (٤/ ٢٤٧).

دَعِ المكارم لا تنهضْ لبُغيَتِها واقعدْ فإنَّكَ أنتَ الطاعمُ الكاسي [١]

هجواً عظيماً، حتى قال حسان: ما هَجَاهُ ولكن سَلَحَ عليه.

فعلى الرجل الحازم أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: «اخْشَوْشِنُوا وتمعْدَدُوا[٢]»[٣].

قوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ قرأ نافع وابن كثير وابن عامر: "عند الرحمن". وقرأ الباقون "عِبَاد"[٤].

فمن قرأ جعله ظرفاً، احتج بقوله تعالى: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته﴾ [الأنبياء:١٩]، وقوله تعالى: ﴿إن الذين عند ربك﴾ [الأعراف:٢٠٦]، والباقون احتجوا بقوله تعالى: ﴿بل عباد مكرمون﴾ [الأنبياء:٢٦].

﴿أشهدوا خلقهم﴾ أي: أَحَضِرُوا خلقهم وعاينوه فشهدوا على ما رأوا؟ وهو توبيخ لهم على القول بغير علم.

وقرأ نافع بهمزتين الأولى محققة والثانية مضمومة ملينة مع سكون الشين[٥]،

---

(١) البيت للحطيئة، وهو في اللسان (مادة: ذرق، طعم، كسا)، والطبري (١٢/ ٤٦)، والقرطبي (٩/ ٤٠)، والأغاني (٢/ ١٧٧، ١٧٨)، والاستيعاب (٢/ ٥٦٢).

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (٤/ ٣٤١-٣٤٢): تَمَعْدَدَ الغلامُ: إذا شَبَّ وغَلُظَ، وقيل: أراد: تَشَبَّهوا بعَيْشِ مَعَدِّ بن عدنان، وكانوا أهلَ غِلَظٍ وقَشف، أي: كونوا مثلهم ودعوا التَّنَعُّم وزِيَّ العَجَم، ومنه حديثه الآخر: عليكم باللِّبْسَة المَعَدِّيَّة، أي: خُشونة اللِباسِ.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٠٤ ح٢٦٣٢٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٧)، والكشف (٢/ ٢٥٦)، والنشر (٢/ ٣٦٨)، والإتحاف (ص:٣٨٥)، والسبعة (ص:٥٨٥).

(٥) أي هكذا: "أَأُشْهِدُوا".

وفصل بينهما بألف قالون وأبو جعفر يزيد بن القعقاع[١]، وهؤلاء أدخلوا همزة التي معناها التوبيخ على فعل رباعي لم يُسَمَّ فاعله.

﴿ستكتب شهادتهم﴾ في ديوان الحَفَظَة وكتاب أعمالهم ﴿ويسألون﴾ عنها إذا وردوا موقف الحساب، وهذا أيضاً توبيخ لهم على كفرهم وشهادتهم على الملائكة بأنهم إناث.

قال بعض العلماء[٢]: جمعوا في كفرة ثلاث كفرات، وذلك أنهم نسبوا إلى الله تعالى الولد، ونَسبوا إليه أخس النوعين، وجعلوا الملائكة الذين هم عند الله إناثاً، [فاستخفوا][٣] بهم واحتقروهم.

قوله تعالى: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ يعنون: الملائكة، في قول قتادة[٤].

والأصنام، في قول مجاهد[٥].

يريدون: لو لم يرض بعبادتنا لمنعنا بالعقوبة وقطع أسباب الرزق، فردّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ما لهم بذلك من علم﴾، فنسبهم إلى الجهل في اعتقادهم، وما رضي

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٧-٦٤٨)، والكشف (٢/ ٢٥٧)، والنشر (٢/ ٣٦٨-٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٥)، والسبعة (ص:٥٨٥).

(٢) هو الزمخشري، انظر: الكشاف (٤/ ٢٤٨).

(٣) في الأصل: فاستحقوا. والتصويب من الكشاف (٤/ ٢٤٨).

(٤) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٢) وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٥٨٠)، والطبري (٢٥/ ٥٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧١-٣٧٢) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

الله تعالى بصنيعهم.

وبعض المفسرين يقول: "ما لهم بذلك" أي: بقولهم: الملائكة بنات الله، أو الأصنام آلهة "من علم".

والمعنى الأول أصح، وهذه الآية نظيرة قوله تعالى حاكياً عنهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ [الأنعام:١٤٨]، وقوله: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ [يس:٤٧]، وقد كشفنا عن نفس المقصود، وأبطلنا جدالهم في الموضعين من الأنعام ويس، فاطلبه هناك تظفر به.

﴿إن هم إلا يخرصون﴾ أي: يكذبون في قولهم واعتقادهم أن الله راض بأقوالهم وأفعالهم.

أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله﴾ قد سبق القول على "أمْ" في مواضع، والضمير في "قبله" يعود إلى الكتاب، [نسبوا][1] فيه إلينا ما اختلقوه علينا، ﴿فهم به

(١) في الأصل: نسبنا. ولعل الصواب ما أثبتناه.

مستمسكون﴾ بل إضراب عن أن تكون لهم حجة يتمسكون بها إلا قولهم: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ دين وملة.

وقرأ عمر بن عبدالعزيز ومجاهد: "إِمَّةٍ" بكسر الهمزة[١]، أي: على طريقة ومقصد.

وقيل: كلتا القراءتين من الأَمّ وهو القَصْد، والأَمَّة: الطريقة التي تؤمّ، أي: تُقصد، كالرحلة للمرحول إليه، والإِمَّة: الحالة التي يكون عليها الآمّ، وهو القاصد.

وقيل: الأُمَّة: النعمة، وأنشد قول عدي بن زيد:

ثُمَّ بعدَ الفلاحِ والملكِ والأمَّـ ـة وَارَتْهُمُ هُناكَ القبور[٢]

يريدون: وجدنا آباءنا على نعمة وحالة حسنة مرضية فسلكنا طريقهم.

﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾ "إنّ" واسمها وخبرها والظرف صلة لـ"مهتدون"[٣]. ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر.

ثم أخبر الله تعالى عنهم أنهم على طريقة من قبلهم في الاقتداء بالآباء، فقال تعالى: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير... الآية﴾ ومعنى: "مقتدون": مُتَّبِعُون.

---

(١) انظر هذه القراءة في: الماوردي (٥/ ٢٢١)، والبحر (٨/ ١٢)، والدر المصون (٦/ ٩٥).

(٢) البيت لعدي بن زيد، وهو في: اللسان (مادة: فلح، أمم)، والطبري (٢٥/ ٦٠)، والقرطبي (١٦/ ٧٤).

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٤٩).

﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿أَوَلَوْ جئتكم﴾. وقرأ ابن عامر وحفص: ﴿قال أَوَلَوْ﴾[١] على الخبر ﴿جئتكم﴾. وقرأ أبو جعفر: "جئناكم" على الجمع[٢]، ﴿بأهدى﴾ أو بدين أهدى ﴿مما وجدتم عليه آباءكم﴾. والجواب محذوف، تقديره: أتتبعون آباءكم وتَدَعُون الذين هو أهدى.

قال مقاتل[٣]: فردوا على النبي ﷺ، فذلك قوله تعالى: ﴿قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾.

ثم عاد إلى ذكر الأمم الخالية والإخبار عنهم، فقال: ﴿فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ بالكتب والرسل.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿إنني براء مما تعبدون﴾ قال الزجاج[٤]: "بَراءٌ" بمعنى: بريء، والعرب تقول للواحد منها: أنا البراء منك، وكذلك الاثنان والجماعة، والذكر

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٨-٦٤٩)، والكشف (٢/ ٢٥٨)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٥)، والسبعة (ص:٥٨٥).

(٢) النشر (٢/ ٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٥).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ١٨٨).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤٠٩).

والأنثى [يقولون: نحن البراء منك، والخلاء منك][1] لا يقولون: نحن البراءان منك ولا البراؤون. وإنما المعنى: أنا ذو البراء منك، ونحن ذو البراء منك، كما تقول: رجل عدل، وامرأة عدل، وقوم عدل.

قوله تعالى: ﴿إلا الذي فطرني﴾ مثل قوله تعالى في الشعراء: ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾ [الشعراء:٧٧]، وقد تكلمنا عليه.

قال الزمخشري[2]: "الذي فطرني" فيه غير وجه: أن يكون منصوباً على أنه استثناء منقطع، كأنه قال: لكن الذي فطرني فإنه سيهدين. وأن يكون مجروراً بدلاً من المجرور بـ"مِنْ"؛ كأنه قال: [إنني][3] براء مما تعبدون إلا من الذي فطرني.

فإن قلت: كيف تجعله بدلاً وليس من جنس "ما تعبدون" من وجهين:

أحدهما: أن ذات الله تعالى مخالفة لجميع الذوات، فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون.

الثاني: أن الله تعالى غير معبود بينهم والأوثان معبودة؟

قلتُ: قالوا: كانوا يعبدون الله تعالى مع آلهتهم، وأن تكون "إلا" صفة بمعنى: غير، على أن "ما" في [ما][4] تعبدون موصوفة، تقديره: إنني براء من [آلهة][5] تعبدونها غير الذي فطرني، فهو نظير قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله

---

(١) زيادة من معاني الزجاج (٤/ ٤٠٩).

(٢) الكشاف (٤/ ٢٥٠).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: آلهتكم. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

لفسدتا﴾ [الأنبياء:٢٢].

قلتُ: ما معنى قوله تعالى: ﴿سيهدين﴾ على التسويف؟

قلتُ: قال مرّة: ﴿فهو يهدين﴾ [الشعراء:٧٨] ومرّة ﴿فإنه سيهدين﴾، فاجمع بينهما وقدر، كأنه قال: فهو يهدين وسيهدين، فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال.

قوله تعالى: ﴿وجعلها﴾ أي: وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها - وهي قوله تعالى: ﴿إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني﴾- ﴿كلمة باقية في عقبه﴾ أي: في ذريته، فلا يزال فيهم من يُوحِّد الله تعالى ويدعو إلى التوحيد.

وقيل: وجعل الوصية التي أوصى بها بنيه، وهي الوصية المذكورة في البقرة: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ [البقرة:١٣٢].

﴿لعلهم يرجعون﴾ إلى التوحيد إذا علموا أن أباهم تبرّأ من كل معبود سوى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿بل متعت هؤلاء وآباءهم﴾ أي: أجزلتُ لقريش النِّعَم وأمهلتهم ﴿حتى جاءهم الحق﴾ وهو القرآن ﴿ورسول مبين﴾ للحق من الباطل، وهو محمد ﷺ.

المعنى: فكان ينبغي لهم أن ينتبهوا من غفلتهم عند مجيء الحق والرسول.

﴿ولما جاءهم الحق﴾ ضَمُّوا إلى شركهم وغفلتهم المعاندة، فذلك قوله تعالى: ﴿قالوا سحر﴾.

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ولما جاءهم الحق﴾ هم اليهود والنصارى[١]. وفيه بُعْد.

وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ هذا من اقتراحات قريش واحتكامهم على الله جَلَّت عظمته في اختيار محمد ﷺ للرسالة، واختصاصه بالنبوة، وكانوا أولاً ينكرون رسالته لكونه من البشر، فلما شرقوا[٢] بالحجة وعلموا أن الرسل رجال عَدَلُوا عن ذلك إلى إنكار العدول بالرسالة عن أحد الرجلين العظيمين في نظرهم؛ تحكماً على الله تعالى.

وقولهم: "هذا القرآن" كلام يلوح منه الاستهانة به.

ومرادهم بالقريتين: مكة والطائف.

والمعنى: على رجل من إحدى القريتين، فهو كقوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [الرحمن:٢٢].

وقيل: التقدير: من رَجُلي القريتين.

"عظيم" أي: رئيس متقدم في الدنيا.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣١٠) عن قتادة قال: هم اليهود.

(٢) شرق بريقه: غَصَّ (القاموس المحيط، مادة: شرق).

وعظيم مكة: الوليد بن المغيرة، في قول ابن عباس وقتادة والأكثرين[١].

وعتبة بن ربيعة، في قول مجاهد[٢].

وأما عظيم الطائف ففيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. قاله ابن عباس[٣].

الثاني: أبو مسعود عروة بن مسعود الثقفي. قاله قتادة[٤].

وكان الوليد بن المغيرة يسمى: [ريحانة][٥] مكة، وكان يقول: لو كان هذا حقاً لنزل القرآن عليّ، أو على أبي مسعود الثقفي[٦].

الثالث: أنه كنانة بن عبد عمرو الطائفي. قاله السدي[٧].

الرابع: أنه ابن عبد ياليل. قاله مجاهد[٨].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٦٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٥٨١)، والطبري (٢٥/ ٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ٦٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ٦٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٥) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) في الأصل: رحانة.

(٦) انظر: المصادر السابقة.

(٧) أخرجه الطبري (٢٥/ ٦٦). وذكره الماوردي (٥/ ٢٢٣).

(٨) أخرجه مجاهد (ص:٥٨١)، والطبري (٢٥/ ٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

قال الله تعالى منكراً عليهم معجباً من احتكامهم: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ يعني: النبوة فيضعونها بجهلهم حيث شاؤوا ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم﴾ يعني: نحن قسمنا بينهم أرزاقهم ولم نكِلَ ذلك إلى أحد، فكيف بأمر النبوة؟.

قال قتادة: إنك لتلقاه ضعيف الحيلة، عيي اللسان، قد بسط له في الرزق، وتلقاه شديد الحيلة، بسيط اللسان، وهو مقدور عليه[١].

﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ هذا قوي وهذا ضعيف، وهذا حُر وهذا رقيق، وهذا غني وهذا فقير، وهذا عزيز وهذا ذليل. ولم تقتض حكمتنا التسوية بينهم.

﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ فيملك الحر الرقيق، ويستأجر الغني الفقير، ويستسخر الناس بعضهم بعضاً في أسباب معايشهم، ولو جعلناهم في القوة والغنى، والعزة وغيرها سواء؛ لم ينتظم أمر العالم.

﴿ورحمة ربك﴾ التي هي النبوة ﴿خير﴾ أفضل وأعظم ﴿مما يجمعون﴾ من الأموال.

فإذا كانوا في تدبير المعيشة الدنية الدنيوية على هذه الصفة المذكورة، فما ظنهم بتدبير أمر الكتاب والنبوة، والأحكام الدينية.

والمقصود من هذا كله: [تجهيلهم][٢] في قولهم: ﴿لولا نزل... الآية﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٦٧). وذكره الماوردي (٥/ ٢٢٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٧٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، وفيهما: ... سليط اللسان، وهو مقتور عليه.

(٢) في الأصل: تجهلهم.

وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

ثم إن الله عز وجل أخبر عباده بهوان الدنيا عليه وخِسّتها عنده؛ لئلا يَظنَّ ظَانٌّ أو يَتوهّم مُتوهّم أن الموسَّع عليه منها والمحظوظ فيها، كان ما ناله منها باعتبار كرامته على الله تعالى ونفاسة قدره عنده، وأن المضيَّق عليه فيها والمحروم منها، كان باعتبار هوانه على الله، وخِسَّة قدره عنده، فقال تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ أي: لولا كراهة أن يُجمعوا على الكفر إذا رأوا زهرة الحياة الدنيا ملازمة له ومقرونة به ﴿لجعلنا﴾ لهوان الدنيا علينا ﴿لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم﴾. فقوله تعالى: ﴿لبيوتهم﴾ بدل اشتمال من قوله: ﴿لمن يكفر بالرحمن﴾[١].

قال الفراء[٢]: إن شئت جعلت اللام في "لبيوتهم" مكررة؛ كقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ [البقرة:٢١٧]، وإن شئت جعلتها بمعنى: على، كأنه قال: جعلنا لهم على بيوتهم.

﴿سقفاً من فضة﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: بفتح السين وسكون القاف على التوحيد، ويريد الجنس. وقرأ الباقون: "سُقُفاً" بضمّهما على الجمع[٣]. تقول:

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٧)، والدر المصون (٦/ ٩٦).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٣١).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٩)، والكشف (٢/ ٢٥٨)، والنشر =

سَقْف وسُقُف، مثل: رَهْن ورُهُن.

﴿ومعـارج﴾ جمـع معـرج، أو اسـم جمـع لمعـراج، والمعـارج: المـصاعد إلى العلالي[١]، يريد: ومعارج أيضاً من فضة.

﴿عليها يظهرون﴾ يعلون السقف؛ كقوله تعالى: ﴿فما اسطاعوا أن يظهـروه﴾ [الكهف:٩٧].

﴿ولبيوتهم أبواباً﴾ أي: وجعلنا لبيوتهم أبواباً من فضة ﴿وسرراً﴾ مـن فـضة ﴿عليها يتكؤون﴾.

﴿وزخرفاً﴾ أي: وجعلنا لهم زخرفاً. فهو منصوب بفعل مضمر، وإن شئت كان معطوفاً على موضع قوله تعالى: ﴿من فضة﴾[٢].

والزُّخْرُف: الذهب. وقد سبق ذكره في قوله تعالى: ﴿أو يكون لك بيـت مـن زخرف﴾ [الإسراء:٩٣].

قوله تعالى: ﴿وإن كل ذلك لَمَا متاع الحياة الدنيا﴾ هذه "إنْ" الخفيفة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، على إضمار الشأن، تقديره: وإن الشأن كل ذلك لما متـاع الحياة الدنيا.

وقرأ عاصم وحمزة وهشام: "لمّا" بتشديد الميم[٣].

= (٢/ ٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٥)، والسبعة (ص:٥٨٥).

(١) انظر: اللسان (مادة: عرج).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٩٧).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٦)، والحجة لابـن زنجلـة (ص:٦٤٩)، والكـشف (١/ ٥٣٦-٥٣٧)، والنشر (٢/ ٢٩١)، والإتحاف (ص:٣٨٥)، والسبعة (ص:٥٨٦).

فعلى هذه القراءة "إنْ" هي النافية بمعنى: "ما"، كالتي في قوله تعالى: ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ [الملك:٢٠]، فالمعنى: ما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، و"لمّا" في معنى "إلاّ".

وقد حكى سيبويه: نشدتك الله لمّا فعلت، وحمله على "إلاّ". وزعموا أنّ [في][1] حرف أُبيّ: "وما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا".

فهذا يدل على أنّ "لمّا" بمعنى: "إلا"، وأنّ "إنْ" بمعنى "ما". هذا كلام أبي علي[2].

قوله تعالى: ﴿والآخرة﴾ يريد: الجنة ﴿عند ربك﴾ أي: في حكمه ﴿للمتقين﴾ خاصة، إلا الدنيا فتكون للصالح والطالح.

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾ "يَعْشُ": يُعْرِض[3]. وقيل: يَعْمَ[4]. رويا عن ابن عباس.

---

(١) زيادة من الحجة (٣/ ٣٧٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣١٥).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٣). وذكره الماوردي (٥/ ٢٢٥)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٧٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

والأول قول قتادة[١]، واختيار الفراء والزجاج[٢].

وقال أبو عبيدة[٣]: يَعْشُ: تُظْلِمْ عينه.

وقرأ ابن عباس: "يَعْشَ" بفتح الشين[٤].

قال الفراء[٥]: من قرأ "يَعْشُ" -يعني: قراءة الأكثرين- فمعناه: يُعْرِض، ومن نصب الشين أراد: يَعْمَى عنه.

قال الزمخشري[٦]: الفرق بين القراءتين: أنه إذا حصلت الآفة في بصره قيل: عَشِيَ. وإذا نظر نظر العُشْي ولا آفة [به][٧]، قيل: عَشَا. ونظيره: عَرِجَ، لمن به الآفة. وعَرَجَ، لمن مَشَى مِشْيَةَ العُرْجَان.

قال الحطيئة:

متى تأْتِه تعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِه تجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ[٨]

أي: تنظر إليها نظر العُشْي؛ لمَّا يضعف بصرك من عظيم الوقود واتساع

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٧٣). وذكره الماوردي (٥/ ٢٢٥)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٧٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) انظر: معاني الفراء (٣/ ٣٢)، ومعاني الزجاج (٤/ ٤١١).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٠٤).

(٤) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٩٨)، والبحر (٨/ ١٦).

(٥) معاني الفراء (٣/ ٣٢).

(٦) الكشاف (٤/ ٢٥٥-٢٥٦).

(٧) زيادة من الكشاف (٤/ ٢٥٤).

(٨) البيت للحطيئة. انظر: ديوانه (ص:٥١)، والكتاب (٣/ ٨٦)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٦٦)، والخزانة (٩/ ٩٤)، واللسان (مادة: عشا)، والدر المصون (٦/ ٩٨)، والبحر (٨/ ٦).

الضوء. وهو بيّنٌ في قول حاتم:

أَعْشُو إذا ما جَارَتِي بَرَزَتْ حتى يُواري جَارَتِي الخِدْرُ[١]

وقرئ: "يَعْشُوا"[٢]، على أنّ "مَنْ" موصولة غير مضمنة معنى الشرط.

وحق هذا القارئ: أن يرفع "نُقَيِّض".

وأنكر ابن قتيبة المعنى الذي ذكره الفراء وتابعه عليه الزمخشري، فقال[٣]: لا أرى القول إلا قول أبي عبيدة. قال[٤]: ولم أر أحداً يُجيز: "عَشَوْتُ عن الشيء": أعرضتُ عنه، إنما يقال: "تَعَاشَيْتُ عن كذا"، أي: تغافلتُ عنه، كأني لم أره، ومثله: تَعَاميتُ. والعرب تقول: "عشوتُ إلى النار": إذا استدللتُ إليها ببصر ضعيف[٥].

قال الحطيئة:

متى تأته ....

---

(١) ونسب أيضاً لمسكين الدارمي. انظر: ديوانه (ص:٤٥)، وزاد المسير (١/ ٤١)، وروح المعاني (١/ ١٦٩، ١٢/ ١٤٠) وفيهما: "أعمى" بدل: "أعشق".

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ١٦)، والدر المصون (٦/ ٩٨).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٩٨).

(٤) أي: ابن قتيبة.

(٥) قال الأزهري في التهذيب -على ما في اللسان (١٥/ ٥٦)- بعد أن ذكر هذا: أغفل القتيبي موضع الصواب واعترض -مع غفلته- على الفراء يرد عليه. فذكرت قوله لأبين عواره، فلا يغتر به الناظر في كتابه. والعرب تقول: عشوت إلى النار أعشو عشواً، أي: قصدته مهتدياً به، وعشوت عنها، أي: أعرضت عنها، فيفرقون بين "إلى" و "عن" موصولين بالفعل. ثم نقل عن أبي زيد وأبي الهيثم ما يثبت ذلك ويؤكده.

وقال القرطبي (١٦/ ٧٧): والقول قول أبي الهيثم والأزهري. وقد انتصر الطبري (١١/ ١٨٨) لرأي الفراء، ونقله عن قتادة.

وأنشد البيت.

ومنه حديث ابن المسيب: أن إحدى عينيه ذهبت، وهو يَعْشُو بالأخرى[(١)]، أي: يبصر بصراً ضعيفاً.

فعلى ما ذكره الفراء يكون المعنى على قراءة الأكثرين: ومن يَتَعَامَ ويتجاهل وهو يعرف الحق.

وعلى القراءة القليلة: المعنى: ومن يَعْمَ عن ذكر الرحمن، فيُعِيرُ القرآن أذناً صُمّاً، وعيناً عُمْياً ﴿نقيّض له﴾.

وقرأتُ لجماعة، منهم: خلف ويعقوب: "يُقَيِّضْ له" بالياء[(٢)]، على معنى: يقيّض له الرحمن ﴿شيطاناً﴾ جزاء له على فعله، ﴿فهو له قرين﴾ لا يفارقه.

﴿وإنهم﴾ يعني: الشياطين ليصدون العَاشِين ﴿عن السبيل﴾ وجَمَعَ ضمير "مَنْ" والشيطان في قوله تعالى: ﴿وإنهم ليصدونهم﴾ لإبهام "مَنْ" في جنس العاشي، وإبهام الشيطان.

﴿ويحسبون﴾ يعني: العاشين ﴿أنهم مهتدون﴾.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاءنا﴾ قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر: "جاءانا" بألف بعد الهمزة على التثنية، أي: العاشي وقرينه.

وفي الحديث: «أنهما يُجعلان يوم البعث في سلسلة فلا يفترقان [حتى][(٣)]

---

(١) ذكره أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٢/ ١٦٦).

(٢) النشر (٢/ ٣٦٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٨٦).

(٣) زيادة من الطبري (٢٥/ ٧٤).

يصيرهما الله تعالى إلى النار»[١].

وقرأ الباقون: "جاءنا"[٢]، أي: العاشي وحده.

﴿قال﴾ لقرينه: ﴿يا ليت بيني وبينك بُعْدَ المشرقين﴾ أي: بُعد ما بين المشرق والمغرب، فثنّى باسم أحدهما، كما قالوا: سيرة العُمَرين، يريدون: أبا بكر وعمر، فغُلّب عمر؛ لأنه أخفّ الاسمين.

قال الفرزدق يمدح هشاماً:

فَحُلَّ بسيرةِ العُمَرَيْن فينا شفاءٌ [للقلوبِ][٣] من السِّقَام

والطلحتان: طلحة بن خويلد الأسدي وأخوه: جيال، والأقرعان: الأقرع بن حابس وأخوه: مرثد، والخبيبان: عبدالله بن الزبير وأخوه: مصعب، والحتتفان: الحتتف وأخوه: سيف ابنا أوس بن حميري، وقال الشاعر[٤]:

أَخَذْنَا بآفاقِ السماءِ عليكُم لنا قَمَرَاهَا والنجومُ الطوالع

يريد: الشمس والقمر.

وقال الآخر:

فبَصْرَةُ الأزدِ منَّا والعراقُ لنا والموصِلان ومنّا مصرُ فالحرم[٥]

يريد: الجزيرة والموصل.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٧٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٠)، والكشف (٢/ ٢٥٨-٢٥٩)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٦)، والسبعة (ص:٥٨٦).

(٣) في الأصل: للقوب.

(٤) البيت للفرزدق، وهو في: الطبري (٢٥/ ٧٤)، واللسان (مادة: عنا)، والماوردي (٥/ ٢٢٦).

(٥) انظر البيت في: الطبري (٢٥/ ٧٤)، وزاد المسير (٧/ ٣١٦).

وهذا القول اختيار الفراء والزجاج[١].

وقال ابن السائب: هما مشرق الشمس في أقصر يوم في السنة، ومشرقها في أطول يوم في السنة[٢]. ومثله: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ [الرحمن:١٧].

وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولن ينفعكم اليوم﴾ يريد: يوم القيامة ﴿إذ ظلمتم﴾ أي: أشركتم في الدنيا ﴿أنكم في العذاب مشتركون﴾ في محل الرفع على الفاعلية، تقديره: لن ينفعكم الاشتراك في العذاب كما ينفع الواقعين في الأمر الصعب اشتراكهم فيه[٣]. وقد قررت هذا المعنى بأوضح من هذا فيما مضى.

ويجوز أن يُجعل الفعل للتمني في قوله تعالى: ﴿يا ليت بيني وبينك بُعْد المشرقين﴾ بمعنى: ولن ينفعكم اليوم تمنّي مباعدة القرين.

وقوله تعالى: ﴿أنكم في العذاب مشتركون﴾ تعليل، أي: لن ينفعكم تمنيكم؛

(١) معاني الفراء (٣/ ٣٣-٣٤)، ومعاني الزجاج (٤/ ٤١٢).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣١٦).

(٣) ذكر هذا التقدير الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٢٥٦).

لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناءكم في العذاب، كما كنتم مشتركين في سببه، وهو الكفر.

ويؤيده: ما قرأتُه على أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري رحمه الله من رواية التغلبي عن ابن ذكوان عن ابن عامر: "إنكم" بكسر الهمزة(١).

قوله تعالى: ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين﴾ هذا الاستفهام إنكار تعجيب من أن يكون النبي ﷺ قادر على هدايتهم، حيث كان يدأب نفسه الكريمة في دعائهم، ويحرص على استنقاذهم من هلكة الضلال.

﴿فإما نذهبن بك﴾ مثل قوله تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ [البقرة:٣٨] وقد ذكرنا إعرابها في أوائل البقرة.

والمعنى: فإن قبضناك قبل أن ننصرك عليهم ﴿فإنا منهم منتقمون﴾ في الآخرة، كقوله تعالى: ﴿أو نتوفينك فإلينا يرجعون﴾ [غافر:٧٧].

﴿أو نرينك الذي وعدناهم﴾ يعني: من العذاب.

قال ابن عباس: أراه ذلك يوم بدر(٢).

وقال الحسن وقتادة: عنى بذلك المسلمين(٣).

وقد كان بعد نبي الله ﷺ نقمة شديدة، فأكرم الله تعالى نبيه ﷺ وذهب به قبل أن يريه في أمته ما يكره.

ويروى: أن النبي ﷺ أُري ما يُصيب أمته من بعده، فما رؤي ضاحكاً منبسطاً

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٠)، والسبعة (ص:٥٨٦).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣١٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٨٠) وعزاه لابن مردويه.

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٩٢).

حتى قبضه الله تعالى[١].

ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاعتصام بالقرآن تصريحاً، وأمر غيره به تلويحاً فقال: ﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك﴾ أي: اثبت عليه وادعُ إليه.

وقوله تعالى: ﴿إنك على صراط مستقيم﴾ تعليل لذلك.

﴿وإنه﴾ يعني: القرآن ﴿لذكر لك ولقومك﴾ أي: لشرف لك ولهم.

والمراد بقومه: قريش.

وقال قتادة: كل من تابعه من أمته[٢].

﴿وسوف تسألون﴾ عن حقه وأداء شكره.

قوله تعالى: ﴿وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾

قال ابن عباس وعامة المفسرين: أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأل الأنبياء الذين جُمعوا له ليلة الإسراء[٣].

قال ابن عباس: فلم يسألهم؛ لأنه كان أعرفَ بالله منهم[٤].

قال الزهري: صلى خلفه تلك الليلة كل نبي كان أرسل، وقيل له: اسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا.

ويروى: أن ميكائيل قال لجبريل عليهما السلام: سألك محمد عن ذلك؟

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٧٥).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢٢٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٨٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ٧٨) عن ابن زيد. وذكره الماوردي (٥/ ٢٢٨).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٢٨).

فقال: هو أشد إيماناً وأعظم يقيناً من أن يسأل عن ذلك[١].

وقال الحسن ومجاهد وقتادة: المراد: واسأل أتباع الرسل من قبلك[٢].

وقيل الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِآيَاتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي: باليد والعصا وغيرهما من معجزاته ﷺ ﴿إلى فرعون وملإه﴾ من القبط ﴿فقال إني رسول رب العالمين﴾ فطالبوه بالبينة على دعواه وصدقه في ادعائه.

ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون﴾ أي: يهزؤون ويسخرون وينسبونه إلى السحر.

﴿وما نريهم من آية﴾ من الآيات التسع ﴿إلا هي أكبر﴾ أي: أعظم ﴿من أختها﴾ التي قبلها.

قال صاحب الكشاف[٣]: إن قلت: هو كلام متناقض، لأن معناه: ما من آية

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٢٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٧٥) عن ابن الأنباري.

(٣) الكشاف (٤/ ٢٥٩).

من التسع إلا وهي أكبر من كل واحدة منها، فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة.

قلتُ: الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر، لا يكدن يتفاوتن فيه، وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل، وتتقارب منازلها فيه التقارب[١] اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها، فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك.

فعلى هذا [بنى][٢] الناس كلامهم، فقالوا: رأيت رجالاً بعضهم أفضل من بعض، [وربما][٣] اختلفت آراء الرجل الواحد فيها، فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك. ومنه بيت الحماسة:

مَنْ تَلْقَ منهمْ تَقُلْ لاقيتُ سيِّدَهُم ... مثلَ النجومِ الذي يَسْري بها السَّاري[٤]

ولقد فاضلت الأنمارية بين [الكَمَلَة][٥] من بنيها، ثم قالت -لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة [التفاوت][٦]-: ثَكِلْتُهُم إن كنتُ أعلم أيهم أفضل، هم كالحلقة المفْرَغَة لا يُدْرَى أين طرفاها.

قوله تعالى: ﴿وقالوا يا أيها الساحر ادعُ لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون﴾ وقرأ ابن عامر: "يا أَيُّهُ الساحر"[٧]، وقد ذكرتُ علته في سورة النور في قوله تعالى:

---

(١) في الكشاف: وتتفاوت منازلها فيه التفاوت.

(٢) في الأصل: بنوا. والمثبت من الكشاف (٤/ ٢٥٩).

(٣) في الأصل: ربها. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) البيت في: الدر المصون (٦/ ١٠٢)، وروح المعاني (٢٥/ ٨٧)، والكشاف (٤/ ٢٥٩).

(٥) في الأصل: الكلمة. والتصويب من الكشاف (٤/ ٢٥٩).

(٦) في الأصل: التفوات. والتصويب من الكشاف (٤/ ٢٥٩).

(٧) بضم الهاء. انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٠)، والكشف =

﴿أيها المؤمنون﴾ [النور:٣١].

فإن قيل: هذا كلام يظهر فيه التناقض؛ لأنهم خاطبوه باسم الساحر ثم سألوه الدعاء لهم معترفين بأن له رباً يقدر على كشف ما بهم، ثم أخبروه بأنهم مهتدون؟

قلتُ: قد أجاب عنه الحسن البصري فقال: هو على وجه الاستهزاء منهم[١].

وهو بعيد؛ لأنه لو كان ذلك على طريقة الاستهزاء [فكيف][٢] يكشف عنهم العذاب؟ ثم قوله تعالى: ﴿إذا هم ينكثون﴾ يفسده.

والجواب عن ذلك من وجهين:

أحدهما: أن الساحر عندهم: الماهر في العلم، فأرادوا تعظيمه بذلك. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس[٣].

الثاني: أنهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية. قاله الزجاج[٤].

وقال ابن بحر: أرادوا: يا غالب [السحرة][٥].

وقوله تعالى: ﴿بما عهد عندك﴾ مع ما لم أذكره هاهنا مُفسّر في سورة الأعراف في قصتهم[٦].

= (٢/ ١٣٧)، والإتحاف (ص:٣٨٦)، والسبعة (ص:٥٨٦-٥٨٧).

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٢٠).

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) ذكره الطبري (٢٥/ ٨٠) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٢٠).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤١٤).

(٥) في الأصل: السحر. والتصويب من الماوردي (٥/ ٢٢٩).

(٦) عند الآية رقم: ١٣٥.

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿ونادى فرعون في قومه﴾ أي: أمر رجالاً [فنادوا][1]، كما تقول: قطع الأمير السارق، وعاقب اللص، وقد أمر به. وجائز أن يكون اللعين قال ذلك رافعاً به صوته في ملأ من القبط، فأشاعوه عنه وأذاعوه، فكأنه نادى به فيهم فقال معظماً لنفسه: أليس إليَّ مُلْكُ مصر.

حكى النقاش: أنه كان يملك أربعين فرسخاً في مثلها[2].

ويروى: أن الرشيد رضي الله عنه مرت به هذه الآية يوماً فقال: والله لأولينها أخسّ عبيدي، فولاها الخصيب، وكان على وَضوئه[3].

﴿وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ أراد: النيل، وما يتشعب منه، من ماء أجراه تحت قصوره ودوره وفي بساتينه.

---

(١) في الأصل: فتلاووا. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢٢٩).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٩٩).

ومن الأقوال [البعيدة][(١)]: ما يروى عن الضحاك أنه أراد بالأنهار: القواد والجبابرة الذين كانوا يسيرون تحت لوائه[(٢)].

قال الزمخشري[(٣)]: ويجوز أن تكون الواو عاطفة "للأنهار" على "ملك مصر". و"تجري" نصب على الحال منها، وأن تكون الواو للحال، واسم الإشارة مبتدأ، "الأنهار" صفة لاسم الإشارة، و"تجري" خبر للمبتدأ.

قوله تعالى: ﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مَهين﴾ "أمْ" هذه منقطعة، على معنى: بل أأنا خير، والهمزة للتقرير، كأنه لما عدّد عليهم أسباب فضله قال: قد تقرر عندكم أني أنا خير من هذا الذي هو مهين، [أي][(٤)]: ضعيف حقير.

وقيل: هي متصلة؛ لأن المعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون، إلا أنه وضع قوله تعالى: ﴿أنا خير﴾ موضع "تبصرون"؛ لأنهم إذا قالوا له: أنت خير فهم عنده بُصراء[(٥)].

وهذا الوجه حكاه الزجاج[(٦)] عن الخليل وسيبويه[(٧)].

وقال الفراء وجماعة من أهل المعاني: الوقف على قوله: "أم"، وفيه إضمار، مجازه: أفلا تبصرون أم لا تبصرون. ثم ابتدأ فقال: "أنا خير من هذا الذي هو

---

(١) في الأصل: البعدة.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢٣٠).

(٣) الكشاف (٤/ ٢٦٠).

(٤) زيادة من الكشاف (٤/ ٢٦١).

(٥) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٠-٢٦١).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٤١٥).

(٧) انظر: الكتاب (٣/ ١٧٣).

مهين".

﴿ولا يكاد يبين﴾ أي: يفصح بالكلام. عَظَّمَ اللعينُ نفسه أولاً بـما ذكـر مـن ملكه وعظمة شأنه وعز سلطانه، ثم هَضَمَ نبيَّ الله ﷺ ثانياً بما افتراه عليه من المهانة ونسبه إليه من اللُّكْنَة والعيّ في القول حين عجز مع قوة سلطانه وكثرة أعوانه عن معارضة آياته ومناقضة بيناته.

ثم أخذ يُموّه عليهم ويخيّل إليهم أن النبوة يلازمهـا المُلْـك والقُـدْرَة عـلى[1] المتَّصِف بها، فقال: ﴿فلـولا﴾ أي: هـلاّ ﴿ألقـي عليـه أسَـاوِرَةٌ﴾ وقـرأ حفـص: "أَسْوِرَةٌ"[2].

﴿من ذهب﴾ يريد: هلاّ كان مَلِكاً، وإنما قـال ذلـك؛ لأنهـم كـانوا إذا أرادوا تسويد الرجل وتفويض مقاليد الملك إليه سوّروه بسوار وطوّقوه بطوق من ذهب.

وقد ذكرنا في سورة الكهف[3] ما يوضح ذلك الفرق بين "أساور" و"أسورة".

فإن قيل: ما هذه الهاء اللاحقة بـ"أساور"؟

قلتُ: قال أبو علي[4]: هي عوض مـن اليـاء التـي ينبغـي أن تُلحـق في جمـع [إسوارٍ][5] على حَدِّ: إعصارٌ وأعاصير.

ويجوز أن تكون "أساورة" جمع أَسْوِرَة، مثل: أَسْقِيَةٍ وأساقٍ، ولحقت علامـة

---

(١) في الأصل زيادة قوله: يريد.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥١)، والكشف (٢/ ٢٥٩)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٦)، والسبعة (ص:٥٨٧).

(٣) عند الآية رقم: ٣١.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٧-٣٧٨).

(٥) في الأصل: أساور. والتصويب من الحجة (٣/ ٣٧٧).

التأنيث كما لحقت في قَشْعَم[١] وقشاعمة.

﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ قال قتادة: متتابعين[٢].

وقال مجاهد: يمشون معه[٣].

فإن قيل: فرعون لم يكن مؤمناً بالله ولا مقراً بالملائكة، فما معنى هذا القول منه؟

قلتُ: هذا ليس على معنى الاعتراف منه بالملائكة، وإنما هو على سبيل الفرض والتقدير، أي: هب أن الأمر كما ذكره من أن له رباً قادراً، عنده ملائكة هم في قبضته وتحت قهر سلطانه، فهلاَّ أيّده بجند من الملائكة ليعاضدوه ويناصروه، ويكونوا [دليلاً][٤] على صدقه؟.

قوله تعالى: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ أي: استفزهم لِمَا أراد منهم فأجابوه.

قوله تعالى: ﴿فلما آسفونا﴾ قال ابن عباس وغيره: أغضبونا[٥].

---

(١) القَشْعَم: المسن من الرجال، والنسور، ومن أسماء الأسد، والجمع: قشاعم (لسان العرب، مادة: قشعم).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٨٣) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٥٨٢)، والطبري (٢٥/ ٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٨٣) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) في الأصل: ديلاً.

(٥) أخرجه الطبري (٢٥/ ٨٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٨٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

قال ابن قتيبة[(١)]: الأَسَف: الغضب، يقال: أَسِفَ يأْسَفَ أَسَفاً: إذا غضب[(٢)].

قوله تعالى: ﴿فجعلناهم سلفاً﴾ قرأ حمزة والكسائي: بضم السين واللام، والباقون بفتحها[(٣)].

قال مكي[(٤)]: من ضَمَّ جعله جمعاً لـ"سَلَف"، كأَسَد وأُسُد، ووَثَن ووُثُن، وهو كثير.

وقيل: هو جمع سليف، كرغيف ورغف، وهو كثير أيضاً.

والسَّليف: المتقدم، والعرب تقول: مضى منا سَلَف وسُلُف وسَلِيف.

ومن فتحه حمله على بناء يقع للكثرة في الجمع، جعله جمع سالف؛ كخادم وخَدَم، وغائب وغيب. فالقراءتان في معنى واحد.

قال المفسرون: المعنى: فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار، ويقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم[(٥)].

﴿ومثلاً﴾ عبرة لهم.

وقيل: "مثلاً": حديثاً عجيب الشأن، يجري فيهم مجرى المثل.

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٩٩).

(٢) انظر: اللسان (مادة: أسف).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥١)، والكشف (٢/ ٢٦٠)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٦)، والسبعة (ص:٥٨٧).

(٤) الكشف (٢/ ٢٦٠).

(٥) أخرجه الطبري (٢٥/ ٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٨٤) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠ ﴾

قوله تعالى: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون﴾ أطبق جمهور المفسرين أن نزول هذه الآية وما في حيزها كان بسبب قصة عبدالله بن الزبعرى ومجادلته النبي ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ [الأنبياء:٩٨]، وقد ذكرنا قصته في آخر الأنبياء[١]، وأن ابن الزبعرى قال: إن عيسى قد عُبِدَ من دون الله تعالى، وأن قريشاً استبشرت وتضاحكت فرحاً بفلجهم بالحجة على ظنهم.

فمعنى الآية: ولما ضرب عبدالله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلاً وجاء ذلك به حيث عبدته النصارى إذا قومك منه يصدون، أي: من هذا المثل، "يصدون": يصيحون ويَضِجُّون فرحين ضاحكين، من الصَّديد وهو الجلبة.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر والكسائي: "يَصُدُّون" بضم الصاد[٢].

قال الزجاج[٣]: الكسر أكثر، ومعناهما جميعاً: [يَضِجُّون][٤]. ويجوز أن يكون

(١) عند الآية رقم: ١٠١.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٢)، والكشف (٢/ ٢٦٠)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٦)، والسبعة (ص:٥٨٧).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٤١٦).

(٤) في الأصل: يضحكون. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

معنى المضمومة: يُعْرِضُون. يعني: يَصُدُّون من الصُّدود. وهو قول الأخفش وقطرب[1]، على معنى: إذا قومك من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه.

﴿وقالوا أآلهتنا خير أم هو﴾ قرأ أهل الكوفة: "أآلهتنا" بهمزتين محققتين بعدهما ألف، وقرأ الباقون بتحقيق الأولى وتليين الثانية، واتفقوا على ترك الفصل بينهما[2].

والمعنى: أن آلهتنا عندك ليست خيراً من عيسى، فإذا كان عيسى من حصب جهنم كان أمر آلهتنا هيناً.

﴿ما ضربوه﴾ أي: ما ضربوا هذا المثل ﴿لك إلا جدلاً﴾ لأجل الجدال، لا طلباً للتمييز بين الحق والباطل، وهو حال على معنى: ما ضربوه لك إلا جدلين؛ لأنهم قد علموا أن المراد بذلك آلهتهم.

﴿بل هم قوم خصمون﴾ لك، شداد الخصومة.

قوله تعالى: ﴿إن هو إلا عبد﴾ يعني: عيسى ﴿أنعمنا عليه﴾ بالنبوة والكتاب ﴿وجعلناه﴾ حيث خلقناه من غير ذكر ﴿مثلاً لبني إسرائيل﴾ عبرة عجيبة وآية عظيمة لهم.

﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ أي: لولدنا منكم يا بني آدم بقدرتنا التي نجبل بها ما نشاء إلى ما نشاء ﴿ملائكة في الأرض يخلفونـ﴾ـكم فيها كما يخلفكم أولادكم.

وفي هذا إيذان بكمال قدرة الله تعالى جلَّت عظمته وتعريض لنفي ما أثبتوه

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٣٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٣)، والكشف (٢/ ٢٦٠)، والإتحاف (ص:٣٨٦)، والسبعة (ص:٥٨٧).

للملائكة من كونها بنات الله.

وقال أكثر المفسرين: المعنى: لو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يخلف بعضهم بعضاً، أو يخلفونكم في الأرض(١).

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ قال الحسن وسعيد بن جبير: الضمير في "وإنه" للقرآن(٢).

وقال ابن عباس والجمهور: الضمير لعيسى عليه السلام(٣). وهو الصحيح.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٨٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٩١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٨٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ٩٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٨٦-٣٨٧) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور ومسدد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني من طرق عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن أبي هريرة وعزاه لعبد بن حميد. ومن طريق آخر عن مجاهد =

والمعنى: وإن عيسى بن مريم شرطٌ من أشراط الساعة تُعْلَمُ به، فسمي الشرط علماً لحصول العلم به.

وقيل: المعنى: وإنه لدليل على الساعة والبعث بما أجري على يديه من إحياء الموتى.

وقرأ جماعة، منهم: ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وابن محيصن، وحميد: "لَعَلَمٌ" بفتح العين واللام[1]، أي: علامة وأمارة على الساعة وكونها، أو على قربها.

والأول أوجه؛ لقوله تعالى: ﴿فلا تمترن بها﴾.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي، وأبو الحسن الصوفي البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا ابن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((كيف أنتم إذا [نزل][2] عيسى بن مريم فيكم وإمامكم منكم))[3].

هذا حديث متفق على صحته. أخرجه مسلم عن حرملة بن يحيى، عن ابن وهب، عن يونس.

= وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. ومن طريق آخر عن الحسن وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. ومن طريق آخر عن قتادة وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(١) انظر هذه القراءة في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٨٦)، وزاد المسير (٧/ ٣٢٥).

(٢) زيادة من الصحيحين.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧٢ ح٣٢٦٥)، ومسلم (١/ ١٣٦ ح١٥٥).

وقرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم محمد بن أسعد فأقرَّ به، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(١)، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا عبدالرحمن بن أبي شريح(٢)، أخبرنا أبو القاسم البغوي(٣)، حدثنا علي بن الجعد(٤)، أخبرنا [عبدالعزيز بن](٥) عبدالله بن الماجشون(٦)، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، فيفيض المال حتى لا يقبله أحد))(٧). هذا حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري عن إسحاق، عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح. وأخرجه مسلم عن قتيبة، عن الليث، كل عن ابن شهاب.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣٠٨).

(٢) عبد الرحمن بن أبي شريح أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن مخلد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن ثابت الأنصاري، أبو محمد المعروف بالشريحي، فقيه ثقة زاهد، مات سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة (تكملة الإكمال ٣/ ١٦٢، ٥١٠).

(٣) عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان، أبو القاسم البغوي، الحافظ الصدوق، كان ثقةً ثبتاً مكثراً، فهماً عارفاً، ولد سنة أربع عشرة ومائتين، ومات ليلة الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة (لسان الميزان ٣/ ٣٣٨-٣٣٩، وتاريخ بغداد ١٠/ ١١١-١١٦).

(٤) علي بن الجعد بن عبيد الجوهري، أبو الحسن البغدادي، مولى بني هاشم، ثقة ثبت رمي بالتشيع، مات سنة ثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٥٦-٢٥٧، والتقريب ص:٣٩٨).

(٥) زيادة من البغوي (١/ ٣٠٨).

(٦) عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون، كنيته أبو عبدالله، مات بالعراق سنة ست وستين ومائة، وكان فقيهاً ورعاً متابعاً لمذاهب أهل الحرمين من أسلافه (رجال مسلم ١/ ٤٢٨).

(٧) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧٢ ح٣٢٦٤)، ومسلم (١/ ١٣٥ ح١٥٥).

قوله: "يكسر الصليب، ويقتل الخنزير" إشارة إلى أنه يُبطل دين النصرانية، ويحكم بالشريعة المحمدية.

قوله: "ويضع الجزية" أي: يسقطها، ويحمل أهل الكتاب على دين الإسلام.

وقيل: معنى وضع الجزية: أن المال يكثر حتى لا يوجد محتاج، يدل عليه تمام الحديث.

وفي حديث آخر: «أن عيسى عليه السلام ينزل على ثنية من الأرض المقدسة، يقال لها: أَفِيق[١]، وعليه مُمَصَّرتان[٢]، وشعر رأسه دهين، وبيده حربة، هي التي يقتل بها الدجّال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الغداة والإمام يؤم بهم، فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى عليه السلام، ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويُخَرِّبُ البِيَع والكنائس، ويقتل النصارى إلا من آمن به»[٣].

قوله تعالى: ﴿واتبعوني﴾ أي: اتبعوا هُداي وشرعي، ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي: هذا الذي أدعوكم إليه، أو هذا القرآن، على قول الحسن وسعيد[٤].

قوله تعالى: ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ آيات الإنجيل وما أوتي من العلم، ﴿قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ لأنهم كانوا

---

(١) أفيق، بوزن: أمير، والمراد بها: القدس الشريف (روح المعاني ٢٥/ ٩٦).

(٢) أي: حلتان.

(٣) قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٥٤): غريب بهذا اللفظ، وهو في تفسير الثعلبي هكذا من غير سند، وهو مفرق في غضون الأحاديث.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٣٦) عن الحسن.

يختلفون في أمور دينية وغير دينية، فجاء ببيان ما اختلفوا فيه من الدين.

وما بعده مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿الأخلاَّء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ الموحدين العاملين بطاعة الله تعالى، فإن خِلَّتهم تزداد يوم القيامة وتقربهم إلى الله تعالى.

قال مقاتل(١): نزلت في أمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط.

يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾

قال محمد بن جرير رحمه الله(٢): حدثنا ابن عبدالأعلى قال: [حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قال](٣): حدثنا المعتمر، عن أبيه قال: سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد إلا فزع، فينادي مناد: يا عباد الله لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، فيرجوها الناس كلهم، فيتبعها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، فييأس [الناس](٤) منها غير المسلمين.

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٩٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٥/ ٩٥).

(٣) زيادة من تفسير الطبري، الموضع السابق.

(٤) مثل السابق.

وفي لفظ آخر: ينادي مُناد يوم القيامة: ﴿يا عبادي ... الآية﴾، [فيرفع][1] الخلائق رؤوسهم، فيقول: الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، فينكس الكفار رؤوسهم[2].

وقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا﴾ في محل النصب صفة لـ"عبادي"[3].

﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ قرناؤكم أو زوجاتكم، "تحبرون" تنعمون وتسرون سروراً يظهر حباره، أي: أثره عليكم.

وقد فسرنا "تحبرون" في سورة الروم[4].

قوله تعالى: ﴿يُطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب﴾ الصِّحَاف: جمع صَحْفَة، وهي القَصْعَة[5]، والأكواب: جمع كُوب، وهو إناء مستدير لا عُروة له[6].

قال الفراء وغيره[7]: الكوب: [الكوز][8] المستدير الرأس الذي لا عُروة له ولا خرطوم. قال عدي:

مُتَّكِئاً تَصْفِقُ أبوابُهُ يَسْعَى عليه العبدُ بالكُوب[9]

---

(١) في الأصل: فيرجع. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٣٢٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٢٧).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ١٠٦).

(٤) عند الآية رقم: ١٥.

(٥) انظر: اللسان (مادة: صحف).

(٦) انظر: اللسان (مادة: كوب).

(٧) انظر: معاني الفراء (٣/ ٣٧)، وزاد المسير (٧/ ٣٢٨)، واللسان (مادة: كوب).

(٨) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

(٩) البيت لعدي بن زيد، وهو في: اللسان (مادة: كوب، صفق)، ومعاني الفراء (٣/ ٣٧)، والدر =

وقال الأعشى:

صَريفيَّةٌ [طَيِّبٌ][(١)] طعمُها لها زبدٌ بين كُوبٍ ودَنِّ[(٢)]

قال بعض أهل [اللغة][(٣)]: إنها كانت بغير عرى ليشرب الشارب من أين ناحية منها شاء[(٤)].

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لَمَنْ له سبع درجات، وهو على السادسة وفوقه سبعة، وإن له لثلاثمائة خادم، ويُغْدَى عليه ويراح بثلاثمائة صحفة، ولا أعلمه [إلا قال][(٥)]: من ذهب في كل صحفة لون ليس في الأخرى، وإنه ليلذ أوله كما [يلذ][(٦)] آخره، وإنه ليقول: يا رب لو أذنت [لي][(٧)] لأطعمتُ أهل الجنة وسقيتهم [لم ينقص][(٨)] مما عندي شيء، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه التي في الدنيا، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من

= المصون (٦/ ١٠٦)، والقرطبي (١٦/ ١١٤)، وزاد المسير (٧/ ٣٢٨)، والبحر (٨/ ٦).

(١) في الأصل: طيباً. والتصويب من مصادر البيت.

(٢) البيت للأعشى، وهو في: اللسان (مادة: صرف)، والطبري (٢٥/ ٩٦، ٢٧/ ١٧٤)، والقرطبي (١٦/ ١١٤).

(٣) زيادة على الأصل. وانظر: زاد المسير (٧/ ٣٢٨).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٢٨) من قول أبي منصور اللغوي.

(٥) في الأصل: قال إلا. والتصويب من المسند (٢/ ٥٣٧).

(٦) في الأصل: يذل. والتصويب من المسند، الموضع السابق.

(٧) زيادة من المسند، الموضع السابق.

(٨) في الأصل: لا نقص. والمثبت من المسند، الموضع السابق.

الأرض))[١].

وقرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم أبو منصور الطوسي فأقرّ بـه قـال: حدثنا الحسين بن مسعود الفراء قـال: أخبرنـا ابـن أبي توبـة، أخبرنـا أبـو طـاهر [الحارثي][٢]، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبدالله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن محمد بـن سـليم، عـن الحجاج بن عتاب العبدي[٣]، عن عبدالله بن معبد الزِّمَّاني[٤]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((أدنى أهل الجنة منزلة وما منهم دان لمـن يغـدو عليـه [ويـروح][٥] عشرة آلاف خادم، مع كل خادم منهم طريفة ليست مع صاحبه))[٦].

قوله تعالى: ﴿وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين﴾ وقرأ نـافع وابـن عـامر وحفص: ﴿تشتهيه الأنفس﴾ بإثبات الهاء[٧].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٣٧ ح١٠٩٤٥).

(٢) في الأصل: الحازني. والتصويب من البغوي (٤/ ٢٨٤).

(٣) حجاج بن عتاب العبدي، أبو خليفة، من أهل البصرة، يروى عن عبد الله بن معبد الزماني، روى عنه أبو هلال الراسبي، وقيل: إن هذا والد عمر بن أبى خليفة (الثقات ٦/ ٢٠٣).

(٤) عبد الله بن معبد الزماني البصري، تابعي ثقة، روى عن أبي قتادة، وأبي هريرة، وعبد الله بن عتبة بن مسعود، وأرسل عن عمر، وعنه قتادة، وغيلان بن جرير، وثابت البنـاني، والحجـاج بـن عتـاب العبدي (تهذيب التهذيب ٦/ ٣٦، والتقريب ص:٣٢٤).

(٥) في الأصل: ويرح. والتصويب من البغوي (٤/ ٢٨٤).

(٦) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٨٤).

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٤)، والكـشف (٢/ ٢٦٠)، والنـشر (٢/ ٣٧٠)، والإتحاف (ص:٣٨٧)، والسبعة (ص:٥٨٨-٥٨٩).

قال أبو علي[1]: هذا الفعل في صلة "ما"، والهاء عائدة على "ما"، فجاء بالكلام على أصله.

ومن قرأ: "تشتهي" بحذف الهاء؛ فلأن هذا الاسم قد طال بالصلة، والأسماء إذا طالت حسن الحذف فيها، قال[2]: وحذف هذه الهاء من الصلة في [الحسن][3] كإثباتها، إلا أن الحذف يرجح على الإثبات بأن عامة هذا النحو جاء في التنزيل على الحذف، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ [الفرقان:٤١]، ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ [النمل:٥٩]، و﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾ [هود:٤٣]، وقد جاءت هذه الهاء مثبتة في قوله تعالى: ﴿إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ [البقرة:٢٧٥].

وبالإسناد السالف قال: حدثنا ابن المبارك، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد[4]، عن عبد الرحمن بن سابط[5] قال: [قال][6] رجل: «يا رسول الله! أفي

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٢).

(٢) أي: أبو علي الفارسي في الحجة (٣/ ٣٨٢).

(٣) في الأصل: حسن. والتصويب من الحجة، الموضع السابق.

(٤) علقمة بن مرثد الحضرمي، أبو الحارث الكوفي، ثقة (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٤٦، والتقريب ص:٣٩٧).

(٥) عبد الرحمن بن سابط -ويقال: عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط، وهو الصحيح، ويقال: عبدالرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سابط- بن أبي حميضة بن عمرو بن أهيب بن حذافة بن جمح الجمحي المكي، تابعي ثقة كثير الإرسال، مات سنة ثماني عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ٦/ ١٦٣، والتقريب ص:٣٤٠).

(٦) زيادة من البغوي (٤/ ١٤٥).

الجنة خيل؟ فإني أحب الخيل، فقال: إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء فتطير [بك][1] في أيّ الجنة شئت إلا فعلت، فقال أعرابي: يا رسول الله! أفي الجنة إبل، فإني أحب الإبل؟ قال: يا أعرابي إن أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك»[2].

قوله تعالى: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ وقال الزمخشري[3]: "تلك" إشارة إلى الجنة المذكورة. وهي مبتدأ، خبرها: "الجنة"، "التي أورثتموها" صفة "الجنة". أو "الجنة": صفة للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة. و"التي أورثتموها": خبر المبتدأ. أو "التي أورثتموها": صفة، و"بما كنتم تعملون": الخبر، والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع أخباراً. وفي الوجه الأول تتعلق بـ"أورثتموها".

﴿منها تأكلون﴾ "مِنْ" للتبعيض، أي: لا تأكلون إلا بعضها، وأعقابها باقية في شجرها، فهي مزينة بالثمار أبداً موقرة بها، لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا.

قال ثوبان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها»[4].

---

(١) زيادة من البغوي (٤/ ١٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٨١ ح٢٥٤٣). وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٤٥).

(٣) الكشاف (٤/ ٢٦٦).

(٤) أخرجه الحاكم (٤/ ٤٩٦ ح٨٣٩٠) مطولاً.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم﴾ أي: لا يخفف ولا ينقص من قولهم: فَتَرَتْ عنه الحمى؛ [إذا سكت عنه قليلاً ونقص حرّها][1].

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد[2] رضي الله عنه من حديث عمرو بن ميمون قال: قال عبدالله بن مسعود: «لو وعد أهل النار أن يخفف عنهم يوماً من العذاب لماتوا فرحاً».

﴿وهم فيه مبلسون﴾ ساكتون سكوت يأس من الفرج.

وقد ذكرنا معنى الإبلاس في سورة الأنعام[3].

﴿وما ظلمناهم﴾ بالتعذيب من غير ذنب ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ بما جنوا على أنفسهم.

﴿ونادوا يا مالك﴾ وقرأ جماعة، منهم: علي بن أبي طالب، وعبدالله بن

---

(١) زيادة من الكشاف (٤/ ٢٦٦).

(٢) الزهد (ص:٢٠٢).

(٣) عند الآية رقم: ٤٤.

مسعود، وابن يعمر: "يا مَالِ" بحذف الكاف وكسر اللام للترخيم[١].

وقرأ الغنوي: "يا مَالُ" بالترخيم أيضاً، ورفع اللام[٢].

ويروى أن ابن عباس قيل له: إن ابن مسعود قرأ: "ونادوا يا مَالِ" فقال: ما أشغل أهل النار عن الترخيم[٣].

وقال الزجاج[٤]: أكرهها لمخالفة المصحف.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن عطاء، عن صفوان بن[٥] يعلى، عن أبيه قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾»[٦].

والمعنى: سَلْهُ أن يميتنا فنستريح.

قال ابن عباس: فيجيبهم مالك بعد ألف سنة: ﴿إنكم ماكثون﴾[٧].

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٢٩)، والدر المصون (٦/ ١٠٧).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٢٧-٢٨)، والدر المصون (٦/ ١٠٧).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٦).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤٢٠).

(٥) في الأصل زيادة قوله: "أبي". وانظر ترجمته في: التهذيب (٤/ ٣٧٩)، وتهذيب الكمال (١٣/ ٢١٨).

(٦) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢١ ح٤٥٤٢).

(٧) أخرجه الطبري (٢٥/ ٩٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٦)، والحاكم (٢/ ٤٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٩٤) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وغيرهم.

قال عبدالله بن عمرو: هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك[١].

وقال بعضهم: الضمير في "قال" [لله][٢] تعالى، أي: قال الله إنكم ماكثون، بدليل قوله تعالى: ﴿لقد جئناكم بالحق﴾ أي: أتيناكم بالحق على ألسنة الرسل ﴿ولكن أكثركم للحق كارهون﴾.

يروى عن ابن عباس أنه قال في قوله: ﴿ولكن أكثركم﴾: يريد: كلكم[٣].

وكان الزجاج ينكر هذا، ويقول: الصحيح: أن البعض لا يكون بمعنى الكل. وقد ذكرنا مثل ذلك فيما مضى من كتابنا.

فإن قيل: إذا لم يكن المراد بالأكثر هاهنا الكل، فما معنى الآية، وإنما هذا الخطاب للكفار، وكلهم كرهوا الحق؟

قلتُ: هذا توبيخ لهم وهم في النار على كراهيتهم للحق ونفورهم منه في الدنيا.

المعنى: أتيناكم بالحق فكرهه أكثركم، وهم الذين أصروا على الكفر والأمر به؛ لأنهم أكثر من الذين آمنوا.

قوله تعالى: ﴿أم أبرموا أمراً﴾ أي: أم أحكموا أمراً يكيدونك به يا محمد.

قال أكثر المفسرين: وذلك حين اجتمعوا في دار الندوة، وقد ذكرناه في الأنفال[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٢٩ ح٣٤٩٢).

(٢) في الأصل: الله.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٣٠).

(٤) عند الآية رقم: ٣٠.

وقال الفراء[١]: المعنى: أم أبرموا أمراً ينجيهم من العذاب.

﴿فإنا مبرمون﴾ محكمون أمراً ندرأ به كيدهم.

﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم﴾ أي: ما حدثوا به أنفسهم ﴿ونجواهم﴾ فيما بينهم ﴿بلى﴾ نسمعهما ونطلع عليهما ﴿ورسلنا﴾ الحفظة ﴿لديهم﴾ عندهم ﴿يكتبون﴾ أقوالهم وأفعالهم.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد لمن افترى الكذب عليَّ ونسب الولد إليّ من العرب واليهود والنصارى: ﴿إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾.

اختلفوا في "إنْ" على مذهبين:

أحدهما: أنها شرطية على أصلها. ثم في معنى الكلام خمسة أوجه:

أحدها: إن كان للرحمن ولد على زعمكم وفي قولكم فأنا أول الجاحدين أن لله ولداً. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٣٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٩٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

ويروى أن أعرابيين اختصما إلى ابن عباس فقال أحدهما: إن هذا كانت لي في يده أرض فَعَبَدَنِيها، فقال ابن عباس: الله أكبر، فأنا أول العابدين الجاحدين أن لله ولداً[١].

الثاني: إن كنتم تزعمون أن للرحمن ولداً فأنا أول الموحدين الذين يعبدون الله مخالفين قولكم. وهذا قول مجاهد والزجاج[٢].

والثالث: فأنا أول الآنفين من هذا القول.

قال ابن قتيبة[٣]: يقال: عَبِدتُ من كذا أعبَدُ عَبَداً، فأنا عَبِد وعَابِد. قال الفرزدق:

.... وأعبَدُ أن [تُهْجَى][٤] تميم [بدارم][٥]

أي: آنف. قاله ابن السائب وأبو عبيدة[٦].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٣١).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٥٨٤)، والطبري (٢٥/ ١٠١). وانظر: معاني الزجاج (٤/ ٤٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٩٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٤٠١).

(٤) في الأصل: تهجو. والتصويب من ب، ومن مصادر البيت.

(٥) عجز بيت للفرزدق، وصدره: (أولئك قوم إن هجوني هجوتهم)، وهو في: زاد المسير (٧/ ٣٣٢)، والإنصاف (٢/ ٦٣٧). وما بين المعكوفين في الأصل: بداهم. والتصويب من المصادر السابقة. ويروى:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم وأعبد أن أهجو كليباً بدارم

انظر: المحتسب (٢/ ٢٥٨)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٠٦)، والبحر (٨/ ٢٨)، والدر المصون (٦/ ١٠٨).

(٦) انظر: زاد المسير (٧/ ٣٣١)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٠٦).

قال ابن جني[١]: روينا عن [قطرب][٢] أن العابد: العالم، والعابد: الجاحد، والعابد: الأَنِف الغضبان.

قال: ومعنى هذه الآية يحتمل كل هذه المعاني.

الرابع: "إن كان للرحمن ولد": أن المعنى: إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عَبَدَ الله، لكني لست أول من عَبَدَ الله فلا يكون لله ولد. وهذا المعنى حكاه الواحدي عن سفيان بن عيينة[٣].

الخامس: إن صح أن للرحمن ولد، أو ثبت ببرهان صحيح توردونه، فأنا أول من يُعظِّمُ ذلك الولد ويعبده.

وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض، وهو المبالغة في نفي الولد، وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد، وهي محال في نفسها، فكان المعلق بها محالاً مثلها، فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة، وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها. [وهذا][٤] اختيار صاحب الكشاف[٥].

المذهب الثاني: أنها "إنْ" النافية. قاله الحسن وقتادة وابن زيد وآخرين[٦]. فيكون المعنى: ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين، أول من عَبَدَ الله وحده من

---

(١) المحتسب (٢/ ٢٥٨).

(٢) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٣) الوسيط (٤/ ٨٣).

(٤) زيادة على الأصل.

(٥) الكشاف (٤/ ٢٦٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٠١). وذكره الماوردي (٥/ ٢٤٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٣٢).

هذه الأمة، أو فأنا أول الآنفين من هذا القول.

ويروى: أن النضر بن عبد الدار قال: إن الملائكة بنات الله، فنزلت هذه الآية، فقال النضر: ألا ترون أنه قد صدقني. فقال له الوليد بن المغيرة: ما صدقك ولكن قال: ما كان للرحمن ولد فإنه أول الموحدين من أهل مكة: أن لا ولد له[1].

ثم نزّه الله سبحانه وتعالى نفسه بالآية التي تليها.

﴿فذرهم يخوضوا﴾ في باطلهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم ﴿حتى يلاقوا﴾ وقرأ جماعة، منهم أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن محيصن: "حتى يَلْقَوا" بفتح الياء وسكون اللام وفتح القاف من غير ألف، وبها قرأتُ لأبي جعفر[2].

﴿يومهم الذي يوعدون﴾ وهو يوم القيامة.

وأكثر المفسرين يقولون: هذه منسوخة بآية السيف[3]، وقد أسلفنا في غضون كتابنا أن هذا وأمثاله خارج مخرج التهديد، كقوله تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ [المدثر:١١].

قوله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ قال الزجاج[4]: المعنى: هو الموحَّدُ في السماء وفي الأرض.

وقرأ جماعة، منهم: عمر بن الخطاب، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وابن السميفع، وابن يعمر، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: "وهو الذي

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٩).

(٢) انظر: النشر (٢/ ٣٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٨٧).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٨)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٥).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤٢١).

في السماء اللهُ وفي الأرض الله"[١]. والمقصود نفي آلهة سواه جلّت عظمته، وإبطال ما كانوا ينتحلونه من عبادة الأصنام.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ كانوا يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، حتى أن النضر بن الحارث ونفراً معه قالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن نتولى الملائكة، فهم أحق بالشفاعة من محمد، فنزلت هذه الآية[٢].

﴿إلا من شهد بالحق﴾ استثناء منقطع، على معنى: لكن من شهد بالحق، وهو يوحِّد الله تعالى، وعلَّمه علماً سليماً من الشك، فهو الذي يملك الشفاعة.

وقيل: هو استثناء متصل؛ لأن في جملة "الذين يدعون من دون الله": الملائكة وعيسى وعزيراً. والأول قول قتادة والأكثرين[٣]، والثاني قول مجاهد[٤].

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٣٣)، والدر المصون (٧/ ١٠٩).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٣٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٠٥). وذكره الماوردي (٥/ ٢٤٢).

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٩٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

والواو في قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ واو الحال.

قوله تعالى: ﴿وقيله﴾ قرأ عاصم وحمزة: "وقيلِه" بكسر اللام. وقرأ الباقون بنصب اللام[١].

وقرأ جماعة، منهم: أبو هريرة، وأبو رزين، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء، والجحدري، وقتادة: "وقيلُه" برفع اللام[٢].

فمن قرأ بالجر عطفه على "الساعة"، أي: وعنده علم الساعة وعلم قِيله.

ومن نصب احتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يحمله على موضع: "وعنده علم الساعة"، على معنى: ويعلم الساعة ويعلم قِيلَه. وهو اختيار الزجاج[٣].

الثاني: أن يكون منصوباً على المصدر، والعامل فيه فعل مضمر، التقدير: ويقول قيلَه.

الثالث: أن يحمله على: "سرّهم ونجواهم"[٤]، التقدير: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيلَه. ذكرهما الأخفش. وذكر الأوجه الثلاثة أبو علي[٥].

وقال مكي[٦]: هو معطوف على مفعول "يكتبون" المحذوف، تقديره:

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٥)، والكشف (٢/ ٢٦٢)، والنشر (٢/ ٣٧٠)، والإتحاف (ص:٣٨٧)، والسبعة (ص:٥٨٩).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٣٤-٣٣٥)، والدر المصون (٦/ ١١٠).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٤٢١).

(٤) قوله: "ونجواهم" مكرر في الأصل.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٢-٣٨٣).

(٦) الكشف (٢/ ٢٦٢).

[ورسلنا لديهم][١] يكتبون ذلك وقيلَه.

قال[٢]: ويجوز أن يكون معطوفاً على مفعول "يعلمون" المحذوف. ذكر هذين الوجهين مع الثلاثة المتقدمة[٣].

ومن رفع فعلى الابتداء، والخبر ما بعده، أو هو محذوف، تقديره: وقيلُه يا رب مسموع، أو مُتقبَّل.

قوله تعالى: ﴿فاصفح عنهم﴾ أعرض عنهم ﴿وقل سلام﴾ مثل قوله في القصص: ﴿سلام عليكم﴾ [القصص:٥٥]. وهذا منسوخ عند المفسرين بآية السيف[٤].

ثم [هددهم][٥] بقوله تعالى: ﴿فسوف يعلمون﴾.

وقيل: المعنى: فسوف يعلمون أنك صادق عند حلول العذاب بهم.

ويحتمل عندي أن يكون المعنى: فسوف يعلمون صدقك عند استفحال سلطانك وانتشار دعوتك، وظهور دينك.

وقرأ نافع وابن عامر: "فسوف تعلمون" بالتاء، على الأمر للنبي ﷺ بمخاطبتهم[٦].

---

(١) زيادة من الكشف (٢/ ٢٦٢).

(٢) أي: مكي في الكشف.

(٣) الكشف (٢/ ٢٦٣).

(٤) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٨)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٥).

(٥) في الأصل: هدهم.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٦)، والكشف (٢/ ٢٦٣)، والنشر (٢/ ٣٧٠)، والإتحاف (ص:٣٨٧)، والسبعة (ص:٥٨٩).

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ست وخمسون آية في المدني وسبع في الكوفي[1]، وهي مكية بإجماعهم.

قال: أخبرنا أبو [المجد][2] محمد بن أبي بكر [الكرابيسي][3]، أخبرنا الشيخان أبو المحاسن عبدالرزاق بن إسماعيل [بن][4] محمد وابن عمه أبو سعيد المطهر بن عبدالكريم بن محمد قالا: أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن [حمد][5] بن الحسن الدوني، أخبرنا القاضي أبو نصر أحمد بن الحسين بن [الكسار][6] الدينوري، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن السني قال: أخبرنا الحسن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((من قرأ سورة الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفوراً له))[7].

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢٥).

(٢) في الأصل: المجلد. وقد سبق صوابه كما أثبتناه.

(٣) في الأصل: الكربيسي. وقد سبق صوابه كما أثبتناه.

(٤) زيادة على الأصل.

(٥) في الأصل: أحمد. وقد سبق صوابه كما أثبتناه.

(٦) في الأصل: الكساب. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥١٤).

(٧) أخرجه الترمذي (٥/ ١٦٣ ح٢٨٨٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣١٩).

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ هذا جواب القسم، والكنايةُ راجعةٌ إلى "الكتاب"، وهو القرآن، و"الليلة المباركة": ليلة القدر، في قول ابن عباس وعامة المفسرين[١]، وقد ذكرنا كيفية إنزاله في ليلة القدر في مقدمة الكتاب.

وسنذكر إن شاء الله تعالى معنى بركتها وفضيلتها في سورة القدر.

وقال عكرمة: في ليلة النصف من شعبان[٢].

وهذا بعيد من وجهين[٣]:

أحدهما: أنه خلاف ما عليه عامة أهل العلم.

الثاني: أنه يناقض قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر:١].

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله[٤]: الرواية عن عكرمة بذلك

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٩٨-٤٠٠) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد. ومن نفس الطريق عزاه لابن جرير أيضاً.

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٧). وذكره الماوردي (٥/ ٢٤٤).

(٣) قال الحافظ ابن كثير (٤/ ١٣٨): ومن قال أنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد أبعد النّجعة، فإن نص القرآن أنها في رمضان.

وعلى هذا: فإن الصواب هو القول الأول وعليه عامة المفسرين.

(٤) زاد المسير (٧/ ٣٣٨).

مضطربة.

قوله تعالى: ﴿إنا كنا منذرين﴾ مرتبط بجواب القسم، على معنى: إنا أنزلناه مفصلاً بالحكم والأحكام، مشتملاً على ضروب النذارة؛ لأن شأننا الإنذار من عذاب النار.

﴿فيها يفرق﴾ أي: يفصل ﴿كل أمر حكيم﴾ أي: محكم.

قال ابن عباس: يكتب[١].

وقال الضحاك: يقضي[٢].

وقال ابن زيد: ينزل[٣].

قال ابن عباس: يُكْتَبُ من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال، حتى الحاج[٤].

وإنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى[٥].

قوله تعالى: ﴿أمراً من عندنا﴾ قال الأخفش[٦]: "أمراً" و"رحمة" منصوبان على

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٣٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٨٥).

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٧ ح٣٦٧٨)، والطبري (٢٥/ ١٠٩) بنحوه، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٧)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٣٢١ ح٣٦٦١) كلهم من قول ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٦) معاني الأخفش (ص: ٢٨٤).

الحال. والمعنى: إنا انزلناه آمرين أمراً وراحمين رحمة.

قال الزجاج[١]: ويجوز أن يكون منصوباً بـ"يُفرق"، بمنزلة يفـرقُ فرقـاً؛ لأن أمراً بمعنى فَرْقاً.

قال الفراء[٢]: ويجوز أن [تنصب][٣] الرحمة بوقوع "مرسلين" عليها، فتكون الرحمة هي النبي ﷺ.

وقال الزمخشري[٤]: ﴿أمراً من عندنا﴾ نصب على الاختصاص[٥]. جعل كل أمر جزلاً فخماً بأن وصفه بالحكيم، ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال: أعنـي بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا، كائناً من لدنا. و"رحمة": مفعول له، على معنى: إنا أنزلنا القرآن؛ لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتـب إلى عبادنـا لأجـل الرحمـة عليهم.

قوله تعالى: ﴿رب السموات والأرض﴾ قرأ أهل الكوفة: "ربِّ" بالجر. وقرأ الباقون بالرفع[٦].

قال الزجاج[٧]: الخفض على الصفة، على قولك: من رَبّ. ومن رفـع فعلـى

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٤٢٤).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٣٩).

(٣) في الأصل: ينتصب. والتصويب من معاني الفراء، الموضع السابق.

(٤) الكشاف (٤/ ٢٧٥).

(٥) في الأصل زيادة قوله: من. وانظر النص في: الكشاف، الموضع السابق.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٦)، والكشف (٢/ ٢٦٤)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والإتحاف (ص:٣٨٨)، والسبعة (ص:٥٩٢).

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٤٢٤).

قوله: "إنه هو السميع العليم". وإن شئت على الاستئناف، على معنى: هو رب السموات والأرض.

﴿وما بينهما إن كنتم موقنين﴾، ومعنى الشرط: أن إرسال الرسل، وإنزال الكتب رحمة من الرب، ثم قيل لهم: إن هذا الرب هو السميع العليم الذي أنتم مُقرُّون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما، أي: إن كان إقراركم عن إيقان بالله تعالى وإتقان لمعرفته.

قوله تعالى: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ قرأ الأكثرون: "ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين" برفع الباء فيهما. وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء اللغوي رحمه الله للكسائي من رواية الشيزري عنه: بالجر فيهما[1]، بدلاً من "ربك".

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿بل هم في شك يلعبون﴾ تكذيبٌ لهم في دعواهم الإيقان بالله تعالى، فإنهم لو كانوا مصدقين بذلك ما صدر عنهم ما لا يجامعه من عبادة الأصنام وجحد البعث وتكذيب الرسل.

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٨٨).

قوله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ اختلف فيه وفي وقته على قولين:

أحدهما: أنه الجوع الذي أصاب كفار قريش بدعوة النبي ﷺ، على ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا يحيى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق قال: حدثنا عبدالله -يعني: ابن مسعود- قال: «إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾. قال: فأتي رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله! استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، قال لمضر: إنك لجريء، فاستسقى فسقوا، فنزلت: ﴿إنكم عائدون﴾، فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ قال: يعني يوم بدر»[(١)]. هذا حديث متفق على صحته.

وفي الصحيحين أيضاً عن ابن مسعود قال: «مضى خمس: الدخان، والروم، والقمر، والبطشة، واللزام»[(٢)]. وإلى هذا القول ذهب مجاهد وأبو العالية

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٣ ح٤٥٤٤)، ومسلم (٤/ ٢١٥٦ ح٢٧٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٣ ح٤٥٤٣)، ومسلم (٤/ ٢١٥٧ ح٢٧٩٨).

والضحاك وابن السائب ومقاتل[١].

الثاني: أنه دخان مرتقب يكون في آخر الساعة. وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام»[٢].

وقال ابن أبي مليكة: غدوت على ابن عباس ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلتُ: لِمَ؟ قال: طلع [الكوكب][٣] ذو الذنب فخشيت أن يكون دخاناً قد طرق، فما نِمْتُ حتى أصبحت[٤].

وهذا القول يروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة والحسن[٥].

قوله تعالى: ﴿يغشى الناس﴾ أي: يشملهم. وهو في محل الجر صفة لـ"دخان".

﴿هذا عذاب﴾ فيه إضمار منصوب على الحال[٦]، تقديره: قائلين هذا عذاب ﴿أليم﴾.

﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾ وهو الجوع، على القول الأول. والدخان، على

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٨٨). وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٠٢).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٣٩).

(٣) في الأصل: الكوب. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٣٣٩).

(٤) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٠٦ ح٨٤١٩)، والطبري (٢٥/ ١١٣).

(٥) أخرجه الطبري (٢٥/ ١١٣-١١٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٠٧-٤٠٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن علي. ومن طريق آخر عن ابن عمر، وعزاه لابن جرير. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. ومن طريق آخر عن أبي سعيد الخدري، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٦) انظر: الدر المصون (٦/ ١١٣).

الثاني، ﴿إنا مؤمنون﴾.

قوله تعالى: ﴿أنى لهم الذكرى﴾ أي: كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب، ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ وهو محمد ﷺ، ودلائل صدقه ظاهرة، وبراهين رسالته باهرة، فلم يذكروا ولم يتعظوا.

﴿ثم تولوا عنه وقالوا﴾ بهتاناً وعناداً: ﴿معلم مجنون﴾ يعلمه فلان وفلان غلمان أعاجم، وقد ذكرناهم عند قوله تعالى: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾ [النحل:١٠٣].

قال الله تعالى: ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلاً﴾ زماناً قليلاً أو كشفاً قليلاً. وهو الضرّ الذي أصابهم بسبب الجوع، على قول ابن مسعود[١].

قال مقاتل[٢]: كشفه الله تعالى عنهم إلى يوم بدر.

والدخان؛ على القول الآخر. فقد [روي][٣] أنه يكشف عنهم بعد أربعين يوماً، فريثما يكشف عنهم يرتدون[٤].

﴿إنكم عائدون﴾ يعني: إلى الشرك، على قول ابن مسعود[٥]، أو إلى عذاب الله، على القول الآخر.

﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ هو يوم بدر، على قول ابن مسعود[٦]، ويوم

---

(١) وقد سبق الحديث قريباً.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٠٣).

(٣) في الأصل: وي.

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٧٧).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٢٤٧).

(٦) أخرجه الطبري (٢٥/ ١١٦)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٥ ح٣٦٦٧٣). وذكره السيوطي في الدر =

القيامة، على القول الآخر[(١)].

وقد سبق أن البطش: الأخذ بقوة.

فإن قيل: فما العامل في "يوم نبطش"؟

قلتُ: إما مضمر، تقديره: "اذكر"، أو ما دل عليه.

﴿إنا منتقمون﴾ على معنى: ننتقم منهم يوم نبطش.

فإن قيل: هل يجوز أن ينتصب بـ"منتقمون"؟

قلتُ: لا؛ لأن ما بعد "إن" لا يعمل فيما قبلها.

فإن قيل: ما وجه قراءة الحسن وأبي رجاء: "نُبْطِش" بضم النون وكسر الطاء؟

قلتُ: هو على معنى: نسلط عليهم من يبطش بهم، أو على معنى: نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ

= (٧/ ٤٠٨) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه.

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ١١٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٠٨) وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن.

وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ أي: فتناهم بما فتحنا عليهم وأتحنا لهم من أسباب الرزق وامتداد العمر حتى بطروا نعمتي، وعبدوا غيري.

وقيل: المعنى: فتنَّاهم بإرسال موسى عليه السلام إليهم.

﴿وجاءهم رسول كريم﴾ شريف وسيط النسب، أو كريم على ربه.

﴿أن أدوا إليّ عباد الله﴾ "أنْ" هي المفسرة، أو المخففة من الثقيلة، و"عباد الله" مفعول به، أو منادى[1].

فالأول على معنى: أرسلوا معي بني إسرائيل وسلمهم إليّ. والثاني على معنى: أدوا إليّ عباد الله ما هو واجب عليكم من التمسك بما جئتُ من التوحيد، والتنسك بما أمرتم به على لساني من الحكم والأحكام.

والمعنى الأول قول ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين[2]. والثاني ذكره الزجاج وغيره[3].

قال الماوردي[4]: وهو قول محتمل.

قوله تعالى: ﴿وأن لا تعلوا على الله﴾ "أنْ" هذه كالتي قبلها.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٩)، والدر المصون (٦/ ١١٤).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٥٨٨)، والطبري (٢٥/ ١١٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٠٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٤٢٥).

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٢٤٩).

والمعنى: لا تتعظموا وتتكبروا على الله بالاستهانة برسوله.

﴿إني آتيكم بسلطان مبين﴾ حجة ظاهرة تدل على صدقي.

قال المفسرون: لما قال ذلك تواعدوه بالقتل، فقال ﴿وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون﴾.

قال قتادة: بالحجارة[1].

وقال أبو صالح: ترجمون بالشتم، بأن تقولوا: ساحر أو كاهن أو مجنون[2].

﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾ تنحّوا عني وخلوا سبيلي واجتنبوا أذاي.

﴿فدعا ربه أن هؤلاء﴾ أي: بأن هؤلاء ﴿قوم مجرمون﴾ أي: مشركون.

قيل: كان دعاؤه: اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم.

وقرئ: "إنَّ هؤلاء" بكسر الهمزة[3]، على إضمار القول، أو لأن الدعاء في معنى القول.

فأجاب الله دعاءه وقال: ﴿فأسر بعبادي ليلاً﴾ وهو على إضمار القول، تقديره: فقال أسر بعبادي، أو يكون جواب شرط محذوف، تقديره: إن كان الأمر كذلك كما تقول فأسر بعبادي، يعني: بني إسرائيل.

﴿إنكم متبعون﴾ يتبعُكم فرعون وجنوده.

﴿واترك البحر رهواً﴾ ساكناً. ومنه قول الأعشى:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٠٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١١٩). وذكره الماوردي (٥/ ٢٥٠).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٦)، والدر المصون (٦/ ١١٤).

يمشينَ رهْواً فَلاَ الأعجازُ خاذلةً   ولا الصُّدُورُ على الأعجاز تَتَّكِلُ[١]

فالمعنى: اتركه ساكناً على حاله بعد انفراقه، فلا تأمره بالالتئام خوفاً منهم. ﴿إنهم جند مغرقون﴾ وعبارة المفسرين في الرّهو ترجع إلى هذا الأصل، أو إلى هذا المعنى.

قال قتادة: "رَهْوَاً": طريقاً يابساً[٢].

وقال مجاهد: منفرجاً[٣].

وقال الربيع: سهلاً[٤].

وقال الضحاك: دمثاً[٥].

وقد ذكرنا قصة غرقهم في البقرة.

والآية التي بعدها مُفسّرة في الشعراء[٦].

قوله تعالى: ﴿ونَعمة كانوا فيها فاكهين﴾ وهي ما كانوا فيه من السعة والرغد. قال ابن عمر: هو نيل مصر[٧].

---

(١) ونسب للقطامي أيضاً، انظر: ديوانه (ص:٤)، واللسان (مادة: رها)، والقرطبي (١٦/ ١٣٧)، والدر المصون (٦/ ١١٥)، والبحر (٨/ ٣٢)، والماوردي (٥/ ٢٥٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٢٥٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤١٠) وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٢١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١٠) وعزاه لابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٢٢). وذكره السيوطي في الدر، الموضع السابق.

(٦) عند الآية رقم: ٥٧.

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٢٥١).

وقال ابن زياد: أرض مصر لكثرة خيرها[١].

وقد ذكرنا النعمة في [أول][٢] البقرة في قوله تعالى: ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ [البقرة:٤٠].

و"فاكهين" وقرأ أبو جعفر: "فكهين"[٣]، هو مذكور في يس[٤].

﴿كذلك﴾ أي: الأمر كذلك ﴿وأورثناها قوماً آخرين﴾ ليسوا منهم في شيء، بل كانوا مستعبدين في أيديهم.

قوله تعالى: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ اختلف العلماء في هذه الآية على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على حقيقته وظاهره، حتى قال ابن عباس رضي الله عنه: الحُمرة التي في السماء بكاؤها[٥].

وقال علي عليه السلام: إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاّه من الأرض، ومصعد عمله من السماء، وإن آل فرعون لم يكن لهم في الأرض مصلى ولا في السماء مصعد عمل، فقال الله تعالى: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾[٦].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٥١).

(٢) في الأصل: أوال.

(٣) النشر (٢/ ٣٥٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٦).

(٤) عند الآية رقم: ٥٥.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٤٥).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٩)، وابن المبارك في الزهد (ص:١١٤)، والمقدسي في المختارة (٢/ ٣٥٨ ح٧٤١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١٣) وعزاه لابن المبارك وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن المنذر من طريق المسيب بن رافع عن علي رضي الله عنه.

وقال مجاهد: ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً[١]، فقيل له: أَوَ تبكي؟ فقال: وما للأرض لا تبكي على عبد كان يَعْمُرُها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دويٌّ كدويّ النحل؟[٢].

وإلى هذا القول ذهب عامة المفسرين المتقدمين. ويؤيده ما أخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا وله بابان، بابٌ يصعد منه عمله، وبابٌ ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾»[٣].

الثاني: أنه على حذف المضاف، تقديره: فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض. قاله الحسن[٤].

الثالث: أنه على مذهب العرب، فإنهم يقولون إذا مات رجل خطير: بكت عليه السماء والأرض، وأظلمت له الشمس، وبكته الريح.

ومنه قول جرير يرثي عمر بن عبدالعزيز:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١٣) وعزاه لابن أبي شيبة والبيهقي.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٧١٤ ح١١٧٤٢٠). وذكره الماوردي (٥/ ٢٥٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤١٢) وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ في العظمة.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٠ ح٣٢٥٥).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٥٢).

الـــشمسُ طالعـــةٌ ليـــستْ بكاســـفةٍ   تبكــي عليــكَ نجــومُ الليــل والقَمَــرا
حُمِّلْــتَ أمــراً عظــيماً فاصْــطَبَرْتَ لــه   وسِرْتَ فيــه بحُكْــم الله يــا عُمَــرا[١]

وقالت الخارجية:

أيَا شَجَرَ الخابُور ما لكَ مُورقاً   كأنّكَ لم تَجْزَع على ابن طريف[٢]

وقال ابن مُفَرِّغ الحميري في غلامه برد حين باعه:

وشريْـــــتُ بُـــــرْداً ليتنــــــي   مـــن بعـــدِ بُـــرْدٍ كنـــتُ هامَـــه
الـــــريحُ تبكــــي شَــــجْوَه   والـــبرقُ يلمــــعُ في غمامــــه[٣]

قال بعض أهل المعاني[٤]: وذلك منهم على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء، وتنبيهاً على تعظيم مهلك الرجل الخطير، وعلى هذا المعنى

(١) البيتان لجرير، انظر: ديوانه (ص:٣٧٢) وفيه: فالشمس كاسفة ليست بطالعة، وانظر البيت الأول في: اللسان (مادة: شمس، كسف، بكا)، وأمالي المرتضى (١/ ٥٢)، والقرطبي (١٦/ ١٤٠)، وزاد المسير (٧/ ٣٤٦)، والبحر (٨/ ٣٧)، والدر المصون (٦/ ١١٦)، وروح المعاني (٢٥/ ١٢٤)، والماوردي (٥/ ٢٥٣). وانظر البيت الثاني في: الجمل للفراهيدي (ص:١١١)، ومغني اللبيب (ص:٤٨٦).

(٢) البيت لليلى بنت طريف الخارجية، وهو في: الأغاني (١٢/ ١١٣، ١١٤، ١١٦)، والقرطبي (١٦/ ١٤٠)، وروح المعاني (٢١/ ٨٠) ونسبه للخنساء، واللسان (مادة: خبر).

(٣) البيتان ليزيد بن مفرغ الحميري، انظر: ديوانه (ص:٢١٣)، والأغاني (١٨/ ٢٦٩). وانظر البيت الأول في: اللسان (مادة: برد، شري)، والقرطبي (٣/ ٢١، ٩/ ١٥٥)، والطبري (١/ ٤١٥، ١٢/ ١٧٠)، وزاد المسير (٢/ ١٣١)، وروح المعاني (١٢/ ٢٠٤). وانظر البيت الثاني في: البحر (٨/ ٣٧)، وزاد المسير (٧/ ٣٤٦).

(٤) هو قول الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٢٨٠).

حملوا الأخبار والآثار الواردة في ذلك. والله تعالى أعلم.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ۝٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين﴾ وهو ما كان فرعون يعذهم به من استخدامهم في الأعمال الشاقة، واستحياء النساء، وقتل الأبناء.

﴿من فرعون﴾ أي: من العذاب المهين الواقع من فرعون، ويجوز أن يكون "من فرعون" بدلاً من "العذاب المهين"[1]، كأنه في نفسه عذاب؛ لفرط توغله فيه.

وقرئ: "مِنْ عَذَابِ المهين"[2] على إضافة العذاب إلى المهين، وهو فرعون.

﴿إنه كان عالياً﴾ متكبراً ﴿من المسرفين﴾ وهما خبرا "كان"[3].

قوله تعالى: ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾ "على عِلْم" في محل الحال[4]. والمعنى: ولقد اخترنا بني إسرائيل عالمين بما اخترناه على عالمي زمانهم.

وقيل: هو على عمومه، على معنى: اخترناهم على جميع العالمين، بأن جعلنا الأنبياء منهم، وأكرمناهم بإنزال المنّ والسلوى، وتظليل الغمام عليهم، وغير ذلك من الآيات العظام والعجائب المختصة بهم.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٩)، والدر المصون (٦/ ١١٦).

(٢) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ١١٦)، والكشاف (٤/ ٢٨٠).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٩).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٩)، والدر المصون (٦/ ١١٦).

﴿وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين﴾ نعمة ظاهرة.

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾

ثم عاد إلى الإخبار عن كفار قريش فقال تعالى: ﴿إن هؤلاء ليقولون * إن هي إلا موتتنا الأولى﴾ قال صاحب الكشاف[1]: [فإن][2] قلت: كان الكلام واقعاً في الحياة الثانية لا في الموت، فهلاّ قيل: إن هي إلا حياتنا الأولى وما نحن بمنشرين؟ كما قيل: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿إن هي إلا موتتنا الأولى﴾؟ وما معنى ذكر الأولى؟ كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا الأولى؟

قلتُ: معناه -والله الموفق للصواب-: أنه قيل لهم: إنكم تموتون موتة تتعقبها حياة، كما تقدمتكم موتة [قد تعقبتها][3] حياة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ [البقرة:٢٨] فقالوا: ﴿إن هي إلا موتتنا الأولى﴾ يريدون: ما الموتة التي من شأنها أن تتعقبها حياة إلا الموتة الأولى دون الموتة الثانية.

﴿وما نحن بمنشرين﴾ بمبعوثين. يقال: أنشر الله تعالى الموتى ونشرهم: إذا

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٨١-٢٨٢).

(٢) زيادة من الكشاف (٤/ ٢٨١).

(٣) في الأصل: تعقبها. والتصويب والزيادة من الكشاف، الموضع السابق.

بعثهم. وقد سبق ذلك.

﴿فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾ هذا من جملة تعنّتهم؛ لأنهم قد شاهدوا من معجزات النبي ﷺ ما يغنيهم عن الاحتكام عليه بالإيتاء بآبائهم، وفيه إيذان بجهلهم حيث طلبوا منه إحياء الموتى ليؤمنوا، ولو وقع ذلك لكانوا مضطرين إلى الاعتراف به، لموضع مشاهدتهم إياه، فيخرج عن حد الإيمان بالغيب، ويبطل معنى التكلف.

قوله تعالى: ﴿أهم خير أم قوم تبّع﴾ هذا تخويف لكفار قريش. والمعنى: أهم خير في القوة والنعمة.

قال ابن عباس: أهم أشد أم قوم تُبَّع[(١)].

أخرج الإمام أحمد من حديث سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تسبوا تُبَّعاً فإنه كان قد أسلم))[(٢)].

وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((ما أدري تُبَّعاً نبياً أو غير نبي))[(٣)].

وقالت عائشة رضي الله عنها: لا تسبوا تُبَّعاً فإنه كان رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله تعالى ذمّ قومه ولم يذمّه[(٤)].

وقال قتادة: هو تُبّع بن حمير الحميري، وكان سار بالجيوش حتى حَيَّرَ الحيرة،

---

(١) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠ ح٢٢٩٣١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٩).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٨ ح٣٦٨١)، والطبري (٢٥/ ١٢٨-١٢٩).

وبنى سمرقند، وكان إذا كتب كتب: بسم الذي ملك براً وبحراً وضحاً وريحاً[١].

وقال سعيد بن جبير: هو الذي كسا البيت[٢].

﴿والذين من قبلهم﴾ يعني: من الأمم الخالية الكافرة. وهو مبتدأ، خبره: ﴿أهلكناهم﴾. ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مضمر دلّ عليه "أهلكناهم". ويجوز أن يكون مرفوعاً عطفاً على "قوم تُبّع"، والتقدير: أهم خير أم قوم تبع المهلكون من قبلهم[٣].

فعلى هذا يقف على "قبلهم"، ويكون "أهلكناهم" في تقدير: وأهلكناهم.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿إن يوم الفصل﴾ يريد: يوم القيامة، ﴿ميقاتهم أجمعين﴾.

وقرأ عبيد بن عمير: "ميقاتَهم" بالنصب[٤]، على أنه اسم "إنّ"، والخبر: "يوم الفصل"[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٢٨). وذكره الماوردي (٥/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١٥) وعزاه لابن المنذر وابن عساكر.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٣١)، والدر المصون (٦/ ١١٦).

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٩)، والدر المصون (٦/ ١١٧).

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ١١٧).

﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً﴾ أي: لا يغني مولى قريب أو غير ذي قرابة.

وقال أبو عبيدة[١]: لا ينفع ابن عمّ ابن عمّه.

﴿إلا من رحم الله﴾ في محل الرفع على البدل من الواو في "ينصرون"، أو في محل النصب على أصل الاستثناء[٢]، وهم الذين ماتوا على الإسلام، فإنهم يشفعون ويشفع فيهم، وينفع بعضهم بعضاً.

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿إن شجرة الزقوم﴾ وهي مذكورة في سورة الصافات[٣].

﴿طعام الأثيم﴾ أي: الفاجر الكثير الآثام.

ويروى: «أن رجلاً كان يقرأ هذه الآية على أبي الدرداء ويقول: "طعام اليثيم"، وأبو الدرداء يرددها عليه ولسانه لا يجري بها، فقال أبو الدرداء: قل: طعام الفاجر»[٤].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٠٩).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٣١)، والدر المصون (٦/ ١١٧).

(٣) عند الآية رقم: ٦٢.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٩ ح٣٦٨٤)، والطبري (٢٥/ ١٣١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١٨) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه.

فقال الزمخشري[١]: ومن هذا أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة، [وهي][٢]: أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئاً. قالوا: وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة؛ لأن في كلام العرب خصوصاً في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها، وما كان أبو حنيفة يحسن الفارسية، فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر.

وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية.

و"المهل" مذكور في سورة الكهف[٣].

قرأ ابن كثير وحفص: "يغلي" بالياء؛ لتذكير الطعام.

فإن قيل: هل يجوز أن يراد المهل؟

قلتُ: لا؛ لأنه ذكر ليشبه به الطعام.

وقرأ الباقون: "تغلي" بالتاء[٤]؛ لتأنيث الشجرة.

والحميم: الماء الحار الذي انتهى غليانه. وقدم ذكره أيضاً.

قوله تعالى: ﴿خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم﴾ وقرأ ابن كثير ونافع وابن

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٨٤).

(٢) في الأصل: وهو. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) عند الآية رقم: ٢٩.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٧)، والكشف (٢/ ٢٦٤)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والإتحاف (ص:٣٨٨)، والسبعة (ص:٥٩٢).

عامر: "فَاعْتُلُوهُ" بضم التاء. وقرأ الباقون بكسرها[١].

والمعنى: خذوه أيها الزبانية وقودوه إلى النار بعنف وغلظة، ومنه: العُتُلّ، وهو الغليظ الجافي.

"إلى سواء الجحيم" أي: وسط النار.

قال مقاتل[٢]: هذه الآيات في أبي جهل، يضربه المَلَك من خُزَّان جهنم على رأسه بمقمعة من حديد، فتثقب دماغه، فيجري دماغه على جسده، ثم يصب الملك في النقب ماءً حميماً قد انتهى حرّه، فيقع في بطنه، ثم يقول له الملك: ﴿ذُقْ﴾ العذاب ﴿إنك أنت العزيز الكريم﴾.

قرأ الكسائي: "ذُقْ أَنَّكَ" بفتح الهمزة، على معنى: ذق لأنك، أو بأنك. وكسرها الباقون على الاستئناف[٣].

وفي الحديث: أنه قال يوماً لرسول الله ﷺ: ((ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني))[٤]، فيكون هذا القول له في النار خارجاً على مذهب الاستهزاء به والتوبيخ له.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٧)، والكشف (٢/ ٢٦٤)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والإتحاف (ص:٣٨٨)، والسبعة (ص:٥٩٢-٥٩٣).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٠٨).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٧)، والكشف (٢/ ٢٦٤)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والإتحاف (ص:٣٨٩)، والسبعة (ص:٥٩٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

قال قتادة: إنك أنت العزيز الكريم عند نفسك[١].

وقيل: إنك أنت العزيز الكريم على قومك[٢].

ثم تقول الخَزَنَة للكفار توبيخاً لهم وتصغيراً: ﴿إن هذا﴾ إشارة إلى ما وقعوا فيه من العذاب ﴿ما كنتم به تمترون﴾ تشكُّون أو تتلاحون وتتمارون فيه.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾ قرأ نافع وابن عامر: "مُقام" بضم الميم، على أنه اسم المكان، مِنْ أقام، أو تكون مصدراً على تقدير حذف مضاف، تقديره في موضع إقامة. وقرأ الباقون بالفتح[٣]، على أنه اسم مكان، مِنْ قَامَ، كأنه اسم للجنس أو للمشهد، كما قال تعالى: ﴿في مقعد صدق﴾ [القمر:٥٥].

وقوله تعالى: ﴿أمين﴾ يدل على أنه اسم مكان.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٥٠).

(٢) ذكره الماوردي، الموضع السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٧)، والكشف (٢/ ٢٦٥)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والإتحاف (ص:٣٨٩)، والسبعة (ص:٥٩٣).

والمعنى: في مقام أمنوا فيه من جميع المخاوف.

وقد ذكرنا "الجنات" في أوائل سورة البقرة[١]، و"السندس والإستبرق" في الكهف[٢]،

و"متقابلين" في سورة الحجر[٣].

قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: الأمر كذلك. ويجوز أن يكون في محل النصب، على معنى: آتيناهم مثل ذلك، ﴿وزوجناهم بحور عين﴾.

قال المفسرون: المعنى: قَرَنَّاهم بهنّ وليس من عقد التزويج.

قال يونس: العرب لا يقولون: تزوج بها، إنما يقولون: تزوجها[٤].

قال أبو علي الفارسي[٥]: والتنزيل على ما قال يونس[٦].

وقال ابن قتيبة[٧]: يقال: زوجته امرأة، وزوجته بامرأة.

وأما الحور؛ فقال مجاهد: النساء النقيات البياض[٨].

---

(١) عند الآية رقم: ٢٥.

(٢) عند الآية رقم: ٣١.

(٣) عند الآية رقم: ٤٧.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٥١).

(٥) لم أقف عليه في المطبوع من الحجة.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٥١).

(٧) انظر قول ابن قتيبة في: زاد المسير (٧/ ٣٥١).

(٨) انظر: الطبري (٢٥/ ١٣٦).

وفي تفسير مجاهد (ص:٥٩٠) قوله: ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ يقول: أنكحناهم حوراً عيناً. والحور: اللاتي يحار فيهن الطرف؛ باد مخ سوقهن من وراء ثيابهن، فينظر الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون.

=

قال أبو [عبيدة][1]: الحوراء: الشديدة بياض العين الشديدة سوادها. وقد ذكرنا في سورة الصافات معنى "عِين"[2].

قوله تعالى: ﴿آمنين﴾ قال قتادة: من الموت والأوصاب والشيطان[3].

وقيل: آمنين من انقطاع الفاكهة في بعض الأزمنة[4].

﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ قال صاحب الكشاف[5]: إن قلت: كيف استثنيت الموتة الأولى -المذوقة قبل دخول الجنة- من الموت المنفي ذوقه فيها؟

قلتُ: أريد: لا يذوقون فيها الموت البتة، فوضع قوله: ﴿إلا الموتة الأولى﴾ موضع ذلك؛ لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل، فهو من باب التعليق بالمحال، كأنه قيل: إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنهم يذوقونها.

ورد الطبري على مجاهد معنى الحور هذا وقال: وهذا الذي قاله مجاهد من أن الحور إنما معناها أنه يحار فيها الطرف قول لا معنى له في كلام العرب؛ لأن الحور إنما هو جمع حوراء كالحمر جمع حمراء، والسود جمع سوداء. والحوراء إنما هي فعلاء من الحور وهو نقاء البياض كما قيل وبالمنفعة البياض من الطعام الحواري (الطبري ٢٥/ ١٣٦).

(١) في الأصل: عبيد. وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٤٦).

(٢) عند الآية رقم: ٤٨.

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٢٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٥١).

(٥) الكشاف (٤/ ٢٨٦).

وقال ابن جرير[١]: "إلا" بمعنى بعد. وقد ذكرنا هذا في قوله: ﴿إلا ما قد سلف﴾ [النساء:٢٢]. وأكثر المفسرين يقول: سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿فضلاً من ربك ذلك﴾ مفعول له، [أو مفعول][٢] به، على معنى: أعطاهم فضلاً، أو مصدر مؤكد لما قبله[٣]؛ لأن قوله تعالى: ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾ تفضل منه لهم، فكأنه قال: تَفَضَّلَ عليهم فضلاً.

وقال الزجاج[٤]: المعنى: فعل الله تعالى بهم ذلك فضلاً منه.

وقرئ: "فَضْلٌ" بالرفع[٥]، على معنى: ذلك فضل.

قوله تعالى: ﴿فإنما يسرناه﴾ يعني: القرآن، ﴿بلسانك﴾ أي: بلغتك ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أراد: أن يفهموه فيتدبروه.

﴿فارتقب﴾ انتظر ما يحلّ بهم ﴿إنهم مرتقبون﴾ هلاكك.

وأكثر المفسرين يقولون: هذه الآية منسوخة بآية السيف[٦].

والصحيح: أنها محكمة، على ما سبق في نظائرها. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: الطبري (٢٥/ ١٣٧).

(٢) في الأصل: أمفعول.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٣١)، والدر المصون (٦/ ١٢٠).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤٢٩).

(٥) انظر هذه القراءة في: الكشاف (٤/ ٢٨٦).

(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٩)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٥).

سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

وتسمى سورة الشريعة. وهي ست وثلاثون آية في المدني، وسبع في الكوفي[1].

وهي مكية في قول عامة المفسرين[2].

واستثنى قوم آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ فقالوا: هي مدنية[3].

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

قال الله تعالى: ﴿إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين﴾ يجوز أن يكون على ظاهره.

وقال الزجاج[4]: المعنى -والله تعالى أعلم-: إن في خلق السموات والأرض،

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢٦).

(٢) ذكر السيوطي في الدر (٧/ ٤٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزلت بمكة سورة حم الجاثية. وذكر عن ابن الزبير أيضاً قال: أنزلت سورة الشريعة بمكة.

(٣) انظر: الماوردي (٥/ ٢٦٠)، وزاد المسير (٧/ ٣٥٤)، والإتقان في علوم القرآن (١/ ٥٣).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤٣١).

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وفي خلقكم﴾.

والمعنى: وفي خلقكم من تراب ثم نطفة إلى أن يتكامل خلق الإنسان وينفخ فيه الروح ﴿وما يبث من دابة﴾ عطف على "الخلق" المضاف، لا على المضاف إليه؛ لأنهم يستقبحون عطف المُظْهَر على المُضْمَر المجرور.

وقد ذكرنا علة ذلك في أول النساء[1].

قرأ حمزة والكسائي: "آياتٍ لقومٍ يوقنون" و "آياتٍ لقومٍ يعقلون" بالنصب فيهما. وقرأ الباقون "آياتٌ" بالرفع فيهما[2].

قال الزجاج وأبو علي وغيرهما[3]: من قرأ برفع "الآيات"، فإن الرفع من وجهين:

أحدهما: العطف على موضع "إنَّ" وما عملت فيه؛ لأن موضعها رفع بالابتداء، فيحمل الرفع فيه على الموضع.

والآخر: أن يكون مستأنفاً ويكون الكلام جملة معطوفة على جملة، فيكون قوله تعالى -على هذا- ﴿آياتٌ﴾: مرتفعاً بالابتداء، أو بالظرف في قول من رأى الرفع به.

وأما حمزة والكسائي فإنهما حملا على لفظ "إنّ" دون موضعها، حَمَلاَ "آيات" في الموضعين على نصب "إنَّ" في قوله تعالى: ﴿إن في السموات والأرض لآيات

---

(١) عند الآية رقم: ١.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٨)، والكشف (٢/ ٢٦٧)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والإتحاف (ص:٣٨٩)، والسبعة (ص:٥٩٤).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٤٣١-٤٣٢)، والحجة للفارسي (٣/ ٣٨٩-٣٩٠).

للمؤمنين﴾، ومما يؤكد قراءتها وأنّ "آيات" محمولة على ما ذكرهن في بعض القرآن بثلاث لامات؛ ﴿وفي خلقكم وما يبث من دابة لآيات﴾، وكذلك الموضعان الآخران؛ لأن هذه اللام إنما تدخل على خبر "إنَّ" أو على اسمها. فأما قوله تعالى: ﴿واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ يسلم الكلام من العطف على عاملين، وجاز حذف "في" هاهنا، وهي مرادة؛ لتقدم ذكرها في قوله تعالى: ﴿إن في السموات﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وفي خلقكم﴾ فلما تقدم ذكرها في الموضعين قدّر إثباتها وإن كانت محذوفة، كما قدر سيبويه[١] في قوله:

أكل امرئ تحسبين امرءاً ونارٍ تَوَقَّدُ بالليل نارا[٢]

أن "كلّ" في حكم الملفوظ به، واستغني عن إظهاره بتقدُّم ذكره.

وفي قراءة ابن مسعود: "وفي اختلاف الليل والنهار"[٣]، وقد سبق تقدير الاثنين في سورة البقرة[٤].

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا

---

(١) انظر: الكتاب (١/ ٦٦).

(٢) البيت لابن أبي دؤاد الإيادي. وهو في: أمالي ابن الشجري (١/ ٢٩٦) بلا نسبة.

(٣) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ١٢٢)، والكشاف (٤/ ٢٨٨).

(٤) عند الآية رقم: ١٦٤.

ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿تلك﴾ إشارة إلى [ما][1] تقدم إنزاله من القرآن، أو إلى هذه الحجج المذكورة.

﴿آيات الله نتلوها عليك بالحق﴾ مُفسّر في سورة البقرة[2].

﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ مُفسّر في الأعراف[3].

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص: "يؤمنون" بالياء حملاً على ما قبله من الغيبة. وقرأ الباقون بالتاء[4]، حملاً على قوله تعالى: ﴿وفي خلقكم﴾، أو على معنى: قل لهم يا محمد فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون.

قوله تعالى: ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾ قال ابن عباس: نزلت في النضر بن الحارث[5].

و"الويل" مذكور في البقرة، و"الأفاك الأثيم" في الشعراء[6]، والتي تليها في

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) عند الآية رقم: ٢٥٢.

(٣) عند الآية رقم: ١٨٥.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٩)، والكشف (٢/ ٢٦٧)، والنشر (٢/ ٣٧١-٣٧٢)، والإتحاف (ص:٣٨٩)، والسبعة (ص:٥٩٤).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٥٥).

(٦) عند الآية رقم: ٢٢٢.

سورة لقمان[١].

قوله تعالى: ﴿وإذا علم من آياتنا﴾ وقرأ ابن مسعود بضم العين وكسر اللام وتشديدها[٢]. والمعنى: وإذا أحس بشيء من جملة الآيات التي أنزلها الله على محمد ﷺ ﴿اتخذها هزواً﴾.

وقيل: المعنى: وإذا علم من آياتنا شيئاً يتشبث به المعاند اتخذها هزؤاً وسلّماً يرقى فيه إلى أغراضه الفاسدة، ﴿أولئك﴾ يشير إلى كل أفّاك أثيم.

قوله تعالى: ﴿من ورائهم جهنم﴾ مُفسّر في سورة إبراهيم[٣].

﴿ولا يغني عنهم ما كسبوا﴾ من الأموال وزينة الدنيا ﴿شيئاً﴾ أي: لا ينفع ولا يدفع عنهم شيئاً من العذاب، كقوله تعالى: ﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾ [المجادلة:١٧]، ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ يعني: آلهتهم لا تدفع عنهم أيضاً شيئاً من العذاب.

قوله تعالى: ﴿هذا هدى﴾ يريد: القرآن ﴿والذين كفروا﴾ من هذه الأمة وغيرهم ﴿بآيات ربهم﴾ القرآن وغيره من كتب الله تعالى ﴿لهم عذاب من رجز أليمٍ﴾. وقرئ: "أليمٌ" [بالرفع][٤]. وقد [ذكرناه][٥] في سورة سبأ[٦]، و"الرجز" في

---

(١) عند الآية رقم: ٧.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٥٦)، والدر المصون (٦/ ١٢٦).

(٣) عند الآية رقم: ١٦.

(٤) في الأصل: بالفع. وانظر: الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٢)، والكشف (٢/ ٢٠١-٢٠٢)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٩٠)، والسبعة (ص:٥٩٤).

(٥) في الأصل: ذكرنا.

(٦) عند الآية رقم: ٥.

الأعراف[١].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿جميعاً منه﴾ الجار والمجرور في محل الحال[٢]. المعنى: سخر لكم هذه الأشياء كائنة من عنده.

ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هي جميعاً منه[٣].

وقرأ جماعة، منهم: عبد الله بن عمرو، [وعبدالله][٤] بن العباس، وأبو مجلز، وابن محيصن، وابن السميفع، والجحدري: "جميعاً مِنَّةً"[٥] بفتح النون وتشديدها مع النصب والتنوين على المصدر، بما دل عليه: "وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً" كأنه قال: مَنَّ عليكم مِنَّة.

---

(١) عند الآية رقم: ١٣٤.

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ١٢٧).

(٣) مثل السابق.

(٤) في الأصل: وعبد. والصواب ما أثبتناه.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٥٦)، والدر المصون (٦/ ١٢٧).

وقرأ سعيد بن جبير: "مَنُّه" بفتح الميم وتشديد النون ورفعها[1]، على معنى ذلك، أو هو منه، أو هو فاعل "سَخَّر".

قوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ ذهب جمهور المفسرين إلى أنها نزلت في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فروى عطاء عن ابن عباس: أنهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر يقال لها: المريسيع، فأرسل عبد الله بن أبيّ غلامه ليستقي له ماء، فأبطأ عليه، فلما أتاه قال: ما حَبَسَكَ؟ قال: غلام عمر، ما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قِرَب النبي ﷺ، وقِرَب أبي بكر، وملأ لمولاه، فقال عبد الله: ما مثلُنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل: سَمِّن كلبكَ يأكُلْك، فبلغ عمر رضي الله عنه قوله، فاشتمل بسيفه يريد التوجه إليه، فنزلت هذه الآية[2].

وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس أيضاً قال: لما نزلت: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ [البقرة:٢٤٥] قال يهودي بالمدينة يقال له: فنحاص: احتاج رب محمد، فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج في طلبه، فنزل جبريل بهذه الآية، وبعث رسول الله ﷺ في طلب عمر، فلما جاء قال: يا عمر ضع سيفك، وتلا عليه هذه الآية[3].

وقال مقاتل[4]: نزلت في عمر بن الخطاب، وكان قد شتمه رجل، فهمَّ أن

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٥٦)، والدر المصون (٦/ ١٢٧).

(٢) ذكره الواحدي في: أسباب نزول القرآن (ص:٣٩٣)، وابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ٣٥٧).

(٣) ذكره الواحدي في: أسباب نزول القرآن (ص:٣٩٤)، وابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ٣٥٨).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٢١٢).

يبطش به، فنزلت هذه الآية، وأمره الله تعالى بالعفو والصفح عنه. روي عن ابن عباس أيضاً.

فصل

وعامة المفسرين يقولون: هي منسوخة[١]؛ لأنها نزلت متضمنة الصفح عن المشركين والتجاوز عنهم.

واختلفوا في ناسخها؛ فقيل: آية السيف[٢].

وقيل: ﴿فإما تثقفنهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم﴾ [الأنفال:٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ [التوبة:٣٦]. رويا عن قتادة[٣].

وقال أبو صالح: وقوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم... الآية﴾[٤] [الحج:٣٩].

وقال قوم: هي محكمة. وقد ذكرنا أمثال ذلك فيما مضى.

فصل

وأما إعراب "يغفروا" فإنه مثل قوله تعالى: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ [إبراهيم:٣١]. وقد سبق ذكره هناك، وسبق أيضاً [الرجاء][٥]، يطلق بمعنى: الخوف. فالمعنى: لا يخشون وقائع الله بأمثالهم.

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٩)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٥-٥٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٢٤) وعزاه لابن جرير وابن الأنباري في المصاحف.

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٢٤) وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٤٥). وذكره الماوردي (٥/ ٢٦٣).

(٥) زيادة على الأصل.

وقيل: لا يأملون ما وعد الله المؤمنين من الثواب.

والأول أظهر المعنيين هاهنا. وقد سبق ذكر المراد "بأيام الله" في سورة إبراهيم[١].

قوله تعالى: ﴿ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: "لنجزي" بالنون، وقرأ الباقون بالياء[٢].

وقرأتُ لأبي جعفر: "ليُجزَى" بضم الياء وفتح الزاي[٣].

واتفقوا على نصب "قوماً"، ولا إشكال في نصبه على القراءتين المشهورتين. والتقدير على قراءة أبي جعفر: ليُجْزَى الجزاءُ قوماً. واللام في "ليجزي" يتعلق بقوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا﴾، أي: اغفروا لهم ليجزي قوماً.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾

---

(١) عند الآية رقم: ٥.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص: ٦٦٠)، والكشف (٢/ ٢٦٨)، والنشر (٢/ ٣٧٢)، والإتحاف (ص: ٣٩٠)، والسبعة (ص: ٥٩٤-٥٩٥).

(٣) النشر (٢/ ٣٧٢)، والإتحاف (ص: ٣٩٠).

هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ يريد: التوراة ﴿والحكم﴾ يعني: الحكمة والفقه.

وقيل: فصل الخصومات.

﴿والنبوة﴾ وما في الآية سبق تفسيره في مواضع.

﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ أعطيناهم برهاناً يصدعون به بين الحق والباطل، ويفرقون به بين الحلال والحرام.

وقيل: آتيناهم العلم بمبعث محمد ﷺ ونعته وصفته.

وما بعده سبق تفسيره فيما مضى إلى قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر﴾ أي: صيّرناك على طريقة واضحة من أمر الدين.

وما بعده ظاهر ومُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿أم حسب﴾ الهمزة لإنكار الحسبان ﴿الذين اجترحوا﴾ اكتسبوا ﴿السيئات﴾.

قوله تعالى: ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص: "سواءً" بالنصب. وقرأ الباقون: بالرفع[١].

فمن نصب جعله المفعول الثاني "لنجعل"، أو يكون حالاً، ويكون المفعول الثاني "لنجعلهم كالذين آمنوا". ويجوز أن يكون من الضمير المرفوع في "كالذين آمنوا"، وهذا الضمير يعود إلى الضمير المنصوب في "نجعلهم" في كلا الوجهين من كونه مفعولاً ثانياً، أو حالاً قد أعمل عمل الفعل، فرفع به "محياهم"، ومن رفع جعله خبر مبتدأ متقدم، والمبتدأ: "محياهم ومماتهم" سواء.

والمراد من الآية: الإعلام بنفي المساواة بين الصالح والطالح في حياته ومماته، وذم من سوّى بينهم في ذلك.

قال إبراهيم بن الأشعث: كنتُ كثيراً ما أرى الفضيل بن عياض يردد من أول ليلته إلى آخرها هذه الآية ونظائرها: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾، ثم يقول: يا فضيل، ليت شعري! من أي الفريقين أنت؟![٢].

وما بعده مُفسّر وظاهر إلى قوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾.

قال مقاتل[٣]: نزلت في الحارث بن قيس السهمي.

وقد سبق تفسيره في الفرقان[٤].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦١)، والكشف (٢/ ٢٦٨)، والنشر (٢/ ٣٧٢)، والإتحاف (ص:٣٩٠)، والسبعة (ص:٥٩٥).

(٢) ذكره الثعلبي (٨/ ٣٦١).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢١٤).

(٤) عند الآية رقم: ٤٣.

قوله تعالى: ﴿وأضله الله على علم﴾ قال الزجاج[١]: أي: على ما سبق في علم الله تعالى قبل أن يخلقه أنه ضالّ. وهو معنى قول ابن عباس[٢].

وقال مقاتل[٣]: على علم منه أنه ضالّ.

وتمام الآية مُفسّر في البقرة[٤]، والتي تليها مُفسّرة في المؤمنين[٥] إلى قوله تعالى: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ أي: ما يُفنينا إلا مرّ الزمان واختلاف الجديدين. ولم يكن من اعتقادهم أن قبض أرواحهم بإذن الله تعالى على يد مَلَك الموت وأعوانه، ونسبتهم ذلك إلى الدهر على عادتهم في إضافة الحوادث التي تنزل بهم إليه. وإذا استقرأت أشعارهم وأخبارهم رأيناها مشحونة بذلك، وإليه أشار النبي ﷺ بقوله: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»[٦]، أي: فإن الله هو الذي يفعل بكم ما تنسبونه إلى الدهر.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٤٣٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٥١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩١)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٦٦ ح١٠٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٢٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم واللالكائي في السنة والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢١٤).

(٤) عند الآية رقم: ٧.

(٥) عند الآية رقم: ٣٧.

(٦) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٦٣ ح٢٢٤٦).

لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

وما بعده سبق تفسيره في مواضعه إلى قوله تعالى: ﴿وترى كل أمة جاثية﴾.

قال ابن عباس: مجتمعة[١].

وقال قتادة: جماعات، من الجُثْوَة، وهي الجماعة[٢]. وقد ذكرناه في سورة مريم[٣].

وقال مجاهد: مستوفزة[٤].

وقال الحسن: باركة على الركب[٥].

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: في القيامة ساعة هي عشر سنين، يكون الناس فيها جثاة على ركبهم، حتى إن إبراهيم عليه السلام ينادي: نفسي نفسي، لا أسألك إلا نفسي[٦].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٦٧).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٥٠).

(٣) عند الآية رقم: ٦٨.

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٥٩٢)، والطبري (٢٥/ ١٥٤). وذكره الماوردي (٥/ ٢٦٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٢٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٢٦٧).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٠٠).

وقرئ: "جَاذِيَةً" بالذال المعجمة[١]، والجذوّ أشد استيفازاً من الجثو؛ لأن الجاذي هو الذي يجلس على أطراف أصابعه[٢].

﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ وقرأت على شيخنا أبي البقاء ليعقوب من بعض طرقه: "كُلَّ أُمَّةٍ" بالنصب[٣].

فمن رفع فعلى الابتداء، ومن نصب جعله بدلاً مما قبله.

قال ابن [عباس][٤]: تدعى إلى كتابها الذي فيه حسناتها وسيئاتها[٥].

وقال الشعبي: تدعى إلى حسابها[٦]. وهو قول الفراء وابن قتيبة[٧]، وهو يرجع إلى القول.

وقيل: إلى كتابها الذي أنزل على رسولها[٨].

﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ قال ابن السائب: كتاب الأعمال الذي كتبته الحفظة[٩].

---

(١) انظر هذه القراءة في البحر المحيط (٨/ ٥٠)، والدر المصون (٦/ ١٣٢).

(٢) انظر: اللسان (مادة: جذا).

(٣) النشر (٢/ ٣٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٠).

(٤) زيادة من زاد المسير (٧/ ٣٦٤).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٦٤).

(٦) مثل السابق.

(٧) معاني الفراء (٣/ ٤٨)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٠٥).

(٨) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٦٤).

(٩) مثل السابق.

وقال مقاتل[١]: اللوح المحفوظ.

وقال ابن قتيبة[٢]: المعنى: هذا القرآن يدلكم ويذكركم، فكأنه ينطق عليهم.

﴿إنا كنا نستنسخ﴾ أي: نأمر الملائكة بكتب أعمالكم في الدنيا. هذا معنى قول علي بن أبي طالب عليه السلام[٣].

وقال أكثر المفسرين: نأمر الملائكة أن ينسخوا من اللوح المحفوظ في كل عام ما يكون من أعمال بني آدم فيه. قالوا: والاستنساخ لا يكون إلا من أصل[٤].

وقال الحسن: ونستنسخ ما حفظته عليكم الملائكة[٥].

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢١٥).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٤٠٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٣٠) وعزاه لابن جرير.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٦٥).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٢٦٨).

فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

فإن قيل: أين جواب "أما" في قوله: ﴿وأما الذين كفروا﴾؟

قلتُ: هو محذوف، تقديره: فيقال لهم: ﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾.

فإن قيل: أين المعطوف عليه بالفاء؟

قلتُ: هو محذوف أيضاً، تقديره: ألم تأتكم رسلي، فلم تكن آياتي تتلى عليكم.

قوله تعالى: ﴿والساعة لا ريب فيها﴾ قرأ حمزة: "والساعةَ" بالنصب. وقرأ الباقون بالرفع[1]، فمن نصب عطف على "الوعد"، ومن رفع عطف على محل "إنَّ" واسمها.

﴿قلتم﴾ إنكاراً وتكذيباً: ﴿ما ندري ما الساعة إن نظن﴾ قيامها ﴿إلا ظناً﴾.

وباقي الآية توكيد منهم لنفي علمهم بصحة كونها.

﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ نترككم في النار ﴿كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي: كما تركتم الإيمان به والاستعداد له.

قال الزجاج[2]: والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ومأواكم النار﴾.

﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "يَخْرُجُون" بفتح الياء وضم

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٢)، والكشف (٢/ ٢٦٩)، والنشر (٢/ ٣٧٢)، والإتحاف (ص:٣٩٠)، والسبعة (ص:٥٩٥).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٤٣٦).

الراء[١].

﴿ولا هم يستعتبون﴾ يطلب منهم أن يعتبوا ربهم، أي: يرضوه. وهو مُفسّر في المصابيح[٢] وغيرها.

ثم حمد نفسه جَلَّت عظمته مُعَلِّماً لعباده كيف يحمدونه ويعظمونه فقال: ﴿فلله الحمد﴾ إلى آخر السورة.

والكبرياء: العَظَمَة.

وقيل: السلطان والشرف. والله تعالى أعلم.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٢)، والكشف (١/ ٤٦٠)، والنشر (٢/ ٢٦٧)، والإتحاف (ص:٣٩٠)، والسبعة (ص:٥٩٥).

(٢) هي سورة فصلت، عند الآية رقم: ٢٤.

سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي أربع وثلاثون آية في المدني، وخمس في الكوفي[1].

وهي مكية في قول ابن عباس وعامة المفسرين[2].

واستثنى قتادة وابن عباس في رواية عنه قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله﴾ وما في حيزها[3].

وضمّ مقاتل إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم ... الآية﴾[4].

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢٧).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٦٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٣٣) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت بمكة سورة حم الأحقاف، ومن طريق آخر عن ابن الزبير، وعزاه لابن مردويه.

(٣) انظر: الماوردي (٥/ ٢٧٠)، وزاد المسير (٧/ ٣٦٨).

(٤) انظر: زاد المسير، الموضع السابق.

حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾

قال الله تعالى: ﴿ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي: خلقاً ملتبساً بالحكمة.

وقال الكلبي: إلا للحق[١].

قوله تعالى: ﴿وأجل مسمى﴾ أي: ما خلقنا ذلك إلا بالحق وبتقدير أجل مسمى ينتهي إليه، وهو يوم القيامة.

و"ما" في قوله: ﴿عما أنذروا﴾ موصولة أو مصدرية، بمعنى: عن إنذارهم ذلك اليوم.

وما بعده مُفسّر في فاطر[٢] إلى قوله: ﴿إيتوني بكتاب من قبل هذا﴾ أي: من قبل هذا القرآن فيه برهان ما تدعون، ﴿أو أثارة من علم﴾.

قال ابن عباس، ويروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ: "أو أثارة من علم": الخط[٣].

وقال مجاهد: بقيةٌ من علم تأثرونه عن غيركم[٤].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٧١).

(٢) عند الآية رقم: ٤٠.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٦ ح١٩٩٢)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٩٩ ح١٠٧٢٥)، والأوسط (١/ ٩٠ ح٢٦٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٣٤) وعزاه لأحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٥٩٣)، والطبري (٢٦/ ٣) بمعناه. وذكره الماوردي (٥/ ٢٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٦٩). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٧/ ٤٣٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

قال الزمخشري(١): هو من قولهم: سمنت الناقة على أثارة من شحم، أي: على بقية من شحم كانت بها من شحم [ذاهب](٢).

وقال الحسن: أو أثارة شيء تستخرجونه وتثيرونه(٣).

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبي بن كعب وأبو عبدالرحمن السلمي والحسن وقتادة: "أَثْرَةٍ" بسكون الثاء، على وزن قَطْرَة(٤).

وقرأ ابن مسعود وأبو رزين وابن عباس بخلاف عنه، وعكرمة وعمرو بن ميمون: "أَثَرَة"، مثل: شَجَرَة.

قال أبو الفتح ابن جني(٥): الأَثَرَة والأَثَارَة التي تقرأ بها العامة: البقية، وما يؤثر. وهي من قولهم: أَثَرَ الحديث يَأْثُرُه أثْراً وأَثَرَة. وأما الأَثْرَة ساكنة الثاء فهي أبلغ معنى؛ وذلك أنها الفعْلَة الواحدة من هذا الأصل، فهي كقولك: ائتوني بخبر واحد، أو حكاية [شاذة](٦)، أي: قد قنعت منكم في الاحتجاج بهذا على [قلّته](٧).

وقال الزمخشري(٨): قرئ: "أَثَرَة" -يريد: بفتح الثاء- أي: من شيء أوثرتم به وخصصتم من علمه لا إحاطة به لغيركم.

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٩٨).

(٢) في الأصل: ذهب. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣). وذكره الماوردي (٥/ ٢٧١).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٦٩)، والدر المصون (٦/ ١٣٥).

(٥) المحتسب (٢/ ٢٦٤).

(٦) في الأصل: شاهدة. والتصويب من المحتسب (٢/ ٢٦٤).

(٧) في الأصل: قلة. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٨) الكشاف (٤/ ٢٩٨).

قلتُ: وهو معنى قول ميمون وقتادة وأبي سلمة بن عبدالرحمن: خاصة من علم[(١)].

قال[(٢)]: وقرئ: "أثرة" بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء، فالإثْرة -بالكسر- بمعنى: الأَثْرة. وأما الأثرة فالمرة من مصدر: [أَثَرَ][(٣)] الحديث إذا رَوَاهُ. وأما الأُثْرة -بالضم-: فاسم ما يؤثر، كالخطبة: اسم ما يخطب [به][(٤)].

قوله تعالى: ﴿ومن أضل﴾ أي: أشد ضلالاً ﴿ممن يدعوا من دون الله من لا﴾. وقرأ ابن مسعود: "ما لا"[(٥)].

﴿يستجيب له﴾ يريد: الأصنام؛ لأن "ما" لمن لا يعقل. ويجوز أن يراد على قراءة العامة: كل من عُبِدَ من دون الله من الجن والإنس والأصنام، فغلب ما يعقل.

وقيل: ويجوز أن يراد الأصنام وحدها، فأجريت مجرى من يعقل لوصفهم إياها بذلك. والجائز الثاني أظهر وأشهر في التفسير، على أن "ما" و"من" يتعاقبان.

﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ في محل الحال.

﴿وإذا حشر الناس﴾ يعني: يوم القيامة ﴿كانوا لهم أعداء﴾ يتبرؤون منهم ﴿وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ جاحدين.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٣٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة.

(٢) أي: الزمخشري في الكشاف.

(٣) في الأصل: أثرت. والتصويب من الكشاف (٤/ ٢٩٨).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) انظر هذه القراءة في: الكشاف (٤/ ٢٩٩).

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

قال الزمخشري[1]: واللام في قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم﴾ مثلها في قوله تعالى: ﴿للذين آمنوا لو كان خيراً﴾ [الأحقاف:١١]، أي: لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا.

﴿أم يقولون افتراه﴾ إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سِحْراً إلى ذكر قولهم: إن محمداً افتراه.

ومعنى الهمزة في "أم": للإنكار والتعجب، كأنه قيل: دع هذا واسمع قولهم المستنكر المفضى منه العجب، وذلك أن محمداً ﷺ كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه.

﴿قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً﴾ أي: لا تقدرون على دفع عذابه عني، فكيف أفتري عليه وأتعرض لعقابه؟

﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ أي: بما تقولون في القرآن ﴿كفى به شهيداً بيني وبينكم﴾ يشهد لي بالصدق والبلاغ، وعليكم بالتكذيب، ﴿وهو الغفور الرحيم﴾.

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٩٩-٣٠٠).

قال الزجاج لما ذكر هاهنا الغفران والرحمة[١]: ليُعلمهم أن من أتى ما أتيتم ثم تاب فإن الله غفور رحيم به.

قوله تعالى: ﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل﴾ وقرأ عكرمة وابن أبي عبلة وأبو حيوة: "بَدَعاً" بفتح الدال[٢].

فالمعنى على قراءة الأكثرين: ما كنت أول من أرسل.

والبدْع والبديع من كل شيء: مبتدأه، ومنه: البدْعة؛ لأنه قول [ما لم][٣] يسبق إليه، و"بديع السموات": مبتدؤها على غير مثال سبق.

والمعنى على القراءة الأخرى: ما كنت ذا بدع، على حذف المضاف.

وقيل: المعنى: ما كنت بدعاً من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه وأخبرُكم بكل ما تسألون عنه من المغيبات؛ فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما آتاهم الله من آياته، ولا يخبرون إلا بما أوحي إليهم.

﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ قرأ ابن أبي عبلة وابن يعمر: "يَفْعَلُ" بفتح الياء[٤].

واختلفوا هل المراد نفي علمه بما يفعل به في الآخرة أم في الدنيا؟ على قولين:

أحدهما: في الآخرة، قال: ثم نزل بعدها: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ [الفتح:٢]، وقال: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات﴾ [الفتح:٥]

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٤٣٩).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٥٧)، والدر المصون (٦/ ١٣٦).

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٧١)، والدر المصون (٦/ ١٣٦).

فأعلمه ما يفعل به وبالمؤمنين[١].

الثاني: في الدنيا، ثم في ذلك قولان:

أحدهما: أن النبي ﷺ رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخيل وشجر وماء، فقصّها على أصحابه فاستبشروا؛ لما كان يلحقهم من الأذى بسبب المشركين، ثم إنهم مكثوا بُرهة لا يرون ذلك، فقالوا: يا رسول الله! متى تهاجر إلى الأرض التي رأيت؟ فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ يعني: لا أدري أخرج إلى الموضع الذي رأيته في منامي أم لا؟ ثم قال: إنما هو شيء رأيته في منامي، وما أتبع إلا ما يوحى إليّ. روي ذلك كله عن ابن عباس[٢].

وقال الحسن: ما أدري أُخْرَجُ كما أُخْرِجَ الأنبياء قبلي؟ أو أقتل كما قتلوا؟ وما أدري ما يفعل بكم أتعذبون أم تؤخرون؟ أتصدقون أم تكذبون[٣]؟.

وقال عطية: ما أدري هل يتركني بمكة أو يخرجني منها[٤]؟.

وقيل: المعنى: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم فيما يستقبل من الزمان، ويقدر لي ولكم في قضاياه.

وقيل: هو نفي للدراية المفصلة.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٣٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب نزول القرآن (ص:٣٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٧-٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٣٧) وعزاه لابن جرير.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٠٤) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٧٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٣٥) وعزاه لابن المنذر.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝١١﴾

﴿قل أرأيتم﴾ خبروني، ﴿إن كان من عند الله﴾ يعني: القرآن ﴿وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل﴾ وهو عبد الله بن سلام، في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعامة المفسرين(١).

وقال سعد بن أبي وقاص: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا عبد الله بن سلام، وفيه نزلت: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾(٢).

فـ"المِثْل" على هذا: صلة، أي: شهد على صحته، وكونه من عند الله.

وقيل: المعنى: وشهد على ما يماثله في التوراة ويطابقه من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك.

وقيل: وشهد على مثل ما أقول أنه من عند الله، أو على نحو ذلك.

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٩٣)، والطبري (٢٦/ ١٠-١١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٣٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد والضحاك، وعزاه لابن سعد وعبد بن حميد وابن جرير. ومن طريق آخر عن زيد بن أسلم وقتادة، وعزاه لابن عساكر. ومن طريق آخر عن مجاهد وعطاء وعكرمة، وعزاه لابن سعد وابن عساكر.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٨٧ ح٣٦٠١)، ومسلم (٤/ ١٩٣٠ ح٢٤٨٣).

قال الزجاج[1]: والأجود أن يكون على مثل شهادة النبي ﷺ، يعني: كونه من عند الله. فيكون المقصود تقريع اليهود وتبكيتهم وإلزامهم الحجة بإسلام عالمهم وابن عالمهم وسيدهم وابن سيدهم عبدالله بن سلام.

وروى الشعبي عن مسروق قال: والله ما نزلت في عبدالله بن سلام؛ لأن آل حم نزلت بمكة، وإنما أسلم عبدالله بالمدينة، وإنما كانت محاجة من رسول الله ﷺ لقومه، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

ومثل القرآن التوراة، فشهد موسى على التوراة، ومحمد على القرآن، وكلاهما مصدق الآخر.

فعلى هذا يكون المعنى: وشهد موسى على التوراة التي هي مثل القرآن، ومصدقة له في التوحيد والإخبار بما كان وما يكون، وناطقة بصحته ومخبرة بوجوده.

والأول أشهر وأكثر وأحسن في انتظام الكلام ومطابقة المعنى.

فإن قيل: أين جواب الشرط في قوله: ﴿إن كان من عند الله﴾؟

قلتُ: هو محذوف. وفي تقديره أربعة أوجه:

أحدها: فمن أضلّ منكم؟ قاله الحسن[3].

والثاني: أن التقدير: إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد فآمن به، أو

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٤٤٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٣٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٢٧٤) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٠٥).

تؤمنون؟ قاله الزجاج[(١)].

الثالث: تقديره: أتأمنون عقوبة الله؟ قاله أبو علي الفارسي[(٢)].

الرابع: تقديره: ألستم ظالمين. ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾. ذكره الواحدي[(٣)]. واختاره صاحب الكشاف قال[(٤)]: فالواو في قوله: ﴿وكفرتم﴾ عاطفة لـ"كفرتم" على فعل الشرط، كما عطفت "ثم" في قوله: ﴿إن كان من عند الله ثم كفرتم به﴾ [فصلت:٥٢]، وفي قوله تعالى: ﴿واستكبرتم﴾ عاطفة لـ"استكبرتم" على "شهد شاهد"، [وأما][(٥)] الواو في قوله تعالى: ﴿وشهد شاهد﴾ فقال الزمخشري أيضاً[(٦)]: قد عطفت جملة قوله: "شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم" على جملة قوله: "إن كان من عند الله وكفرتم به".

ويجوز أن يكون الواو في قوله: "وكفرتم" واو الحال، وفي قوله: "وشهد شاهد" حالاً معطوفة عليها، على معنى: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله وقد كفرتم به، والحال أنه قد شهد [حَبْر][(٧)] من بني إسرائيل، ومن تعرفونه بالمهارة في العلم، ودراسة الكتاب الأول على مثله، فآمن واستكبرتم، ألستم أظلم الناس

(١) معاني الزجاج (٤/ ٤٤٠).

(٢) انظر قول أبي علي في: زاد المسير (٧/ ٣٧٤).

(٣) الوسيط (٤/ ١٠٥).

(٤) الكشاف (٤/ ٣٠٣-٣٠٤).

(٥) في الأصل: فأما. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٠٣).

(٦) الكشاف (٤/ ٣٠٤).

(٧) في الأصل: خبر. ولعل الصواب ما أثبتناه.

[وأضلّهم][١]؟ ويكون ذلك تقريعاً لليهود وتوبيخاً لهم.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾ اختلفوا في هذه الآية أيضاً هل هي مكية أو مدنية؟

فإن قلنا: هي مكية، فالمعنى: وقال كفار قريش للضعفاء الذين بادروا إلى الإيمان؛ كصهيب، وبلال، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، تعظماً عليهم واستكباراً: لو كان ما بادروا إليه خيراً ما سبقونا إليه.

قال أبو الزناد: أسلمت امرأة ضعيفة البصر، فقال الأشراف من قريش يهزؤون بها: والله لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقتنا هذه إليه، فنزلت هذه الآية[٢].

وقال أبو المتوكل: لما أسلم أبو ذر استجاب قومه إلى الإسلام، قالت قريش: لو كان خيراً لم يسبقونا إليه[٣].

وإن قلنا: هي مدنية -قال الثعلبي[٤]: وهو قول أكثر المفسرين- فقال الكلبي: "وقال الذين كفروا": يعني: أسد وغطفان، "للذين آمنوا": يعني: جهينة ومزينة، لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا إليه رعاء البهمة ورُذَال الناس.

وقيل: هو قول اليهود عند إسلام ابن سلام وأصحابه.

فإن قيل: ما معنى قوله: "للذين آمنوا"؟

---

(١) في الأصل: وأظلمهم.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٧٥).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٢٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٧٥).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٠).

قلتُ: قد سبق في مواضع من هذا الكتاب التنظير[(١)] بهذه الآية، وأن المعنى: لأجل الذين آمنوا. ويجوز أن يكون من خطاب التلوين والرجوع من المخاطبة إلى المغايبة، فتكون اللام على بابها.

قوله تعالى: ﴿وإذ لم يهتدوا به﴾ أي: بالقرآن.

قال الزمخشري[(٢)]: إن قلت: لا بد من عامل في الظرف في قوله: "إذ لم يهتدوا به" ومن متعلق بقوله: "فسيقولون"، وغير مستقيم أن يكون "فسيقولون" هو العامل في الظرف، لتدافع دلالتي المضي والاستقبال، فما وجه هذا الكلام؟

قلتُ: العامل في "إذ" محذوف؛ لدلالة الكلام عليه، كما حذف من قوله تعالى: ﴿فلما ذهبوا به﴾ [يوسف:١٥]، وقولهم: حينئذ الآن، وتقديره: وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم، فسيقولون هذا إفك قديم، فهذا المضمر صح به الكلام، حيث انتصب به الظرف، وكان قوله: "فسيقولون" [مسبباً][(٣)] عنه، كما صح بإضمار أن قوله تعالى: ﴿حتى يقول الرسول﴾ [البقرة:٢١٤] لمصادفة "حتى" مجرورها، والمضارع ناصبه.

وقولهم: ﴿هذا إفك قديم﴾ كقولهم: أساطير الأولين.

وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾

---

(١) رُسمت في الأصل هكذا: التنيطير.

(٢) الكشاف (٤/ ٣٠٤-٣٠٥).

(٣) في الأصل: سبباً. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٠٥).

قوله تعالى: ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ أي: ومن قبل القرآن كتاب موسى، و"كتاب موسى": مبتدأ، والظرف خبر مقدم عليه، وبه انتصب "إماماً" على الحال[١]، كقولك: في الدار زيد قائماً.

وقال أبو عبيدة[٢]: فيه إضمار، تقديره: أنزلناه إماماً ورحمة.

وقال الأخفش[٣]: انتصب على القطع.

ومعنى: "إماماً": قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه، "ورحمة" لمن آمن واتبعه.

﴿وهذا﴾ يعني: القرآن ﴿كتاب مصدق﴾ لكتاب موسى.

وقيل: مصدق لما تقدمه من كتب الله.

﴿لساناً عربياً﴾ حال من ضمير الكتاب في "مصدق"، والعامل فيه: "مصدق". ويجوز أن ينتصب عن "كتاب" لتخصصه بالصفة، ويعمل فيه معنى الإشارة. ويجوز أن يكون مفعولاً لـ"مصدق"[٤]، أي: يصدق ذا لسان عربي، وهو الرسول ﷺ.

قرأتُ لأبي جعفر يزيد بن القعقاع ونافع وابن عامر وابن فليح عن ابن كثير، وهبة الله عن اللهبي عن ابن كثير أيضاً، وللمفضل عن عاصم، وليعقوب الحضرمي: "لتنذر" بالتاء، على الخطاب للنبي ﷺ.

وقرأتُ لباقي العشرة من جميع طرقهم اللاتي خرجها الإمام أبا طاهر أحمد بن

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ١٣٧).

(٢) لم أقف عليه في مجاز القرآن لأبي عبيدة.

(٣) انظر: معاني الأخفش (ص:٢٨٥) وفيه: نصب؛ لأنه خبر معرفة.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٤)، والدر المصون (٦/ ١٣٧).

علي بن عبيدالله بن سوار المقرئ رحمه الله في كتابه "المستنير"، وقرأتُ بجميع ما فيه على شيخنا العلامة أبي البقاء عبدالله بن الحسين اللغوي تلاوة، وأخبرني أنه قرأ بجميع ذلك وهو ما فيه على الشيخ أبي الحسن علي بن المرحب البطائحي تلاوة، وأخبره أنه قرأ بجميع ما فيه على ابن سوار المصنف تلاوة: "لينذر" بالياء[1]، يعني: الكتاب.

﴿وبشرى﴾ أي: وهو بشرى ﴿للمحسنين﴾ الموحدين.

وقيل: "وبشرى" في محل النصب عطفاً على "لتنذر"[2]، فإنه في محل النصب؛ لأنه مفعول له.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٢-٦٦٣)، والكشف (٢/ ٢٧١)، والنشر (٢/ ٣٧٢-٣٧٣)، والإتحاف (ص:٣٩١)، والسبعة (ص:٥٩٦).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٤)، والدر المصون (٦/ ١٣٧).

وما بعده مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿بوالديه إحساناً﴾ قرأ أهل الكوفة: "إحساناً". وقرأ الباقون: "حُسْناً"[(١)]. وقد سبق القول فيه إعراباً وتفسيراً.

قوله تعالى: ﴿حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً﴾ سبق ذكر اختلاف القراء فيه في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿أن ترثوا النساء كرهاً﴾ [النساء:١٩]، ونصبه على الحال[(٢)]. أي: ذات كُرْه، أو على أنه صفة للمصدر، أي: حملاً ذا كُرْه.

والمعنى: حملته على مشقة ووضعته على مشقة. وهذا خارج مخرج التعليل للإحسان.

قوله تعالى: ﴿وحمله وفصاله﴾ وقرأتُ ليعقوب: "وفَصْله" بفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف[(٣)].

ومعنى الكلام: ومدة حمله وفصاله بالفطام عن أمه ﴿ثلاثون شهراً﴾.

وبهذه الآية احتج علي عليه السلام وفقهاء الأمصار من بعده: على أن أقل الحمل ستة أشهر؛ لأن مدة الرضاع لمن أراد الإتمام مقدرة بحولين، فيتعين لأقل الحمل ستة أشهر.

وقال ابن إسحاق: حمله تسعة أشهر، [وفصاله][(٤)] من اللبن لأحد وعشرين شهراً[(٥)].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٣)، والكشف (٢/ ٢٧١)، والنشر (٢/ ٣٧٣)، والإتحاف (ص:٣٩١)، والسبعة (ص:٥٩٦).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٤)، والدر المصون (٦/ ١٣٨).

(٣) النشر (٢/ ٣٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩١).

(٤) في الأصل: فصاله. والتصويب من الثعلبي (٩/ ١٢).

(٥) ذكره الثعلبي (٩/ ١٢).

﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ وهو زمن اكتهاله واشتداد قوته واستحكام عقله وتمييزه، وذلك إذا أربى على الثلاثين وناهز الأربعين.

وقال ابن قتيبة[١]: أَشُدُّ الرجل غيرُ أَشُدّ اليتيم؛ لأن أشد الرجل: الاكتهال والحُنُكَة -الحُنُكَة: فهم الشيء وإحكامه[٢]- وأن يشتد رأيه وعقله، وذلك ثلاثون سنة، ويقال: ثمان وثلاثون سنة. وأشد الغلام: أن يشتد خَلْقُه ويتناهى نباته.

وقد ذكرنا الأَشُدّ في الأنعام[٣] ويوسف[٤].

﴿قال رب أوزعني﴾ مُفسّر في النمل[٥].

والمراد بالنعمة التي سأل ربه أن يوزعه شكرها: نعمة التوحيد والإسلام.

﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ أي: وأوزعني أن أعمل صالحاً ترضاه، ﴿وأصلح لي في ذريتي﴾ اجعلهم محلاً ومقراً للصلاح ومظنة له.

فصل

ذهب ابن عباس وعامة المفسرين إلى أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه[٦]، ويؤيد ذلك تعذر إجرائها على العموم في كل إنسان؛ لأنه ليس كل من بلغ أربعين سنة قال: رب أوزعني، ودعا بما أخبر الله تعالى عنه في هذه

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢٥٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: حنك).

(٣) عند الآية رقم: ١٥٣.

(٤) عند الآية رقم: ٢٢.

(٥) عند الآية رقم: ١٩.

(٦) ذكره الطبري (٢٦/ ١٧)، والماوردي (٥/ ٢٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٧٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٤٣) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

الآية.

قال علي عليه السلام: هذه الآية نزلت في أبي بكر، أسلم أبواه جميعاً[١].

وقال ابن عباس في رواية عطاء عنه: نزلت في أبي بكر الصديق، وذلك أنه صحب رسول الله ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة، ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة، [فنزلوا][٢] منزلاً فيه سِدْرة، فقعد رسول الله ﷺ في ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين، فقال: من الرجل الذي في ظل السدرة؟ فقال: ذلك محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، فقال: هذا والله نبي، وما استظل أحد بعد عيسى تحتها إلا محمد نبي الله، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، فكان لا يفارق رسول الله ﷺ في أسفاره وحضوره[٣]، فلما نُبِّئَ رسول الله ﷺ -وهو ابن أربعين سنة، وأبو بكر وهو ابن ثماني وثلاثون سنة- صدَّق رسول الله ﷺ، فلما بلغ أربعين سنة قال: ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي﴾[٤]. [فأجابه][٥] الله، فأعتق سبعة من المؤمنين، فكانوا يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله تعالى عليه، واستجاب له في ذريته فآمنوا. هذا كلام ابن عباس[٦].

وقال جمهور المفسرين: لما بلغ أبو بكر أربعين سنة دعا الله تعالى بما ذكره في هذه

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٠٧).

(٢) في الأصل: فلما نزلوا. والمثبت من زاد المسير (٧/ ٣٧٧).

(٣) في زاد المسير: وحضره.

(٤) أسباب نزول القرآن للواحدي (ص:٣٩٥-٣٩٦).

(٥) في الأصل: فأحبه. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٣٧٨).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٧٨).

الآية، فأجابه الله تعالى فأسلم وأسلم [والداه][١] وأولاده ذكورهم وإناثهم، ولم يتفق ذلك لأحد غيره من الصحابة[٢].

وقال الضحاك والسدي: نزلت في سعد بن أبي وقاص[٣]. وقد ذكرنا قصته في موضعها[٤]. والصحيح: الأول.

قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يتقبل عنهم﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص: ["نَتَقَبَّلُ"، و"نَتَجَاوَزُ"][٥] بنون مفتوحة فيهما، ﴿أحسنَ﴾ بالنصب. ومثلهم قرأ أبو المتوكل وأبو رجاء وأبو عمران الجوني، إلا أنه بالياء فيهما[٦]. وقرأ باقي القراء السبعة بالياء المضمومة فيهما، "أحسنُ" بالرفع[٧].

والأحسن بمعنى: الحسن.

وقوله تعالى: ﴿في أصحاب الجنة﴾ في محل الحال[٨]، على معنى: كائنين في جملة أصحاب الجنة ومنتظمين في زمرتهم.

﴿وعد الصدق﴾ مصدر مؤكد؛ لأن قوله: "يتقبل" و"يتجاوز" وعدٌ من الله

---

(١) في الأصل: والده. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٣٧٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٧٨).

(٣) مثل السابق.

(٤) في سورة العنكبوت، عند الآية رقم: ٨.

(٥) في الأصل: يتقبل ويتجاوز. وهو خطأ.

(٦) انظر هذه القراءة في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩١)، وزاد المسير (٧/ ٣٧٩).

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٨-٣٩٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٤-٦٦٥)، والكشف (٢/ ٢٧٢)، والنشر (٢/ ٣٧٣)، والإتحاف (ص:٣٩١)، والسبعة (ص:٥٩٧).

(٨) انظر: الدر المصون (٦/ ١٣٩).

تعالى لهم بالتقبل والتجاوز.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩)﴾

قوله تعالى: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾ سبق القول على "أُفّ" في بني إسرائيل[١]. وذكرنا اختلاف القراء فيها، ولغات العرب.

﴿أتعدانني﴾ وقرأتُ لأبي عمرو من رواية القزاز عن عبد الوارث عنه: بفتح نون التثنية[٢]، وهي لغة شاذة. وعلته: استثقال اجتماع نونين وكسرتين.

وروى هشام: "أتعِدَانِّي" بنون واحدة مشددة على الإدغام[٣]، تحرياً للتخفيف أيضاً، كما تحرّاه من أسقط إحدى النونين.

﴿أن أُخرج﴾ أي: أُبعث وأُخرج من الأرض، ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾.

قال مقاتل[٤]: مضت فلم يبعث منهم أحد.

---

(١) عند الآية رقم: ٢٣.

(٢) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ١٣٩).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٢).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٢٢٤).

وقال أبو سليمان الدمشقي: مضت القرون مكذبة بهذا[١].

﴿وهما يستغيثان الله﴾ يستصرخان الله ويستغيثانه عليه ويقولان له: ﴿ويلك آمن﴾ دعاء عليه بالثبور، ومقصودهما: استنقاذه من الهلكة وتحريضه على الإيمان لا حقيقة الهلاك.

﴿إن وعد الله حق﴾ وقرئ: "أنَّ" بفتح الهمزة[٢]، على معنى: آمن بأن وعد الله حق.

فصل

اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية، فذهب جمهور المفسرين إلى أنها نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق قبل إسلامه، وكان أبواه ألحّا عليه فيما دعواه إليه من الإيمان، فقال: أحيوا لي عبدالله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم ما يقولون[٣].

وقال مجاهد: نزلت في عبد الله بن أبي بكر الصديق[٤].

وروي عن عائشة رضي الله عنها: أنها أنكرت أن تكون الآية نزلت في عبدالرحمن إنكاراً شديداً[٥].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٨١).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٦٢)، والدر المصون (٦/ ١٤٠).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٥-٣٢٩٦) عن السدي. وذكره الماوردي (٥/ ٢٧٩-٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٨٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٤٥) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٨٠).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٨٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٤٥) وعزاه لعبد الرزاق =

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا محمد، عن موسى بن إسماعيل[1]، حدثنا أبو عوانة[2]، عن أبي بشر[3]، عن يوسف بن ماهك[4] قال: ((كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايَعَ له بعد أبيه. فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه. فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾. فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله تعالى أنزل عذري))[5]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

وقال محمد بن زياد وغيره: كتب معاوية إلى مروان ليبايع الناس ليزيد، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: لقد جئتم بها هرقلية، أتبايعون لأبنائكم، فقال مروان: هذا

وابن مردويه من طريق ميناء.

(١) موسى بن إسماعيل المنقري مولاهم، أبو سلمة التبوذكي البصري، ثقة صدوق، مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٩٦-٢٩٧، والتقريب ص:٥٤٩).

(٢) الوضاح بن عبد الله اليشكري، مولى يزيد بن عطاء، أبو عوانة الواسطي البزاز، ثقة ثبت صدوق في الحديث، كان من سبي جرجان، ولد سنة اثنتين وعشرين ومائة، ومات في ربيع الأول سنة ست وسبعين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ١٠٣-١٠٥، والتقريب ص:٥٨٠).

(٣) بيان بن بشر الأحمسي البجلي، أبو بشر الكوفي، ثقة ثبت (تهذيب التهذيب ١/ ٤٤٤، والتقريب ص:١٢٩).

(٤) يوسف بن ماهك بن بُهزاد المكي، مولى قريش، ثقة عدل قليل الحديث، مات سنة ست ومائة. وقيل قبل ذلك (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٧٠، والتقريب ص:٦١١).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٧ ح ٤٥٥٠).

الذي يقول الله فيه: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما ... الآية﴾ فسمعت عائشة رضي الله عنها بذلك، فغضبت وقالت: والله ما هو به، ولو شئتُ لسمّيته، ولكن الله تعالى لعن أباك وأنت في صلبه، فأنت فضض من لعنة الله[١].

وقال الزجاج[٢]: قول من قال: أنها في عبد الرحمن باطل بقوله: ﴿أولئك الذين حق عليهم القول﴾، فأعلم الله تعالى أن هؤلاء لا يؤمنون، وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين [وسرواتهم][٣].

والتفسير الصالح: أنها نزلت في الكافر العاقّ.

وقال الحسن البصري: نزلت في جماعة من كفار قريش قالوا ذلك لآبائهم[٤].

قوله تعالى: ﴿في أمم﴾ أي: في جملة أمم، أو مع أمم كافرة، ﴿قد خلت﴾ مضت ﴿من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾.

وقرأ ابن السميفع وأبو عمران الجوني: "أَنَّهم" بفتح الهمزة[٥]، على معنى: لأنهم، أو بأنهم.

﴿ولكل﴾ من الجنسين المذكورين ﴿درجات﴾ منازل ومراتب ﴿مما عملوا﴾ أي: من جزاء أعمالهم في الخير والشر، أو من أجل ما عملوا.

وإنما قال: درجات، والنار دركات، على مذهبهم في التغليب.

---

(١) أخرجه النسائي (٦/ ٤٥٨ ح١١٤٩١)، والحاكم (٤/ ٥٢٨ ح٨٤٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٤٤) وعزاه لعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٤٤٣-٤٤٤).

(٣) في الأصل: وسراوتهم. والتصويب من معاني الزجاج (٤/ ٤٤٤).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٨١).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٨١)، والبحر المحيط (٨/ ٦٢).

﴿وليوفيهم أعمالهم﴾ تعليل، معلَّلُهُ محذوفٌ، تقديره: وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم، قدَّر جزاءهم، فجعل لكلٍ درجات مما عملوا.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: "وليوفيهم" بالياء. وقرأ نافع وحمزة والكسائي: "ولنوفيهم" بالنون(1). وعن ابن عامر [كالقراءتين](2).

وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ العامل في الظرف محذوف، تقديره: اذكر، أو القول المضمر، تقديره: فيقال لهم، ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾. والمراد بعرضهم على النار: تعذيبهم بها، كقولهم: عُرض بنو فلان على السيف؛ إذا قتلوا به.

وقيل: المراد عرض النار عليهم، من قولهم: عرضت الناقة على الحوض، يريد: عرض الحوض عليها، فقلبوا.

ويدل عليه تفسير ابن عباس: يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها(3).

قرأ ابن كثير: "أأذهبتم" بهمزتين، الأولى محققة والثانية ملينة من غير فصل،

---

(1) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٥)، والكشف (٢/ ٢٧٢)، والنشر (٢/ ٣٧٣)، والإتحاف (ص:٣٩٢)، والسبعة (ص:٥٩٨).

(2) في الأصل: كاقرائتين.

(3) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٣٠٩).

وحققهما ابن عامر في رواية ابن ذكوان، وليّن الثانية في رواية هشام، وفصل بينهما بألف الحلواني عن هشام أيضاً. وقرأ الباقون "أذهبتم" بهمزة واحدة على الخبر[1].

قال الفراء والزجاج[2]: العرب توبخ بالألف وبغير الألف، فتقول: أذهبت ففعلت كذا، وذهبت ففعلت.

والمراد بطيباتهم: ما كانوا فيه من اللذات والنعم المكفورة غير المشكورة.

قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: لو شئت لدعوت بصَلائِق[3] وصِنَابٍ[4] وكَراكِرَ[5] وأسْنِمَة، ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾[6].

وقال قتادة: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً، وأحسنكم لباساً، ولكني أستبقي [طيباتي][7].

وقال جابر بن عبد الله: اشتهى أهلي لحماً فمررت بعمر بن الخطاب فقال: ما

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٥)، والكشف (٢/ ٢٧٣)، والإتحاف (ص:٣٩٢)، والسبعة (ص:٥٩٨).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٥٤)، ومعاني الزجاج (٤/ ٤٤٤).

(٣) الصلائق: جمع، واحدها: صليقة. وهو الخبز الرقيق (اللسان، مادة: صلق).

(٤) الصنّاب: صِباغٌ يُتخذ منه الخردل والزبيب (اللسان، مادة: صنب).

(٥) الكراكر: جمع، واحدها: كِرْكِرَة، وهي رحى زَوْر البعير والناقة، وهي إحدى الثَّفِنات الخمس. وقيل: هو الصَّدْر من كل ذي خف (اللسان، مادة: كرر).

(٦) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٨١)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٤٧).

(٧) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢١). وذكر السيوطي في الدر (٧/ ٤٤٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. وما بين المعكوفين في الأصل: بطيباتي. والتصويب من المصادر السابقة.

هذا يا جابر؟ قلت: اشتهى أهلي لحماً، فاشتريت لحماً بدرهم، فقال: أو كلما اشتهى أحدكم شيئاً جعله في بطنه، أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾(١).

وقال ثوبان: كان رسول الله ﷺ إذا سافر كان آخر عهده بإنسان [من](٢) أهله [فاطمة](٣)، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة عليها السلام، فلما قدم من غزوة أتاها، فإذا بِمِسْحٍ على بابها، ورأى على الحسن والحسين عليهما السلام قلبين من فضة، فرجع ولم يدخل عليها، فلما رأت ذلك فاطمة عليها السلام ظنت أنه لم يدخل عليها من أجل ما رأى، فهتكت الستر ونزعت القلبين من الصبيين وقطعتهما، فبكى الصبيان فقسمته بينهما نصفين، فانطلقا إلى رسول الله ﷺ وهما يبكيان، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: يا ثوبان اذهب بذا إلى بني فلان -أهل بيت بالمدينة-، [واشتر](٤) لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي لا أحب أن يأكلوا طيباتهم في الحياة الدنيا(٥).

۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١٥٣)، وابن أبي شيبة (٥/ ١٤٠ ح٢٤٥٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٤٦) وعزاه لأحمد في الزهد عن الأعمش قال: مر جابر... فذكر نحوه.

(٢) في الأصل: عن. والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) زيادة من مصادر التخريج.

(٤) في الأصل: فاشتر. والتصويب من مصادر التخريج.

(٥) أخرجه أبو داود (٤/ ٨٧ ح٤٢١٣)، وأحمد (٥/ ٢٧٥ ح٢٢٤١٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٤٨) وعزاه لأحمد والبيهقي في شعب الإيمان.

خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿واذكر أخا عاد﴾ يعني: هوداً ﴿إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ قال ابن قتيبة[1]: واحد الأحقاف: حِقْف، وهو من الرمل: ما أشرف من كُثبانه واستطال وانحنى[2].

قال قتادة: هي رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها: الشِّحْر[3].

قال ابن إسحاق: كانوا ينزلون ما بين عُمان وحضرموت واليمن كله[4].

وقال ابن عباس: الأحقاف: وادٍ بين عُمان ومَهْرة[5].

وقال مقاتل[6]: في حضرموت، بموضع يقال له: مَهْرة، إليها تنسب الجمال،

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٤٠٧).

(٢) انظر: اللسان (مادة: حقف).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٤٩) وعزاه لابن جرير.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٨٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٣). وذكره الماوردي (٥/ ٢٨٢).

والمَهْرة: قال ياقوت (٥/ ٢٣٤): مخلاف بينه وبين عمان نحو شهر، وكذلك بينه وبين حضرموت.

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٢٢٥، ٢٢٦).

يقال: إبل مهرة ومهاري، وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم.

﴿وقد خلت النذر﴾ يعني: الرسل ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ يعني: من قبل هود ومن بعده ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ أي: أنذرهم بأن لا يعبدوا إلا الله، ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾.

وقوله تعالى: ﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾ اعتراض يشعر بأن الرسل الذين تقدموه والذين جاؤوا من بعده كانوا على سبيل واحد، من الإنذار والدعاء إلى توحيد الله عز وجل.

﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا﴾ أي: لتصرفنا ﴿عن﴾ عبادة ﴿آلهتنا﴾ بالإفك.

قوله تعالى: ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم﴾ قال ابن قتيبة[(١)]: العَارِض: السَّحاب.

وأنشد الأخفش قول أبي [كبير][(٢)] الهذلي:

[وإذا][(٣)] نظرتَ إلى أسِرَّةِ وجهه ... بَرَقَتْ كبرْق العَارِضِ المتهلل[(٤)]

قال بعضهم: سمي بذلك؛ لأنه مار في السماء، والعارض: هو المار الذي لا يلبث[(٥)].

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٤٠٧).

(٢) في الأصل: كثير. وهو تصحيف. والصواب ما أثبتناه. وانظر: مصادر تخريج البيت.

(٣) في الأصل: وإذ. والمثبت من مصادر التخريج.

(٤) البيت لأبي كبير الهذلي، وهو في: تاج العروس (مادة: عرض)، وديوان الحماسة (١/ ٢١)، والقرطبي (٢/ ٣٤٢).

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٨٣).

قال المفسرون: وكان قد حُبِسَ القطرُ عنهم، فبعث الله تعالى سحابة سوداء، فلما رأوها فرحوا وقالوا: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾، فقال لهم هود: ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾[١].

ثم بيّن ما هو فقال: ﴿ريح فيها عذاب أليم﴾ فجعلت الريح تحمل الفسطاط[٢] وتحمل الظعينة[٣] فترفعهما حتى ترى كأنها جرادة.

﴿تدمر كل شيء﴾ أي: تهلك كل شيء مرَّت به من الناس والدواب والأموال ﴿بأمر ربها فأصبحوا لا تَرى إلا مساكنَهم﴾.

قرأ عاصم وحمزة وخلف ويعقوب: "لا يُرى" بياء معجمة من تحت مضمومة، "مساكنُهم" بالرفع. وقرأ الباقون من العشرة: بتاء معجمة من فوق مفتوحة، "مساكنَهم" بالنصب[٤].

فالقراءة الأولى على معنى: [لا][٥] يرى شيء إلا مساكنهم، ولذلك ذَكَّر الفعل؛ لأنه محمول على "شيء" المضمر، و"المساكن" بدل من "شيء". والقراءة الثانية على معنى: لا ترى يا محمد، أو لا ترى أيها السامع شيئاً إلا مساكنهم خالية ليس فيها أحد منهم.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٥). وذكره الماوردي (٥/ ٢٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٨٤).

(٢) الفسطاط: بيت من شعر (اللسان، مادة: فسط).

(٣) الظعينة: الجمل يُظعن عليه (اللسان، مادة: ظعن).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٦)، والكشف (٢/ ٢٧٤)، والنشر (٢/ ٣٧٣)، والإتحاف (ص:٣٩٢)، والسبعة (ص:٥٩٨).

(٥) زيادة على الأصل.

والمراد: الإعلام أنها اجْتَثَّتْ أصلهم [واستأصلت][1] شأفتهم.

وقرأ علي عليه السلام، وأبو عبدالرحمن السلمي، والحسن، وقتادة، والجحدري؛ كقراءة عاصم وحمزة، إلا أنهم جعلوا بدل الياء تاء[2]، على معنى: لا ترى بقايا ولا أشياء إلا مساكنهم.

ثم هدد كفار قريش بباقي الآية. وقد ذكرنا قصة إهلاكهم مستوفاة في سورة الأعراف[3].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم العطار، وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان، أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو[4]، أن أبا النضر[5] حدّثه، عن سليمان بن يسار، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى أرى منه لَهَوَاتِه[6]، إنما كان يتبسم.

---

(١) في الأصل: واستأصل.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٨٥)، والدر المصون (٦/ ١٤٢).

(٣) عند الآية رقم: ٦٥.

(٤) عمرو بن الحارث بن يعقوب بن عبد الله الأنصاري، مولى قيس أبو أمية، ثقة فقيه حافظ، مات قبل الخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ٨/ ١٣-١٤، والتقريب ص:٤١٩).

(٥) سالم بن أبي أمية التميمي، أبو النضر المدني، مولى عمر بن عبد الله التيمي، كان ثقة ثبت كثير الحديث، يرسل كثيراً، مات في خلافة مروان بن محمد سنة تسع وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٣٧٢، والتقريب ص:٢٢٦).

(٦) اللهوات: جمع لَهَاة، وهي اللحمة المشرفة على الحلق (اللسان، مادة: لها).

قالت: وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرِفَ في وجهه. قالت: يا رسول الله! [إن][(١)] الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفَ في وجهك الكراهية؟ فقال: يا عائشة! ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، عُذِّب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا))[(٢)].

وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه﴾ وقال الزمخشري[(٣)]: "إنْ" نافية، أي: فيما ما مكناكم فيه، إلا أن "إنْ" أحسن في اللفظ؛ لما [فيه][(٤)] مجامعة "ما" مثلها من التكرير المستبشع. ومثله مجتنب، ألا ترى أن الأصل في "مهما": "ما ما" فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء. ولقد أغثّ أبو الطيب في قوله:

لعمرُكَ مَا مَا بَانَ منكَ لِضَارِبِ ....[(٥)]

---

(١) زيادة من الصحيح (٤/ ١٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٧ ح٤٥٥١).

(٣) الكشاف (٤/ ٣١٢-٣١٣).

(٤) في الأصل: في. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣١٢).

(٥) صدر بيت للمتنبي، وعجزه: (بأقْتَلَ مما بَانَ منكَ لِعَائِبِ). انظر: ديوانه (ص:٢٨٥)، وروح المعاني =

وما ضرّه لو [اقتدى بعذوبة][1] لفظ التنزيل، فقال:

لعمرك [ما إن][2] بان منك لضارب.

وقد جعلت "إنْ" صلة، مثلها [فيما][3] أنشد الأخفش:

يُرَجِّي المرءُ [ما][4] إنْ لا يَراهُ وتَعْرِضُ دونَ أدناهُ الخُطُوبُ[5]

وتأولوه: ولقد مكّناهم في مثل ما مكّناكم فيه. والوجه هو الأول، ولقد جاء عليه غير آية من القرآن: ﴿هم أحسن أثاثاً ورئياً﴾ [مريم:٧٤]، ﴿كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض﴾ [غافر:٨٢]، وهو أبلغ في التوبيخ، وأبلغ في الحث على الاعتبار.

قلتُ: والأول هو قول ابن عباس وعامة المفسرين[6].

قال[7]: فإن قلتَ: بم انتصب: ﴿إذ كانوا يجحدون﴾؟

قلتُ: بقوله: ﴿فما أغنى﴾.

= (٢٦/ ٢٧)، والدر المصون (٦/ ١٤٢).

(١) في الأصل: اقتدى بعبه. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣١٢).

(٢) في الأصل: إن ما. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: في. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣١٣)، ومصادر البيت.

(٤) زيادة من مصادر البيت.

(٥) البيت لجابر بن رألان الطائي، أو إياس بن الأرت. وهو في: الخزانة (٣/ ٥٦٧)، والقرطبي (١٦/ ٢٠٨)، وروح المعاني (٢٦/ ٢٨)، والبحر (٨/ ٦٥)، والدر المصون (٦/ ١٤٢).

(٦) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٥١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٧) أي: الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣١٣).

فإن قلت: لم جرى مجرى التعليل؟

قلتُ: لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك: ضربته لإساءته، وضربته إذا أساء؛ لأنك إذا ضربته في وقت إساءته؛ فإنما ضربته فيه [لوجود إساءته فيه][١]؛ إلا أن "إذ"، و"حيث"، غلبتا دون سائر الظروف في ذلك.

ثم هدّد كفار مكة وزاد في تخويفهم فقال تعالى: ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ كديار ثمود، وعاد، ولوط، والمراد: أهل القرى، بدليل قوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ والمعنى: ﴿وصرفنا﴾ لأهل القرى ﴿الآيات﴾، جئناهم بها على ضروب مختلفة ﴿لعلهم يرجعون﴾ فلم يرجعوا.

﴿فلولا﴾ أي فهلا ﴿نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة﴾ يريد: أصنامهم، فإنهم كانوا يقولون: إنها تقربنا إلى الله وتشفع لنا عنده.

قال الزمخشري[٢]: وأحد مفعولي "اتخذوا" المحذوف العائد على "الذين"، والمفعول الثاني: "آلهة"، و"قرباناً": حال.

وقال المصنف: ويجوز أن يكون "قرباناً": مفعولاً ثانياً[٣].

قال الزمخشري[٤]: ولا يصح أن يكون "قرباناً" مفعولاً ثانياً و"آلهة" بدلاً منه؛ لفساد المعنى[٥].

---

(١) في الأصل: لإساءته. والتصويب والزيادة من الكشاف (٤/ ٣١٣).

(٢) الكشاف (٤/ ٣١٣).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ١٤٣).

(٤) الكشاف (٤/ ٣١٣).

(٥) قال أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٦٦): ولم يبين الزمخشري كيف يفسد المعنى، ويظهر أن المعنى صحيح على ذلك الإعراب.

=

قال المصنف: ولستُ أُبْعِدُ ما نفى صحته، معللاً بفساد معناه، وإن كان الأوجه ما قاله أولاً؛ لأن المشركين اتخذوا الأصنام قرباناً واتخذوها آلهة هي القربان عندهم.

وقال صاحب الكشاف[1]: التقدير: فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة قرباناً، فـ"قرباناً" مفعول ثان قدم على المفعول الأول، أي: آلهة ذات قربان.

﴿بل ضلّوا عنهم﴾ غابوا عن نصرتهم ﴿وذلك إفكهم﴾ أي: وذلك الاتخاذ إفكهم كذبهم وافتراؤهم.

وقيل: الإشارة بقوله: "وذلك" إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم، أي: وذلك أثر إفكهم وافترائهم الكذب على الله.

وقرأ سعد بن أبي وقاص وأبو عمران الجوني: "أَفَّكَهم" بفتح الهمزة وقصرها وتشديد الفاء وفتحها وفتح الكاف[2].

ومثل هذه القراءة قراءة ابن عباس، وأبي رزين، والشعبي، وأبي العالية، والجحدري، إلا أنهم لم يشددوا الفاء[3]، على معنى: وذلك الاتخاذ صرفهم عن الحق وثناهم عنه، والقراءة التي قبلها في معناها، إلا أن التشديد للمبالغة.

وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ١٤٣): ووجه الفساد -والله أعلم-: أن القربان اسم لما يتقرب به إلى الإله، فلو جعلناه مفعولاً ثانياً، و"آلهة" بدلاً منه، لزم أن يكون الشيء المتقرب به آلهة، والفرض أنه غير الآلهة، بل شيء يتقرب به إليها، فهو غيرها فكيف تكون الآلهة بدلاً منه؟ وهذا ما لا يجوز.

(١) لم أقف عليه في الكشاف.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٨٦)، والدر المصون (٦/ ١٤٣).

(٣) مثل السابق.

ومثل قراءة ابن عباس قرأ ابن الزبير، إلا أنه مدَّ الهمزة[١]، على معنى: وذلك أصارهم إلى الإفك وأوقعهم فيه.

وقرأ ابن مسعود وأبو المتوكل بفتح الهمزة ومدها وكسر الفاء وتخفيفها ورفع الكاف[٢]، على معنى: وذلك صارفهم عن الحق.

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ اختلف العلماء في سبب صرفهم إليه ﷺ؛ فقال قوم: كان ذلك بسبب رجمهم بالشهب. فروى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عباس قال: «انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب [فرجعت][٣] الشياطين فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذاك إلا من شيء

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٦٦)، والدر المصون (٦/ ١٤٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٨٦-٣٨٧)، والدر المصون (٦/ ١٤٣).

(٣) في الأصل: فرجت. والتصويب من الصحيحين.

حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر، فمرّ النفر الذين توجهوا نحو تهامة بالنبي ﷺ وهو بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمّعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾ [الجن:١-٢]، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن﴾»(١).

وقال قوم: صرفوا إليه لينذرهم، وأمر أن يقرأ عليهم القرآن. وهذا مذهب جماعة، منهم: قتادة.

وكان يقول: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: إني أمرت أن أقرأ على الجن، فأيكم يتبعني. فأطرقوا، ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا، فأتبعه عبد الله بن مسعود. قال: فدخل نبي الله ﷺ شعباً يقال له: شعب الحجون، وخط على عبد الله خطاً ليثبته به. قال: فسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على نبي الله ﷺ، فلما رجع قلت: يا نبي الله، ما اللغط الذي سمعت؟ قال: اجتمعوا إليّ في قتيل كان بينهم، فقضيت بينهم بالحق(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث علقمة قال: «قلت لابن مسعود: هل صحب النبي ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ قال: ما صحبه منا أحد، ولكنا كنا مع النبي ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا: استطير [أو اغتيل](٣)، فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا: يا رسول

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧٣ ح٤٦٣٧)، ومسلم (١/ ٣٣١ ح٤٤٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣١).

(٣) في الأصل: واغتيل. والتصويب من مسلم (١/ ٣٣٢).

الله، فقدناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، قال: أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن. قال: [فانطلق][١] بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم»[٢].

فصل

واختلفوا في الموضع الذي استمعوا فيه القرآن على القولين:

أحدهما: أنه الحجون. قاله ابن مسعود وقتادة[٣].

والثاني: بطن نخلة. قاله ابن عباس ومجاهد[٤].

فصل

واختلفوا في عددهم ومساكنهم، فقال زر بن حبيش: كانوا تسعة، أحدهم: زوبعة[٥].

وقال مجاهد: كانوا سبعة: ثلاثة من أهل حران، وأربعة من أهل نصيبين[٦].

وقال عكرمة: من جزيرة الموصل[٧].

---

(١) في الأصل: فانطق. والتصويب من مسلم (١/ ٣٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٣٢ ح٤٥٠).

(٣) سبق عن قتادة في الحديث ما قبل السابق. وقد أخرجه الطبري (٢٦/ ٣٣) عن ابن مسعود. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٥٣) وعزاه لابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود.

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٥٩٥)، والطبري (٢٦/ ٣٣) عن مجاهد. وقد سبق قريباً عن ابن عباس من رواية البخاري ومسلم.

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣١). وذكره الماوردي (٥/ ٢٨٦).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٥٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور، الموضع السابق.

وقال قتادة: من أهل نينوى[١].

قال ابن عباس: كانوا سبعة نفر من جن نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم[٢].

فصل

النَّفَر: ما بين الثلاثة إلى العشرة، والجمع: أنفار[٣].

وفي حديث أبي ذر: «حين قدم مكة ينظر أمر رسول الله ﷺ، فسمع امرأتين يدعوان إسافاً ونائلة، فقال: أنكحوا إحداهما الأخرى، فقالتا: لو كان هاهنا أحد من أنفارنا»[٤].

وقرئ: "وإذ صرّفنا" بالتشديد[٥]، "يستمعون": يقصدون سماع القرآن، وفي هذا إيذان بأنهم قوم هداهم الله تعالى وألهمهم قصد النبي ﷺ لاستماع القرآن.

﴿فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ الضمير للقرآن. ويجوز أن يكون للنبي ﷺ. ويؤيده قراءة ابن الزبير: ﴿فلما قَضَى﴾ بفتح القاف والضاد[٦]، أي: فلما فرغ وأتمّ قراءته ﴿ولّوا إلى قومهم منذرين﴾ مخوفين داعين إلى الهدي بأمر النبي ﷺ.

﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾ قال عطاء: كان دين

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣١). وذكره الماوردي (٥/ ٢٨٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣١)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٥٦ ح١١٦٦٠) وفيه: تسعة نفر.

(٣) انظر: اللسان (مادة: نفر).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٢١ ح٢٤٧٣).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٦٦)، والدر المصون (٦/ ١٤٤).

(٦) وقرأ الجمهور: "قُضِيَ". وانظر قراءة ابن الزبير في: البحر المحيط (٨/ ٦٧)، والدر المصون (٦/ ١٤٤).

أولئك الجن اليهودية، ولذلك قالوا: "من بعد موسى"[١].

﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله﴾ يعنون: محمداً ﷺ. وهذا يدل على أن الله تعالى أرسله إلى الجن والإنس. وقد ذكرناه في سورة الأنعام.

﴿وآمنوا به يغفر لكم مِنْ ذنوبكم﴾ قيل: "مِنْ" هاهنا صلة. وقيل: للتبعيض، نظراً إلى أن بعض الذنوب وهو ما كان من مظالم العباد يتوقف على رضى الخصم.

﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ وهو عذاب النار.

قال ابن عباس: فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلاً من الجن، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ، فوافوه بالبطحاء، فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم[٢].

فصل

اختلف العلماء في حكم مؤمني الجن؛ فذهب جماعة، منهم: الحسن، وأبو حنيفة، إلى أنه لا ثواب لهم سوى نجاتهم من النار[٣].

قال الحسن: ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم.

وذهب جماعة، منهم: مالك بن أنس، وابن أبي ليلى، إلى التسوية بينهم وبين الإنس في الثواب والعقاب؛ لاستوائهم في التكليف. وهو الصحيح.

قال الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون[٤].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٠)، والزمخشري في الكشاف (٤/ ٣١٦).

(٢) ذكره القرطبي (١٦/ ٢١٧)، والبغوي (٤/ ١٧٥).

(٣) انظر المصدرين السابقين، وفتح الباري (٦/ ٣٤٦).

(٤) ذكره القرطبي (١٦/ ٢١٨).

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولم يَعْيَ بخلقهن﴾ أي: لم يضعف عن إبداعهن ولم يعجز عن اختراعهن.

قال الزجاج وغيره[1]: يقال: عَيِيَ فلان بأمره؛ إذا لم يهتد له ولم يقدر عليه، وأعييتُ: إذا تعبت[2].

﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال أبو عبيدة والأخفش[3]: الباء زائدة مؤكدة.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء وأبي عمرو الياسري: "يَقْدِرُ" بالياء من غير ألف[4]، جعله فعلاً مضارعاً، وهي قراءة جماعة، منهم: الأعرج، وعاصم الجحدري. واختارها أبو حاتم؛ لأن دخول الباء في خبر "أن" يصح، لا يقال: ظننت أن زيداً بقائم، وساغ دخولها هاهنا في خبر "أن"؛ لاشتمال النفي أول الآية،

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٤٣).

(٢) انظر: اللسان (مادة: عيا).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢١٣)، ومعاني الأخفش (ص:٢٨٦).

(٤) انظر: النشر (٢/ ٣٥٥-٣٥٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٢).

على "أن" وما في خبرها.

قال الزجاج[١]: لو قلت ما ظننت أن زيداً بقائم جاز.

ويؤيد قراءة العامة قراءة ابن مسعود: "قادر" بغير باء[٢]، على تقدير القدرة.

قوله تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق﴾ فيه إضمار، فيقال لهم: أليس هذا بالحق، وهذا المضمر هو ناصب الظرف، و"هذا" إشارة إلى العذاب، بدليل قوله تعالى: ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾.

قوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ أي: أولوا الجد والثبات والحزم في الأمور.

واختلفوا في "مِنْ" هاهنا؛ فقال ابن الأنباري: دخلت "مِنْ" للتجنيس لا للتبعيض، كما تقول: لبست الثياب من [الخَزّ][٣]، والجباب من [القَزّ][٤].

فعلى هذا القول يكون قوله: "أولوا العزم" صفة للرسل كلهم. وإلى هذا ذهب ابن زيد قال: لم يبعث الله تعالى رسولاً إلا كان من أولي العزم[٥].

والأظهر عند أكثر المفسرين: أنها للتبعيض.

ثم اختلفت عباراتهم في ذلك؛ فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والكلبي في آخرين: "أولوا العزم": نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله

(١) معاني الزجاج (٤/ ٤٤٧).

(٢) انظر هذه القراءة في: القرطبي (١٦/ ٢١٩).

(٣) في الأصل: الحر. والمثبت من زاد المسير (٧/ ٣٩٢).

(٤) انظر قول الأنباري في: زاد المسير (٧/ ٣٩٢). وما بين المعكوفين في الأصل: القر. والمثبت من زاد المسير.

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣٧).

عليهم أجمعين[١]، وهم أصحاب الشرائع.

وعدّ منهم أبو العالية: هود عليه السلام[٢].

وقال ابن جريج: منهم: إسماعيل، ويعقوب، وأيوب، وليس منهم آدم، ولا يونس، ولا سليمان[٣].

وقال ابن السائب أيضاً: هم الذين أمروا بالجهاد والقتال[٤].

وقال الحسين بن الفضل: هم نجباء الرسل الثمانية عشر المذكورين في سورة الأنعام، لقوله عقيب ذلك: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[٥].

وقال الحسن البصري: هم الذين لم تصبهم فتنة[٦].

وحكى الثعلبي في تفسيره قال[٧]: قال بعضهم: كل الأنبياء أولوا العزم إلا يونس عليه السلام. ألا ترى أن نبينا عليه السلام نُهِيَ أن يكون مثله لعجلة ظهرت منه حين ولى من قومه مغاضباً، فابتلاه الله عز وجل بثلاث، سلط عليه العمالقة

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٥٤) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٩/ ٨)، وفي شعب الإيمان (٧/ ١٢١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٥٤) وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٢٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٥٤) وعزاه لابن المنذر.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١١٦).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٣).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٢).

(٧) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٥).

حتى أغاروا على أهله وماله، وسلط الذئب على ولده فأكلهم، وسلط الحوت عليه فابتلعه.

قوله تعالى: ﴿ولا تستعجل لهم﴾ تسكين للنبي ﷺ وتهديد لكفار قريش.

﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون﴾ من العذاب إذا نزل بهم في الدنيا. وقيل: في الآخرة ﴿لم يلبثوا﴾ في الدنيا. وقيل: في قبورهم ﴿إلا ساعة من نهار﴾ استقصروا مدة أمدهم ولبثهم لما أفضوا إليه من العذاب الدائم والأهوال المتراكمة.

وقوله تعالى: ﴿بلاغ﴾ هو وقف التام.

والمعنى: هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ، كقوله تعالى في آخر إبراهيم: ﴿هذا بلاغ للناس﴾ [إبراهيم:٥٢].

وقرأ الحسن البصري: "بلاغاً" بالنصب(١)، على معنى: بلغ بلاغاً.

قال الزجاج(٢): النصب في العربية جيد بالغ، إلا أنه يخالف المصحف.

وقرأ جماعة، منهم: أبو العالية، وأبو عمران، وأبو مجلز: "بَلِّغْ"(٣)، على الأمر للنبي ﷺ.

﴿فهل يُهْلَكُ﴾ وقرأ ابن محيصن: "يَهْلِكُ" بفتح الياء وكسر اللام(٤)، وروي عنه فتحها مع فتح الياء(٥)، وهي لغة شاذة.

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٣).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٤٤٨).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٩٤)، والدر المصون (٦/ ١٤٥).

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٣).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٦٨)، والدر المصون (٦/ ١٤٥).

﴿إلا القوم الفاسقون﴾ الخارجون عن طاعة الله تعالى.

قال الزجاج[١]: ما في الرجاء لرحمة الله شيء أقوى من هذه الآية.

وقد روى الثعلبي[٢] -رحمه الله تعالى- بإسناد لا بأس به: أن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا تعسر على المرأة ولدها فليكتب هاتين الآيتين والكلمتين في صحيفة، ثم تغسل وتسقى منها: "بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون"[٣].

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٤٤٨).

(٢) أخرجه الثعلبي (٩/ ٢٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٩ ح٢٣٥٠٨).

سورة محمد ﷺ[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي أول سور المُفَصَّل في قول الأكثرين.

وفي حديث ثوبان: أن النبي ﷺ قال: «إن الله أعطاني السبع الطول مكان التوراة، وأعطاني المائين مكان الإنجيل، وأعطاني مكان الزبور المثاني، وفضلني بالمفصل»[2].

قال بعض أهل العلم: سمي بذلك؛ لكثرة تفصيل سُوَرِه بالبسملة.

وهي تسع وثلاثون آية في المدني، وثمان في الكوفي[3].

وهي مدنية في قول ابن عباس وأكثر المفسرين[4]، واستثنى ابن عباس قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ... الآية﴾ فقال: نزلت على النبي ﷺ بعد حجة الوداع حين خرج من مكة، فجعل ينظر إلى البيت ويبكي حزناً عليه[5].

---

(١) وتسمى سورة القتال.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٧ ح١٧٠٢٣) من حديث واثلة بن الأسقع بألفاظ متفاوتة، والثعلبي (٩/ ٦٨) عن ثوبان.

(٣) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢٨).

(٤) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٥٦) وعزاه لابن الضريس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزلت سورة القتال بالمدينة. ومن نفس الطريق عزاه أيضاً للنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل قال: نزلت سورة محمد ﷺ بالمدينة.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٢٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٥).

وقال الضحاك والسدي: هي مكية[1]. وليس بشيء؛ لأنك إذا تصفحت آياتها وجدتها مفسدة لهذا القول، شاهدة ببطلانه، وغير ممتنع أن تشتمل على آيات مكية، لكن إطلاق القول بنزولها كلها بمكة خطأ.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾

قال الله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ أي: أعرضوا عن دين الإسلام، أو صدّوا الناس عنه.

قال ابن عباس: هم المطعمون يوم بدر[2].

وقيل: هم أهل الكتاب.

وقيل: بالعموم. وهو الصحيح.

﴿أضلّ أعمالهم﴾ أبطلها وأحبطها. وأعمال المشركين ما كانوا ينتحلونه من مكارم الأخلاق، ويتمسكون به من بقايا دين إبراهيم وإسماعيل؛ كصلة الأرحام، وفك الأسارى، وقرى الضيف، وحفظ الجوار، ورعي الذِّمام.

وقيل: أضلّ أعمالهم التي أبرموها في نقض أمر النبي ﷺ، وليس بشيء؛ لقوله

---

(١) انظر: زاد المسير (٧/ ٣٩٥)، وكذلك حكى النسفي هذا القول الغريب في تفسيره (٤/ ١٤٤).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٢٣).

تعالى: ﴿والذين آمنوا﴾ إلى قوله: ﴿كَفَّرَ عنهم سيئاتهم﴾، فقابل الذين كفروا بالذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقابل صدود الكفار عن الحق الذي جاء بـه محمـد ﷺ بإيمان المسلمين بما نزل عليه، وجعل جزاء الذين كفروا وصدّوا إبطال حسناتهم، وجزاء الذين آمنوا تكفير سيئاتهم، فجاء الكلام على أبدع نظـم وأحـسن تقـسيم وأصح معنى، اللهم فلك الحمد على ما هديتنا إليـه مـن إبـراز رمـوز خطابـك، ودللتنا عليه من إحراز كنوز كتابك.

قرأ ابن مسعود: "نَزَّلَ" بفتح النون والزاي والتشديد[١].

وقرأ أبو رزين وأبو الجوزاء وأبو عمران كذلك، إلا أنهم خففوا[٢].

وقرأ أبيّ بن كعب: "أُنْزِلَ" بضم الهمزة وكسر الزاي[٣].

وقرأتُ للعشرة من جميع طرقهم: "نُزِّل" بضم النون وتشديد الزاي، على البناء للمفعول.

﴿وأصلح بالهم﴾ قال قتادة والمبرد وغيرهما: يعني: حالهم وشأنهم[٤].

قال المفسرون: وذلك بما أعطاهم من النـصرة والـتمكن واسـتفحال الملـك وجباية الأموال، فجمع لهم جزاء لهم على إيمانهم خير الدنيا والآخرة.

وقال الماوردي[٥]: في قوله: ﴿وأصلح بالهم﴾ أربعة أقوال:

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٩٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٥٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٢٩١-٢٩٢).

أحدها: أصلح شأنهم. قاله مجاهد[١].

الثاني: أصلح حالهم. قاله قتادة[٢].

الثالث: أصلح أمرهم. قاله ابن عباس[٣].

وهكذا ترى معظم كتابه على هذا النمط يعدد أقوالاً حاصلها قول واحد.

قال: الرابع: أصلح قلبهم. حكاه النقاش، ومنه قول الشاعر:

فإنْ تُقْبِلِي بالودِّ أُقبلْ بمِثْلِه وإن تُدْبِرِي أذهبْ إلى حَالِ بَاليَا[٤]

وهو على هذا التأويل محمول على [إصلاح][٥] دينهم.

قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ قال الزجاج[٦]: أي: الأمر ذلك. وجائز أن يكون ذلك الإضلال لاتباعهم الباطل، وتلك الهداية والكفارات باتباع المؤمنين الحق، ثم قال تعالى: ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ أي: كذلك يبين الله للناس أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين، أي: كالبيان الذي ذكر.

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٩٧)، والطبري (٢٦/ ٣٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٥٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) سبق تخريجه قبل قليل.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣٩)، والحاكم (٢/ ٤٩٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٥٧) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٤) البيت لسحيم، انظره في: الماوردي (٥/ ٢٩٢)، والقرطبي (١٦/ ٢٢٤).

(٥) في الأصل: صلاح. والمثبت من الماوردي (٥/ ٢٩٢).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٥-٦).

وقال الزمخشري[١]: إن قلت: أين ضرب الأمثال؟

قلتُ: في أن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار، واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين. أو في أن جعل الإضلال مثلاً لخيبة [الكفار][٢]، وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين.

وقال غيره: "أمثالهم" أي: أمثال من كان قبلهم كيف أهلكهم الله عند تكذيب الرسل، أي: أمثاله لهم. وقد تكون الأمثال: الأوصاف.

فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا﴾ يعني: في مراكز القتال، ﴿فَضَرْبَ الرقاب﴾ أي: الزموا أو اتبعوا ضرب الرقاب، كما قال:

يا نفسُ صبراً على ما كانَ منْ مضَض ....[٣]

(١) الكشاف (٤/ ٣١٩).

(٢) في الأصل: الكافر. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) صدر بيت لحرّي بن ضمرة، وعجزه: (إذ لم أجد لفضول القول أقرانا)، وهو في: اللسان (مادة: =

أي: الزمي صبراً.

والمعنى: إذا لقيتم الذين كفروا فاقتلوهم، غير أنه لما كان الغالب في قتل الإنسان ضرب عنقه صار عبارة عنه وإن لم يقتل ضرب عنقه، كما في قوله: ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ وأمثاله.

﴿حتى إذا أثخنتموهم﴾ أكثرتم فيهم القتل وأغلظتموه، من الشيء الثَّخين؛ وهو الغليظ.

ويجوز أن يكون المعنى: حتى إذا أثخنتموهم بالقتل والجراح.

﴿فشدّوا الوثاق﴾ يريد: أسرهم لئلا يفلتوا منكم.

فالوَثاق -بفتح الواو وكسرها-: اسم ما يوثق به[1].

﴿فإما منّاً بعد وإما فداءً﴾ هما منصوبان بفعلين مضمرين، أي: فإما تَمُنُّون مَنّاً وإما تفدون فِدَاءً، فخُيِّر بعد الأسر بين هذين الأمرين، وهما المنّ عليهم بالإطلاق أو الفداء بعِوَض.

فصل

اختلف العلماء في حكم الأسير؛ فذهب عامة أهل العلم، منهم: ابن عمر، والحسن، وعطاء، وابن سيرين، والإمامان أحمد والشافعي: إلى أن هذه الآية محكمة[2]، وأن الإمام مُخيّر في الأسير بين القتل والاسترقاق، والمنّ والفداء، ففي أي ذلك رأى المصلحة فعل؛ لأن رسول الله ﷺ قتل عقبة بن أبي معيط، والنضر بن

مضض)، وتاج العروس (مادة: مضض).

(١) انظر: اللسان (مادة: وثق).

(٢) ورجّحه الطبري (٢٦/ ٤٢). وانظر: الماوردي (٥/ ٢٩٤)، وزاد المسير (٧/ ٣٩٧).

الحارث يوم بدر صبراً، وفادى أسارى بدر، وقتل بني قريظة، ومنَّ [عَلَى ثمامة][1] بن أثال الحنفي وهو أسير في يده، ولم يزل ذلك دأب الخلفاء الراشدين من بعده.

وذهب جماعة، منهم: قتادة، والضحاك، وابن جريج، والسدي: إلى أن حكمه القتل أو الاسترقاق، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه[2]، قالوا: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فإما تثقفنهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم﴾[3] [الأنفال:٥٧]، وقد أشرنا إلى شيء من ذلك في سورة براءة.

قوله تعالى: ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ قال ابن عباس: حتى لا يبقى أحد من المشركين[4].

وقال مجاهد: حتى لا يكون دينٌ إلا الإسلام[5].

وقال سعيد بن جبير: حتى يخرج المسيح عليه السلام[6].

وقال الفراء[7]: حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم.

فالمعنى على هذا: حتى يضع أهل الحرب أوزارهم، وهي آلتهم وسلاحهم.

---

(١) في الأصل: مامة. وهو خطأ. وهو: ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة الحنفي، أبو أمامة. (انظر ترجمته في: الإصابة ١/ ٤١٠-٤١١). وقول "على" زيادة على الأصل.

(٢) انظر: المغني (٩/ ١٧٩)، والأم (٤/ ١٧٧)، والمبسوط للسرخسي (١٠/ ٢٤).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٦٥)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٧).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٥٩٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٧).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٢٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٦٠) وعزاه لعبد بن حميد.

(٧) معاني الفراء (٣/ ٥٧).

ومنه قول الأعشى:

وأعددتُ للحربِ أوْزَارَها رِمَاحاً طِوَالاً وخَيْلاً ذُكُورا[١]

وقيل: المعنى: حتى تضع أوزار المشركين بأن يسلموا ويوحدوا الله تعالى. والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ قال الزجاج[٢]: "ذلك" في موضع رفع. المعنى: الأمر ذلك.

ويجوز أن يكون نصباً، على معنى: افعلوا ذلك. ولو يشاء الله لانتصر منهم فكفاكم أمرهم بغير قتال، ولكن شرع القتال وأمركم به ﴿ليبلو بعضكم ببعض﴾ فيجزي المؤمنين بالمثوبة ويجزي الكافرين بالعقوبة.

﴿والذين قتلوا في سبيل الله﴾ قرأ أبو عمرو وحفص والمفضل عن عاصم ويعقوب: "قُتِلوا" بضم القاف وكسر التاء من غير ألف. وقرأ باقي القراء العشرة: "قاتلوا"[٣]. والأولى اختيار [أبي][٤] حاتم.

ومثل أبي عمرو قرأ الحسن، إلا أنه شدد التاء[٥].

---

(١) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:٧١)، واللسان (مادة: وزر)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٢٤٤)، والقرطبي (١٦/ ٢٢٩)، والبحر (٨/ ٧٥)، والدر المصون (٦/ ١٤٧)، وزاد المسير (٧/ ٣٩٧)، وروح المعاني (٢٦/ ٤١)، وغريب القرآن (ص:٤٠٩)، والماوردي (٥/ ٢٩٣).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٧).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٦)، والكشف (٢/ ٢٧٦)، والنشر (٢/ ٣٧٤)، والإتحاف (ص:٣٩٣)، والسبعة (ص:٦٠٠).

(٤) في الأصل: أبو. وهو لحن.

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٧٦)، والدر المصون (٦/ ١٤٧).

وقرأ عاصم الجحدري: "قَتَلوا" بفتح القاف والتاء والتخفيف[(١)].

فالقراءة الأولى وقراءة الحسن يراد بهما الشهداء، وقراءة الأكثرين اختيار أبي عبيد، والثالث بمعنى: قتلوا المشركين في سبيل الله.

﴿فلن يضل أعمالهم﴾ كما أضل أعمال الكفار.

قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت يوم أحد، ورسول الله ﷺ في الشعب، وقد فشت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادى المشركون: اعل هُبَل[(٢)].

وقد ذكرنا ما قال الكفار، وماذا أجابهم المسلمون في ذلك اليوم في سورة آل عمران[(٣)].

﴿سيهديهم﴾ قال ابن عباس: إلى أرشد الأمور[(٤)].

وقيل: إلى محاجّة منكر ونكير[(٥)].

وقيل: إلى طريق الجنة[(٦)].

﴿ويدخلهم الجنة﴾ وقرأت لأبي عمرو [من][(٧)] رواية عبدالله بن عمر الزهري عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري النحوي عنه: "ويُدْخِلْهُم" بالجزم؛ لتوالي

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٧٦)، والدر المصون (٦/ ١٤٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٦١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) عند الآية رقم: ١٤٣.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٨).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٢٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٨).

(٦) مثل السابق.

(٧) زيادة على الأصل.

الحركات[١].

﴿عرّفها لهم﴾ قال مجاهد: يهتدي أهل الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها [أحداً][٢].

قال مقاتل[٣]: يمشي المَلَك الذي كان موكلاً بحفظ عمله في الدنيا، فيعرفه كل شيء أعطاه الله تعالى. وإلى هذا المعنى ذهب قتادة والفراء وأبو عبيدة وجمهور المفسرين.

وروى عطاء عن ابن عباس أن المعنى: طيبها لهم[٤].

قال ابن قتيبة[٥]: وهو قول أصحاب اللغة. يقال: طعام معرَّف، أي: مطيَّب.

قوله تعالى: ﴿إن تنصروا الله﴾ أي: تنصروا دينه ورسوله ﴿ينصركم﴾ على عدوكم ﴿ويثبت أقدامكم﴾ عند القتال، أو على الإسلام.

وقرأ المفضل عن عاصم: "ويثبت" بالتخفيف[٦].

﴿والذين كفروا فتعساً لهم﴾ قال الزجاج[٧]: التَّعْسُ في اللغة: الانحطاط والعُثُور، والنصب على معنى: أتعسهم الله تعساً.

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٧٦)، والدر المصون (٦/ ١٤٨).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٥٩٨)، والطبري (٢٦/ ٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٦١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. وما بين المعكوفين زيادة من مصادر التخريج.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢٣٤-٢٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٦٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٨).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤١٠).

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٩٩)، والدر المصون (٦/ ١٤٨).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٨).

وقال غيره[١]: يقال: تَعَسَهُ اللهُ وأَتْعَسَهُ، ونقيض تَعْسَاً له: لعاً له.

قال الأعشى يصف ناقة:

بذاتِ لَوْثٍ عِفِرْنَاةٍ إذا عَثَرَتْ فالتَّعْسُ [أدنى لها منْ أنْ][٢] أقول لَعَا[٣]

يريد: العثور والانحطاط أقرب لها من [الانتعاش][٤].

واختلفت عبارات المفسرين في ذلك؛ فقال ابن عباس: بُعْداً لهم[٥].

وقال الضحاك: خيبةً لهم[٦].

وقال السدي: حزناً لهم[٧].

وقال ابن زيد: شقاءً لهم[٨].

وقال ثعلب: هلاكاً لهم[٩].

﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله﴾ تعالى من القرآن وما اشتمل عليه من التكاليف ﴿فأحبط أعمالهم﴾.

---

(١) هو الزمخشري، انظر: الكشاف (٤/ ٣٢٢).

(٢) في الأصل: أو دنى لها من. والتصويب والزيادة من مصادر البيت.

(٣) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:١٠٥)، واللسان (مادة: لوث، تعس)، والبحر (٨/ ٧١)، والطبري (٧/ ١١٢)، والقرطبي (٦/ ٣٥٨، ١٦/ ٢٣٢)، والدر المصون (٦/ ١٤٨)، والمحتسب (١/ ١٤١).

(٤) في الأصل: الإنعاش. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٢٢).

(٥) ذكره القرطبي (١٦/ ٢٣٢)، والبغوي (٤/ ١٨٠).

(٦) ذكره القرطبي (١٦/ ٢٣٢)، والبغوي (٤/ ١٨٠).

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٢٩٥) وفيه: خزياً لهم، والقرطبي (١٦/ ٢٣٢).

(٨) أخرجه الطبري (٢٦/ ٤٥). وذكره الماوردي (٥/ ٢٩٥).

(٩) ذكره الماوردي (٥/ ٢٩٥).

۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَـٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾

﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ سبق تفسيره[1].

﴿دَمَّرَ الله عليهم﴾ يقال: دَمَّرَهُ الله تعالى، أي: أهلكه، ودَمَّر عليه، أي: أهلك عليه ما يختص به. فالمعنى: أهلك الله تعالى عليهم أنفسهم وأولادهم وأموالهم، وجميع ما يختص بهم.

ثم هدّد كفار هذه الأمة فقال تعالى: ﴿وللكافرين أمثالها﴾ أي: أمثال تلك العاقبة أو الهلكة أو السنة.

﴿ذلك﴾ الذي فعله من نصر المؤمنين وتدمير الكافرين ﴿بأن الله مولى الذين آمنوا﴾ وليُّهم وناصرُهم، ﴿وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ أي: يتمتعون بمتاع الحياة الدنيا،

(١) في سورة يوسف، عند الآية رقم: ١٠٩.

﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ أي: يأكلون غافلين غير متفكرين فيما يراد بهم.

﴿والنار مثوى لهم﴾ منزل ومقام لهم.

قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ قد ذكرنا في آل عمران[١] اختلاف القراء في "كأيّن"، وأشرنا إلى معناها هناك. والمراد: أهل قرية، ولذلك قال: أهلكناهم.

قوله تعالى: ﴿فلا ناصر لهم﴾ حكاية حال؛ كقوله: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ [يس:٩].

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ أي: على حجة وبرهان واضح من الله. وهو النبي ﷺ، في قول أبي العالية[٢].

أو المؤمنون، في قول الحسن[٣].

﴿كمن زين له سوء عمله﴾ يعني: المشركين، ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ في عبادة

---

(١) عند الآية رقم: ١٤٦.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢٩٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٠).

(٣) مثل السابق.

الأوثان.

قوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ مفسر في الرعد[١].

﴿فيها أنهار من ماء غير آسِن﴾ قال أبو عبيدة والزجاج[٢]: غير متغير الريح.

وقال ابن قتيبة[٣]: غير متغيِّر الريح والطعم. والآجن نحوه.

وقرأ ابن كثير: "أَسِنٍ" بقصر الهمزة[٤]، وهما لغتان بمعنى واحد، وأنشد ليزيد بن معاوية:

لقدْ سَقَتْنِي رِضاباً غيرَ ذي أسِنٍ   كالمسكِ [فُتَّ][٥] على ماءِ العناقيد[٦]

وقال أبو يعلى: يقال: أَسَنَ الماء يَأْسِنُ، ويَأْسُنُ أَسْناً وأُسُوناً فهو آسِن، وأَسِنَ يَأْسَنُ أَسَناً وهو أَسِن؛ إذا تغيّر[٧].

فمن قرأ: " آسن " على وزن فاعل، فهو اسم الفاعل من أَسَنَ يَأْسِنُ، كضَارب، من ضَرَبَ يَضْرِبُ.

ومن قرأ: " أَسِن " على وزن فَعِل ، فهو من أَسِنَ يَأْسَنُ كحَذِرَ ، من حَذِرَ يَحْذَرُ.

---

(١) عند الآية رقم: ٣٥.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢١٥)، ومعاني الزجاج (٥/ ٩).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٤١٠).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٧)، والكشف (٢/ ٢٧٧)، والنشر (٢/ ٣٧٤)، والإتحاف (ص:٣٩٣)، والسبعة (ص:٦٠٠).

(٥) في الأصل: نمت. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٢٤).

(٦) انظر البيت في الكشاف (٤/ ٣٢٤)، والقرطبي (١٠/ ٢٢).

(٧) انظر: اللسان (مادة: أسن).

وقال مكي[١]: من قصر جعله اسم فاعل على "فَعِل"؛ لأنه غير متعدّ إلى مفعول؛ كحَذِر، وهو قليل. ومن مَدَّ بناه على فاعل، وهو الأكثر في فَعِلَ يَفْعَلُ، نحو: جَهِلَ يَجْهَلُ فهو جاهل، وعَلِمَ يَعْلَمُ فهو عالم.

قوله تعالى: ﴿وأنهار من لبن﴾، ثم وصفه فقال: ﴿لم يتغير طعمه﴾ يريد: كما تتغير ألبان الدنيا، ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ سبق تفسيره في الصافات عند قوله تعالى: ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ [الصافات:٤٥].

قال الزمخشري[٢]: قرئ بالحركات الثلاث، فالجر على صفة الخمر، والرفع على صفة الأنهار، والنصب على العلة، أي: لأجل لذة الشاربين.

قوله تعالى: ﴿وأنهار من عسل مصفى﴾ أي: ليس فيه عَكَر ولا كَدَر ولا شمع كعسل الدنيا. يشير بذلك إلى سلام لبن الجنة وخمرها وعسلها من الأقذاء والأكدار الملازمة لما في الدنيا من ذلك، بل هو لبن لم تشتمل عليه بطون اللقاح، وخمر لم تعصره الأقدام، وعسل لم تَجْرسه النحل.

﴿ولهم﴾ أي: للمتقين ﴿فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم﴾ لذنوبهم السالفة، ﴿كمن هو خالد في النار﴾.

قال الزجاج[٣]: المعنى: أفمن كان على بينة من ربه وأعطي هذه الأشياء، كمن زيّن له سوء عمله، وهو خالدٌ في النار.

---

(١) الكشف (٢/ ٢٧٧).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٢٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٠).

وقال الفراء[١]: أراد: من كان من أهل النعيم كمن هو خالد في النار.

وقال غيره: وقع التشبيه على ما في الضمير، يقول: أمن هو في هذه الجنة الموصوفة، كمن هو خالد في النار؛ لأن قوله: ﴿ولهم فيها من كل الثمرات﴾ يؤذن بأنهم فيها.

وقال الزمخشري[٢]: هو كلام في صورة الإثبات، ومعنى النفي والإنكار؛ لانطوائه تحت [حكم][٣] كلام مصدر بحرف الإنكار، ودخوله في حيزه، وهو قوله: ﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله﴾ [محمد:١٤] كأنه قيل له: [أمثل][٤] الجنة كمن هو خالد في النار، أي: كمثل جزاء من هو خالد في النار.

قال[٥]: و"مثل الجنة": مبتدأ، وخبره: "كمن هو خالد". وقوله تعالى: ﴿فيها أنهار﴾ داخل في حكم الصلة كالتكرير لها، ألا ترى إلى صحة قولك: التي فيها أنهار. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هي فيها أنهار، أو كأن قائلاً يقول: وما مثلها؟ فقيل له: فيها أنهار. وأن يكون في موضع الحال، أي: [مُستقرة][٦] فيها أنهار.

قوله تعالى: ﴿وسقوا ماءً حميماً﴾ سبق تفسيره، ﴿فقطع أمعاءهم﴾ جمع، واحده: مِعىً، مثل: قَفَا وأَقْفَاء، وإِنَى وآناء.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٦٠).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٢٣-٣٢٤).

(٣) زيادة من الكشاف (٤/ ٣٢٤).

(٤) في الأصل: مثل. والمثبت من الكشاف (٤/ ٣٢٤).

(٥) أي: الزمخشري في الكشاف.

(٦) في الأصل: مفسرة. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ يعني: المنافقين كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ ويسمعون خطبته وحديثه ولا يعون ما يقول، ولا يلقون له بالاً؛ تهاوناً منهم به.

فإن قيل: "مِنْ" في قوله: "ومنهم" ما هي؟

قلتُ: "مِنْ" التي للتبعيض، أي: ومن الكفار. وقد تقدم ذكرهم في مواضع من أول السورة إلى هاهنا.

أو يكون المعنى: ومن هؤلاء المحكوم عليهم المخلدون في النار من يستمع إليك.

فإن قيل: هلاّ قال: ومنهم من يسمع، ليكون مطابقاً لحالهم، فإنهم كانوا يسمعون ولا يستمعون؟

قلتُ: أراد تحقيق نفاقهم وأنهم كانوا يوهمون المسلمين أنهم يشاركونهم في استماع قول النبي ﷺ والإصغاء إلى ما يقوله.

﴿حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم﴾ من أصحابك جرياً

على عادتهم من النفاق واتهاماً لهم أنهم قوم شأنهم ضبط ما يقول الرسول ﷺ وحفظه وإتقانه ﴿ماذا قال آنفاً﴾ ولهذا المعنى خصوا بسؤالهم أولي العلم.

وهذان الدخلان والجواب عنهما والتقرير التالي لهما ما علمت أن أحداً من المفسرين ذكره، غير أن الإمام أبا الفرج ابن الجوزي رحمه الله قال[1]: وفي استفهامهم قولان:

أحدهما: أنهم لم [يعقلوا][2] ما قال. ويدل عليه باقي الآية.

والثاني: أنهم قالوه استهزاء.

قرأ عكرمة وحميد وابن محيصن: "أَنِفاً" بقصر الهمزة، على وزن فَعِل. وبها قرأتُ لابن كثير من رواية ابن فرح عن البزي عنه[3]. وانتصابه على الظرف[4].

والمعنى: ماذا قال الساعة.

قال الزجاج[5]: هو من قولك: استأنفت الشيء؛ إذا ابتدأته، وروضةٌ أُنُفٌ؛ [إذا][6] لم تُرْعَ [بعد][7]، أي: لها أولٌ يُرعى.

---

(١) زاد المسير (٧/ ٤٠٢).

(٢) في الأصل: يعقوا. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٤٠٢).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٣)، والنشر (٢/ ٣٧٤)، والإتحاف (ص:٣٩٣-٣٩٤)، والسبعة (ص:٦٠٠).

(٤) وأنكر أبو حيان في البحر (٨/ ٧٩) أن يكون منصوباً على الظرف، قال: والصحيح أنه ليس بظرف، ولا نعلم أحداً من النحاة عدّه في الظروف.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ١٠). وانظر: اللسان (مادة: أنف).

(٦) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٧) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

والمعنى: ماذا قال في أول وقتٍ يقرُب منا.

قوله تعالى: ﴿والذين اهتدوا﴾ يريد: المؤمنين ﴿زادهم هدى﴾ أي: زادهم الله تعالى هدى.

وقيل: زادهم قول الرسول ﷺ.

وقيل: زادهم استهزاء المنافقين هدى.

﴿وآتاهم تقواهم﴾ وقرأ ابن مسعود والأعمش: "[وأعطاهم][١] تقواهم"[٢].

والمعنى: أعانهم عليها.

وقال السدي: بَيَّن لهم ما يتقون[٣].

وقال أبو سليمان الدمشقي: أعطاهم التقوى مع الهدى، فاتقوا معصيته خوفاً من عقوبته[٤].

وقال سعيد بن جبير: المعنى: وآتاهم جزاء تقواهم[٥].

قوله تعالى: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة﴾ أي: هل ينتظرون إلا الساعة، وقوله تعالى: ﴿أن تأتيهم﴾ بدل اشتمال من "الساعة"[٦].

قال الزجاج[٧]: هذا من البدل المشتمل على الأول في المعنى، وهو نحو قوله:

---

(١) في الأصل: وأنطاهم. وانظر: المصادر التالية.

(٢) انظر هذه القراءة في: الكشاف (٤/ ٣٢٥)، والقرطبي (١٦/ ٢٤٠).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٣٩)، والماوردي في تفسيره (٥/ ٢٩٨) عن ابن زياد.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٣).

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٨١).

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٧)، والدر المصون (٦/ ١٥٢).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ١١).

﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم﴾ [الفتح:٢٥] المعنى: لولا أن تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات.

وقرأ أبي بن كعب وأبو الأشهب وحميد: "إنْ" بكسر الهمزة، ["تأتهم"][١] بغير ياء بعد التاء[٢]، على استئناف الشرط والجزاء، والوقف على "الساعة".

قالوا: وكذلك هي في مصاحف أهل مكة. وجزاء الشرط قوله تعالى: ﴿فأنى لهم﴾ على معنى: أن تأتيهم الساعة فكيف لهم ذكراهم واتعاظهم وقد انقضت مدة التكليف؟. و"أشراطها": علاماتها.

قال المفسرون: ظهور النبي ﷺ من علامتها، وانشقاق القمر، والدخان، وغير ذلك[٣].

وقال ابن السائب: كثرة المال والتجارة، وشهادة الزور، وقطع الأرحام، وقلّة الكرام، وكثرة اللئام[٤].

قوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ خطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره، كما قررناه في مواضع. أو يكون المعنى: دُم على عملك.

﴿واستغفر لذنبك﴾ أي: اطلب المغفرة مني تواضعاً لي، وهضماً لنفسك، وخضوعاً لعزتي، واعترافاً بتقصيرك، مع كونك أكرم [الخلق][٥] عليّ وأكملهم

---

(١) في الأصل: تأتيهم. وانظر: المصادر التالية.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٠٣)، والدر المصون (٦/ ١٥٢).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٣).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٤٠).

(٥) في الأصل: الحق. والصواب ما أثبتناه.

لديّ بالنسبة إلى عظمتي، وما يجب لي عليك من مقابلة إحساني إليك.

﴿وللمؤمنين﴾ أي: واطلب مني المغفرة لمن تبعك على دينك من المؤمنين ﴿والمؤمنات﴾.

﴿والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ قال ابن عباس: "متقلبكم": منصرفكم لاشتغالكم بالنهار، "ومثواكم": مضجعكم بالليل للنوم[١].

وقال عكرمة: "متقلبكم": من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، "ومثواكم": مقامكم في الأرض[٢].

وقال ابن كيسان: "متقلبكم": من ظهر إلى بطن، "ومثواكم": متقلبكم في القبور[٣].

والمقصود من ذلك: الحث على الخوف وطلب المغفرة من الله الذي لا يخفى عليه شيء من أحوال [الخلق][٤].

قال سفيان بن عيينة وقد سئل عن فضل العلم: ألم تسمع قوله تعالى حين بدأ به فقال: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾ فأمر بالعمل بعد العلم وقال: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ [الحديد:٢٠] إلى قوله: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ [الحديد:٢١] وقال: ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ [الأنفال:٢٨] ثم قال بعد: ﴿فاحذروهم﴾ [التغابن:١٤]، [وقال تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من

---

(١) ذكره الطبري (٢٦/ ٥٤)، والماوردي (٥/ ٣٠٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٥).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٤٣)، والبغوي (٤/ ١٨٣).

(٤) في الأصل: الحق. والصواب ما أثبتناه.

شيء فأن لله خمسه﴾ ثم أمر بالعمل بعد][(١)].

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة﴾ قال المفسرون: [كان][(٢)] المسلمون يقولون اشتياقاً إلى الوحي وحرصاً على الجهاد: لولا، أي: هلاّ.

وكان أبو مالك الأشجعي يقول: "لا" صلة. والتقدير: لو نزلت سورة[(٣)].

﴿محكمة﴾ أي: مبينة، ﴿وذكر فيها القتال﴾ الأمر بالجهاد ذكراً محكماً [لا يحتمل من التأويل][(٤)] إلا وجهاً واحداً وهو وجوب القتال.

﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾ قال ابن [عباس][(٥)]: نفاق[(٦)]، ﴿ينظرون

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٤٢). وما بين المعكوفين زيادة منه.

(٢) في الأصل: كا.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٥).

(٤) في الأصل: لاحتمل من التوائل. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) زيادة على الأصل. وانظر: زاد المسير (٧/ ٤٠٥).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٥).

إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ أي: تشخص أبصارهم جُبْناً وهلعاً، كما ينظر المغشي عليه عند نزول الموت به.

﴿فأولى لهم﴾ هذا وعيد لهم وتهديد، وهو أفعل، من الولي، وهو القرب.

وقال الأصمعي: معناه: وليك وقاربك ما تكره[1].

ثم ابتدأ فقال تعالى: ﴿طاعة وقول معروف﴾ قال الخليل وسيبويه [2]: المعنى: طاعة وقولٌ معروف أمثل.

وقيل: هذا حكاية قولهم، أي: قالوا طاعة، أي: أمرنا طاعة وقول معروف. ويؤيده قراءة أبي بن كعب: "يقولون طاعة"[3].

وذكر بعض المفسرين أنه متصل بما قبله[4].

والمعنى: فأولى لهم أن يطيعوا وأن يقولوا معروفاً.

قوله تعالى: ﴿فإذا عزم الأمر﴾ قال الحسن: جَدَّ. والعزم والجد لأصحاب الأمر، وإسناده إليه إسناد مجازي[5]. وقد سبق نظيره في سورة لقمان[6].

والمعنى: فإذا جَدَّ رسول الله ﷺ وأصحابه في القتال وتلبسوا به.

﴿فلو صدقوا الله﴾ أي: فلو صدقوا في الإيمان والجهاد وواطأت قلوبهم ألسنتهم ﴿لكان خيراً لهم﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٦).

(٢) انظر: الكتاب (١/ ١٤١).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٨١)، والكشاف (٤/ ٣٢٧).

(٤) انظر: القرطبي (١٦/ ٢٤٤)، وزاد المسير (٧/ ٤٠٦).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٦). وانظر: الكشاف (٤/ ٣٢٧).

(٦) عند الآية رقم: ١٧.

وقولـه تعـالى: ﴿فهـل عـسيتم إن تـوليتم أن تفـسدوا في الأرض وتقطعـوا أرحامكم﴾ قال الزجاج(١): "عَسَيْتُم" بفتح السين.

وقرأ نافع: "عَسِيتُم"(٢). واللغة الجيدة العالية(٣): "عَسَيْتُم" بفتح السين، ولـو جاز "عَسِيتُم" لجاز أن يقال: "عَسِيَ ربكم أن يرحمكم".

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء ليعقوب من رواية رويس عنه: "تُـوُلِّيتم" بـضم التاء والواو وكسر اللام(٤)، وهي قراءة علي عليه السلام.

وقرأتُ عليه ليعقوب: "وتَقْطَعُوا" بفتح التاء وسكون القاف والتخفيف(٥).

واختلفوا في المخاطبين بذلك؛ فقيل: هم المنافقون، وهو الظاهر.

وقال ابن حيان: هم قريش(٦).

وقال بكر بن عبدالله المزني: الخوارج(٧).

وقال مقاتل(٨): منافقوا اليهود.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ١٣).

(٢) الحجة لابن زنجلة (ص:١٣٩)، والكشف (١/ ٣٠٣)، والنشر (٢/ ٢٣٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٤).

(٣) في معاني الزجاج: البالغة.

(٤) النشر (٢/ ٣٧٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٤).

(٥) مثل السابق.

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٧) حكاية عن الماوردي.

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٧).

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ٢٣٨).

فعلى [هذا][١] القول يكون من خطاب التلوين؛ لأنه كان يخبر عن المنافقين.

ثم التفت إليهم موبخاً لهم فقال: ﴿فهل عسيتم إن توليتم﴾ أي: أعرضتم عن دين الإسلام، وأظهرتم الرجوع إلى عبادة الأصنام أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفساد في الأرض بالإغارة والنهب، وقطيعة الأرحام بالمقاتلة، ووأد البنات.

أو يكون المعنى: فهل عسيتم إن تأمرتم وتوليتم أمور الناس أن تفسدوا في الأرض بالجور والظلم وقطيعة الرحم. وهذا المعنى أكثر ما جاء في التفسير، وهو الذي يقتضيه قول ابن حيان وبكر، وعليه تدل الأحاديث والآثار.

والمعنى على قراءة علي عليه السلام: فهل عسيتم إن توليتكم ولاة ظلمة أن تفسدوا في الأرض بالخروج والقتال معهم، والإعانة لهم.

وأخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغداديان قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا خالد بن مخلد قال: حدثنا سليمان[٢] قال: حدثني معاوية بن أبي مزرد، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن، فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب. قال: فذاك. قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) هو ابن بلال التيمي القرشي. تقدمت ترجمته.

أرحامكم﴾))[١].

وبهذا الإسناد قال البخاري: حدثنا إبراهيم بن حمزة[٢]، حدثنا حاتم[٣]، عن معاوية قال: حدثني عمي أبو الحباب سعيد بن يسار، عن أبي هريرة بهذا ثم قال: قال رسول الله ﷺ: ((اقرؤوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم﴾))[٤].

وبه قال البخاري: حدثنا بشر بن محمد، حدثنا عبد الله، أخبرنا معاوية بن أبي المزرد بهذا، قال رسول الله ﷺ: ((اقرؤوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾))[٥].

قلتُ: وعبدالله هو الإمام ابن المبارك، واسم أبي مزرد: عبد الرحمن بن يسار، يُعدّ في أهل المدينة.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن أعمال بني آدم تعرض على الله عشية كل خميس، فلا يقبل عمل قاطع رحم))[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٨ ح٤٥٥٢).

(٢) إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن عبد الله بن الزبير بن العوام المدني، أبو إسحاق، ثقة صدوق، كان يأتي الربذة كثيراً فيقيم بها ويتّجر بها، ويشهد العيدين بالمدينة، مات سنة ثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١٠١، والتقريب ص:٨٩).

(٣) حاتم بن إسماعيل المدني مولاهم، أبو إسماعيل، كان ثقةً مأموناً، كثير الحديث، مات سنة ست أو سبع وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ٢/ ١١٠، والتقريب ص:١٤٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٨ ح٤٥٥٢).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٨ ح٤٥٥٢).

(٦) أخرجه أحمد (٢/ ٤٨٣ ح١٠٢٧٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٢٤ ح٧٩٦٥).

وفي حديث عبدالله بن أبي أوفى أن النبي ﷺ قال: ((إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم))[١].

وحديث أبي بكرة مذكور في سورة يونس عند قوله: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ [يونس:٢٣]، وقد سبق في أثناء كتابنا جملة من الأحاديث والآثار الحاضة على صلة الأرحام في البقرة عند قوله: ﴿وبالوالدين إحساناً وذي القربى﴾، وفي سورة الرعد[٢] وغيرهما من المواضع، فتطلب ذلك وأمثاله في مظانه.

قوله تعالى: ﴿أولئك﴾ إشارة إلى الذين تقدم ذكرهم ﴿الذين لعنهم الله﴾ أبعدهم عن كل خير لإفسادهم وقطعهم الأرحام، ﴿فأصمّهم﴾ عن سماع الحق والهدى ﴿وأعمى أبصارهم﴾ عن النظر إليه.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾

﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يتصفحون ما فيه من المواعظ والزواجر وأخبار ما

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٢٣ ح٧٩٦٢).

(٢) عند الآية رقم: ٢١.

كان ويكون، وما فيه من الدلائل بصدقك وشواهد رسالتك، ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ "أمْ" بمعنى: بل. [وهمزة التقرير][1] للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا [يتوصل إليها][2] شيء من الهدى والمواعظ. وإنما نكّر القلوب؛ لأنه أراد أم على قلوب قاسية، أو أراد: [على][3] بعض القلوب، وهي قلوب المنافقين. وإضافة الأقفال إليها إضافة تخصيص، أي: أقفالها المختصة بها، وهي أقفال الكفر والنفاق المبهمة التي لا يقدر على فتحها إلا الله تعالى.

قال خالد بن معدان: ما من الناس إلا من له أربعة أعين؛ عينان في وجهه لدنياه ومعيشته، وعينان في قلبه لدينه، وما وعد الله من الغيب، وما من أحد إلا ومعه شيطان مستبطن فقار ظهره عاطف عنقه على عاتقه، فاغر فاه إلى ثمرة قلبه، فإذا أراد الله بعبد خيراً بصرت عيناه التي في قلبه، وما وعد الله تعالى من الغيب، وإذا أراد الله بعبد شراً طمس عليها، فذلك قوله: ﴿أم على قلوب أقفالها﴾[4].

قوله تعالى: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم﴾ أي: رجعوا إلى الكفر.

قال ابن عباس: هم المنافقون[5].

وقال قتادة ومقاتل[6]: هم اليهود.

﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ أي: من بعد ما وضح الحق ﴿الشيطان سوّل

---

(١) في الأصل: والهمزة للتقرير. والمثبت من الكشاف (٤/ ٣٢٨).

(٢) في الأصل: يصل إليهم. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٠٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٠٣) وعزاه لابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري (٢٦/ ٥٨). وذكره مقاتل (٣/ ٢٣٩)، والماوردي (٥/ ٣٠٢).

لهم﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وهذه الجملة خبر "إنَّ"، كقولك: إن زيداً عَمْرو ضربه.

والمعنى: الشيطان زين لهم ركوب العظائم.

قرأ أبو عمرو وزيد عن يعقوب: "وأُمْلِيَ" بضم الهمزة وكسر اللام وياء بعد اللام مفتوحة. وقرأ [يعقوب][1] إلا زيداً وأبان عن عاصم كأبي عمرو، إلا أنهما سكّنا الياء. وقرأ باقي العشرة بفتح الهمزة واللام وألف بعدها[2].

فأبو عمرو جعله فعلاً ماضياً لم يُسَمَّ فاعله، وهو الله تعالى، بدليل قوله: ﴿وأملي لهم إن كيدي متين﴾ [الأعراف:١٧٣]، وقوله: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ [آل عمران:١٧٨]، وقوله: ﴿فأمليت للكافرين﴾ [الحج:٤٤]، وقوله: ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ [الرعد:٣٢]، ويعقوب جعله مثل قوله: ﴿وأملي لهم إن كيدي متين﴾ [الأعراف:١٨٣] فيكون إخباراً من الله عن نفسه جلَّت عظمته، على معنى: وأنا أملي لهم، والباقون جعلوه فعلاً ماضياً والفاعل هو الله تعالى؛ كما قدمنا ذكره.

وقيل: الشيطان، على معنى: سوّل لهم ومَدَّ لهم في الأماني الباطلة والآمال الخائبة، حتى ماتوا على كفرهم.

والصحيح: أن الفاعل هو الله تعالى، فيكون الوقف حَسَناً على قوله: ﴿سوَّل لهم﴾ على اختلاف القراءات، إلا إذا قلنا: الفاعل هو الشيطان.

قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله﴾ قال الزجاج[3]: الأمر

---

(١) زيادة على الأصل. وانظر: زاد المسير (٧/ ٤٠٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٧-٦٦٨)، والكشف (٢/ ٢٧٧-٢٧٨)، والنشر (٢/ ٣٧٤)، والإتحاف (ص:٣٩٤)، والسبعة (ص:٦٠٠-٦٠١).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٤).

ذلك، أي: ذلك الإضلال، يقول الذين ارتدوا على أدبارهم للذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر.

فإن قلنا: إن الذين ارتدوا هم المنافقون، فالمعنى: قالوا للذين كرهوا ما نزل الله -وهم اليهود-: سنطيعكم في بغض محمد ﷺ، والقعود عن نصرته. وهذا قول الضحاك والسدي(١).

وإن قلنا: "إن الذين ارتدوا": هم اليهود، فالمعنى: قالوا للذين كرهوا ما نزل الله -وهم المنافقون-: سنطيعكم [في](٢) الأمر فنكتم ما علمناه من نبوة محمد ﷺ. قاله ابن جريج(٣).

وكانوا قالوا ذلك سراً فأفشاه الله تعالى عليهم وتوعدهم فقال تعالى: ﴿والله يعلم إسرارهم﴾.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "إسرارهم" بكسر الهمزة، وفتحها الباقون(٤).

فمن كسرها جعله مصدراً، من أَسَرَّ يُسِرُّ [إسراراً](٥)، ومن فتحها جعله جمع سِرٍّ، كعِدْلٍ وأعْدَال.

قال أبو علي(٦): كأنه السر، وإن كان مصدراً لاختلاف ضروبه،

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٩) كلاهما عن السدي.

(٢) زيادة من الماوردي (٥/ ٣٠٣).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٩).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٩)، والكشف (٢/ ٢٧٨)، والنشر (٢/ ٣٧٤)، والإتحاف (ص:٣٩٤)، والسبعة (ص:٦٠١).

(٥) في الأصل: إسراً.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٦).

[وجميع][1] الأجناس يحسن جمعها مع الاختلاف. ولما كان السر يتناول جميع ضروبه أُفْرِدَ مرة وجُمِعَ أخرى.

والآية التي بعدها مفسرة في الأنفال[2].

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ أي: ذلك الجزاء وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم ﴿بأنهم اتبعوا ما أسخط الله﴾ من خالف نبيه وما خالف بشريعته، ﴿وكرهوا رضوانه﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: "رُضوانه" بضم الراء[3]. وقد ذكرناه في أوائل آل عمران[4].

قال المفسرون: كرهوا الإيمان برسول الله ﷺ.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شكٌّ ونفاق ﴿أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ أي: أن لن يبرز الله لرسوله ﷺ وللمؤمنين أحقادهم الكامنة

---

(١) في الأصل: وجمع. والتصويب من الحجة (٣/ ٤٠٦).

(٢) عند الآية رقم: ٥٠.

(٣) الحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٩)، والنشر (٢/ ٢٣٨)، والإتحاف (ص:٣٩٤)، والسبعة (ص:٢٠٢).

(٤) عند الآية رقم: ١٥.

في صدورهم.

﴿ولو نشاء لأريناكهم﴾ قال الزجاج[١]: لعرَّفناكَهُم. تقول: قد أريتَكَ هذا الأمر، أي: قد عرفتك إياه. المعنى: لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة، وهي السيما.

﴿فلعرفتهم بسيماهم﴾ أي: بتلك العلامة ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾. قال الكلبي: في كذب القول[٢].

قال المفسرون: المعنى: ولتعرفنهم في مقصد كلامهم وفحواه، فإنهم يتعرضون [بتهجين][٣] أمرك والاستهزاء بدينك[٤].

وقال بعضهم[٥]: اللَّحْن: أن تلحن بكلامك، أي: [تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له][٦] صاحبك، وذلك من أثر القدرة على التصرف في الكلام، والأخذ في أساليبه، وأنشدوا:

لقد لحنت لكم لكيما تفهموا ... واللحن يعرفه ذوو الألباب[٧]

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ١٥).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٤).

(٣) في الأصل: يتجهيز. والمثبت من زاد المسير (٧/ ٤١١).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١١).

(٥) هو الزمخشري، انظر: الكشاف (٤/ ٣٣٠).

(٦) في الأصل: تمليه إلى نحو من الإيحاء ليفطن به. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٣٠).

(٧) البيت للقتال الكلابي. انظر: ديوانه (ص:٣٦)، واللسان (مادة: لحن)، والبحر (٨/ ٧٣)، والدر المصون (٦/ ١٥٧)، والقرطبي (١٦/ ٢٥٣).

ولفظهم:

=

وقال آخر:

وحديثٌ ألذه هو [مما][1] تشتهيه النفوس [يُوزن][2] وزنا

منطِقٌ [صائب][3] وتلحن أحيا ناً وخير الحديث ما كان لحنا[4]

[أي][5]: تارة تأتي بالكلام على وجهه صائباً مسدوداً، وأخرى تحرّف فيه وتلحن، أي: تعدل على الجهة الواضحة متعمدة لذلك تلعباً بالقول، ومنه الحديث: «لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته»[6]، أي: أنهض بها وأحسن تصرفاً فيها.

وبهذا التقدير يجوز أن يكون المراد: ولتعرفنهم في لحن القول الصادر ما ينبهه على أنه يوحى إليه في فحوى الكلام ما يستدل به عليهم.

والأول هو المعروف في التفسير.

قال الزجاج[7]: دلّ بهذا -والله أعلم- أن قول القائل وفعله قد يدل على نيته.

=

ولقد وميت لكم لكيما تفهموا ولحنت لحناً ليس بالمرتاب

وانظر البيت بنفس لفظ المصنف في: الكشاف (٤/ ٣٣٠).

(١) في الأصل: ما. والتصويب من مصادر تخريج البيت.

(٢) في الأصل: وزنا فوس. والتصويب من مصادر تخريج البيت.

(٣) في الأصل: صالب. والتصويب من مصادر تخريج البيت.

(٤) البيتان لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري، انظر: اللسان (مادة: لحن)، والقرطبي (١٦/ ٢٥٣)، وزاد المسير (٧/ ٤١١)، والبحر (٨/ ٧٣)، والدر المصون (٦/ ١٥٧)، وروح المعاني (٢٦/ ٧٧).

(٥) في الأصل: وأي.

(٦) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٥٥ ح٦٥٦٦)، ومسلم (٣/ ١٣٣٧ ح١٧١٣).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ١٥).

قال ابن جرير[١]: ثم بعد عرفه الله إياهم.

قال الزمخشري[٢]: إن قلت: أي فرق بين اللامين في "فلعرفتهم" و"لتعرفنهم"؟

قلتُ: الأولى هي داخلة في جواب "لو" كالتي في "لأريناكهم" كررت في المعطوف، وأما اللام في "ولتعرفنهم" فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف.

قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ أي: ولنعاملنكم معاملة المبتلي، أي: المختبر، حتى نعلم علماً يتعلق به الجزاء [للمجاهدين][٣] منكم في سبيله، والصابرين على مشاق تكاليفنا.

﴿ونبلُوَا﴾ وقرأ يعقوب: "ونبلُوا" بسكون الواو[٤]، على معنى: ونحن نبلوا.

﴿أخباركم﴾ أي: نختبركم بالتكليف اختباراً يكشف للمؤمنين أحوالكم وضمائركم.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: "وليبلونكم حتى يعلم"، "ويبلوا" بالياء فيهن[٥].

سمعت شيخنا أبا محمد عبدالله بن أحمد بن محمد رضي الله عنه يقول: قال إبراهيم بن الأشعث يقول: سمعت فضيلاً -يعني: ابن عياض- بليلة وهو يقرأ سورة محمد ﷺ ويبكي ويردد هذه الآية: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ٦٠).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٣٠).

(٣) في الأصل: المجاهدين. وبما أثبتناه يستقيم المعنى.

(٤) النشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٤).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٠)، والكشف (٢/ ٢٧٨)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٤)، والسبعة (ص:٦٠١).

والصابرين ونبلوا أخباركم﴾، وجعل يقول: وتبلوا أخبارنا، إن بلوتَ أخبارنا فضحتنا، وهتكت أستارنا، إن بلوتَ أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا(١).

وسمعته يقول: تزينتَ للناس وتصنعتَ لهم وتهيأتَ لهم، ولم تزل ترائي حتى عرفوك، فقالوا: رجل صالح، فقضوا لك الحوائج، [ووسعوا](٢) لك في المجلس، وعظموك خيبة لك، ما أسوأ حالك إن كان هذا شأنك(٣).

وسمعته يقول: إن قدرتَ أن لا تُعرف فافعل، وما عليك أن [لا](٤) تعرف، وما عليك إن لم يُثْنَ عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً(٥).

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٣٦ ح١٠١٤٣). وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١١١).

(٢) في الأصل: وسمعوا. والمثبت من حلية الأولياء (٨/ ١١١).

(٣) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١١١).

(٤) زيادة من الزهد للبيهقي (٢/ ١٠٠).

(٥) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (٢/ ١٠٠ ح١٤٨)، وذكره أبو نعيم في الحلية (٨/ ٨٨).

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ قال ابن عباس: نزلت في المطعمين يوم بدر[١].

وقال مقاتل[٢]: في اليهود.

وقيل: نزلت في بني قريظة والنضير[٣].

﴿وسيحبط أعمالهم﴾ التي يرجون بها الثواب.

وقيل: وسيحبط أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الإسلام وأهله.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ يحتمل عندي: أن يكون هذا خطاباً للمنافقين، فتكون منتظمة في سلك ما قبلها من الآيات المساوقة في المنافقين، فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم جهراً، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول سراً كما أطعتموه جهراً، ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ من الجهاد والصلاة والصوم وغيرها من العبادات بالنفاق والكفر، فإنه لا يتقبل معهما عمل.

والذي عليه عامة المفسرين: أنها خطاب للمؤمنين.

واختلفوا في قوله: "ولا تبطلوا أعمالكم"؛ فقال الحسن: ولا تبطلوها بالمعاصي والكبائر[٤].

وقال قتادة: الشر ينسخ الخير، والخير ينسخ الشر، والأعمال بخواتيمها[٥].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١٢).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٤٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١٢) عن الواحدي.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٦)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٦٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٠٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

ويروى عن حذيفة في هذه الآية أنه قال: من أتى كبيرة مما أوعد الله تعالى عليها النار حطت ما قبلها من حسناته.

وقال مقاتل[١]: لا تبطلوها بالمن. وذلك أن قوماً أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أتيناك طائعين فلنا عليك حق، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله تعالى: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ [الحجرات:١٧].

وقال ابن السائب: لا تبطلوها بالرياء والسمعة[٢].

وهذا والذي قبله هو التفسير الصحيح.

ومن تصفح كتاب الله واستقرأ سنة رسوله ﷺ حصل له العلم والجزم بأن الحسنات يذهبن السيئات، ولا كذلك بالعكس، فإن الحسنات لا يذهبها بعد القضاء بكونها حسنات إلا الكفر، والمن والأذى، وهذا هو الأليق بفضل الله تعالى ورحمته، والأشبه بعدله جل وعز، ولهذا قال رسول الله ﷺ لحكيم بن حزام حين قال له: «أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية، فقال له عليه الصلاة والسلام: أسلمتَ على [ما][٣] سلف لك من خير»[٤].

فلم يجعل كفره ومعاصيه مبطلة لتلك الأعمال الصالحة الموجودة منه حال كفره.

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: هذه الآية تدل على أن من دخل في قربة لم يجز

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢٤١).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١٢).

(٣) زيادة من الصحيحين.

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٧٧٣ ح٢١٠٧)، ومسلم (١/ ١١٣ ح١٢٣).

له الخروج منها قبل إتمامها، وهذا على ظاهره في الحج، فأما الصلاة والصيام فهو على سبيل الاستحباب[١].

قوله تعالى: ﴿فلا تهنوا﴾ أي: لا تضعفوا ﴿وتدعوا إلى السَّلْم﴾ وقرأ حمزة وأبو بكر: "السِّلْم" بكسر السين[٢]، أي: لا تدعو الكفار ابتداء الصلح. وقد ذكرنا السَّلم في الأنفال[٣] وغيرها.

قال قتادة: لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها في طلب الموادعة[٤].

﴿وأنتم الأعلون﴾ يجوز أن تكون الواو حالية. ويجوز أن تكون إخباراً خارجاً مخرج البشارة لهم بالاستعلاء والنصر على الأعداء.

﴿والله معكم﴾ بالنصر والمعونة فهو يكفيكم أمرهم، ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾.

قال الزجاج[٥]: يُنقصكم شيئاً من ثوابكم.

وأنشد قطرب:

إن تترني من الإجارة شيئاً ... لا تفتني على الصراط بحقي[٦]

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١٣).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٠)، والكشف (٢/ ٢٧٩)، والنشر (٢/ ٢٢٧)، والإتحاف (ص:٣٩٥)، والسبعة (ص:٦٠١).

(٣) عند الآية رقم: ٦١.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٠٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ١٦).

(٦) انظر البيت في: الماوردي (٥/ ٣٠٦).

وقال الزمخشري[١]: هو من وَتَرْتُ الرجل؛ إذا [قتلت][٢] له قتيلاً من ولد أو أخ أو حميم، أو حربته. وحقيقته: أفردته من قريبه أو ماله، من الوِتْر، وهو الفرد؛ فشَبَّهَ إضاعة عمل العامل [وتعطيل][٣] ثوابه بوتر الواتر، وهو من فصيح الكلام. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «من فاتته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله»[٤]، أي: أفرد عنهما [قتلاً][٥] ونهباً.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولا يسألكم أموالكم﴾ قيل: المعنى: لا يسألكم ربكم أموالكم.

وقيل: المعنى: ولا يسألكم محمد ﷺ أموالكم.

والأول أظهر.

---

(١) الكشاف (٤/ ٣٣٢).

(٢) في الأصل: قلت. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: تعطيل. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٢٠٣ ح٥٢٧)، ومسلم (١/ ٤٣٥ ح٦٢٦).

(٥) في الأصل: مثلاً. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٣٢).

قال الماوردي[١]: المعنى: لا يسألكم أموالكم إنما يسألكم أمواله. ويفسد هذا المعنى ما بعده.

والصحيح: أن المعنى: لا يسألكم أموالكم كلها، إنما يطلب منكم ربع عشور أموالكم.

﴿إن يسألكموها فيحفكم﴾ أي: يجهدكم بالسؤال، والإحْفَاء: المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء. يقال: أحْفَاهُ في المسألة؛ [إذا لم يترك شيئاً من الإلحاح][٢]، وأحْفَى شاربه: اسْتَأْصَلَه[٣].

﴿تبخلوا﴾ جواب الشرط، ﴿ويخرج أضغانكم﴾ معطوف عليه[٤].

وقرأ عبدالوارث عن أبي عمرو: "ويخرج" بالياء والراء. وقرئ: بالتاء، "أضغانكم" بالرفع، لإسناد الفعل إليه[٥].

وقرأ سعد بن أبي وقاص وابن عباس بتاء مضمومة وفتح الراء، على البناء للمفعول، "أضغانكم" بالرفع[٦].

والضمير في "ويخرج" لله عز وجل.

ويؤيده قراءة يعقوب في رواية الوليد عنه: "ونُخْرِج" بالنون وضمها[٧].

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٣٠٧).

(٢) زيادة من الكشاف (٤/ ٣٣٢).

(٣) انظر: اللسان (مادة: حفا).

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ١٥٨).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٥)، وزاد المسير (٧/ ٤١٤).

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤١٤)، والدر المصون (٦/ ١٥٨).

(٧) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤١٤-٤١٥)، والدر المصون (٦/ ١٥٨).

وقيل: يخرج البخل أضغانكم.

والمعنى: ويخرج ما في قلوبكم من العداوة والحقد لرسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ها أنتم﴾ مذكور في آل عمران[(١)].

﴿هؤلاء﴾ قال الزمخشري[(٢)]: هو موصول، بمعنى: الذين، صلته: ﴿تدعون﴾، أي: أنتم [الذين][(٣)] تدعون، أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون.

ثم استأنف وصفهم، كأنهم قالوا: ما وصفنا؟ فقيل: تدعون ﴿لتنفقوا في سبيل الله﴾ أي: في الجهاد. وقيل: الزكاة، كأنه قيل: الدليل على أنه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء [واضطغنتم][(٤)] أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر، ﴿فمنكم من يبخل﴾ بالنفقة في سبيل الله ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ لا يعود ضرر بخله إلا عليه. يقال: بخلت عليه وعنه.

﴿والله الغني﴾ عنكم وعن أموالكم ﴿وأنتم الفقراء﴾ إليه.

﴿وإن تتولوا﴾ قال قتادة: عن طاعته[(٥)].

وقال مجاهد: عن كتابه[(٦)].

وقال الكلبي: عن الصدقة[(٧)].

---

(١) عند الآية رقم: ٦٦.

(٢) الكشاف (٤/ ٣٣٣).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: واصطعتم. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٦٦).

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٧) عن قتادة.

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٧).

﴿يستبدل قوماً غيركم﴾ على خلاف ما أنتم عليه راغبين في الإيمان والعمل الصالح.

قال مجاهد: يستبدل من سائر الناس قوماً غيركم[١].

قيل: هم الأنصار. وقيل: الفرس.

قال أبو هريرة: «لما نزلت: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ كان سلمان إلى جنب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب رسول الله ﷺ فخذ سلمان وقال: هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً[٢] بالثريا لتناوله رجال من فارس»[٣].

وقيل: هم الملائكة.

قال الزجاج[٤]: هو في اللغة -على ما أَتَوَهَّمُ- فيه بُعْدٌ؛ لأنه لا يقال للملائكة قوم، إنما يقال قوم للآدميين.

وقيل: إن تولى أهل مكة استبدل الله بهم أهل المدينة.

والمعنى -والله أعلم-: وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم أطوع له منكم، كما قال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ﴾ [التحريم:٥] إلى

---

(١) أخرج مجاهد في تفسيره (ص:٦٠٠) قال: يستبدل من يشاء بمن يشاء، والطبري (٢٦/ ٦٧) ولفظه: يستبدل قوماً غيركم من شاء.

(٢) منوطاً: أي: معلقاً، يقال: نُطْتُ هذا الأمر به أَنُوطُهُ وقد نِيطَ به فهو مَنُوط (اللسان، مادة: نوط).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٤ ح٣٢٦١). وأصله عند مسلم (٤/ ١٩٧٢ ح٢٥٤٦) ولفظه: لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس، أو قال: من أبناء فارس حتى يتناوله.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ١٧).

آخر القصة، فلم يتولّ جميع الناس.

﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ قال ابن جرير[١]: في البخل والإنفاق في سبيل الله.

وقال غيره: في المعصية وترك الطاعة[٢].

المعنى: بل يكونوا خيراً منكم.

ويروى عن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله ﷺ وقال: هي أحبُّ إليَّ من الدنيا[٣]. والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ٦٦).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٨).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٨)، والقرطبي (١٦/ ٢٥٨).

سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي ثلاثون آية، [إلا آية][1] في العدد المدني والكوفي[2]. وهي مدنية بإجماعهم.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا عبدالله بن مسلمة[3]، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه: «أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: ثكلت أم عمر عمر، نَزَرْتَ[4] رسول الله

---

(١) في الأصل: الآية.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢٩).

(٣) عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي، أبو عبد الرحمن المدني الحارثي، نزيل البصرة، ثقة عابد، كان ابن معين وابن المديني لا يقدمان عليه في الموطأ أحداً، مات سنة إحدى وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٦/ ٢٨-٢٩، والتقريب ص:٣٢٣).

(٤) النَّزر: الإلحاح في السؤال. ونَزَرَهُ نَزْراً: ألحَّ عليه في المسألة (اللسان، مادة: نزر).

ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحرّكت بعيري ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن يكون نزل فيّ قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصيح بي، فقلت: لقد نزل فيّ قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلّمت عليه فقال: لقد أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾»[١]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

وروى عطاء عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ [الأحقاف:٩] قال اليهود: كيف نتبع رجلاً لا يدري ما يُفعل به، فاشتدَّ ذلك على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾[٢].

وفي المراد بهذا الفتح أربعة أقوال: أنه فتح الحديبية. قاله أكثر العلماء[٣].

وقال البراء بن عازب: نحن نعد الفتح بيعة الرضوان[٤].

قال جابر بن عبدالله: ما كنا نعد فتح مكة إلا يوم الحديبية[٥].

وقال الشعبي: هو فتح الحديبية، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأُطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محله، وغلبت الروم على فارس، ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٩ ح٤٥٥٣).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٦٩). وذكره الماوردي (٥/ ٣٠٩)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٢٥ ح٣٩١٩)، والطبري (٢٦/ ٧١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٠٨) وعزاه للبخاري وابن جرير وابن مردويه.

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٧٠). وذكره الماوردي (٥/ ٣١٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢٦/ ٧١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٠٩) وعزاه لسعيد بن منصور =

وقال الزهري: لم يكن فتحٌ أعظم من فتح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير(١).

أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا محمد قال: حدثني أحمد بن إسحاق(٢)، حدثنا عثمان بن عمر(٣)، أخبرنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك: «﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ قال: الحديبية، قال أصحابه: هنيئاً مريئاً فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات﴾»(٤).

وفي رواية مسلم عن أنس قال: «لما نزلت: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله﴾ إلى قوله: ﴿فوزاً عظيماً﴾ مرجعه من الحديبية، وهم مخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبية، قال رسول الله ﷺ: لقد نزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا جميعاً»(٥).

= وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٣٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١٩).

(٢) أحمد بن إسحاق بن الحصين بن جابر بن جندل السلمي، أبو إسحاق البخاري السرماري، كان يضرب بشجاعته المثل، وكان من الغزائين، ومن أهل الفضل والنسك مع لزوم الجهاد، مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١١، والتقريب ص:٧٧).

(٣) عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدي، أبو محمد، وقيل: أبو عدي، وقيل: أبو عبد الله البصري، ثقة، مات سنة تسع ومائتين (تهذيب التهذيب ٧/ ١٢٩، والتقريب ص:٣٨٥).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٣٠ ح٣٩٣٩).

(٥) أخرجه مسلم (٣/ ١٤١٣ ح١٧٨٦).

القول الثاني: أنه فتح مكة. رواه مسروق عن عائشة[١]، وبه قال السدي[٢].

الثالث: أنه فتح خيبر. قاله مجاهد[٣].

[الرابع: القضاء له بالإسلام][٤].

والذي يقتضيه النظر الصحيح والبحث المستقيم: عموم ذلك في هذه الأقوال وغيرها، وأنه بشارة للنبي ﷺ والمسلمين بما قضى الله تبارك لهم في الظهور والاستعلاء بما سيفتح عليهم من مكة وخيبر وغيرهما.

فإن قيل: كيف يكون ذلك وهو بصيغة الماضي؟

قلتُ: هكذا تجد أكثر أخبار الله تعالى في كتابه العزيز يخرج للمستقبل في صيغة الماضي ليحقق كونه متيقن وجوده، واستواء الحالتين في علمه جل وعلا. أو نقول: الفتح: القضاء، على ما سبق في غير موضع من كتابنا، وقضاء الله تعالى له بذلك قد تقضى ومضى، فلذلك أخبر به بصيغة الماضي.

قال ابن قتيبة[٥]: المعنى: إنا قضينا لك قضاءً عظيماً.

قوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ قال صاحب الكشاف[٦]: إن قلت: كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة؟

قلتُ: لم يجعل علة للمغفرة، ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة: وهي

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٩)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥١٠) وعزاه لابن مردويه.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٢٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) زيادة من زاد المسير (٧/ ٤٢٣).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤١٢).

(٦) الكشاف (٤/ ٣٣٤).

المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز، كأنه قيل: [يَسَّرنا][(١)] لك فتح مكة، ونصرناك على عدوك، لنجمع لك بين عزّ الدارين، وأغراض العاجل والآجل. ويجوز أن يكون علة للغفران من حيث إنه جهاد.

والمراد: ليغفر لك الله جميع ما فرط منك.

قال ابن عباس والشعبي ومقاتل[(٢)] وعامة المفسرين: ما تقدم من الجاهلية وما بعدها[(٣)].

قال بعض العلماء: هذا على سبيل التوكيد، كما يقال: فلان يضرب من يلقاه ومن لا يلقاه.

وقيل: ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء، وما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك[(٤)]. وفيه بُعْد.

أخبرنا الشيخان أحمد بن عبدالله وعلي بن أبي بكر قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف بن مطر [الفربري][(٥)]، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا صدقة بن الفضل، حدثنا ابن عيينة قال: حدثنا زياد أنه سمع المغيرة يقول: « قام النبي ﷺ

---

(١) في الأصل: بشرنا. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٣٤).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٤٤).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٢٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥١٢) وعزاه لابن المنذر عن عامر وأبي جعفر.

(٤) ذكره القرطبي (١٦/ ٢٦٣)، والبغوي (٤/ ١٨٩) كلاهما عن عطاء الخراساني.

(٥) في الأصل: القريري. وهو خطأ. انظر: ترجمته في: التقييد (ص:١٢٥)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ١٠-١٣).

حتى تورّمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ »[١].

وبهذا الإسناد قال البخاري: حدثنا الحسن بن عبد العزيز، حدثنا عبد الله بن يحيى، حدثنا حيوة، عن أبي الأسود[٢]، سمع عروة، عن عائشة: « أن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً. فلما كثر لحمه صلى جالساً، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع »[٣]. هذا حديث متفق على صحته. أخرجه الإمام أحمد ومسلم عن هارون بن معروف[٤]، عن [أبي][٥] صخر[٦]، عن[٧] ابن قسيط[٨]، عن عروة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٠ ح٤٥٥٦)، ومسلم (٤/ ٢١٧١ ح٢٨١٩).

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن الأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزي الأسدي، أبو الأسود المدني، يتيم عروة؛ لأن أباه كان أوصى به إليه، وكان جده الأسود من مهاجرة الحبشة، كان ثقة كثير الحديث، قدم مصر سنة ست وثلاثين ومائة، ومات سنة بضع وثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ٩/ ٢٧٣، والتقريب ص:٤٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٠ ح٤٥٥٧)، ومسلم (٤/ ٢١٧٢ ح٢٨٢٠).

(٤) هارون بن معروف المروزي، أبو علي الخزاز الضرير، نزيل بغداد، ثقة ثبت، مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ١١/ ١٢، والتقريب ص:٥٦٩).

(٥) زيادة على الأصل. انظر: ترجمته في التعليق التالي.

(٦) حميد بن زياد، وهو بن أبي المخارق المدني، أبو صخر الخراط، صاحب العباء، صدوق يهم، سكن مصر، ومات سنة تسع وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٣٦، والتقريب ص:١٨١).

(٧) في الأصل زيادة قوله: أبي. وهو خطأ. انظر: صحيح مسلم (٤/ ٢١٧٢).

(٨) يزيد بن عبد الله بن قسيط بن أسامة بن عمير الليثي، أبو عبد الله المدني الأعرج، كان فقيهاً ثقة، =

قوله تعالى: ﴿ويتم نعمته عليك﴾ يعني: بالنبوة والفتح والمغفرة، ﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾ مثل قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة:٦].

﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ قال الزجاج[١]: نصراً ذا عز لا يقع معه ذل.

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة﴾ أي: السكون والطمأنينة ﴿في قلوب المؤمنين﴾ بسبب الصلح بعد النطق والانزعاج لما ورد عليهم من صد المشركين إياهم عن البيت، حتى قال عمر: «علام نعطي الدَّنِيَّة في ديننا، فقال رسول الله ﷺ: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيعني»[٢].

وقال سهل بن حنيف: [اتهموا الرأي، فلقد رأيتني يوم أبي جندل][٣] لو

=

مات سنة اثنتين وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٩٩، والتقريب ص:٦٠٢).

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٢ ح٤٥٦٣)، ومسلم (٣/ ١٤١١ ح١٧٨٥).

(٣) زيادة من صحيح البخاري.

أستطيع أن أردّ على رسول الله ﷺ أمره لرددت، والله ورسوله أعلم[١].

ثم أوقع الله الرضى بما يجري في قلوب المسلمين، فسلَّموا وانقادوا راضين بقضاء الله وتقديره.

﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض﴾ يسلط بعضها على بعض على ما تقتضيه حكمته وعلمه.

قوله تعالى: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات﴾ سبق آنفاً.

سبب نزولها: قال أهل المعاني[٢]: كررت اللام في "ليدخل" بتأويل تكرير الكلام، مجازه: "إنا فتحنا لك ليغفر لك الله، إنا فتحنا لك ليدخل المؤمنين".

قال مقاتل[٣]: فلما سمع بذلك عبد الله بن أبيّ بذلك، انطلق في نفر إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ما نحن إلا [كهم][٤]، فما نحن عند الله؟ فنزلت: ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات... الآية﴾.

قال المفسرون: ظنوا أن الله تعالى لن ينصر محمداً والمؤمنين.

قال الضحاك: ظنت أسد وغطفان في رسول الله ﷺ حين خرج إلى الحديبية أنه سيقتل أو يهزم ولا يعود إلى المدينة سليماً، فعاد ظافراً[٥].

وقيل: هو ظنهم أن لله شريكاً، ولن يبعث الله أحداً عليهم[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٣٤ ح٣٩٥٣).

(٢) انظر: الطبري (٢٦/ ٧٣).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢٤٦).

(٤) في الأصل: كهتم.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٣١٢).

(٦) مثل السابق.

[﴿دائرة السوء﴾][1]: مذكورة في براءة[2].

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ قال قتادة: شاهداً على أمتك بالبلاغ[3].

وقيل: شاهداً بأعمالهم الصالحة والطالحة[4].

وقيل: شاهداً مبيناً لهم ما أرسلناك به إليهم[5]، وهو مثل قوله: ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء:٤١]، وقوله: ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ [البقرة:١٤٣].

قوله تعالى: ﴿ليؤمنوا بالله ورسوله﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "ليؤمنوا... ويعزروه...، ويوقروه" بالياء فيهن، وهو الذي يقتضيه نظم الكلام. وقرأ الباقون بالتاء فيهن[6]، على معنى: قل لهم: إنا أرسلناك لتؤمنوا. وقد ذكرنا في

---

(١) في الأصل: النبوة. وهو خطأ.

(٢) عند الآية رقم: ٩٨.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٧٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥١٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٣١٢).

(٥) مثل السابق.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧١)، والكشف (٢/ ٢٨٠)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٥)، والسبعة (ص:٦٠٣).

الأعراف[١] معنى التعزير عند قوله: ﴿وعزروه ونصروه﴾.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن السميفع: "ويُعزِزوه" بزاءين[٢]، على معنى: تجعلوه عزيزاً.

﴿وتوقروه﴾ أي: تُعظموه وتُبجلوه، والضمير يعود للرسول ﷺ، في قول الضحاك وكثير من المفسرين[٣].

وجمهور القراء يختارون الوقف هاهنا تنبيهاً على عود الضمير إلى الرسول ﷺ وتمييزاً له عن الضمير الراجع إلى الله تعالى في قوله: ﴿ويسبحوه﴾، فامتثل الصحابة رضوان الله عليهم ما نُدبوا إليه من تعظيم النبي ﷺ وتعزيره، حتى لقد قال عروة بن مسعود يوم قدم على النبي ﷺ في شأن الحديبية من جهة قريش حين رجع إليهم: أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخّم نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم فدلّك بها وجهه وجلده، وإن أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدّون النظر إليه تعظيماً له[٤].

وقيل: الضمائر كلها لله تعالى.

---

(١) عند الآية رقم: ١٥٧.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٢٧)، والدر المصون (٦/ ١٦٠).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣١٣).

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٩٧٦ ح٢٥٨١).

قال الزمخشري[1]: من فَرَّقَ بين الضمائر فقد أبعد.

والمراد بتعزير الله: تعزير دينه وتعزير رسوله ﷺ.

﴿ويسبحوه بكرةً وأصيلاً﴾ أي: ينزهوا الله أو يصلُّوا له. وقد سبق في مواضع.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعون إنما يبايعون الله﴾ وقرأ تمام بن العباس بن عبدالمطلب: "إنما يبايعون لله"[2]، وهذه بيعة الرضوان يوم الحديبية.

وكان سببها: أن رسول الله ﷺ حين نزل الحديبية أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى مكة يقول: إنا لم نأت لقتال أحد، وإنما جئنا زوّاراً لهذا البيت، معنا الهدي نذبحه وننصرف، فقالوا: لا كان هذا أبداً ولا يدخلها العام، فبلغ ذلك المسلمين أن عثمان قد قتل، فقالوا: لا نبرح حتى نناجزهم، فذلك حين دعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى بيعة الرضوان، فبايعهم تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة.

وقال قتادة: ألفاً وخمسمائة[3].

قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله ﷺ على الموت[4].

وقال جابر بن عبد الله: بايعناه على أن لا نفرّ[5]. ومعناهما متقارب.

---

(١) الكشاف (٤/ ٣٣٧).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٩٢)، والدر المصون (٦/ ١٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٢٦ ح٣٩٢٢)، والطبري (٢٦/ ٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٢٢) وعزاه للبخاري وابن مردويه.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٢٧).

(٥) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٨٣ ح١٨٥٦)، والترمذي (٤/ ١٤٩ ح١٥٩١)، والطبري (٢٦/ ٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٢٣) وعزاه لمسلم وابن جرير وابن مردويه.

وضرب رسول الله ﷺ يومئذ بشماله على يمينه وقال: هذه لعثمان، إنه ذهب في حاجة الله ورسوله، وجعلت الرسل تختلف بينهم، حتى انتظم الصلح، فكتبوا بينهم كتاباً اشتمل على ما اتفقوا عليه من الشروط، فلما قضي شأن الكتاب قال النبي ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، وكان مقام رسول الله ﷺ بالحديبية بضعة وعشرين يوماً. -وقيل: عشرين ليلة-، ثم انصرف راجعاً[١].

قوله تعالى: ﴿إنما يبايعون الله﴾ تنبيه لهم على الوفاء بما بايعوا عليه وإعلاماً لهم أن مبايعة الرسول ﷺ مبايعة لله تعالى بواسطة الرسول ﷺ.

﴿يد الله فوق أيديهم﴾ قال ابن عباس: يد الله بما وعدهم من الخير فوق أيديهم بالوفاء[٢].

وقال السدي: يد الله فوق أيديهم عند المبايعة[٣].

وقال ابن السائب: نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة[٤].

وقال ابن كيسان: قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم[٥].

وقال الحسن: "يد الله": يعني به: محمد ﷺ على أيديهم.

﴿فمن نكث﴾ أي: نقض البيعة ﴿فإنما ينكث على نفسه﴾ أي: ينقض على نفسه.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٢٢-٤٢٣).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٢٧).

(٣) انظر: الطبري (٢٦/ ٧٦) بلا نسبة. وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٩٠).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٦٧-٢٦٨)، والبغوي (٤/ ١٩٠).

(٥) ذكره الطبري (٢٦/ ٧٦) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٢٨).

﴿ومن أوفى بما عاهد عليهِ اللهَ﴾ وقرأ حفص: "عَلَيْهُ اللهَ" بضم الهاء في "عليه"[١].

﴿فسيؤتيه﴾ وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر: "فسنؤتيه" بالنون[٢]، حملاً على قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك﴾.

﴿أجراً عظيماً﴾ قال المفسرون: هو الجنة. وناهيك رضاه عنهم أجراً، فإنه أعظم نعيم الجنة، ألا تراه يقول لهم: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً، وسخطه عز وجل على أهل النار أعظم عذابهم، فقد جاء أنهم يستغيثون: "عذبنا بما شئت ولا تسخط علينا".

سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٢)، والكشف (٢/ ٢٨٠)، والإتحاف (ص:٣٩٥)، والسبعة (ص:٦٠٣).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٢)، والكشف (٢/ ٢٨٠)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٥)، والسبعة (ص:٦٠٣).

قوله تعالى: ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ وذلك حين استنفر رسول الله ﷺ مَنْ حول المدينة من الأعراب، حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية خوفاً من قريش أن يعرضوا له بحرب أو صَدّ عن البيت، وكان رسول الله ﷺ قد أحرم بعمرة وساق الهدي معه ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه كثيراً من الأعراب شكّاً ونفاقاً، فلما رجع أقبلوا إليه يعتذورن بالكذب ويقولون: ﴿شغلتنا أموالنا﴾ بإصلاحها ﴿وأهلونا﴾ بالقيام عليها، ﴿فاستغفر لنا﴾.

قال ابن عباس: هم غفار ومزينة وجهينة وأشجع والديل وأسلم[(١)].

يريد: أن المنافقين المخلفين كانوا من هؤلاء القبائل، لا أنهم كلهم بهذه المثابة، فأكذبهم الله تعالى في اعتذارهم وطلبهم من رسوله الاستغفار لهم بقوله تعالى: ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضَرّاً﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "ضُرّاً" بضم الضاد[(٢)].

قال أبو علي[(٣)]: الضَّر -بفتح الضاد-: خلاف النفع، والضُّر -بضم الضاد-: سوء الحال. ويجوز أن يكونا لغتين في معنى، كالفَقْر والفُقْر، والضَّعف والضُّعف.

والمعنى: فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً من قتل أو هزيمة، ﴿أو أراد بكم نفعاً﴾ من نصر أو غنيمة.

ثم أكذبهم وهدّدهم بقوله تعالى: ﴿بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٢٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٢)، والكشف (٢/ ٢٨١)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٦)، والسبعة (ص:٦٠٤).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٩).

﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول﴾ أي: لن يرجع الرسول ﴿والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾ وقرأ ابن مسعود: "إلى أهْلِهِمْ" بغير ياء[١]، ووجههما ظاهر.

﴿وزين ذلك في قلوبكم﴾ لما له عليكم من الشقاء، ﴿وظننتم ظن السوء﴾ وذلك أنهم قالوا: إنما محمد وأصحابه أكَلَة رأس، فأين تذهبون؟ انظروا ما يكون منهم ﴿وكنتم قوماً بوراً﴾ هلكى. وقد ذكرنا ذلك في الفرقان[٢].

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿سيقول المخلفون﴾ وهم الذين تخلفوا عن الحديبية ﴿إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها﴾ أخبر الله تعالى نبيه أنه يفتح عليه خيبر، فبشر النبي ﷺ أصحابه بذلك، وأخبره أن هؤلاء المخلفين يقولون له وقت انطلاقه إلى خيبر: ﴿ذرونا نتبعكم﴾ إلى خيبر لنشهد قتال أهلها، ومقصودهم الغنيمة لا الجهاد.

﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "كَلِمَ الله" بكسر اللام من غير ألف[٣].

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٩٣)، والدر المصون (٦/ ١٦١).

(٢) عند الآية رقم: ١٨.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٢)، والكشف (٢/ ٢٨١)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٦)، والسبعة (ص:٦٠٤).

قال الفراء[١]: الكلام: مصدر، والكَلِم: جمع كَلِمَة.

والمعنى: يريدون أن يبدلوا مواعيد الله باختصاص غنائم خيبر بأهل الحديبية. قاله ابن عباس[٢].

وقال مقاتل[٣]: أمر الله نبيه أن لا يسير معه منهم أحد، وذلك أن الله تعالى وعده وهو بالحديبية أن يفتح عليه خيبر، ونهاه أن يسير معه أحد من المخلفين.

وقال ابن زيد: "كلام الله": قوله لنبيه ﷺ: ﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً﴾[٤] [التوبة:٨٣]. وتابعه على ذلك جماعة من المفسرين والمتأخرين. وهو موضع مزلة أقدام أقوام لم يترسخوا في علم النقل؛ لأن آية براءة نزلت في غزوة تبوك، وهي آخر غزاة غزاها رسول الله ﷺ، وهذه كما تسمع وترى نزلت في عام الحديبية.

﴿كذلكم قال الله من قبل﴾ أن غنائم خيبر لمن شهد الحديبية.

وقال مقاتل[٥] وغيره: يشير إلى قوله: ﴿قل لن تتبعونا﴾، فأنكروا ورَدُّوا أن يكون الله حكم بذلك، وأضافوه إلى المسلمين، فذلك قوله تعالى: ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ المعنى: فذلك الذي يحملكم على ردعنا ومنعنا من المسير معكم لئلا نشارككم في الغنيمة، فأكذبهم الله تعالى في نسبة الحسد إلى الرسول ﷺ والمؤمنين،

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٦٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٠).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢٤٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ٨٠). وذكره الماوردي (٥/ ٣١٥).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٢٤٩).

وردّ ذلك عليهم ملحقاً بهم عار الجهل، فقال تعالى: ﴿بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً﴾ وهو فهمهم لأمور دنياهم دون أمور دينهم، كما قال تعالى: ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ [الروم:٧].

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

ثم إن الله الرحيم الكريم فتح لهم باب الإنابة ولم يؤيّسهم من الخير على تقدير الاستجابة، فذلك قوله تعالى: ﴿قل للمخلفين من الأعراب﴾ وهم الذين تقدم ذكرهم، ﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد﴾ فيهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أهل فارس. قاله ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء الخراساني، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وابن جريج في آخرين[1].

الثاني: أنهم فارس والروم. قاله الحسن[2].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٨٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥١٩-٥٢٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن ابن جريج، وعزاه لابن المنذر.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٦٠٣)، والطبري (٢٦/ ٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥١٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر.

وعن مجاهد كالقولين[(١)].

الثالث: أنهم هوازن وغطفان، وكان ذلك يوم حنين. قالـه سـعيد بـن جبـير وقتادة[(٢)].

الرابع: أنهم بنو حنيفة، أصحاب مسيلمة الكذاب، الذين حاربهم الـصدّيق. قاله الزهري والكلبي ومقاتل[(٣)].

قال رافع بن خديج[(٤)]: كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعي أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم[(٥)].

وقال بعض العلماء: لا يجوز أن [تكون][(٦)] هذه الآيـة إلا في العـرب؛ لقولـه تعالى: ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ وفارس والروم إنما يقاتلون حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية[(٧)].

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٦٠٣)، والطبري (٢٦/ ٨٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥١٩-٥٢٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة. ومن طريق آخر عن عكرمة وسعيد بن جبير، وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر والبيهقي.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٢٠) وعزاه لابن المنذر والطبراني عن الزهري. وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٥٠).

(٤) رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن تزيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، أبو عبد الله، ويقال: أبو رافع. شهد أحداً والخندق، مات سـنة ثـلاث أو أربـع وسبعين (تهذيب التهذيب ٣/ ١٩٨، والتقريب ص:٢٠٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٧/ ٤٣٢).

(٦) زيادة من زاد المسير (٧/ ٤٣٢).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٢).

وقوله تعالى: ﴿أو يسلمون﴾ عطف على قوله: "تقاتلونهم"[١]، على معنى: حتى يكون أحد الأمرين: المقاتلة أو الإسلام.

وفي حرف أبيّ بن كعب: "أو يسلموا" بغير نون[٢]، على معنى: إلى أن يسلموا، كقول امرئ القيس:

.... أو تموتَ فَنُعْذَرَا[٣]

فصل

وفي هذه الآية حجة بالغة على صحة إمامة سيدي قريش: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لأن الصدّيق رضي الله عنه هو الذي دعا إلى قتال بني حنيفة، وعمر رضي الله عنه هو الذي دعا إلى قتال فارس والروم.

﴿فإن تطيعوا﴾ قال ابن جريج: إن تطيعوا أبا بكر وعمر[٤].

﴿يؤتكم الله أجراً حسناً﴾ وهو الثناء في الدنيا والغنيمة والظهور على الأعداء.

﴿وإن تتولوا﴾ عن طاعتهما ﴿كما توليتم من قبل﴾ عن طاعة رسول الله ﷺ في المسير معه إلى الحديبية ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ وهو في الدنيا: الخزي والعار، وفي

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٨)، والدر المصون (٦/ ١٦٢).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٩٤)، والدر المصون (٦/ ١٦٢).

(٣) جزء من بيت لامرئ القيس. وهو:

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول مُلْكاً أو نموت فنعذرا

انظر: ديوانه (ص:٦٦)، والكتاب (١/ ٤٢٧)، والمقتضب (٢/ ٢٨)، والخصائص (١/ ٢٣٦)، وابن يعيش (٧/ ٢٢)، والخزانة (٣/ ٦٠١)، والأشموني (٣/ ٢٩٥)، والبحر (٨/ ٩٤)، والدر المصون (٦/ ١٦٢).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٢).

الآخرة: عذاب النار.

وكذلك فعل الله تعالى بأعدائهما من الرافضة الذين ينكرون إمامتهما ولا يرون طاعتهما، جعل العار شعارهم، والذلّ دثارهم، والنار مثواهم ودارهم، فما أحقهم بإنشاد ما قيل في غيرهم:

فلوْ نظَرَ الغرابُ إلى تميمٍ وما فيها من السَّوْءاتِ شَابَا[1]

اللهم فاحرسنا من عرض نفاقهم كما عافيتنا من مرض نفاقهم.

قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة: فكيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج... الآية﴾[2].

قرأ نافع وابن عامر: "نُدْخِلْهُ جنات... نُعَذِّبْه" بالنون فيهما. وقرأ الباقون بالياء فيهما[3]. ووجههما ظاهر.

* ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ وهي البيعة التي تقدم ذكرها بالحديبية.

---

(١) البيت للعباس بن يزيد الكندي. وهو في: الأغاني (٨/ ٢٥)، وصبح الأعشى (٢/ ٢٠٨).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٧٣).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٤)، والكشف (١/ ٣٨٠)، والنشر (٢/ ٢٤٨)، والإتحاف (ص:٣٩٦)، والسبعة (ص:٦٠٤).

وبهذه الآية سُمّيت بيعة الرضوان.

قال سلمة بن الأكوع: بينا نحن قائلون زمن الحديبية، نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس! البيعة البيعة، فصرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة [سمرة][١]، فبايعناه[٢].

وقال عبد الله بن مغفل[٣]: كان رسول الله ﷺ تحت الشجرة يبايع الناس، وإني لأرفع أغصانها عن رأسه[٤].

﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ من الصدق والوفاء والصبر عند اللقاء ﴿فأنزل السكينة عليهم وأثابهم﴾ جازاهم على ذلك في العاجل ﴿فتحاً قريباً﴾ وهو فتح خيبر، في قول قتادة والأكثرين[٥].

وفتح هجر، في قول الحسن[٦].

---

(١) زيادة من المصادر التالية.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٨٦ ح٣٦٨٥٢)، والطبري (٢٦/ ٨٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٢١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) عبد الله بن مغفل بن عبد نهم بن عفيف بن أسحم بن ربيعة بن عدي بن ثعلبة بن ذويب المزني، أبو سعيد، ويقال: أبو عبد الرحمن، سكن المدينة ثم تحول إلى البصرة، وهو من أصحاب الشجرة، مات بالبصرة سنة ستين (تهذيب التهذيب ٦/ ٣٨، والتقريب ص:٣٢٥).

(٤) أخرج نحوه الطبري (٢٦/ ٩٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٢٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر. ومن طريق آخر عن الشعبي، وعزاه لعبد بن حميد.

(٦) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٣٤٢).

وقيل: فتح مكة[١].

والصحيح: الأول. فإن فتح خيبر كان عقيب انصرافهم من الحديبية، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، فاقتسموها واتسعوا بها، فذلك قوله تعالى: ﴿ومغانم كثيرة تأخذونها﴾.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢٠ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ۝٢١ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٢٢ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۝٢٣ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ وهو ما سيفتح عليهم إلى يوم [القيامة][٢].

﴿فَعَجَّل لكم هذه﴾ الإشارة إلى خيبر، في قول الأكثرين.

وقال ابن عباس في رواية عنه: هو صلح الحديبية[٣].

﴿وكفّ أيدي الناس عنكم﴾ قال قتادة: هم اليهود، كانوا هموا أن يغتالوا عيال

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٣١٦).

(٢) زيادة على الأصل. وانظر: زاد المسير (٧/ ٤٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٨٩). وذكره الماوردي (٥/ ٣١٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٥).

المسلمين بالمدينة، فكفهم الله تعالى عن ذلك[١].

وقيل: هَمَّت أيضاً أسد وغطفان باغتيال عيال المسلمين[٢].

وقيل: فكفَّ أيدي أهل خيبر وأيدي حلفائهم من أسد وغطفان، وكانوا أرادوا نصرتهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا، على قول ابن عباس[٣].

"فكفَّ أيدي الناس عنكم": أهل مكة.

﴿ولتكون﴾ هذه الكفة ﴿آية للمؤمنين﴾ عبرة لهم، يعرفون بها نعمة الله عليهم وحياطته لهم ونصره إياهم.

﴿ويهديكم صراطاً مستقيماً﴾ بصيرةً ويقيناً في الإسلام وثباتاً عليه.

قوله تعالى: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها﴾ أي: ووعدكم أخرى، أو هو معطوف على "هذه"، أي: فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى، أو هو منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده، وهو ﴿قد أحاط الله بها﴾[٤].

قال قتادة: فتح مكة[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٩٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٢٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٥).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣١٧) بلا نسبة، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٢٥) وعزاه لابن المنذر عن ابن جريج.

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ١٦٣).

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٩٢) ورجحه. وذكره الماوردي (٥/ ٣١٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٢٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

وقال ابن عباس والأكثرون: فارس والروم[١].

"قد أحاط الله بها": قدر عليها.

وقيل: أحاط بها علماً أنها ستكون لكم.

قوله تعالى: ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار﴾ أي: لو قاتلكم أيها المؤمنون مشركوا قريش يوم الحديبية لولوا الأدبار، لما قذفت في قلوبهم منكم من الهيبة والرعب.

﴿ثم لا يجدون ولياً﴾ نافعاً، ﴿ولا نصيراً﴾ مدافعاً.

﴿سُنة الله﴾ منصوب على المصدر، أي: سَنَّ الله غلبة رسوله والمؤمنين سُنَّة، وهو قوله تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ [المجادلة:٢١].

قوله تعالى: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيدكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ قال [أنس][٢] بن مالك: هبط ثمانون رجلاً من أهل مكة على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله ﷺ سلماً فأعتقهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٣].

وقال ابن عباس: بعث أهل مكة أربعين رجلاً أو خمسين ليطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ يوم الحديبية، لعلهم يصيبون منهم أحداً، فأخذهم المسلمون فأتوا

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٩١). وذكره الماوردي (٥/ ٣١٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥٢٦) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى. ومن طريق آخر عن علي وابن عباس، وعزاه لابن عساكر.

(٢) زيادة من صحيح مسلم (٣/ ١٤٤٢).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٤٢ ح١٨٠٨).

بهم رسول الله ﷺ، فعفا عنهم وخلى سبيلهم، وقد كانوا رموا عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل. فنزلت هذه الآية[١].

وبطن مكة: الحديبية؛ لأن بعضها مضاف إلى الحرم. قاله أنس بن مالك[٢].

وقال السدي: هو وادي مكة[٣].

وقيل: التنعيم[٤].

"من بعد أن أظفركم عليهم" أي: بهم.

﴿وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ قرأ أبو عمرو: "يعملون" بالياء، على معنى: بما يعمل الكفار من الصد والكفر وغيرهما. وقرأ باقي القراء العشرة: "تعملون" بالتاء[٥]، على الخطاب للجميع، لتقدم ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم﴾.

هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٩٤).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٣١٨) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٨).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٨).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٨) حكاية عن أبي سليمان الدمشقي.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٤)، والكشف (٢/ ٢٨٢)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٦)، والسبعة (ص:٦٠٤).

كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ يريد: أهل مكة، وما صنعوا عام الحديبية من صدّ المسلمين، وصدّ الهدي المقلد، وهو قوله تعالى: ﴿والهدي﴾ أي: وصدّوا الهدي.

ويجوز أن يكون مفعولاً معه[1]، أي: صدّوكم مع الهدي.

﴿معكوفاً﴾ نصب على الحال[2]، ومعناه: محبوساً عن ﴿أن يبلغ محله﴾ وهو الموضع الذي يحل نحره به بطريق الأصالة. يريد: منى.

قوله تعالى: ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ وهم المستضعفون بمكة ﴿لم تعلموهمْ﴾ أي: لم تعرفوهم وقت الْتحام الحرب وتلبس بعضكم ببعض ﴿أن تطؤوهم﴾ بدل اشتمال من "رجال"[3].

ومعنى: "أن تطؤوهم": تدوسهم، وهو مجاز عن إهلاكهم، كما قيل:

وَوَطِئْتَنا وَطْأً على حَنَقٍ ....[4]

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ١٦٣).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٨)، والدر المصون (٦/ ١٦٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) صدر بيت للحارث بن وعلة الذهلي، وعجزه: (وَطْءَ المُقَيَّدِ نَابتَ الهَرَم). انظر: شرح المفضليات (ص:٥٤٩)، واللسان (مادة: وطأ، هرم)، وديوان الحماسة (١/ ٧١-٧٣)، والبحر (٨/ ٩٨)، والدر المصون (٦/ ١٦٤)، وروح المعاني (٢٦/ ١١٣).

﴿فتصيبكم منهم معرة﴾ قال ابن زيد: إثم[١].

وقال ابن إسحاق: غرم الدية[٢].

وقال الكلبي: كفارة قتل الخطأ[٣].

وقيل: عيب[٤]، فيقال: قتلوا أهل دينهم.

وقوله: ﴿بغير علم﴾ متعلق بـ"أن تطؤوهم".

والمعنى: ولولا [كراهة][٥] أن تطأووا رجالاً ونساء من المؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم لا تعرفونهم فتصيبكم منهم معرّة غير عالمين بهم، لما كففنا أيدكم عن أهل مكة. فحذف الجواب لدلالة الكلام عليه. وقيل: الجواب: "لعَذَّبْنا".

وقوله تعالى: ﴿لو تزيّلوا﴾ كالتكرير لقوله: ﴿ولولا رجال﴾؛ لأنهما يرجعان إلى معنى واحد.

وقوله تعالى: ﴿ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ تعليل لما سيقت له الآية من كفّ أيديهم عنهم، على معنى: فعل الله ذلك ليدخل في الإسلام من أهل مكة من يشاء، وهم الذين أسلموا بعد الصلح.

قال ابن عباس: "لو تزيلوا"[٦]: لو تفرقوا[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٤) وعزاه لابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٢). وذكره الماوردي (٥/ ٣٢٠).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٠).

(٤) مثل السابق.

(٥) في الأصل: كرامة.

(٦) في الأصل زيادة قوله: إليّ. وانظر النص في: زاد المسير (٧/ ٤٤٠).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٠).

وقال ابن قتيبة والزجاج[1]: لو تميزوا.

والمعنى: لو تميّز المسلمون من المشركين.

﴿لعذبنا الذين كفروا منهم﴾ بأيديكم أيها المكفوفون عنهم ﴿عذاباً أليماً﴾ بالقتل والسبي والأسر.

قوله تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾ يجوز أن يكون العامل في الطرف ما قبله، أي: لعذبناهم وقت جعلهم الحمية في قلوبهم. ويجوز أن يكون بإضمار: "اذكروا".

الحمية: الأَنَفَة، وذلك أنهم قالوا: لا والله لا يدخلون علينا وقد قتلوا بالأمس آبائنا وإخواننا وأبنائنا، ولا تتحدث العرب بذلك.

﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ فلم يتداخلهم ما تداخل أولئك من الحمية، مع كونهم من سِنْخ[2] ..[3] نفوس أبيّة وعزة عربية، بل استسلموا واحتملوا الأذى، وأغضوا الجفون على القذى؛ طاعة لله ولرسوله.

﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ أخرج الترمذي من حديث أبيّ بن كعب، عن النبي ﷺ: ((" وألزمهم كلمة التقوى" قال: لا إله إلا الله))[4]. وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي في آخرين[5].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٧).

(٢) السِّنْخ: الأصل من كل شيء (اللسان، مادة: سنخ).

(٣) كلمة غير ظاهرة في الأصل.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٦ ح٣٢٦٥).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٦٠٣)، والطبري (٢٦/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٣٦-٥٣٧).

قال علي عليه السلام: كلمة التقوى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير[١].

وقال ابن عمر: هي: لا إله إلا الله والله أكبر[٢].

قال عطاء الخراساني: لا إله إلا الله، محمد رسول الله[٣].

وقال الزهري: كلمة التقوى: بسم الله الرحمن الرحيم[٤].

وقال مجاهد: الإخلاص[٥].

وقال الحسن البصري: الوفاء بالعهد[٦].

ومعنى إضافتها إلى التقوى: أنها سبب التقوى، أو كلمة أهل التقوى.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٦) عن عطاء.

وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٧) وعزاه لابن جرير من طريق ابن جريج عن عطاء. وأما قول علي فهو كقول ابن عمر الآتي، وقد أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٤)، والحاكم (٢/ ٥٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٦) وعزاه لابن جرير وأبي الحسين بن مروان في فوائده.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٤٩٧ ح٩٧٩٨)، والطبري (٢٦/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٧) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٧) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٦٠٣)، والطبري (٢٦/ ١٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٧) وعزاه لابن جرير.

(٦) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٣٤٦).

فإن قيل: ما معنى إلزامهم إياها؟

قلتُ: اتّصافهم بها وشدّة ملازمتهم لها.

فإن قيل: لِمَ سُمِّيت كلمة التقوى؟

قلتُ: لأنهم يتّقون بها غضب الله وعذابه.

فإن قيل: ما من أحد إلا وهو حقيق بقول: لا إله إلا الله، فما معنى قوله تعالى: ﴿وكانوا أحق بها وأهلها﴾؟

قلتُ: هو إشعار بأن الله تعالى اصطفاهم لدينه وأخلصهم لمعرفته وأهّلَهم لتوحيده، فكانوا أحق بها لموضع اصطفاء الله تعالى إياهم، حيث جعلهم من أهل السعادة.

وقال ابن عقيل في هذا الحرف كلاماً حسناً -لا يحضرني الآن-: حاصله راجع إلى أن العرب لموضع أنفتهم وحميتهم وغيرة نفوسهم، حتى أنك ترى الواحد منهم يخاطب الأمير كما يخاطب الحقير، أحق بتوحيد الله وتخصيصه بالخضوع والعبادة دون الأصنام من الأعاجم الذين لم يقاربوهم في العزة والأنفة.

لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ كان رسول الله ﷺ رأى في منامه قبل خروجه عام الحديبية كأن قائلاً يقول له: ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ إلى

قوله تعالى: ﴿لا تخافون﴾، ورأى كأنه هو وأصحابه قد دخلوا مكة محلّقين ومقصّرين، فأخبر أصحابه بذلك ففرحوا، فلما خرجوا عام الحديبية حسبوا أنهم يدخلون مكة ذلك العام، فلما رجعوا قال المنافقون: أين رؤياه التي رأى؟ فنزلت هذه الآية، فدخلوا في العام القابل[١].

والمعنى: لقد صدق الله رسوله فيما أراه في منامه.

وقوله تعالى: ﴿بالحق﴾ متعلق بـ"صدق" أو بـ"الرؤيا"، وهو قسمٌ باسمه الذي هو "الحق"، واللام في "لتدخلن" جواب القسم، أو جواب قسم محذوف على الأول[٢].

فإن قيل: إنما يستثني من يجهل العاقبة، والله تعالى علم أنهم يدخلون مكة، فما معنى قوله: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾؟

قلتُ: قال أبو عبيدة وابن قتيبة[٣]: "إنْ" بمعنى: "إذ". وقد سبق القول على ذلك في سورة البقرة.

وليس بالجواب السديد.

وقيل: الاستثناء يعود إلى دخول بعضهم أو جميعهم. حكاه الماوردي[٤].

وليس هذا القول أيضاً بشيء، ولا يندفع به الإشكال.

وحكى القاضي أبو يعلى: أنه على وجه الحكاية لما رآه النبي ﷺ في منامه أن

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٢-٤٤٣).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٩)، والدر المصون (٦/ ١٦٥).

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص:٤١٩).

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٣٢٢).

القائل قال: "لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين"[١].

والجواب المعتمد عليه: أن يقال: الاستثناء في مواعيد الله تعالى تأديبٌ للعباد، أو تثقيفٌ لهم، وتحضيض لهم على الاستثناء في مواعيدهم بأبلغ الطرق.

قال الزجاج[٢]: يجوز -وهو حسن- أن يكون "إن شاء الله" جرى على ما أمر الله تعالى به، [في][٣] كل ما يُفعلُ مُتَوَقَعاً فقال تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً * إلا أن يشاء الله﴾ [الكهف:٢٣-٢٤].

فإن قيل: معلوم قطعاً أن الله تعالى يعلم ما لا يعلمه الناس، فما معنى إخبار المسلمين بذلك؟

قلتُ: ذكَّرهم بذلك ليزدادوا استسلاماً لأقضية الله فيهم، وطمأنينة على الصبر على ما منوا به من تمكين أعراضهم، وتفويضاً إلى العالم الحكيم أزمَّة أمورهم.

والمعنى: علم ما في تأخير دخولكم مكة وصلحكم إياهم على الوجه الذي أرادوه وكرهتموه من المصالح ﴿ما لم تعلموا﴾.

﴿فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ وهو فتح خيبر، في قول ابن عباس وعطاء وابن زيد ومقاتل[٤].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٣).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٨).

(٣) في الأصل: على. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٨). وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٨-٥٣٩) وعزاه لابن جرير عن ابن زيد.

أو صلح الحديبية، في قول مجاهد والزهري وابن إسحاق[١].

وقد سبق معنى إظهار هذا الدين على الدين كله في براءة[٢].

قوله تعالى: ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ قال الحسن: شهيداً على نفسه أنه يظهر دينك[٣].

وقال مقاتل[٤]: المعنى: وكفى بالله شهيداً أن [محمداً ﷺ][٥] رسولُ الله.

والأول أوجه.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله﴾ مبتدأ وخبر. أو تقول: "محمد": مبتدأ، "رسول الله": عطف عليه عطف بيان، ﴿والذين معه﴾: عطف عليه، ﴿أشداء﴾ وما في

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٦٠٣)، والطبري (٢٦/ ١٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٨) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن مجاهد.

(٢) عند الآية رقم: ٣٣.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٩).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٢٥٤).

(٥) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

حيزه: الخبر. أو تقول: "محمد": خبر مبتدأ محذوف[١]، أي: هو محمد. أي: الرسول الذي أرسله هو محمد.

وقرأ الشعبي وأبو رجاء وأبو المتوكل وعاصم [الجحدري][٢]: "محمداً رسولَ الله" بالنصب فيهما[٣]. على معنى: ألزموا أو اتبعوا محمداً رسول الله.

قال ابن عباس: شهد له بالرسالة[٤].

﴿والذين معه أشِدَّاءُ على الكفار﴾ وقرأتُ لأبي حاتم عن يعقوب: "أشُـدَّاء" بضم الشين.

قال الزجاج[٥]: أشِدَّاء: جمع شديد، والأصل: أشدِدَاء، نحو قولك: نـصيب وأنْصِبَاء، ولكن الدَّالَيْن تَحَرَّكَتَا فأدغمت الأولى في الثانية.

﴿رُحَماء بينهم﴾ جمع رحيم. والمعنى: أنهم شداد صعاب على الكفار متراحمون فيما بينهم.

قال الحسن[٦]: [بلغ][٧] من تشددهم على الكفار: أنهم كانوا [يتحرزون][٨] من ثيابهم أن تلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمسَّ أبدانهم؛ وبلغ مـن تـرحمهم فـيما

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٩)، والدر المصون (٦/ ١٦٥-١٦٦).

(٢) في الأصل: والجحدري. والصواب ما أثبتناه. وانظر: زاد المسير (٧/ ٤٤٥).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٤٥)، والدر المصون (٦/ ١٦٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٥).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٨).

(٦) ذكر قول الحسن؛ الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٤٨).

(٧) في الأصل: أبلغ. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٨) في الأصل: يتحرزن. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه [وعانقه][(١)].

ثم وصفهم بكثرة الصلاة فقال: ﴿تراهم ركعاً سجداً﴾، ثم وصفهم بالإخلاص فقال: ﴿يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ وهذا عام في الصحابة رضي الله عنهم أجمعين عند جمهور المفسرين.

وروي عن الحسن أنه قال: "والذين معه": أبو بكر، "أشداء على الكفار": عمر، "رحماء بينهم": عثمان، "تراهم ركعاً سجداً": علي بن أبي طالب، "يبتغون فضلاً من الله ورضواناً": طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة[(٢)].

قوله تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ اختلف العلماء هل هذه السِّيما في الدنيا أم في الآخرة؟ على قولين:

أحدهما: في الدنيا.

قال ابن عباس: هو السمت الحسن[(٣)].

وقال مجاهد: الخشوع والوقار والتواضع[(٤)].

---

(١) في الأصل: وعنانقه. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٤٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠١)، والبيهقي (٢/ ٢٨٦ ح٣٣٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤١-٥٤٢) وعزاه لمحمد بن نصر في كتاب الصلاة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١١)، وابن المبارك في الزهد (ص:٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٢) وعزاه لابن المبارك وعبد بن حميد وابن جرير وابن نصر.

وقال الحسن: الصفرة[١].

وقال سعيد بن جبير: أثر السهر[٢].

وقال الأوزاعي: بلغني أنه ما حملت جباههم من الأرض[٣].

وقيل: السِّمَة التي تحدث في جبهة الساجد من كثرة السجود، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿من أثر السجود﴾.

وكان كل واحد من العَلِيَّيْن: أبي الخلفاء علي بن عبد الله بن العباس، وزين العابدين علي بن الحسين بن علي، يسمى ذا الثَّفِنَات[٤]؛ لأن كثرة سجودهما أثَّرَ في جبهة كل واحد منهما أثراً يشبه ثَفِنَات البعير.

القول الثاني: أن هذه السِّيما في الآخرة.

قال عطية العوفي: هو نور يظهر على وجوههم يوم القيامة[٥]. ونحوه عن الزهري[٦].

وقيل: هو نعتهم يوم القيامة غُرّاً مُحَجَّلين من أثر الوضوء[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١١).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٦).

(٤) الثَّفِنَة من البعير والناقة: هو ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ وغَلُظ؛ كالركبتين وغيرهما (اللسان، مادة: ثفن).

(٥) أخرج نحوه الطبري (٢٦/ ١١٠). وذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٣٢٣). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٢) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن نصر وابن جرير.

(٦) انظر: زاد المسير (٧/ ٤٤٧).

(٧) انظر: معاني الزجاج (٥/ ٢٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٧) حكاية عن الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾ أي: صفة محمد ﷺ وأصحابه هذه الصفة في التوراة. وهاهنا تم الكلام.

ثم أخبر عن صفتهم في الإنجيل فقال: ﴿كزرع﴾ وهذا قول الضحاك وابن زيد[١].

وقال مجاهد وغيره: مثلهم في التوراة والإنجيل واحد[٢].

ثم ذكر مثلهما في الكتابين فقال: ﴿كزرع أخرج شَطْأَهُ﴾ وقرأ ابن كثير وابن عامر: "شَطَأَهُ" بفتح الطاء[٣].

قال أبو علي[٤]: هما لغتان، [كالشَّمْع والشَّمَع][٥]، والنَّهْر والنَّهَر.

وقرأ أبي بن كعب وابن أبي عبلة: "شطَاءَه" بفتح الطاء وألف بعد الطاء مع المد والهمز[٦].

قال أبو عبيدة[٧]: "شَطْأَهُ" أي: فراخه، يقال: أَشْطَأَ الزَّرْعُ فهو مُشْطِئٌ، أي: مُفَرِّخ[٨].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٤)، والكشف (٢/ ٢٨٢)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٦)، والسبعة (ص:٦٠٤).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٠).

(٥) في الأصل: كالسمع والسمع. والمثبت من الحجة، الموضع السابق.

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٤٨)، والدر المصون (٦/ ١٦٧).

(٧) مجاز القرآن (٢/ ٢١٨).

(٨) انظر: اللسان (مادة: شطأ).

﴿فآزَرَه﴾ وقرأ ابن عامر: "فَأَزَرَهُ" بقصر الهمزة[١]. والمعنى: فأزره الصغار الكبار وقوّاه ولحق به.

﴿فاستغلظ فاستوى﴾ الجميع ﴿على سوقه﴾ جمع ساق. أي: قام على أصوله. وهذا مثلٌ لاستحكام الإسلام وقوة أهله واشتداد بعضهم ببعض، واستفحال أمرهم وسلطانهم بعد أن ظهر ضعيفاً كالطاقة من الزرع.

قال قتادة: في الإنجيل مكتوب: سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[٢].

وقال ابن عباس: المراد بـ"الزرع": محمد ﷺ، "أخرج شطأه": [أبو بكر][٣]، "فآزره" بعمر، "فاستغلظ" بعثمان، "فاستوى على سوقه" بعلي بن أبي طالب، ﴿يعجب الزراع﴾ يعني: المؤمنين، ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ وهو [قول عمر][٤] لأهل مكة: لا يعبد الله تعالى سراً بعد اليوم[٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٤-٦٧٥)، والكشف (٢/ ٢٨٢)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٧)، والسبعة (ص:٦٠٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) زيادة من زاد المسير (٧/ ٤٤٩).

(٤) في الأصل: قوله. والتصويب والزيادة من زاد المسير (٧/ ٤٤٩).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٩). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٤) وعزاه لابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: "كزرع" قال: أصل الزرع: عبد المطلب، "أخرج شطأه": محمد ﷺ، "فآزره" بأبي بكر، "فاستغلظ" بعمر، "فاستوى" بعثمان، "على سوقه" بعليّ، "ليغيظ بهم الكفار".

وقوله: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ تعليلٌ لما دل عليه تشبيههم بالزرع من اشتداد قوتهم وزيادة ترقيهم.

فصل

قال مالك بن أنس: من أصبح وفي قلبه غيظ لأصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية[١].

وقال ابن إدريس: لا آمنُ أن يكونوا قد ضارعوا الكفار -يعني: الرافضة-؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾[٢].

أخبرنا أبو علي بن الفرج المذكر في كتابه، أخبرنا هبة الله بن الحصين، أخبرنا الحسن بن علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان، أخبرنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثنا لوين[٣]، حدثنا يحيى بن المتوكل[٤]، عن كثير النواء[٥]، عن إبراهيم بن حسن [بن حسن][٦] بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جدّه، قال:

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٤٧)، والخلال في السنة (٢/ ٤٧٨ ح٧٦٠)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٩).

(٣) محمد بن سليمان بن حبيب بن جبير الأسدي، أبو جعفر المصيصي العلاف، المعروف بلوين، كوفي الأصل، ثقة، مات سنة خمس أو ست وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٩/ ١٧٦، والتقريب ص:٤٨١).

(٤) يحيى بن المتوكل العمري، أبو عقيل المدني، ويقال: الكوفي الحذاء الضرير، ضعيف، مات سنة سبع وستين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٣٧، والتقريب ص:٥٩٦).

(٥) كثير بن إسماعيل، ويقال: بن نافع النواء، أبو إسماعيل التيمي، مولى بني تيم الله الكوفي، ضعيف (تهذيب التهذيب ٨/ ٣٦٧، والتقريب ص:٤٥٩).

(٦) زيادة من المسند (١/ ١٠٣).

قال لي علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: ((يخرج من آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام))[١].

وفي صحيح مسلم من حديث عروة، عن عائشة قالت: ((يا ابن أختي! أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ فسبّوهم))[٢].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: من قال: علي أحق بالولاية من أبي بكر وعمر فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، ولا أدري يرفع له عمل إلى السماء أم لا؟.

قال الزمخشري[٣]: ويجوز أن يكون قوله: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ تعليلاً لقوله: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾؛ لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد الله لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك.

ومعنى ﴿منهم﴾ البيان، كقوله تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ [الحج:٣٠].

وقيل: يجوز أن يكون هذا الوعد لمن أقام منهم على الإيمان والعمل الصالح[٤].

وقال محمد بن جرير[٥]: "منهم" يعني: من الشطء الذي أخرج الزرع، وهم

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٠٣ ح٨٠٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣١٧ ح٣٠٢٢).

(٣) الكشاف (٤/ ٣٥٠).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٥٠).

(٥) تفسير الطبري (٢٦/ ١١٥).

الداخلون في الإسلام بعد الزرع إلى يوم القيامة.

ورد الهاء والميم على معنى الشطأ لا على لفظه.

وقال أبو العالية في قوله: ﴿وعملوا الصالحات﴾: أحبوا أصحاب محمد ﷺ المذكورين في الآية. فبلغ قوله الحسن البصري رحمه الله، فارتضاه واستصوبه. والله تعالى أعلم.

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثماني عشرة آية[1]. وهي مدنية بإجماعهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)﴾

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ السبب في نزولها مع ما في حيزها: ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم بن عبدالله بن عبدالصمد، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي البغداديان قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا الحجاج، عن ابن جريج قال: أخبرني ابن أبي مليكة، أن عبد الله بن الزبير أخبرهم: «أنه قدم ركبٌ من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أمِّرْ القعقاع بن معبد، وقال عمر

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٣٠).

رضي الله عنه: أمِّر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله...﴾ حتى انقضت الآية: ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾»[١]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

قال ابن عباس: نهو أن يتكلموا بين يدي كلام النبي ﷺ[٢].

وقال مجاهد: لا تفتاتوا على الله ورسول الله ﷺ حتى يقضي الله على لسان رسوله[٣].

وقال الحسن: نزلت في قوم ذبحوا قبل أن يصلي النبي ﷺ، فأمرهم أن يعيدوا الذبح[٤].

وقال قتادة: كان ناس يقولون[٥]: لو أنزل فيَّ كذا، لو أنزل فيَّ كذا، فنزلت هذه

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٤ ح٤٥٦٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦٠٥)، والطبري (٢٦/ ١١٦)، والبيهقي في الشعب (٢/ ١٩٥ ح١٥١٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) من هنا يبدأ الجزء السادس من مخطوط المكتبة الظاهرية والذي يبدأ من أول الحجرات إلى آخر القرآن، وقد رمز لهذه النسخة بحرف (ب).

الآية[١].

قرأ يعقوب: "لا تَقَدَّمُوا" بفتح التاء والدال، وهي قراءة ابن مسعود، وأبي هريرة، وأبو رزين، وعائشة، وأبي عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، والضحاك، وابن سيرين، وقتادة. وقرأ باقي القراء العشرة: "تُقَدِّموا" بضم التاء وكسر الدال[٢].

قال الفراء[٣]: كلاهما صواب، يقال: قَدَمت وتقدَّمت.

وقال الزجاج[٤]: كلاهما واحد.

وقال ابن جني[٥]: المفعول على قراءة العامة محذوف.

والمعنى: لا تسبقوهما بالقول والفعل، ولا تقطعوا أمراً دونهما.

[وقيل][٦]: لا تمشوا بين يدي رسول الله ﷺ.

قال الثعلبي[٧]: وكذلك بين يدي العلماء، فإنهم ورثة الأنبياء.

ودليل هذا التأويل: ما روى عطاء عن أبي الدرداء قال: «رآني النبي ﷺ أمشي أمام أبي بكر، فقال: تمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة، وما طلعت

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: النشر (٢/ ٣٧٥-٣٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٧).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٦٩).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣١).

(٥) المحتسب (٢/ ٢٧٨).

(٦) في الأصل: قيل. والمثبت من ب.

(٧) تفسير الثعلبي (٩/ ٧١).

شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين خير وأفضل من أبي بكر رضي الله عنه))[١].

﴿واتقوا الله﴾ في التقدم بين يدي الله ورسوله ﴿إن الله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بأفعالكم.

قوله تعالى: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ وبالإسناد قال البخاري: حدثنا [يسرة][٢] بن صفوان بن جميل اللخمي، حدثنا نافع[٣] بن عمر، عن ابن أبي مليكة قال: ((كاد الخيّران أن يهلكا، أبو بكر وعمر، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر. قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافي، قال: ما أردتُ خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي... الآية﴾. قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني: أبا بكر الصديق رضي الله عنه))[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢١٤).

(٢) في الأصل: بسرة. والتصويب من الصحيح (٤/ ١٨٣٣). وهو: يسرة بن صفوان بن جميل اللخمي، أبو صفوان، وقيل: أبو عبد الرحمن الدمشقي البلاطي، كان ثقة، ولد سنة عشرة ومائة، ومات سنة خمس عشرة ومائتين (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٣١، والتقريب ص:٦٠٧، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٢٩٩-٣٠٠).

(٣) في الأصل زيادة قوله: عن. وهو وهم. انظر: الصحيح (٤/ ١٨٣٣). ونافع: هو ابن عمر بن عبدالله بن جميل الجمحي. انظر: ترجمته في: التهذيب (١٠/ ٣٦٥)، والتقريب (ص:٥٥٨).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٣ ح٤٥٦٤).

وبالإسناد قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا أزهر بن سعد[١]، حدثنا ابن عون[٢]، قال: أنبأني موسى بن أنس[٣]، عن أنس بن مالك: ((أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته يبكي منكساً رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شرّ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا -قال موسى: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة- فقال: اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة))[٤].

قوله تعالى: ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾ وهو رفع الصوت عليه، ولا تظُنن أن المنهي عنه من ذلك ما قُصد به الاستخفاف، فإن ذلك كفر. والخطاب للمؤمنين.

ولأن رفع الصوت عنده حرام في كل حالة، فقد كان ذلك مشروعاً في الحرب وعند الحاجة، قال ﷺ: ((صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة))[٥].

وقال للعباس عليه السلام يوم حنين: "اصرخ بالناس"، فصرخ: يا أصحاب

---

(١) أزهر بن سعد السمان، أبو بكر الباهلي البصري، ثقة مأمون، مات سنة ثلاث ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١٧٧، والتقريب ص:٩٧).

(٢) عبد الله بن عون بن أرطبان المزني مولاهم، أبو عون البصري، ثقة ثبت فاضل، من أقران أيوب في العلم والعمل والسن، مات سنة خمسين أو إحدى وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ٥/ ٣٠٣-٣٠٤، والتقريب ص:٣١٧).

(٣) موسى بن أنس بن مالك الأنصاري، قاضي البصرة، كان ثقة قليل الحديث (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٩٨، والتقريب ص:٥٤٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٣ ح٤٥٦٥).

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ١١٢ ح١٢١٢٢).

السَّمُرة، وكان العباسُ أجهرَ الناس صوتاً[١].

ويروى: أن غارةً أتتهم يوماً، فصاح العباس: يا صباحاه! فأسقطت الحوامل لشدة صوته[٢].

بل المنهي عنه جهرٌ ينافي الهيبة والوقار، فندبهم إلى غضِّ أصواتهم عنده ﷺ؛ توقيراً وتعظيماً له ﷺ.

وقال سعيد بن جبير والضحاك في قوله: ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾: لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله[٣].

﴿أن تحبط أعمالكم﴾ قال الأخفش[٤]: مخافة أن تحبط أعمالكم الصالحة.

وقيل: حبط الأعمال مجاز عن نقص المنزلة لا إسقاط العمل من أصله[٥].

قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ قال أبو بكر: والله لا أرفع صوتي إلا كأخي السرار، فأنزل الله في أبي بكر: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ... الآية﴾[٦].

والغَضُّ مذكور في سورة لقمان[٧].

﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ قال ابن عباس: أخلصها للتقوى

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٩٨ ح١٧٧٥).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٣٠٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٨) عن الضحاك. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٥٧).

(٤) معاني الأخفش (ص:٢٨٧).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٥٧).

(٦) مثل السابق.

(٧) عند الآية رقم: ١٩.

من المعصية[١].

وقال الزجاج[٢]: اختبر قلوبهم فوجدهم مُخلصين، كما تقول: قد امتحنت هذا الذهب والفضة، أي: اختبرتهما بأن أذبتهما حتى خلصا، فعلمت حقيقة كل واحد منهما.

وقال ابن جرير[٣]: اختبرها بامتحانه إياها فاصطفاها وأخلصها للتقوى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ هذا من تمام ما نزل في وفد بني تميم، على ما ذكرناه في حديث ابن الزبير.

قال جابر بن عبد الله: جاءت بنو تميم إلى النبي ﷺ فنادوا على الباب: يا محمد! اخرج، فإن مدحَنا زين وذمّنا شين، قال: فسمعها رسول الله ﷺ، فخرج عليهم وهو يقول: إنما ذلكم الله الذي مدحُه زين وذمه شين، فقالوا: نحن أناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك، فقال النبي ﷺ: ما بالشعر بُعثت ولا بالفخار أُمرت، ولكن هاتوا، فقال الزبرقان بن بدر لشاب من شبابهم: قم فاذكر فضلك وفضل قومك، فقام فقال: الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه، وآتانا أموالاً نفعل فيها ما نشاء، فنحن من خير أهل الأرض، من أكثرهم عدة ومالاً

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٥٨).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٦/ ١٢٠).

وسلاحاً، فمن أنكر علينا فضلنا وقولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا، وبفعال هو خير من فعالنا.

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس -وكان خطيب رسول الله ﷺ-: قم فأجبه، فقام فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم دعا المهاجرين من بني عمه أحسن الناس وجوهاً وأعظمهم أحلاماً فأجابوه، فقالوا: الحمد لله الذي جعلنا أنصاره ووزراء رسوله، وعزاً لدينه، فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فمن قالها منع منا ماله ودمه، ومن أباها قتلناه، وكان رغمه في الله علينا هيناً. أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات.

فقال الزبرقان لشاب من شبابهم: قم يا فلان فقل أبياتاً تذكر فيها فضلك وفضل قومك، فقام الشاب فأنشد أبياتاً يفتخر فيها، أولها:

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يُعادِلُنا   فينا الرؤوسُ وفينا يُقسم الرّبع

فقال رسول الله ﷺ: [قم][1] يا حسان فأجبه، فقام حسان فأنشد أبياتاً منها:

إن الذوائبَ من فِهْرٍ وإخوتهم   قد شرعوا سُنَّةً للناس تُتّبَع

ثم أنشد أبياتاً غيرها منها:

فأحياؤُنا من خير من وطِئَ الحصا   وأمواتُنا من خير أهل المقابر

فقام الأقرع بن حابس فأنشد أبياتاً منها:

---

(١) زيادة من ب.

أتينـاكَ كـيما يعـرفَ النـاسُ فـضلَنا   إذا خالفُونـا عنـد ذِكْـرِ المكـارم

وإنـا رؤوسُ النـاس مـن كـل معـشرٍ   وأن ليسَ في أرضِ الحجاز [كَـدَارِم][1]

فأجابه حسان بن ثابت بأبيات منها:

فـلا تجعلـوا لله نِـداً [وأسْـلِمُوا][2]   ولا تَفْخَـرُوا عنـد النبـي بـدارم

وإلا وربِّ البيـتِ مالـتْ أكفّنـا   على هَـامِكُم بالمُرْهَفَـاتِ الـصَّوارِمِ[3]

فقام الأقرع بن حابس فقال: ما أدري ما هذا! تكلم خطيبنا فكان خطيبكم أحسن قولاً، وتكلم شاعرنا فكان شاعركم أشعر، ثم دنا فأسلم، فأعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم، وارتفعت الأصوات وكثر اللغط عند رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية[4].

ويروى: أن النبي ﷺ سُئل عن قوله تعالى: ﴿إن الـذين ينادونـك مـن وراء الحجرات﴾ فقال: هم الجفاة من بني تميم، لولا أنهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدَّجَّال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم[5].

---

(١) في الأصل: كدام. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: واسموا. والتصويب من ب.

(٣) انظر: ديوان حسان (ص:٢٢٧). وانظر: الأبيات السابقة في: البحر (٨/ ١٠٦-١٠٧).

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٤٠٤-٤٠٦)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢١١) مختصراً.
وانظر: سيرة ابن هشام (٥/ ٢٥١) وما بعدها، والبداية والنهاية (٥/ ٤١) وما بعدها، وتاريخ الطبري (٢/ ١٨٨) وما بعدها.

(٥) ذكره ابن حجر في الإصابة (٣/ ٦٧ ح٣١٧٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥٥٣) وعزاه لابن منده وابن مردويه من طريق يعلى بن الأشدق عن سعد بن عبدالله.

قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ قد نام للقائلة، فتأذى بأصواتهم، ولم يعلموا في أي حجرة هو، فكانوا يطوفون على الحجرات وينادونه.

قرأ أبو جعفر: "الحُجَرات" بفتح الجيم[١]، وهي قراءة أبيّ بن كعب، وعائشة، وأبي عبد الرحمن السلمي، ومجاهد، وأبي العالية، في آخرين.

وقرأ باقي القراء العشرة: "الحُجُرات" بضم الجيم. وأسكن الجيم أبو [رزين][٢]، وسعيد بن المسيب، وابن أبي عبلة[٣].

قال ابن قتيبة[٤]: واحد الحُجُرات: حُجْرة، مثل: ظُلْمة وظُلُمات.

وقال الفراء[٥]: وجه الكلام: أن تضم الحاء والجيم، وبعض العرب يقول: الحُجَرَات، وربما خفّفوا. والتخفيف في تميم، والتثقيل في أهل الحجاز.

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿حتى تخرج إليهم﴾؟

قلتُ: لأنه لو خرج إليهم لكان الأولى بهم والأليق بالأدب أن يصبروا حتى يخرج إليهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي

---

(١) انظر: النشر (٢/ ٣٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٧).

(٢) في الأصل: زين. والتصويب من ب.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٥٩)، والدر المصون (٦/ ١٦٩).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٤١٥).

(٥) معاني الفراء (٣/ ٧٠).

قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾ نزلت في الوليد بن عقبة، بعثه رسول الله ﷺ مصدقاً إلى بني المصطلق، فلما سمعوا به خرجوا ليتلقوه تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ، فحدثه الشيطان أنهم [يريدون][1] قتله، وكان يعاديهم في الجاهلية، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ، فقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهمَّ أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله ﷺ، وقالوا: يا رسول الله! سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه، ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله، فبدا له الرجوع، فخشينا أنما يكون رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبت علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم رسول الله ﷺ، وبعث خالد بن الوليد في خفية في عسكر، [وأمره][2] أن يخفي عليهم قدومه، فقال له: انظر، فإن [كان][3] رأيهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار، ففعل ذلك ووافاهم، فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء، فأخذ صدقاتهم ولم ير منهم شيئاً إلا الطاعة والخير.

فانصرف خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى: ﴿يا

---

(١) في الأصل: يريدن. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل و ب: وأمرهم. وقد عدلت في هامش ب إلى: وأمره.

(٣) زيادة من ب.

أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ... الآية﴾[١].

قوله تعالى: ﴿فتبينوا﴾ مذكور في سورة النساء[٢] وتفسيره واختلاف القراء فيه.

﴿أن تصيبوا﴾ مفعول له[٣]، أي: [كراهة][٤] إصابتكم ﴿قوماً﴾.

وقوله: ﴿بجهالة﴾ حال[٥]، كقوله تعالى: ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم﴾ [الأحزاب:٢٥] يعني: جاهلين بحقيقة الأمر.

﴿فتصبحوا﴾ أي: فتصيروا ﴿على ما فعلتم﴾ من إصابتهم ﴿نادمين﴾.

ثم وعظهم وخوفهم فقال: ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ معناه: اجتنبوا الكذب وغيره من أسباب الفسق، فإن رسول الله ﷺ بين أظهركم، أفتأمنون أن يفضحكم الله تعالى بإطلاعه عليكم.

ثم قال تعالى: ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر﴾ مما تخبرونه به من الباطل ﴿لعنتم﴾ لوقعتم في العنت. وهو الضَّرر. وقيل: الإثم والهلاك.

﴿ولكن الله حبب إليكم﴾[٦] أيها المؤمنون المتحرزون من أسباب الفسق

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٩)، والطبري (٢٦/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٣). وذكره الماوردي (٥/ ٣٢٨-٣٢٩)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥٥٥) وما بعدها من عدة طرق، فانظرها. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٠٧).

(٢) عند الآية رقم: ٩٤.

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ١٦٩).

(٤) في الأصل: كرهة. والتصويب من ب.

(٥) انظر: البحر المحيط (٨/ ١٠٩).

(٦) في الأصل زيادة قوله: "الإيمان". وستأتي بعد.

﴿الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ وحسنه عندكم بما ألهمكم من الهدى والبراهين الشاهدة بصحته.

﴿وكرَّه إليكم الكفر والفسوق﴾ قال ابن عباس: يريد: الكذب(١).

﴿والعصيان﴾ جميع معاصي الله، ﴿أولئك هم الراشدون﴾ المهتدون إلى محاسن الأمور.

ثم أخبر الله تعالى أن ذلك بفضل منه فقال تعالى: ﴿فضلاً من الله ونعمة﴾ قال الزجاج(٢): منصوب مفعول له. والمعنى: [فعل](٣) الله ذلك بكم للفضل والنعمة عليكم.

﴿والله عليم﴾ بمن يحب إليه الإيمان ويكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، ﴿حكيم﴾ في تدبيره وقضائه وتقديره.

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ السبب في نزولها: ما أخرج في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: قيل لرسول الله

---

(١) ذكره القرطبي (١٦/ ٣١٤)، والبغوي (٤/ ٢١٢).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٥).

(٣) في الأصل: فضل. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

ﷺ: «لو أتيت عبد الله بن أبيّ. فركب حماراً، وانطلق معه المسلمون يمشون، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني! والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، وكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا [أنه][1] أنزلت فيهم: ﴿وإن طائفتان ... الآية﴾»[2].

قلتُ: واسم الرجل الذي غضب للنبي ﷺ: عبدالله بن رواحة رضي الله عنه.

والقول على: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ كالقول على ﴿هذان خصمان اختصموا﴾ [الحج:١٩].

وقرأ جماعة منهم: ابن مسعود، وأبيّ بن كعب: "اقتتلا"[3].

﴿فأصلحوا بينهما﴾ بالدعاء إلى كتاب الله والرضى بما فيه لهما وعليهما ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى﴾ بطلب ما ليس لها، غير راضية بما أوجبه كتاب الله لها وعليها، ﴿فقاتلوا التي تبغي﴾ أي: تستطيل بغير الحق، ﴿حتى تفيء إلى أمر الله﴾ أي: ترجع إلى طاعته ﴿وأقسطوا﴾ اعدلوا في الإصلاح بينهما، ﴿إن الله يحب المقسطين﴾.

﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ في الدين.

قال الزجاج[4]: أعْلَمَ اللهُ تعالى أن الدين يجمعهم، وأنهم إخوة، إذا كانوا

---

(١) في الأصل: أن. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٩٥٨ ح٢٥٤٥)، ومسلم (٣/ ١٤٢٤ ح١٧٩٩).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٦٣)، والدر المصون (٦/ ١٧٠).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣٦).

متفقين في دينهم، فرجعوا بالاتفاق في الدين إلى أصل النسب؛ لأنهم جميعاً ولد آدم وحواء، ولو اختلفت أديانهم لافترقوا في النسب، وإن كانوا في الأصل لأب وأم، ألا ترى أنه لا يرث الابن المؤمن من الأب الكافر، ولا الحميم المؤمن من نسيبه الكافر.

﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ قرأ الأكثرون على التثنية. وقرأ أبيّ بن كعب، ومعاوية، وسعيد بن المسيب، وقتادة، ويعقوب في آخرين: "بين إخْوَتِكُم" بكسر الهمزة وسكون الخاء وتاء مكسورة[1].

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأبو رزين، [وأبو][2] عبد الرحمن السلمي، والحسن، والشعبي: "إِخوانكم" بكسر الهمزة وألف بعد الواو ونون مكسورة[3].

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء وأبي عمرو الياسري بهذه الأوجه الثلاثة لأبي عمرو.

والقراءتان تدلك على أن المراد بقراءة العامة الجمع وإن كان بصيغة التثنية.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يشتمه[4]، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره

---

(١) النشر (٢/ ٣٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٧).

(٢) في الأصل: أبو. والتصويب من ب.

(٣) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٧)، وزاد المسير (٧/ ٤٦٤).

(٤) في الصحيحين: يسلمه.

الله يوم القيامة))[١].

وقال بكر بن عبدالله المزني[٢]: امش ميلاً وعد مريضاً، وامش ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاثة أميال وزُرْ أخاً في الله تعالى[٣].

فصل

وفي هاتين الآيتين دليل واضح على أن الباغي لا يخرج عن الإيمان، وقد سُئل علي عليه السلام -وهو القدوة في قتال أهل البغي- عن الخوارج: أمشركون هم؟ فقال: من الشرك فروا، فقيل: أمنافقون؟ فقال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما[٤] حالهم؟ فقال: إخواننا بغوا علينا[٥].

فصول: تتضمن أحكام البغاة

الفصل الأول:

الخارجون على الإمام ثلاثة أقسام: قسم لا تأويل لهم، فهؤلاء قطّاع طريق، وقد ذكرنا أحكامهم في المائدة، وكذلك إن كان لهم تأويل لكنهم عدد يسير لا منعة لهم؛ لأن علياً رضي الله عنه لم يُجْرِ ابن ملجم مجرى البغاة[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٢ ح٢٣١٠)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦ ح٢٥٨٠).

(٢) في هامش الأصل: قوله: قال بكر... إلخ، هو حديث أخرجه السيوطي في الجامع من رواية ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان عن مكحول مرسلاً، اللفظ بعينه.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب "الإخوان" (ص:١٥٢) من حديث مكحول.

(٤) في الأصل زيادة قوله: هم.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٣٥ ح٣٧٧٦٣)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٧٣ ح١٦٤٩٠) وفيهما: سئل علي عن أهل الجمل.

(٦) انظر: المغني (٩/ ٣).

القسم الثاني: [الخوارج][١] الذين يُكفّرون أهل الحق، وأصحاب رسول الله ﷺ، ويستحلون دماء [المسلمين][٢]، فذهب عامة الفقهاء إلى أن حكمَهم حكمُ البغاة؛ لأن علياً رضي الله عنه قال: "إخوانُنا بغوا علينا"، وقال: "لا تبدؤوهم بالقتال". وكذلك عمر بن عبدالعزيز، من غير نكير، فكان إجماعاً[٣].

وذهبت طائفة من علماء الحديث إلى أنهم كفار، حكمهم حكم المرتدين؛ لما روى أبو سعيد أن النبي ﷺ قال فيهم: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأين ما لقيتهم فاقتلهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة»[٤].

وفي لفظ: «لا يجاوز إيمانهم حناجرهم؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[٥].

فعلى هذا؛ يجوز قتلهم ابتداء وقتل أسراهم واتباع مدبرهم، ومن قُدر عليه منهم استتيب كالمرتد، فإن تاب وإلا قتل[٦].

القسم الثالث: قوم من أهل الحق خرجوا على الإمام بتأويل سائغ وراموا خلعه، ولهم مَنَعَة وشوكة، فهؤلاء بغاة وواجب على الناس معونة إمامهم في قتالهم، للآية التي نحن في تفسيرها[٧].

ولأن الصحابة قاتلوا مانعي الزكاة، وقاتل علي رضي الله عنه أهل البصرة يوم

---

(١) في الأصل: الخارجون. والمثبت من ب.

(٢) في الأصل: المسلمون. والتصويب من ب.

(٣) انظر: المغني (٩/ ٣-٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٢٧ ح٤٧٧٠).

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١٢١٩ ح٣١٦٦)، ومسلم (٢/ ٧٤١ ح١٠٦٤).

(٦) انظر: المغني (٩/ ٤).

(٧) انظر: المغني (٩/ ٥).

الجمل، وأهل الشام يوم صفّين.

ولا يقاتلهم الإمام حتى يسألهم ما ينقمون منه، فإن اعْتَلُّوا بمَظْلَمَةٍ أزالها، أو شبهة كشفها؛ لأن علياً عليه السلام راسل عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير يوم الجمل: ما الذي أقدمكم؟ فاعتلّوا بطلب دم القتيل ظلماً أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وأنهم خرجوا آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، آخذين على أيدي الظَّلَمَة الفَجَرَة الذين قتلوا عثمان وانحازوا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، فأجابهم إلى ذلك طالباً منهم موافقتهم ومعاضدتهم، حتى يأخذوا على أيديهم ويقتلوهم، فانتظم أمر الفريقين على ذلك، فلما [أحسّ][1] القتلة بما انتظم الأمر عليه انتهزوا الفرصة وغفلة الجيشين، فرشقوهم بالنبل، فقال طلحة والزبير: ما هذا؟ فقيل: عليٌّ يقاتلكم، فعبّوا أصحابهم للقتال، فقال علي: ما هذا؟ فقيل: طلحة والزبير قد تهيأوا لقتالك، فنشبت الحرب بينهم يومئذ.

وروى عبد الله بن شداد: أن علياً عليه السلام لما اعتزلته الحرورية بعث عبد الله بن عباس إليهم فقاضاهم إلى كتاب الله، وجَرَتْ بينهم مناظرة معروفة عند أهل العلم، فرجع منهم أربعة آلاف[2].

الفصل الثاني:

إذا قوتلوا لم يتبع لهم مدبر ولم يجهز على جريح، ولم يقتل لهم أسير، ولم يغنم لهم مال، ولم يسب لهم ذرية[3].

---

(١) في الأصل: حسّ. والتصويب من ب.

(٢) انظر: المغني (٩/ ٥).

(٣) انظر: المغني (٩/ ٦).

قال أبو أمامة: شهدت صفِّين، فكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يطلبون مولياً، ولا يسلبون قتيلاً[١].

ولأن المقصود دفعهم، فإذا حصل لم يجز قتلهم كالصائل.

ومن لم يُقاتل منهم لم يُقتل؛ لأن علياً رضي الله عنه قال يوم الجمل: إياكم وصاحب البرنس -يريد محمد بن طلحة السجاد- وكان حضر طاعةً لأبيه، ولم يقاتل[٢].

ومن قتل أحداً ممن مُنع من قتله ضمنه؛ لأنه قتل معصوماً لم يؤمر بقتله، وهل يقاد به؟ فيه وجهان:

أحدهما: يقاد؛ لأنه [قَتَل][٣] مكافئاً عمداً.

والثاني: لا يقاد به؛ لتمكن الشبهة الدارئة [لوجوب][٤] القصاص.

الفصل الثالث:

من أتلف من الفريقين على الآخر مالاً أو نفساً حال التحام الحرب لم يضمنه.

قال الزهري: كانت الفتنة العظمى وفيهم البدريون، فأجمعوا على أن لا يجب حدٌّ على رجل ارتكبَ فَرْجاً حراماً بتأويل القرآن، ولا يُقتل رجلٌ سفكَ دماً حراماً بتأويل القرآن، ولا يُغرم ما أتلفه بتأويل القرآن[٥]؛ لأن العادل مأمور بالإتلاف،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٤٩٨ ح٣٣٢٧٨)، والحاكم (٢/ ١٦٧ ح٢٦٦٠).

(٢) انظر: المغني (٩/ ٦).

(٣) في الأصل: قاتل. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: لحوب. والتصويب من ب.

(٥) انظر: المغني (٩/ ٩).

فلم يضمن، كما لو قتل الصائل عليه.

والبغاة طائفة ممتنعة بالحرب بتأويل، فلم يُضمن ما أتلفت على الأخرى بحكم الحرب؛ كأهل العدل[١].

ولأن تضمينهم ذلك يفضي إلى تنفيرهم عن الطاعة، فسقط كأهل الحرب.

وعن الإمام أحمد رواية أخرى: أنه يلزم البغاة ضمان ما أتلفوا على أهل العدل؛ لأنهم أتلفوه بغير حق فضمنوه، كقطّاع الطريق[٢].

الفصل الرابع:

إذا استولى البغاة على بلد فأقاموا الحدود وأخذوا الزكاة والخراج والجزية احتُسب بذلك؛ لأن علياً رضي الله عنه لم يتبع ما فعله أهل البصرة وأخذوه.

وكان ابن عمر يدفع زكاته إلى ساعي نجدة الحروري[٣].

ومن ادّعى دفع زكاته إليهم قُبل منه بغير يمين؛ لأن الناس لا يستحلفون على صدقاتهم[٤].

ومن ادّعى من أهل الذمة دفع جزيته إليهم لم يُقبل إلا ببينة؛ لأنها عوض، فأشبهت الأجرة[٥].

ومن ادّعى دفع خراجه إليهم، ففيه وجهان:

---

(١) انظر: المغني (٩/ ٨).

(٢) انظر: المغني (٩/ ٩).

(٣) انظر: المغني (٩/ ١٣).

(٤) مثل السابق.

(٥) مثل السابق.

أحدهما: لا يُقبل؛ لأنه أجرة الأرض.

ولأنه خراج، أشبه الجزية.

والثاني: يُقبل؛ لأن الدافع مسلم، فقُبل قوله [فيه][١] كالزكاة[٢].

فإن ولّوا قاضياً يستبيح دماء أهل العدل وأموالهم لم ينفُذ حكمه؛ لاختلال وصف العدالة، وإن كان عدلاً مجتهداً كان كقاضي أهل العدل، لكنه إن كتب إلى قاضي أهل العدل استُحب ألا يَقبل كتابه؛ إرغاماً له وكسراً لقلوبهم[٣].

الفصل الخامس:

إذا اقتتلت طائفتان من المسلمين فالعادلة منهما من كان الإمام معها، فإن لم [يكن][٤] مع إحداهما فهما [ظالمتان، يلزم كل طائفة منهما][٥] ضمان ما أتلفت على الأخرى[٦]. والله تعالى أعلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾

---

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر: المغني (٩/ ١٣).

(٣) انظر: المغني (٩/ ١٣).

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: طائفتان يلزم واحدة. والتصويب من ب.

(٦) انظر: المغني (٩/ ٧).

قوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ القوم: الرجال الذين يقومون بالأمور، [ولذلك][1] قال: ﴿ولا نساء من نساء﴾، وقد ذكرنا ذلك في أوائل البقرة.

وقوله تعالى: ﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ و"خيراً منهم"[2] كلام مستأنف موقعه موقع جواب مستخبر عن علة النهي، ولولا ذلك لكان حقه أن يوصل [بالفاء][3].

والسبب في نزولها: ما روى أبو صالح عن ابن عباس: أن ثابت بن قيس بن شماس جاء يوماً يريد الدنو من رسول الله ﷺ وكان به صمم، فقال لرجل بين يديه: افسح، فقال له الرجل: قد أصبت مجلساً، فجلس مغضباً، ثم قال للرجل: من أنت؟ فقال: أنا فلان، فقال ثابت: أنت ابن فلانة، فذكر أماً له كان يُعيّر بها في الجاهلية، فأغْضى الرجل ونكس رأسه، فنزلت هذه الآية[4].

وقال الضحاك: نزلت في وفد تميم حين استهزؤوا بفقراء المسلمين؛ لما رأوا من رثاثة حالهم[5].

قوله تعالى: ﴿ولا نساء من نساء﴾ نزل على سبب آخر، وهو ما روي عن أنس بن مالك: «أن نساء النبي ﷺ عيّرن أم سلمة بقصرها، فنزلت هذه الآية»[6].

---

(١) في الأصل: وكذلك. والتصويب من ب.

(٢) في ب: منهن.

(٣) في الأصل: بالتاء. والتصويب من ب.

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٠٩)، وزاد المسير (٧/ ٤٦٥).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٦٥).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٦٦).

وقال ابن عباس: نزلت في امرأتين من [أزواج][1] النبي ﷺ سخرتا من أم سلمة، وذلك أنها ربطت حَقْوَيْها بسَبَنِيَّة[2] -وهو ثوب أبيض- [وسدلت][3] طرفها خلفها. فقالت عائشة لحفصة: انظري ما تَجُرُّ خلفها، كأنه لسان كلب[4].

وروي عنه أيضاً: أن صفية بنت حيي أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن النساء يعيرنني ويقُلن: يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله ﷺ: هلاّ قلت: أبي هارون، وعمّي موسى، وزوجي محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين. فأنزل الله تعالى هذه الآية[5].

قوله تعالى: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ سبق تفسير اللمز[6] فيما مضى.

والمعنى: لا تعيبوا إخوانكم، فإن المؤمنين كنفس واحدة.

﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ أخرج الترمذي في جامعه وأبو داود -واللفظ له- عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: «فينا نزلت هذه الآية بني سلمة، قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان [أو ثلاثة][7]، فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله، إنه يغضبُ من هذا الاسم، فأنزلت

---

(١) في الأصل: أزاج. والتصويب من ب.

(٢) السَّبَنِيَّة: ضَرْبٌ من الثياب تتخذ من مُشاقة الكتان أغلظ ما يكون. وقيل: منسوبة إلى موضع بناحية المغرب، يقال له: سَبَن (اللسان، مادة: سبن).

(٣) في الأصل: وشد. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٤٠٩).

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٤٠٩-٤١٠).

(٦) في سورة التوبة، عند الآية رقم: ٥٨.

(٧) في الأصل: وثلاثة. والتصويب من سنن أبي داود (٤/ ٢٩٠)، و ب.

[هذه][1] الآية: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾»[2].

قال المفسرون: هو أن يقول لأخيه المسلم: يا فاسق يا منافق، أو لمن أسلم: يا يهودي، يا نصراني، يا كلب، يا حمار[3].

فأما الألقاب الحسنة التي لا تقتضي غيظاً [ولا][4] أذى ولا كذباً؛ كالصِّدِّيق لأبي بكر، والفاروق لعمر، وذي النورين لعثمان، وسيف الله لخالد، وأمثال ذلك، فغير مكروهة ولا منهي عنها.

قوله تعالى: ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ أي: بئس الاسم أن يقول: يا يهودي وقد أسلم، أو يا فاسق وهو طائع.

﴿ومن لم يتب﴾ عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب ﴿فأولئك هم الظالمون﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

---

(١) زيادة من سنن أبي داود (٤/ ٢٩٠)، و ب.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٩٠ ح٤٩٦٢)، والترمذي (٥/ ٣٨٨ ح٣٢٦٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٣٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٦٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء. ومن طريق آخر عن ابن مسعود، وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) في الأصل: أو. والتصويب من ب.

قوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ قال الزجاج[١]: هو أن تظن بأهل الخير سوءاً. فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم.

قال سعيد بن جبير: هو الرجل يسمع من أخيه كلاماً لا يريد به سوءاً، [أو يدخل][٢] مدخلاً لا يريد به [سوءاً][٣]، فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءاً[٤].

قال القاضي أبو يعلى بن الفراء رضي الله عنه: هذه الآية تدل على أنه لم يُنْهَ عن جميع الظن، والظن على أربعة أضرب: محظور، ومأمور به، ومباح، ومندوب إليه.

فأما **المحظور**: فهو سوء الظن بالله تعالى، والواجب حسن الظن بالله تعالى، وكذلك سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة محظور.

وأما **الظن المأمور به**: فهو ما لم ينتصب عليه دليل يوصل إلى العلم به، وقد تُعُبِّدنا بتنفيذ الحكم فيه [والاقتصار][٥] على غالب الظن، وذلك نحو ما تُعُبِّدنا به من قبول شهادة العدول، وتحرّي القِبلة، وتقويم المستهلكات، وأروش الجنايات، التي لم يرد بمقاديرها توقيف.

وأما **الظن المباح**: كالشاكّ في الصلاة إذا كان إماماً، أمره النبي ﷺ بالتحري والعمل على ما يغلب على ظنه، فإن فعله كان مباحاً، وإن عدل عنه إلى البناء على اليقين كان جائزاً.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٦-٣٧).

(٢) في الأصل: ويدخل. والمثبت من ب.

(٣) في الأصل: سواء. والتصويب من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٦٩).

(٥) في الأصل: والإقصار. والمثبت من ب.

وأما الظن المندوب إليه: فهو إحسانُ الظن بالأخ المسلم، يُندبُ إليه ويُثاب عليه.

وأما ما روي في الحديث: «احترسوا من الناس بسوء الظن»[١]، فالمراد: الاحتراس بحفظ المال، مثل أن يقول: إن تركت بابي مفتوحاً خشيت السُّرَّاق[٢].

﴿إن بعض الظن إثم﴾ وهو الظن الذي نُهي عن مُسَاكنته.

﴿ولا تجسسوا﴾ وقرأ أبو رزين، والحسن، والضحاك، وابن سيرين، وأبو رجاء: بالحاء[٣].

قال أبو عبيدة[٤]: هما واحد وهو التبحث، ومنه: الجاسوس.

وقيل: [التجسس][٥] -بالجيم-: البحث عن عورات الناس، [وبالحاء][٦]: الاستماع لحديث القوم[٧].

أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن ثابت المعروف بابن الطالباني الفقيه الحنبلي رحمه الله بقراءتي عليه وقراءة غيري، قال: أخبرنا أبو منصور بن مكارم بن أحمد بن سعد المؤدب الموصلي، أخبرنا الشيخ نصر بن محمد بن أحمد بن صفوان، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم السرّاج، أخبرنا أبو طاهر هبة الله بن إبراهيم بن أنس،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ١٨٩ ح٥٩٨).

(٢) ذكر قول أبي يعلى هذا: ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٦٩-٤٧٠).

(٣) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٨)، وزاد المسير (٧/ ٤٧١).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٢٠).

(٥) في الأصل: التجسيس. والتصويب من ب.

(٦) في الأصل: والحاء. والتصويب من ب. وانظر: زاد المسير (٧/ ٤٧١).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٧١).

حدثنا أبو الحسن علي بن عبدالله بن طوق، حدثنا أبو جابر زيد بن عبدالعزيز بن حيان، حدثنا محمد بن عبدالله بن عمار[١]، حدثنا المعافى بن عمران[٢]، عن ابن لهيعة، حدثنا عبدالرحمن الأعرج، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسَّسُوا ولا تحسَّسُوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى))[٣].

وأخبرنا به عالياً أبو العباس الخضر بن كامل بن سالم الدمشقي، قراءة عليه وأنا أسمع يوم السبت الثامن والعشرين من شوال سنة ست وستمائة بظاهر دمشق، أخبرنا أبو الدر ياقوت بن عبدالله التاجر مولى ابن البخاري، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله بن [هزارمرد][٤] الصريفيني، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبدالرحمن المخلص، حدثنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، حدثنا عبيدالله بن محمد العيشي[٥]، حدثنا

(١) محمد بن عبد الله بن عمار بن سوادة الأزدي الغامدي، أبو جعفر البغدادي المخرمي، نزيل الموصل، كان ثقة صاحب حديث، وأحد الحفاظ المكثرين، مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٩/ ٢٣٦، والتقريب ص:٤٨٩).

(٢) المعافى بن عمران بن نفيل بن جابر بن جبلة بن عبيد بن لبيد بن مخاشن بن سلمة بن مالك بن فهم الأزدي الفهمي، أبو مسعود النفيلي الموصلي، رحل في طلب العلم إلى الآفاق، وجالس العلماء، ولزم الثوري وتأدب بآدابه، وتفقه به، وأكثر عنه وعن غيره، وكان زاهداً فاضلاً، شريفاً كريماً عاقلاً، مات سنة خمس أو ست وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٠، والتقريب ص:٥٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٧٦ ح٤٨٤٩)، ومسلم (٤/ ١٩٨٥ ح٢٥٦٣).

(٤) في الأصل: زارمرد. والتصويب من ب.

(٥) عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى التميمي، أبو عبد الرحمن البصري، المعروف =

وهيب[١]، عن عبدالله بن طاووس، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن... فذكر الحديث»[٢]، وجعل بدل قوله: "ولا تحاسدوا": "ولا تنافسوا.

قوله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ القول على هذه الجملة تحصره ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في ماهية الغيبة

وهي ما أخبرنا به أبو علي حنبل بن عبدالله بن الفرج في كتابه قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر القطيعي، أخبرنا عبدالله قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عفان[٣]، حدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم، حدثنا العلاء[٤]، عن أبيه[٥]، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ «أنه قيل

=

بالعيشي، والعائشي، وبابن عائشة؛ لأنه من ولد عائشة بنت طلحة، ثقة صدوق، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٧/ ٤١، والتقريب ص:٣٧٤).

(١) وهيب بن خالد بن عجلان الباهلي مولاهم، أبو بكر البصري، صاحب الكرابيس، ثقة ثبت لكنه تغير قليلاً بأخرة، مات سنة خمس وستين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ١٤٩، والتقريب ص:٥٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٥ ح٢٥٦٣).

(٣) عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار، أبو عثمان البصري، مولى عزرة الأنصاري، ثقة ثبت، مات سنة عشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٠٥-٢٠٨، والتقريب ص:٣٩٣).

(٤) العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي، أبو شبل المدني، مولى الحرقة، من جهينة، كان ثقة، مات سنة بضع وثلاثين (تهذيب التهذيب ٨/ ١٦٦، والتقريب ص:٤٣٥).

(٥) عبد الرحمن بن يعقوب الجهني المدني، مولى الحرقة، تابعي ثقة (تهذيب التهذيب ٦/ ٢٦٩، والتقريب ص:٣٥٣).

له: ما الغيبة؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره. قال: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول يا رسول الله؟ قال: إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه»[١]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه مسلم، فرواه عن قتيبة [بن][٢] سعيد، [عن][٣] إسماعيل، عن العلاء.

وفي هذا تنبيه على [أن][٤] الفاسق المستهتر لا غيبة له؛ لأنه لو كره [ما يُقال][٥] فيه ما أظهره وأشاعه على نفسه.

وفي حديث بهز بن حكيم[٦]، عن أبيه[٧]، عن جده[٨]، أن النبي ﷺ قال: «ليس للفاسق غيبة»[٩].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠١ ح٢٥٨٩)، وأحمد (٢/ ٣٨٤ ح٨٩٧٣).

(٢) في الأصل: عن. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: بن. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: عما يقول يقال. والتصويب من ب.

(٦) بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، أبو عبد الملك القشيري، ثقة صدوق، مات قبل الستين ومائة (تهذيب التهذيب ١/ ٤٣٧، والتقريب ص:١٢٨).

(٧) حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري، والد بهز، تابعي صدوق (تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨٧، والتقريب ص:١٧٧).

(٨) معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القشيري، صحابي نزل البصرة ومات بخراسان (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٥، والتقريب ص:٥٣٧).

(٩) أخرجه الطبراني (١٩/ ٤١٨، ح ١٠١١)، قال الهيثمي (١/ ١٤٩): فيه العلاء بن بشر ضعفه الأزدي. والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٠٩، ح ٩٦٦٥) وقال: قال أبو عبد الله (يعني الحاكم): غير صحيح. وأخرجه أيضاً: القضاعي (٢/ ٢٠٢، ح ١١٨٥).

وأخبرنا الشيخان أبو عبدالله محمد بن أحمد بن هبة الله، وأبو الرجاء عبدالهادي بن أحمد بن علي بن قاسم[1] الهمذانيان، إجازة [من][2] همذان، أن أبا المحاسن نصر بن المظفر البرمكي الجرجاني[3] أخبرهم قراءة عليه، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور، أخبرنا أبو القاسم عيسى[4]، حدثنا أبي أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير[5] قال: قرئ على أبي علي إسماعيل بن العباس الوراق[6] وأنا أسمع، حدثكم الفضل بن يعقوب[7]، حدثنا أبو

(١) عبد الهادي بن أحمد بن علي بن قاسم الحطبي، أبو الرجاء الهمداني. حدث عن أبي المحاسن نصر بن المظفر البرمكي، كان شيخ مسنّ صحيح السماع، ويكتب طبقة السماع على البرمكي (تكملة الإكمال ٢/ ٥١٤).

(٢) في الأصل: عن. والتصويب من ب.

(٣) نصر بن المظفر بن الحسين بن أحمد بن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك، أبو المحاسن البرمكي الجرجاني الأصل الهمذاني، أكثر الأسفار ودخل خراسان وبخارى ودمشق، وتوفي بهمذان سنة تسع وأربعين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٦٣، والتقييد ص:٤٦٥).

(٤) عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير، أبو القاسم، أملى مجالس عن البغوي وطبقته. كان يرمى بشيء من رأي الفلاسفة ولم يصح ذا عنه، توفي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة (لسان الميزان ٤/ ٤٠٢، وميزان الاعتدال ٥/ ٣٨٤، وتاريخ بغداد ١١/ ١٧٩).

(٥) علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير البغدادي، أبو الحسن، الكاتب مرة للمقتدر وللقاهر، ولد سنة نيف وأربعين ومائتين، وكان كثير الصدقات والصلوات، مجلسه موفور بالعلماء، توفي في آخر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وله تسعون سنة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٩٨-٣٠١).

(٦) إسماعيل بن العباس بن عمر بن مهران البغدادي، أبو علي الوراق، ثقة، ولد في سنة أربعين ومائتين، وتوفي راجعاً من الحج في الطريق في المحرم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٧٤، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٠٠).

(٧) الفضل بن يعقوب بن إبراهيم بن موسى الرخامي، أبو العباس البغدادي، ثقة حافظ صدوق، =

[عصام][1] العسقلاني[2]، حدثنا أبو سعد الساعدي[3]، عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ قال: ((من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له))[4].

وقال سعيد بن جبير: إذا قلت في الرجل خلفه ما تقوله في وجهه فليس بغيبة.

الفصل الثاني: في الزجر عن الغيبة

وبالإسناد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد[5]، حدثني أبي[6]، حدثنا واصل مولى أبي عيينة[7]، حدثني خالد بن عرفطة[8]، عن طلحة بن

= مات في أول جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين ومائتين (تهذيب التهذيب ٨/ ٢٥٩، والتقريب ص:٤٤٧).

(١) في الأصل: عاصم. والتصويب من مصادر الترجمة. انظر: التعليق التالي.

(٢) هو رواد بن الجراح، أبو عصام العسقلاني، أصله من خراسان، صدوق اختلط بأخرة فترك، وفي حديثه عن الثوري ضعف شديد (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٤٩، والتقريب ص:٢١١).

(٣) أبو سعد الساعدي. روى عن أنس بن مالك. قال أبو حاتم: مجهول، وقال الدارقطني: مجهول يترك حديثه (تهذيب التهذيب ١٢/ ١١٧، والتقريب ص:٦٤٣).

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ٢١٠).

(٥) عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبري مولاهم التنوري، أبو سهل البصري، كان ثقة مأمون، مات سنة ست وسبع ومائتين (تهذيب التهذيب ٦/ ٢٩١، والتقريب ص:٣٥٦).

(٦) عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبري مولاهم التنوري، أبو عبيدة البصري، كان ثقة ثبت حجة، رمي بالقدر ولم يثبت عنه، توفي بالبصرة في المحرم سنة ثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ٦/ ٣٩١-٣٩٢، والتقريب ص:٣٦٧).

(٧) واصل مولى أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري، ثقة صدوق، صالح الحديث (تهذيب التهذيب ١١/ ٩٣، والتقريب ص:٥٧٩).

(٨) خالد بن عرفطة، روى عن حبيب بن سالم، والحسن البصري، وطلحة بن نافع. روى عنه أبو =

نافع[١]، عن جابر بن عبد الله قال: ((كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح جيفة منتنة، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس))[٢].

وبالإسناد قال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر[٣] قال: أخبرنا أبو بكر[٤] - يعني: ابن عياش -، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله [بن][٥] جريج[٦]، عن أبي برزة الأسلمي[٧] قال: قال رسول الله ﷺ: ((يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع

=

بشر جعفر بن أبي وحشية، وعبد الله بن زياد بن درهم، وقتادة، وواصل مولى أبي عيينة (تهذيب الكمال ٨/ ١٣٠، والتقريب ص:١٨٩).

(١) طلحة بن نافع القرشي مولاهم، أبو سفيان الواسطي، ويقال: المكي الإسكاف، صدوق (تهذيب الكمال ١٣/ ٤٣٨-٤٤٠، والتقريب ص:٢٨٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥١ ح١٤٨٢٦).

(٣) الأسود بن عامر شاذان، أبو عبد الرحمن الشامي، نزيل بغداد، ثقة صدوق، مات أول سنة ثمان ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ٢٩٧، والتقريب ص:١١١).

(٤) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط المقرئ، مولى واصل الأحدب، كان من العُبّاد الحفّاظ المتقنين، ثقة عابد، إلا أنه لما كبر ساء حفظه، ولد سنة خمس أو ست وتسعين، ومات سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٧-٣٩، والتقريب ص:٦٢٤).

(٥) في الأصل: عن. والمثبت من ب. وانظر مسند أحمد (٤/ ٤٢٠).

(٦) سعيد بن عبد الله بن جريج الأسلمي البصري، مولى أبي برزة، روى عن مولاه، وعن نافع مولى ابن عمر، ومحمد بن سيرين، وعنه الأعمش، وعزرة بن ثابت، وحوشب بن عقيل، وأبان بن أبي عياش (تهذيب التهذيب ٤/ ٤٦، والتقريب ص:٢٣٧).

(٧) نضلة بن عبيد، أبو برزة الأسلمي، صاحب النبي ﷺ، أسلم قبل الفتح، وكان من ساكني المدينة ثم البصرة، شهد مع علي فقاتل الخوارج بالنهروان، وغزا بعد ذلك خراسان فمات بها بعد سنة أربع وستين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٩٩، والتقريب ص:٥٦٣).

الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته))[١].

وقال أسامة بن شريك[٢]: سمعت الأعاريب يسألون رسول الله ﷺ: هل علينا جُناح في كذا وكذا؟ فقال: ((عبادَ الله! وَضَعَ الله تعالى الحرج إلا امرؤ اقترض من عرض أخيه فذاك الذي حرج))[٣].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: ((أربى الربا استطالةُ الرجل في عرض أخيه))[٤].

قرأتُ على أبي القاسم بن أبي الفرج اليعقوبي، أخبركم أبو القاسم يحيى بن أسعد فأقرَّ به قال: أخبرنا أبو العز بن كادش، أخبرنا أبو علي الجازري، حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري، حدثنا محمد بن الحسن بن دريد، أخبرنا أبو حاتم[٥]، عن العتبي[٦]، عن أبيه قال: كان أبو حنظلة يقول: إنه لينبغي لك أن يدلك عقلك على ترك القول في أخيك، ففيه خلال ثلاث: أما واحدةٌ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٠).

(٢) أسامة بن شريك الثعلبي، من بني ثعلبة بن سعد، له صحبة وأحاديث، تفرد بالرواية عنه زياد بن علاقة (تهذيب التهذيب ١/ ١٨٤، والتقريب ص:٩٨).

(٣) أخرجه الحميدي في مسنده (٢/ ٣٦٣ ح ٨٢٤).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٩٥ ح٥٥٢٢).

(٥) سهل بن محمد بن عثمان، أبو حاتم السجستاني النحوي المقرئ، صدوق فيه دعابة، مات سنة خمس وخمسين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢٦، والتقريب ص:٢٥٨).

(٦) محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي، أبو عبد الرحمن العتبي البصري، العلامة الأخباري، مات سنة ثمان وعشرين ومئتين (سير أعلام النبلاء ١١/ ٩٦).

فلعلك أن تذكره بما هو فيك، أو لعلك تذكره بأمر قد عافاك الله منه، فما هذا جزاء العافية أن تجحد الشكر عليها، [أو لعلك][١] تذكره بما فيك أعظم منه، فذلك أشد استحكاماً لمقته إياك، أما كنت تسمع: [ارحم][٢] أخاك، واحمد الله الذي عافاك[٣].

الفصل الثالث: في كفارتها

روى سهل بن سعد الساعدي، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اغتاب أحدكم أخاه من خلفه فليستغفر الله، فإن ذلك كفارة له»[٤].

وروى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «كفارة من اغتبت أن تستغفر الله»[٥].

ثم إن الله سبحانه وتعالى ضرب للغيبة مثلاً فقال تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ فنهى سبحانه وتعالى عن الاغتياب، ثم حذر منه بأوكد الأسباب فقال: ﴿أيحب أحدكم﴾ يعني مع الإباء البشري والتنزه عن الخلق البهيمي أن يأكل لحم إنسان من جنسه، ثم جعله أخاً له ليجمع إلى كراهية الإنسان لحم من لا يقتات بمثله كون المأكول أخاً له يحنو عليه ويفتديه من المكاره بنفسه، ثم جعل ذلك الأخ ميتاً، إذ كان أكل الميت من لحوم الطير المشتهاة لا تقبله النفس ولو شارفت من الطَّوي الموت، فكيف إذا كان بشراً، ثم قسيماً في النسب وأخاً.

(١) في الأصل: ولعلك. والمثبت من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في: صفة الصفوة (٣/ ١٧٦).

(٤) ذكره ابن عدي في الكامل (٣/ ٢٤٧)، وابن حجر في اللسان (٣/ ٧٩) في ترجمة سليمان بن عمرو بن عبدالله. قال ابن عدي: وهذه الأحاديث عن أبي حازم كلها مما وضعه سليمان بن عمرو عليه.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (ص:١٧١)، وفي كتاب الغيبة والنميمة (ص:١٣١).

قال قتادة: كما يمتنع أحدكم من أكل لحم أخيه ميتاً كذلك يجب أن يمتنع أن يغتابه[١].

قال الماوردي[٢]: استعمل أكل اللحم مكان الغيبة؛ لأن عادة العرب بذلك جارية. قال الشاعر:

وإن أكَلُوا لحمي وفرْتُ لحومهم ... وإنْ هَدمُوا مجدي بنيتُ لهم مجدا[٣]

قوله تعالى: ﴿فكرهتموه﴾ وقرأ الضحاك وعاصم الجحدري: "فكُرِّهْتُمُوه" بضم الكاف وتشديد الراء[٤].

قال الفراء[٥]: أي فقد كرهتموه فلا تفعلوه.

قال الزجاج[٦]: تأويله: كما تكرهون أكل لحمه ميتاً، كذلك تجنبوا ذكره بالسوء غائباً.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ أي: من آدم وحواء.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٣٥).

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٣٣٥).

(٣) البيت للمقنع الكندي، وهو في: الأغاني (١٧/ ١١١)، وديوان الحماسة (٢/ ٣٨)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٢٠٦)، والماوردي (٥/ ٣٣٥)، والقرطبي (١٦/ ٣٣٥).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٧٢)، والدر المصون (٦/ ١٧١).

(٥) معاني الفراء (٣/ ٧٣).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٣٧).

هذا استنزال للعرب عما أَلِفُوهُ من التفاخر بالأحساب، وتعريض لهم بالزجر عن الاستسخار واللمز والتنابز بالألقاب والغيبة، حيث أعلمهم أنهم من أب واحد وأم واحدة.

﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ لا لتتفاخروا.

قال جمهور المفسرين واللغويين: الشُّعُوب: جمع شَعْب -بفتح الشين- وهو الحي العظيم، مثل: ربيعة ومضر، والقبائل دونها؛ كبكر من ربيعة، وتميم من مضر. سميت بذلك؛ لتَشَعُّبِ القبائل منها.

وقال مجاهد: الشُّعوب: النسب الأبعد، والقبائل: النسب الأقرب[1].

وقيل: الشُّعوب: [عرب][2] اليمن من قحطان، والقبائل: ربيعة ومضر وسائر عدنان[3].

وروى عطاء عن ابن عباس: الشُّعوب: الموالي، والقبائل: العرب[4].

وقال قوم: هم من لا يعرف لهم نسب؛ كالهند والترك.

وقرأ الأكثرون: "لِتَعَارَفُوا"، وشَدَّد التاء مجاهد وأبو المتوكل وابن محيصن[5].

وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، والضحاك، وابن يعمر، وأبان عن عاصم:

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٦٠٨)، والطبري (٢٦/ ١٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٧٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) في الأصل: العرب. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٣٣٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٧٤).

(٥) انظر: النشر (٢/ ٢٣٢-٢٣٣)، والإتحاف (ص:٣٩٨).

"لِتَعْرِفوا" بغير ألف وكسر الراء وسكون العين[١]، من عـرف يعـرف، والمفعـول محذوف على هذه القراءة.

وقرأ أبو نهيك والأعمش: "لِتَتَعَرَّفُوا" بتاءين مفتوحة الراء مُـشدَّدة مـن غـير ألف[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ إعلام أن ارتفاع المنازل عند الله تعالى بالتقوى لا بالنسب.

قرأتُ على الشيخ أبي الحسن علي بن ثابت الطالباني الفقيه الحنـبلي رحمـه الله، أخبركم أبو منصور بن مكارم المؤدب فأقرَّ به، أخبرنا أبو القاسم نصر بن محمد بن أحمد بن صفوان، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم السراج، أخبرنا أبو طاهر هبة الله بن إبراهيم بن أنس، أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن عبدالله بن طوق، حدثنا أبو جابر زيد بن عبد العزيز بن حيان، حدثنا محمد بن عبـدالله بـن عـمار، حـدثنا المعافى بن عمران رحمه الله، عن موسى بن خلف، عن أبي المقدام[٣]، عن محمد بن كعب، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: ((منْ سرَّه أن يكون أكرمَ الناس فليتقِ الله عز وجل))[٤].

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٧٤)، والدر المصون (٦/ ١٧٢).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٧٤)، والدر المصون (٦/ ١٧١).

(٣) هشام بن زياد بن أبي يزيد القرشي، أبو المقدام بن أبي هشام المدني، مولى عـثمان، ضـعيف مـتروك الحديث (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٦، والتقريب ص:٥٧٢).

(٤) أخرجه الحارث في مسنده (٢/ ٩٦٧ ح١٠٧٠) مطولاً، والشهاب في مسنده (١/ ٢٣٤ ح٣٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٨).

وبهذا الإسناد قال: حدثنا المعافى، عن هشام [بن](١) سعد(٢)، حدثنا سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «إن الله قد أذهب عنكم [عُبِّيَّةَ](٣) الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، الناس بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحمٌ من فحم جهنم، [أو ليكُونُنَّ](٤) أهونَ على الله من الجِعْلان التي تدفع بأنفها النَّتن»(٥).

وقال رجل لعيسى بن مريم: أيّ الناس أفضل؟ فأخذ قبضتين من تراب فقال: أيّ هاتين أفضل؟ الناس خلقوا من تراب، فأكرمهم أتقاهم(٦).

۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) في الأصل: عن. والتصويب من ب، وسنن أبي داود. وانظر ترجمته في التعليق التالي.

(٢) هشام بن سعد المدني، أبو عباد، ويقال: أبو سعد القرشي مولاهم، صدوق له أوهام، ورمي بالتشيع، مات سنة ستين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٧، والتقريب ص:٥٧٢).

(٣) في الأصل: غيبة. والتصويب من ب، وسنن أبي داود. وعُبِّيَّة الجاهلية: الكِبْر (اللسان، مادة: عبب).

(٤) في الأصل: وليكونن. والتصويب من ب، وسنن أبي داود.

(٥) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٣١ ح٥١١٦). والجِعْلان: جمع، واحده: جُعَل. وهو: حيوان معروف يشبه الخنفساء (اللسان، مادة: جعل).

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٤٥١).

ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ قال المفسرون: نزلت في أعراب بني أسد بن خزيمة، قدموا على النبي ﷺ المدينة في سنة مجدبة، فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارهم، وكانوا يمنّون على رسول الله ﷺ فيقولون: أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك. فنزلت هذه الآية[١].

قال الزجاج[٢]: الإسلام: إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي ﷺ، وبذلك يحقن الدم، فإن [كان][٣] مع ذلك الإظهار اعتقاد [وتصديق][٤] بالقلب فذلك الإيمان. والذي هذه صفته مؤمن مسلم. فأما من أظهر قبول الشريعة فهو في الظاهر مسلم، وفي الباطن غير مُصدق، فقد أخرجه الله من الإيمان بقوله: ﴿قل لم

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٤١-١٤٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٧٥-٤٧٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥٨٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٨).

(٣) زيادة من ب، ومن معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) في الأصل و ب: أو تصديق. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ أي: لم تصدقوا بما أسلمتم تعوذاً من القتل.

﴿وإن تطيعوا الله ورسوله﴾ قال ابن عباس: إن تخلصوا الإيمان[١].

﴿لا يَأْلِتْكُم من أعمالكم شيئاً﴾ قرأ أبو عمرو: "يألتكم" بهمزة بعد الياء، من أَلَتَ يَأْلِتُ أَلْتاً، مثل: ضَرَبَ يَضْرِبُ ضَرْباً، وحجته: ﴿ما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ [الطور:٢١].

وقرأ الباقون "يَلِتْكُم" بغير همز[٢]، من لاَتَ يَلِيتُ، مثل: بَاعَ يَبِيعُ. وحُجتهم: أنها مكتوبة في المصحف بغير ألف. ومعناهما واحد.

قال ابن عباس: لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً[٣]. [وأنشدوا][٤] قول الحطيئة:

أبلغْ سَراةَ بني سعدٍ مُغَلْغَلَةً ... جَهْدَ الرِّسَالةِ لا أَلْتاً ولا كَذِبَا[٥]

أي: لا نقصاناً ولا كذباً.

وقيل: المعنى: لا نمنعكم من ثواب أعمالكم شيئاً، وأنشدوا قول رؤبة:

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٧٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٦)، والكشف (٢/ ٢٨٤)، والنشر (٢/ ٣٧٦)، والإتحاف (ص:٣٩٨)، والسبعة (ص:٦٠٦).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣٣٨).

(٤) في الأصل: وأنشد. والمثبت من ب.

(٥) البيت للحطيئة. انظر: ديوانه (ص:٧)، والمحتسب (٢/ ٢٩٠)، واللسان (مادة: ألت)، والبحر (٨/ ١٠٤)، والدر المصون (٦/ ١٧٢)، والقرطبي (١٦/ ٣٤٩)، والطبري (٢٧/ ٢٧)، والدر المنثور (٧/ ٥٨٤)، وروح المعاني (٢٦/ ١٦٨)، والماوردي (٥/ ٣٣٨).

وليلةٍ ذاتِ نَدىً سريتُ   ولم يَلِتْنِي عنْ سُرَاهَا ليتُ[1]

والمعنى متقارب.

ثم نعت الله تعالى المؤمنين في الآية التي تليها.

قال المفسرون: لما نزلت هاتان الآيتان أتوا رسول الله ﷺ يحلفون أنهم مؤمنون صادقون، وعرف [الله][2] غير ذلك منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾[3].

علم هاهنا بمعنى: أعلم، ولذلك دخلت الباء في "بدينكم".

﴿والله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ فهو يعلم ما أنتم عليه لا يحتاج إلى إخباركم. وفيهم نزل: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ فإنهم قالوا: أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان[4].

قرأ ابن كثير: ﴿والله بصير بما يعملون﴾ بالياء على لفظ الغيبة؛ لتقدم ذكرها في قوله: ﴿يمنون﴾.

---

(١) البيت لرؤبة. وهو في: المحتسب (٢/ ٢٩٠)، واللسان (مادة: ليت)، والطبري (٢٦/ ١٤٣)، والقرطبي (١٦/ ٣٤٩)، وزاد المسير (٧/ ٤٧٧)، والبحر (٨/ ١٠٤)، والدر المصون (٦/ ١٧٢)، والماوردي (٥/ ٣٣٨).

(٢) زيادة من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٧٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٦٧ ح١١٥١٩)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٧٨ ح٨٠١٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٨٥) وعزاه لابن المنذر والطبراني وابن مردويه بسند حسن عن عبدالله بن أبي أوفى. ومن طريق آخر عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن.

وقرأ الباقون بالتاء[1]، حملاً على قوله: ﴿قـل لا تمنـوا﴾ ومـا في حيـزه . والله أعلم.

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٤-٤١٥)، والحجة لابـن زنجلـة (ص:٦٧٧)، والكـشف (٢/ ٢٨٤)، والنشر (٢/ ٣٧٦)، والإتحاف (ص:٣٩٨)، والسبعة (ص:٦٠٦).

سورة ق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي [خمس وأربعون][1] آية في العددين[2].

وهي مكية في قول عامة المفسرين. واستثنى ابن عباس وقتادة آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض﴾[3].

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴿٣﴾ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴿٤﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾

قال الله تعالى: ﴿قٓ والقرآن المجيد﴾ قرأ الأكثرون: "قافْ" [بسكون][4] الفاء. ونصبها أبو عبدالرحمن وأبو رجاء وأبو المتوكل وأبو الجوزاء، ورفعها أبو رزين وقتادة، وكسرها الحسن وأبو عمران الجوني[5].

---

(١) في الأصل و ب: أربع وخمسون. وهو خطأ. وقد صححت في هامش الأصل: خمس وأربعون.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٣١).

(٣) انظر: الماوردي (٥/ ٣٣٩)، وزاد المسير (٨/ ٣)، والإتقان (١/ ٥٣).

(٤) في الأصل: بكسر. والتصويب من ب.

(٥) انظر هذه القراءات في: زاد المسير (٨/ ٣-٤)، والدر المصون (٦/ ١٧٤)، وإتحاف فضلاء البشر =

وقد سبق القول على علل ذلك في سورة "ص"، وعلى الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

قال ابن عباس: هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به[١].

وقال قتادة: من أسماء القرآن[٢].

وقال مجاهد والفراء والزجاج[٣]: معناه: قضي الأمر، كما قيل في "حم": حُـمّ الأمر[٤].

وقال الضحاك: هو اسم للجبل المحيط بالأرض[٥]، وهو من زمردة خضراء، عليه كتفا السماء، وخضرة السماء منه[٦].

قال ابن عباس: خلق الله تعالى جبلاً يقال له: قاف، يحيط بالعالم، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا[٧] أراد الله تعالى أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فتحرَّك العرق الذي يلي تلك القرية[٨].

= (ص:٣٩٨).

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٨٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٨٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٣) معاني الفراء (٣/ ٧٥)، ومعاني الزجاج (٥/ ٤١).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٣٣٩).

(٥) ذكره الطبري (٢٦/ ١٤٧) بلا نسبة، والماوردي (٥/ ٣٣٩).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤).

(٧) في الأصل زيادة قوله: إذا.

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب "العقوبات" (ص:٣٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٨٩ ح٩٨٠٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٨٩) وعزاه لابن أبي الدنيا في العقوبات وأبي =

وقال أبو العالية: هو افتتاح اسم قدير[١].

وقال القرظي: افتتاح كل اسم لله أوله قاف، مثل: قدير، وقاهر، وقريب[٢].

وقال أبو بكر الوراق: معناه: قف عند أمرنا ونهينا[٣].

وقيل: معناه: قل يا محمد[٤].

والمجيد: [الكريم][٥]، في قول ابن عباس وعامة المفسرين[٦].

فإن قيل: أين جواب القسم؟

قلتُ: قال الأخفش[٧]: جوابه محذوف، تقديره: والقرآن المجيد لتبعثن. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أإذا متنا﴾.

وقيل: جوابه: إن محمداً رسول الله، بدليل قوله تعالى: ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾[٨].

وقال ابن كيسان: جوابه: ﴿ما يلفظ من قول﴾[٩].

= الشيخ في العظمة.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥) حكاية عن الثعلبي.

(٥) في الأصل: والكريم. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٧)، والطبري (٢٦/ ١٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٨٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٧) معاني الأخفش (ص:٢٨٧).

(٨) ذكره الماوردي (٥/ ٣٤٠).

(٩) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٣).

وقيل: ﴿قد علمنا﴾ أي: لقد علمنا، فحذف اللام؛ كقوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾[١] [الشمس:٩].

وقال أهل الكوفة: جوابه: ﴿بل عجبوا﴾ وهو مفسر في "ص"[٢] إلى قوله تعالى: ﴿شيء عجيب﴾، أي: معجب[٣].

﴿أءذا متنا وكنا تراباً﴾ فيه إضمار، تقديره: نبعث، فحذفه لدلالة الكلام عليه.

﴿ذلك رجع بعيد﴾ رد إلى الحياة بعيد غير كائن.

﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ أي: ما تأكله من لحومهم وعظامهم وأشعارهم وتشرب من دمائهم.

وقال قتادة: قد علمنا من يموت منهم[٤].

﴿وعندنا﴾ بذلك وبغيره ﴿كتاب حفيظ﴾ محفوظ من التبديل والتغيير، أو حافظ لأسمائهم وعدتهم، وهو اللوح المحفوظ.

﴿بل كذبوا بالحق لمَّا جاءهم﴾ وقرأ عاصم الجحدري: "لِمَا" بكسر اللام وتخفيف الميم[٥]، أي: عند مجيئه إياهم.

قال ابن جني[٦]: هو كقولهم: أعطيته ما سأل لطِلْبَتِهِ، أي: عند طلبته ومع طِلْبَتِهِ، وكذلك في التاريخ: لخَمْس خَلَوْن، أي: عند خمس خلون، أو مع خمس

(١) انظر: زاد المسير (٨/ ٥).

(٢) عند الآية رقم: ٤.

(٣) انظر: زاد المسير (٨/ ٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٤٩). وذكره الماوردي (٥/ ٣٤٠).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ١٢١)، والدر المصون (٦/ ١٧٥).

(٦) المحتسب (٢/ ٢٨٢).

خلون، فيرجع ذلك بالمعنى إلى قراءة العامة.

و"الحق": القرآن.

﴿فهم في أمر مريج﴾ ملتبس مختلط. ومنه الحديث: «مَرِجَتْ عهودهم وأماناتهم»[(١)].

قال الحسن: ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم[(٢)].

قال الزجاج في معنى اختلاط أمرهم هاهنا[(٣)]: [هو][(٤)] أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ مرة شاعر، ومرة ساحر، ومرة معلم، وللقرآن أنه سحر، ومرة مفترى، فكان أمرهم ملتبساً مختلطاً عليهم.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾

ثم دلّهم على البعث، وقدرته عليه بما يشاهدونه من عجائب المخلوقات

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ١٢٣ ح٤٣٤٢)، وابن ماجه (٢/ ١٣٠٧ ح٣٩٥٧)، والحاكم (٢/ ١٧١ ح٢٦٧١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٤٢).

(٤) في الأصل: هم. والتصويب من ب.

وعظائمها، فقال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها﴾ بناءً عجيباً متناسباً، لا يفتقر إلى علاقة ولا دعامة، ﴿وزيناها﴾ بالشمس والقمر والنجوم، ﴿وما لها من فروج﴾ صدوع وشقوق. فإن [في][1] ذلك أثر القدرة الباهرة والحكمة البالغة.

﴿والأرض مددناها﴾ بسطناها ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ جبالاً ثوابت، وأنشدوا:

رَسَا أصْلُه تحت الثَّرَى وسَمَا به   إلى النجم فرعٌ لا يُنالُ طويل[2]

﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ أي: من كل نوع حسن يبهج الناظر إليه. تقول: أبْهَجَنِي هذا الأمر؛ إذا سرَّك.

قوله تعالى: ﴿تبصرةً وذكرى﴾ مفعول له[3].

قال الزجاج[4]: أي فعلنا ذلك ليبصر به ويدل على القدرة.

﴿لكل عبد منيب﴾ قال قتادة: تائب إلى ربه[5].

وقال السدي: مخلص[6].

﴿ونزلنا من السماء ماء﴾ يعني: المطر ﴿مباركاً﴾ كثير الخير والبركة، ﴿فأنبتنا به

---

(١) زيادة من ب.

(٢) البيت للسموأل بن عادياء، وهو في: الماوردي (٥/ ٣٤٢)، والمستطرف (١/ ٢٩٢)، وديوان الحماسة (١/ ٢٩).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٤١)، والدر المصون (٦/ ١٧٥).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٤٣).

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٥٢) بلفظ: مقبل بقلبه إلى الله. وذكره الماوردي (٥/ ٣٤٢).

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٣٤٢).

جنات﴾ بساتين ﴿وحبَّ الحصيد﴾ وهو كل ما يحصد، [حُصِدَ أو لم][1] يُحْصَد.

و"الحصيد": نعتٌ "للحَبّ"، إلا أنه خُرِّجَ مخرج الإضافة، كقولهم: بارحة الأولى أو حب النبت الحصيد. وقد سبق نظائر هذا في مواضع.

﴿والنخل باسقات﴾ أي: [طوالاً][2] ﴿لها طلع﴾ وهو أول ما يبدو من ثمار النخل ﴿نضيد﴾ منضود متراكم، وذلك قبل أن يتفتح، فإذا خرج من أكمامه وتفرَّق فليس بنضيد.

﴿رزقاً للعباد﴾ مفعول له[3].

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

وتُبَّع: هو تبع الحميري، المذكور في الدخان[4].

وما لم أذكره مُفسَّر إلى قوله تعالى: ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ أي: أعجزنا عن ابتداء الخلق، وكانوا يقرون بأن الله خلقهم وينكرون إعادتهم بعد الموت، فدلَّهم بالنشأة الأولى على صحة الثانية.

﴿بل هم في لَبْس﴾ أي: في شَكٍّ ﴿من خلق جديد﴾ يريد: البعث.

---

(١) في الأصل: حصداً ولم. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: طولاً. والتصويب من ب.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٤١)، والدر المصون (٦/ ١٧٦).

(٤) عند الآية رقم: ٣٧.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ قال الواحدي[(١)]: "ونحن أقرب إليه" بالعلم، "من حبل الوريد": وهو عرق يتفرق في البدن، مخالطٌ للإنسان في جميع أعضائه، وذلك أن أبعاض الإنسان يحجب بعضها بعضاً، ولا يحجب علم الله تعالى شيء.

وقال الزجاج[(٢)]: الوريد: عرق في باطن العنق، وهما وريدان.

قال الفراء[(٣)]: الوريد: عرق بين الحلقوم [والعِلْباوين[(٤)].

والعِلْباوان: العصبان الصفراوان][(٥)] في متن العنق.

والحَبْل: هو الوريد، والقول فيه كالقول في: "وحَبَّ الحصيد".

ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه مع علمه بالإنسان وقربه منه قد وكل بـه ملكـين يحفظان عليه أقواله إلزاماً للحجة عليه، وتحقيقاً لمعنى العـدل، فقـال تعـالى: ﴿إذ يتلقى المتلقيان﴾.

---

(١) الوسيط (٤/ ١٦٥).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٤٤).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٧٦).

(٤) جاء في اللسان (مادة: علب): العلباء -ممدود-: عَصَبُ العُنُق. قال الأزهري: الغليظ خاصة، وهما عِلْبَاوان يميناً وشمالاً بينهما مَنْبِتُ العُنُق.

(٥) في الأصل: العلياويين العلياوان العصبتان الصفروان. والتصويب من ب.

قال الزجاج[١]: هما كاتباه الموكَّلان به، يتلقيان ما يعمله فيثبتانه عليه. المعنى: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، [فدل][٢] أحدهما على الآخر.

قال غيره[٣]: فحذف المدلول عليه. كقول الشاعر:

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما عِنْـ ـدَكَ راضٍ والرأيُ مختلف[٤]

والمراد بالقعيد هاهنا: الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم.

قال مجاهد: عن اليمين كاتب الحسنات، وعن الشمال كاتب السيئات[٥].

﴿ما يلفظ من قول﴾ أي: ما يتكلم من كلام يلفظه، أي: يلقيه من فمه ﴿إلا لديه رقيب﴾ حافظ موكل به ﴿عتيد﴾ حاضر معه ملازم له.

وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، فكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة [وأراد][٦] صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين: أمسك، فيمسك عنه سبع ساعات، فإن

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٤٤).

(٢) في الأصل و ب: يمل. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) انظر: معاني الزجاج (٥/ ٤٤).

(٤) البيت نُسب لعمرو بن امرئ القيس الخزرجي، ونُسب أيضاً لقيس بن الخطيم، ولدرهم بن زيد. انظر: الكتاب (١/ ٧٥)، ومعاني الفراء (١/ ٤٣٤)، وملحقات ديوان قيس (ص:١٧٣)، والمقتضب (٣/ ١١٢، ٤/ ٧٣)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٣١٠)، والهمع (٢/ ١٠٩)، والأشموني (٣/ ١٥٢)، والبحر المحيط (٥/ ٦٥)، والدر المصون (٢/ ٥٧٢، ٣/ ٤٧٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٩٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٦) في الأصل: وأرد. والتصويب من ب.

استغفر منها لم يكتب عليه شيء، وإن لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة))[١].

فصل

اختلفوا هل يكتبان عليه جميع أقواله وأفعاله؟ فذهب قوم إلى أنهم يكتبون جميع ما يصدر منه؛ قال مجاهد: حتى أنينه في مرضه[٢].

وقال عكرمة: لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يوزر فيه[٣].

وقال الضحاك: مجلسهما على الحنك[٤].

وكان الحسن يعجبه أن ينظف [عَنفقته][٥].

فصل

وفي هذه الآية ما يزجر المكلف عن إطلاق لسانه فيما لا يعنيه.

ويروى أن علياً رضي الله عنه[٦] سمع رجلاً يَشتم رجلاً، فقال له: يا هذا إنك تُمْلِي على كاتبيك كتاباً إلى ربك، فانظر على من تُمْلِ وإلى من تكْتُب.

---

(١) أخرجه الطبراني (٨/ ٢٤٧، ح ٧٩٧١)، قال الهيثمي (١٠/ ٢٠٨): فيه جعفر بن الزبير، وهو كذاب. والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٩٠، ح ٧٠٤٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٤٣ ح ١٠٨٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٩٦) وعزاه لابن المنذر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١١).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢).

(٥) ذكره القرطبي (١٧/ ١٠). وما بين المعكوفين في الأصل: عنفته. والتصويب من ب، وتفسير القرطبي.

(٦) في ب: عليه السلام.

وقال مخلد بن الحسين[١]: ما تكلمت بكلمة أريد أن أعتذر منها منذ خمسين سنة[٢].

وكان وهب بن منبه يَعُدُّ كلامه كل يوم ويحفظه.

وقال أبو الدرداء: أنصف أذنيك من [فمك، فإنما][٣] جعل لك أذنان لتسمع أكثر مما تتكلم به.

وقال خارجة بن مصعب[٤]: صحبت ابن عون أربعاً وعشرين سنة، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة[٥].

قرأتُ على الشيخ أبي الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة، أخبركم أبو الوقت عبد الأول بن عيسى فأقرَّ به.

وأخبرنا الشيخ أبو القاسم بن عبدالله العطار قال: أخبرنا أبو الوقت قال: أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حمويه، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا عبد الله بن منير[٦]، عن أبي

---

(١) مخلد بن الحسين الأزدي المهلبي، أبو محمد البصري، نزيل المصيصة، ثقة صالح، مات سنة إحدى وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٦٥، والتقريب ص:٥٢٣).

(٢) ذكره أبو نعيم في: حلية الأولياء (٨/ ٢٦٦)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ٢٦٦).

(٣) في الأصل: قلبك فما. والتصويب من ب.

(٤) خارجة بن مصعب بن خارجة الضبعي، أبو الحجاج الخراساني السرخسي، متروك، وكان يدلس عن الكذابين، توفي سنة ثمان وستين ومائة، وهو ابن ثمان وتسعين سنة (تهذيب التهذيب ٣/ ٦٧، وتهذيب الكمال ٨/ ١٦-٢٢، والتقريب ص:١٨٦).

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ٢٦٧ ح٥٠٤٢).

(٦) عبد الله بن منير، أبو عبد الرحمن المروزي، ثقة عابد، مات سنة إحدى وأربعين(تهذيب التهذيب =

النضر[١]، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار[٢]، عن أبيه[٣]، عن أبي صالح[٤]، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله عز وجل لا يلقي لها بالاً يرفعه الله تعالى بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله عز وجل لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»[٥]. انفرد بهذا البخاري.

وأخرجاه من طريق يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن عيسى بن طلحة، عن أبي هريرة، سمع النبي ﷺ يقول: «إن العبد [ليتكلم][٦] بالكلمة يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[٧].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فقلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه فقال: كُفَّ عليك هذا، فقلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبّ الناس في النار =

٦/ ٣٩، والتقريب ص:٣٢٥).

(١) هاشم بن القاسم بن مسلم بن مقسم الليثي، أبو النضر البغدادي الحافظ، خراساني الأصل، ولقبه قيصر، ثقة ثبت، ولد سنة أربع وثلاثين ومائة، ومات في ذي القعدة سنة خمس أو سبع ومائتين (تهذيب التهذيب ١١/ ١٨، والتقريب ص:٥٧٠).

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار العدوي، مولى ابن عمر، صدوق يخطىء (تهذيب التهذيب ٦/ ١٨٧، والتقريب ص:٣٤٤).

(٣) عبد الله بن دينار العدوي، أبو عبد الرحمن المدني، مولى ابن عمر، ثقة صدوق، مات سنة سبع وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ٥/ ١٧٧، والتقريب ص:٣٠٢).

(٤) هو ذكوان السمان الزيات. تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٧ ح٦١١٣).

(٦) في الأصل: يتكلم. والمثبت من الصحيح، ومن ب.

(٧) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٧ ح٦١١٢).

على وجوههم -أو قال: على مناخرهم- إلا حصائد ألسنتهم))[١].

وأخرج الإمام أحمد من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قال: ((قلت يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به، قال: قل: ربي الله ثم استقم. قال: قلت: يا رسول الله ما أخْوَفُ ما تخوف عليّ؟ قال: فأخذ بلسان نفسه ثم قال: هذا))[٢].

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ أي: جاءت غمرته وشدته التي تغشى الإنسان فتذهب بعقله، بالحق الثابت من أمر الآخرة، فأبانت له ما كان يجهله من ذلك.

وقيل: جاءت بحقيقة الموت.

وقرأ أبو بكر الصِّدِّيق وابن عباس والحسن: "سَكْرَةُ الحقِّ بالموت"[٣].

قال محمد بن جرير الطبري[٤]: لهذه القراءة وجهان:

أحدهما: أن يكون الحق هو الله تعالى، فيكون المعنى: وجاءت سكرة الله

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١١ ح٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٨ ح١١٣٩٤)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤ ح٣٩٧٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٣).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٢)، والكشاف (٤/ ٣٨٩).

(٤) تفسير الطبري (٢٦/ ١٦٠-١٦١).

بالموت.

والثاني: أن السكرة هي الموت أضيفت إلى نفسها، كقوله تعالى: ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ [الواقعة:٩٥]، فيكون المعنى: وجاءت السكرة الحق [بالموت][١].

ويروى: أن عائشة رضي الله عنها أنشدت عند أبيها أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين احتُضِر:

لعمرُكَ ما يُغني الثَّرَاءُ عن الفتى [إذا][٢] حَشْرَجَتْ يوماً وضَاقَ بها الصدر[٣]

فقال لها أبو بكر: يا بنية! لا تقولي ذلك، ولكنه كما قال الله: "وجاءت سكرة الحق بالموت"[٤].

وقرأ ابن مسعود وأبو عمران الجوني: "وجاءت سكرات" على الجمع، وتقديم "الحق"، ومثلهما قرأ أبي بن كعب وسعيد بن جبير: "سكرات"[٥].

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ أي: فيقال للإنسان ذلك ﴿ما كنت منه تحيد﴾.

قال ابن عباس: تكره[٦].

---

(١) زيادة من ب، والطبري (٢٦/ ١٦١).

(٢) في الأصل: إذ. والمثبت من ب.

(٣) البيت لحاتم الطائي، انظر: اللسان (مادة: حشرج)، والماوردي (٥/ ٣٤٨)، والقرطبي (١٧/ ٢٣٠)، والطبري (١٣/ ٣٠)، وروح المعاني (٢٩/ ١٤٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٩٩) وعزاه لأحمد وابن جرير عن عبدالله بن اليمني مولى الزبير بن العوام.

(٥) انظر هاتان القراءتان في: زاد المسير (٨/ ١٢).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣).

وقال الضحاك: تَرُوغ[١].

وقال الحسن: تهرب[٢].

وأصل الحَيْد: المَيْل، يقال: حَادَ يَحِيدُ حَيْداً، وأنشدوا قول طرفة:

أبا مُنذرٍ رُمْتَ الوفاءَ فهبتَهُ وحِدتَ كما حَادَ البعيرُ عن الدَّحْضِ[٣]

قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور﴾ مذكورٌ في الأنعام[٤].

والمراد: نفخة البعث.

﴿ذلك يوم الوعيد﴾ قال مقاتل[٥]: يعني بالوعيد: عذاب الآخرة.

والمعنى: ذلك يوم وقوع الوعيد.

ويجوز أن يكون الموعود، فصُرف وأضيف.

قوله تعالى: ﴿وجاءت كل نفس مَعَها سائق وشهيد﴾ أي: وجاءت ذلك اليوم كل نفس معها، ولغة بني تميم "مَعْها" بإسكان العين، سائق يسوقها إلى المحشر، وشهيد يشهد لها وعليها، وهما من الملائكة في قول جمهور المفسرين.

قال ابن السائب: السائق الذي كان يكتب عليه السيئات، والشهيد الذي كان يكتب الحسنات[٦].

وقيل: السائق: القرين من الشياطين، والشهيد: العمل.

---

(١) انظر: الطبري (٢٦/ ١٦١) بلا نسبة.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٢٣).

(٣) البيت لطرفة، وهو في: تاج العروس (مادة: دحض)، والقرطبي (١١/ ٦، ١٧/ ١٣).

(٤) عند الآية رقم: ٧٣.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٢٧٠).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣).

وقيل: الجوارح.

والآية عامة في قول عامة المفسرين.

وقال الضحاك: خاصة في الكفار(١).

﴿لقد كنت﴾ على إضمار القول، تقديره: فيقال: لقد كنت أيها الإنسان.

وقيل: الخطاب: للكافر. وهو قول ابن عباس(٢).

والمعنى: لقد كنت في دار الدنيا.

﴿في غفلة من هذا﴾ الذي صرت إليه، ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ وهي الأكِنَّة الصادّة له عن النظر، ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ أي: حادٌّ ثاقب.

قال مجاهد: وذلك حين ينظر إلى لسان الميزان حين توزن حسناته وسيئاته(٣).

وقال [مقاتل](٤): حديدٌ شاخصٌ لا يَطْرُف.

وقال الزجاج(٥): علمُك اليوم نافذ، لم يرد به حقيقة البصر.

[وقال](٦) ابن زيد: هذه الآية خطاب للنبي ﷺ(٧)، على معنى: لقد كنت في

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٦٣). وذكره الماوردي (٥/ ٣٤٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤).

(٤) في الأصل: قتادة. والمثبت من ب، وزاد المسير (٨/ ١٤). وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٧١).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٤٥).

(٦) في الأصل: قال. والمثبت من ب.

(٧) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٦٣-١٦٤). وعقب الآلوسي على هذا القول في روح المعاني (٢٦/ ١٨٤) فقال: ولعمري أنه زعم ساقط لا يوافق السباق ولا السياق.

غفلة عن الرسالة والوحي، فكشفنا عنك غطاءك بالوحي، فبصرك اليوم، أي: عملك في الدنيا حديد.

والقول الأول أظهر وأشهر.

وتؤيده قراءة الجحدري: "لقد كنتِ" بكسر التاء، "عنكِ غطاءكِ فبصركِ" بكسر الكاف فيهنّ، على المخاطبة للنفس[1].

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وقال قرينه﴾ قال الحسن وقتادة: هو الملك الشهيد عليه[2].

وقال مجاهد: قرينه الذي قُيض له من الشياطين[3]، يقول: هذا الذي وكلتني به من بني آدم، قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله.

قال الزجاج[4]: "ما" رفع بـ"هذا"، و"عتيد" صفة لـ"ما" فيمن جعل "ما" في مذهب النكرة. المعنى: هذا شيء لديّ عتيد.

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٢٤)، والدر المصون (٦/ ١٧٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٦٤). وذكره الماوردي (٥/ ٣٥٠).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦١١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٠) وعزاه للفريابي.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٤٥).

ويجوز أن يكون رفعه بإضمار "هو"، تقديره: هذا شيءٌ [لدي][1] هو عتيد.

ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر، ويجوز أن يكون بدلاً من "ما"، المعنى: هـذا عتيد.

قوله تعالى: ﴿ألقيا في جهنم﴾ خطاب للسائق والشهيد.

وقال مقاتل[2]: الخطاب لخازن النار.

فإن قيل: فما وجه مخاطبته بصيغة الاثنين؟

قلتُ: العرب تأمر الواحد بلفظ الاثنين، فتقول: قوما واضربا زيداً يا رجل، وأنشدوا:

فإنْ تَزْجُراني يا ابنَ عفَّانَ أَنْزَجِرْ وإنْ تَتْرُكاني أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعَا[3]

قال الزجاج[4]: [ومثله][5]:

قِفَا نَبْكِ من ذكرَى حبيبٍ ومنزل ....[6]

وقال المازني: كان الأصل: ألْق ألْق، فناب ألقيا عـن ألـق ألـق؛ لأن الفاعـل كالجزء من الفعل، فكان تثنية الفاعل نائباً عن تكرار الفعل.

---

(١) في الأصل: لديه. والمثبت من ب.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٧١).

(٣) البيت لأبي ثروان، سويد بن كراع العكلي، وهو في: اللسان (مادة: جزز)، والطبري (٢٦/ ١٦٥)، والقرطبي (١٧/ ١٦)، والماوردي (٥/ ٣٥٠)، وزاد المسير (٨/ ١٦)، والدر المصون (٦/ ١٧٨)، وروح المعاني (٢٦/ ١٨٥).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٤٦).

(٥) في الأصل: مثله. والمثبت من ب.

(٦) أول معلقة امرئ القيس (انظر: ديوانه ص:٨).

وقال قوم: أصله: ألقين، فأبدل من النون ألفاً، كقوله:

.... ولا تَعْبُدِ الشيطانَ واللهَ فاعبُدَا[(١)]

قوله تعالى: ﴿مناع للخير﴾ قال قتادة: للزكاة المفروضة[(٢)].

وقال الضحاك: مناع لدخول الناس في الإسلام[(٣)].

ويقال: إنها نزلت في الوليد بن المغيرة، منع بني أخيه من الدخول في الإسلام[(٤)].

﴿الذي جعل مع الله إلهاً آخر﴾ إن كان مبتدأ فخبره: "فألقياه". ويجوز أن يكون منصوباً على البدل من "كل كفار"، ويكون قوله: "فألقياه" توكيداً[(٥)].

قوله تعالى: ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين: هذا قول قرينه الذي قيض له من الشياطين[(٦)]، يتبرأ منه يوم القيامة ويقول: ما أكرهته على الضلال.

﴿ولكن كان في ضلال بعيد﴾ عن الهدى، فهو كقوله: ﴿وقال الشيطان لما

---

(١) عجز بيت للأعشى، وصدره: وإياك والمَيْتات لا تقربنها، انظر: ديوانه (ص:١٧)، والكتاب (٣/ ٥١٠)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٣٨٤)، وابن يعيش (٩/ ٣٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٣٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧).

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ١٧٩).

(٦) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٠) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن ابن جريج وعزاه لابن المنذر.

قضي الأمر... الآية﴾ [إبراهيم:٢٢].

وقال سعيد بن جبير: "قرينه": المَلَك الذي يكتب السيئات. يقول الكافر: رب إنه زاد عليّ في الكتابة، فيقول المَلَك: "ربنا ما أطغيته" أي: ما زدت عليه، ولا كتبت إلا ما قال وعمل[١].

فحيئنذ يقول الله تعالى: ﴿لا تختصموا لدي﴾ أي: لا تختصموا عندي، ﴿وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ على ألسنة رسلي.

﴿ما يبدّل القول لديّ﴾ ذكروا في معناه قولين:

أحدهما: لا يبدل ما وعدته من ثواب وعقاب. وهو قول الأكثرين[٢].

والثاني: ما يُغَيَّر عندي قول ولا يحرّف عن وجهه؛ لأني أعلم الغيب. وهذا قول الكلبي[٣]، واختيار الفراء وابن قتيبة والواحدي[٤].

﴿وما أنا بظلاّم للعبيد﴾ فأزيد على إساءة المسيء، أو أنقص من حسنات المحسن، أو أعاقب على غير ذنب.

فإن قيل: نسبة الظلم إلى الله عز وجل أمر مُحال، فإنه لو عَذَّبَ الطائع لم يكن ظالماً، فما معنى نفيه عنه بلفظ يُوهم نسبته إليه، على تقديرٍ ما؟

قلتُ: الظلم الشرعي الذي هو التصرف على الوجه الذي ليس للمخلوق

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) معاني الفراء (٣/ ٧٩)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص:٣٢٧)، والوسيط للواحدي (٤/ ١٦٨).

التصرف عليه مُحال نسبته إليه؛ لأن الله تعالى كيف فعل وتصرّف فله ذلك.

والمراد في هذه الآية وأمثالها: نفي الظلم اللغوي الذي هو وضع الشيء في غير موضعه، على معنى: وما أنا بظلاّم أضع العقوبة في غير موضعها، بل إنما أضعها وأُوقِعُها بمستحقها من الكفرة والفجرة، على ما تقتضيه حكمتي وعدلي.

فإن قيل: لو قال: "وما أنا بظالم" كان أبلغ في تحقيق معنى العدل، لنفيه أصل الظلم، فما باله عدل عنه إلى "ظلام"، ومقتضاه نفي الكثرة لا الأصل؟

قلتُ: إذا كان المعنى: وما أنا بظلاّم، أو ما ربك بظلاّم للعبيد فيعذبهم على غير جُرْم، كان النفي بصيغة التكثير أنفى للظلم، وأدلَّ على تحقيق معنى العدل من حيث المعنى، لدلالة مفهومه على تكثير الظلم، على تقدير العذاب على غير جرم، فنزّه نفسه سبحانه وتعالى عن الظلم قليله وكثيره بأبلغ الطرق، منبهاً على أن القليل منه كثير بالنسبة إليه جلّت عظمته.

وهذان الدخلان والجواب عنهما لم أُسْبَق إليهما، فإن يكن ذلك صواباً فمن فضل الله تعالى، وإن لم يكن ذلك فالله المسؤول التجاوز عني برحمته وكرمه.

وبعد أن سطرت الدخلين والجواب عنهما وجدت الزمخشري[1] قد تعرّض للدخل الثاني، وأجاب عنه بنحوٍ [مما][2] ذكرته، لكن في جوابي زيادةَ بَسْط وتقرير لم يتعرّض له.

---

(١) انظر: الكشاف (٤/ ٣٩٢).

(٢) في الأصل: ما. والمثبت من ب.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ قرأ نافع وأبو بكر والمفضل عن عاصم: "يقول" بالياء، على معنى: يقول الله لجهنم.

وروى عبد الوارث عن أبي عمرو: "يقال لجهنم"[(١)].

وقرأ باقي العشرة: "نقولُ" بالنون[(٢)]. وانتصاب "يوم" بـ"ظلام"، أو بقوله: "ونفخ في الصور".

وقال الزجاج[(٣)]: نصب "يوم" على وجهين:

أحدهما: على معنى: ما يبدل القول لدي في ذلك اليوم.

وعلى معنى: أنذرهم يوم نقول لجهنم.

قال[(٤)]: والله عز وجل عالم هل امتلأت أم لم تمتلئ، وإنما السؤال توبيخ لمن أُدخلها وزيادة في مكروهه، [ودليلٌ][(٥)] على تصديق هذا قوله تعالى: ﴿لأملأن

---

(١) انظر هذه القراءة في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٧-٦٧٨)، والكشف (٢/ ٢٨٥)، والنشر (٢/ ٣٧٦)، والإتحاف (ص:٣٩٨)، والسبعة (ص:٦٠٧).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٤٦-٤٧).

(٤) أي: الزجاج.

(٥) في الأصل: وبدليل. والتصويب من ب.

جهنم منك وممن تبعك﴾ [صٓ:٨٥].

وأما "هل من مزيد" ففيه وجهان عند أهل اللغة:

أحدهما: أنها تقول ذلك بعد امتلائها، فتقول: هل من مزيد، أي: هل بقي فيَّ موضع لم يمتلئ، أي: قد امتلأتُ.

ووجه آخر: تقول: "هل من مزيد" تغيظاً [على من عصى الله، كما قال عز وجل: ﴿سمعوا لها تغيظاً][1] وزفيراً﴾ [الفرقان:١٢].

فأما قولها هذا ومخاطبتها، فالله تعالى جعل فيها ما به تُمَيِّزُ وتخاطب، كما جعل فيما خلق أن يسبح بحمده، وكما جعل في النملة أن قالت: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ [النمل:١٨].

وقد زعم قوم أنها امتلأت فصارت صورتها صورة من لو ميَّزَ لقال: هل من مزيد، [كما][2] قال الشاعر:

امتلأَ الحوضُ، وقال: قَطْنِي مَهْلاً رُويداً قد ملأتَ بطني[3]

وليس هنالك قول. وهذا لا يشبه ذلك؛ لأن الله تعالى جلّ ذكره قد أعلمنا أن المخلوقات تُسبّح، وأنا لا نفقه تسبيحها، فلو كان ذلك إنما هو أن تَدُلَّ على أنها مخلوقة كُنَّا نفقه تسبيحها. هذا كله كلام الزجاج.

وقال غيره: المزيد إما مصدر وإما اسم مفعول، كالمبيع.

---

(١) زيادة من معاني الزجاج (٥/ ٤٧).

(٢) زيادة من ب، ومن معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) انظر البيت في: اللسان (مادة: قطط، قطن)، وتاج العروس (مادة: قطط)، والماوردي (٥/ ٣٥٣)، والقرطبي (٢/ ٣١، ١٥/ ٣٤٤، ١٧/ ١٨)، وروح المعاني (٥/ ١٤٩، ١٨/ ١١٩).

قرأتُ على الشيخ أبي القاسم عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن رواحة الأنصاري، أخبركم أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن سلفة الأصبهاني فأقرّ به، أخبرنا الرئيس أبو عبدالله القاسم بن الفضل بن أحمد الثقفي الأصبهاني، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن محمد المزكي النيسابوري بها، أخبرنا أبو أحمد حمزة بن العباس بن الفضل، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي، حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شيبان، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة قدمه فيها فتقول: قط قط، ويزوَى بعضها إلى بعض، ولا يزال في الجنة فضلٌ حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنه فضول الجنة»[1]. رواه البخاري عن آدم.

قوله تعالى: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ أي: قُرِّبَتْ لهم حتى يَرَوْها قبل أن يدخلوها، إكراماً لهم، وتعجيلاً لأسباب السرور والنعيم لهم، ﴿غير بعيد﴾ توكيد لمعنى قربها. ونصب "غير" على الظرف، أي: مكاناً غير بعيد، أو على الحال، وتذكيره على حذف الموصوف المذكر، تقديره: شيئاً غير بعيد، أو لكونه على صفة المصادر؛ كالزئير والصليل، ويقال لهم: ﴿هذا﴾ الذي ترونه ﴿ما توعدون﴾ وقرأ ابن كثير: "يوعدون" بالياء على المغايبة[2].

والمعنى: ما يوعدون في الدنيا على ألسنة الرسل.

﴿لكل أوّاب﴾ رَجَّاع عن معاصي الله إلى طاعته.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٥٣ ح٦٢٨٤)، ومسلم (٤/ ٢١٨٨ ح٢٨٤٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٨)، والكشف (٢/ ٢٨٥)، والنشر (٢/ ٣٧٦)، والإتحاف (ص:٣٩٨)، والسبعة (ص:٥٥٥).

قال مجاهد: هو الذي يذكر ذنوبه فيستغفر منها[(١)].

وقال سعيد بن المسيب: هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب[(٢)].

وقد ذكرنا الأوّاب في بني إسرائيل[(٣)].

قال مقاتل[(٤)]: "حفيظ": حافظ لأمر الله.

قوله تعالى: ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ في موضع جر بدل من "أوّاب".

ويجوز أن يكون مرفوعاً على الابتداء، والخبر: "أدخلوها" تقديره: يقال لهم: ادخلوها[(٥)].

ويجوز أن يكون منادى، وقد حذف حرف النداء للقرب. وقد سبق تفسيره في سورة الأنبياء[(٦)].

﴿وجاء بقلب منيب﴾ راجع إلى طاعة الله.

﴿ادخلوها بسلام﴾ أي: بسلامة من الهموم والعذاب، أو ادخلوها مصحوبين بالسلام من الله والملائكة. وقد ذكرنا ذلك في مواضع.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٧٢) عن مجاهد، وابن أبي شيبة (٧/ ١٦٣) من طريق مجاهد عن عبيد بن عمير. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٧٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٠)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ١٥٤ ح١٣٦٤٧)، وشعب الإيمان (٥/ ٤٠٨ ح٧٠٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٤) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه.

(٣) عند الآية رقم: ٢٥.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٢٧٢).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٢)، والدر المصون (٦/ ١٨٠).

(٦) عند الآية رقم: ٩.

﴿ذلك يوم الخلود﴾ في الجنة.

﴿لهم ما يشاؤون فيها﴾ قال المفسرون: وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاؤوا، ثم يزيدهم الله تعالى من عنده ما لم يسألوا، فذلك قوله: ﴿ولدينا مزيد﴾.

وفي حديث علي عليه السلام عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿ولدينا مزيد﴾ قال: يتجلّى لهم[1].

وقال أنس بن مالك: يتجلى لهم الرب عز وجل في كل جمعة[2].

ويروى: أن السحاب يمرّ بأهل الجنة فيمطرهم الحور، فتقول الحور: نحن اللواتي قال الله عز وجل: ﴿ولدينا مزيد﴾[3].

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾

ثم هدَّد كفار مكة بالآية التي تليها.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٥) وعزاه للبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه واللالكائي في السنة والبيهقي في البعث والنشور.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢١) حكاية عن الزجاج. وانظر: معاني الزجاج (٥/ ٤٧).

قوله تعالى: ﴿فنقبوا في البلاد هل من محيص﴾ قرأ جمهور القراء: "فَنَقَّبُوا" بفتح النون والقاف مع التشديد.

وقرأ بالتخفيف: العُمَران؛ ابن الخطاب وابن عبدالعزيز، وقتادة[١].

قال قتادة: ساروا وطوَّفُوا[٢].

وقال ابن جريج: اتخذوا فيها طرقاً ومسالك[٣]، وأصله من النَّقْب، وهو الطريق، وأنشدوا:

وقد نقَّبْتُ في الآفاق حتى رضيتُ من الغنيمةِ بالإِيَاب[٤]

وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، والحسن، وابن السميفع: بكسر القاف[٥]، على الأمر، بمعنى: التهديد والوعيد.

"هل من محيص" استفهام في معنى الإنكار.

قال الزجاج[٦]: طوَّفوا وفتَّشوا فلم يروا محيصاً من الموت.

---

(١) انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٤١٧)، والسبعة (ص:٦٠٧). وانظر قراءة العُمَرين وقتادة في: زاد المسير (٨/ ٢١).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٣٥٥).

(٣) مثل السابق.

(٤) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:٩٩)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٢٤)، والماوردي (٥/ ٣٥٥)، والبحر (٨/ ١٢٧)، والدر المصون (٦/ ١٨١)، والطبري (٢٦/ ١٧٦)، والقرطبي (١٧/ ٢٢)، وزاد المسير (٨/ ٢٢)، وروح المعاني (٢٦/ ١٩١)، واللسان (مادة، نقب).

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٨).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٤٨).

وقال قتادة: حاص أعداء الله فوجدوا أمر الله لهم مدركاً[١].

وهذا تخويفٌ لكفار مكة [وإعلام][٢] لهم أنهم على مِثْل سبيل من كان قبلهم، لا يجدون مفرّاً من الموت المفضي بهم إلى عذاب الله.

﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكر من إهلاك القرى ﴿لذكرى﴾ لتذكرة وموعظة ﴿لمن كان له قلب﴾ قال ابن عباس: عقل[٣].

قال الفراء[٤]: وهذا جائز في العربية أن تقول: ما لك قلب، وما معك قلبك، أي: ما عقلُك معك.

وقال ابن قتيبة[٥]: لما كان القلبُ محلَّ العقل كَنَّى عنه به.

وقيل: كَنَّى به عن النفس المميزة. المعنى: لمن كانت له حياة.

وقيل: المعنى: لمن كان له قلب واعٍ؛ لأن من لا يعي قلبه فكأنه لا قَلْبَ له.

﴿أو ألقى السمع﴾ أصغى إلى مواعظ القرآن وزواجره. تقول العرب: ألْقِ سَمْعَكَ إليَّ، أي: استمع مني.

﴿وهو شهيد﴾ حاضر القلب غير ساهي ولا لاهي.

قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ سبق تفسيره.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٨) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر.

(٢) في الأصل: وإعلاماً. والمثبت من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٢).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٨٠).

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص:١١٥).

﴿وما مسنا من لغوب﴾ تعب ونصب.

قال المفسرون: قالت اليهود: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت، فلذلك لا نعمل فيه شيئاً، فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وما مسنا من لغوب﴾[١].

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ من الكذب والبهت.

قال المفسرون: هذا كان قبل الأمر بالقتال.

وقيل: الصبر مأمور به على كل حال، [فلا][٢] نسخ[٣].

﴿وسبح بحمد ربك﴾ أي: سبح حامداً ربك، ﴿قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾.

قال ابن عباس: صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر[٤].

وفي الصحيحين [من حديث][٥] جرير بن عبد الله قال: «كنا عند رسول الله ﷺ ليلة البدر، فقال: إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا، لا تُضَامُون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب [فافعلوا][٦]، وقرأ: ﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٥٦)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٢).

(٢) زيادة من ب.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٦٧)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٣).

(٥) زيادة من ب.

(٦) زيادة من صحيح البخاري.

الغروب﴾))[١].

قوله تعالى: ﴿ومن الليل فسبحه﴾ قال مقاتل[٢]: صلاة المغرب والعشاء.

وقال مجاهد: صلاة الليل كله[٣].

﴿وأدبار السجود﴾ قرأ نافع وابن كثير وحمزة: "وإِدْبَار" بكسر الهمزة، مصدر أَدْبَر. وقرأ الباقون بفتحها، جمع دُبُر[٤].

أخرج البخاري من حديث مجاهد عن ابن عباس قال: ((أَمَرَهُ أن يسبح في أدبار الصلوات كلها. يعني: قوله: ﴿وأدبار السجود﴾))[٥].

وقال عمر وعلي والحسن بن علي وأبو هريرة والحسن ومجاهد والشعبي والنخعي وقتادة: هو الركعتان بعد المغرب[٦].

وأخرج الترمذي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: ((إدبار النجوم: الركعتين قبل الفجر، وإدبار السجود: الركعتين بعد المغرب))[٧].

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٠٣ ح٥٢٩)، ومسلم (١/ ٤٣٩ ح٦٣٣).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٧٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٠) وعزاه لابن جرير.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٨)، والكشف (٢/ ٢٨٥)، والنشر (٢/ ٣٧٦)، والإتحاف (ص:٣٩٨)، والسبعة (ص:٦٠٧).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٦ ح٤٥٧١).

(٦) أخرجه مجاهد (ص:٦١٣)، والطبري (٢٦/ ١٨٠-١٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١١) وعزاه لابن مردويه عن أبي هريرة. ومن طريق آخر عن عمر بن الخطاب، وعزاه لابن المنذر ومحمد بن نصر في الصلاة. ومن طريق آخر عن إبراهيم النخعي وعزاه لابن جرير. وأخرج عن مجاهد وقتادة والشعبي والحسن مثله.

(٧) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٢ ح٣٢٧٥).

وقال ابن زيد: النوافل بعد المفروضات[١].

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿واستمع يوم ينادي المنادي﴾ أي: واستمع حديث يوم ينادي المنادي، فحذف المضاف، وهو مفعول به لا ظرف.

والمنادي: إسرافيل عليه السلام.

قال المفسرون: يقف على صخرة بيت المقدس وينادي: يا أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتفرقة، والشعور المتمزقة، إن الله تعالى يأمركن [أن][٢] تجتمعن لفصل القضاء[٣]. وهذه هي النفخة الأخيرة.

والصخرة: وسط الدنيا، وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٨٢). وذكره الماوردي (٥/ ٣٥٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦١٠) وعزاه لابن جرير.

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٨٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦١١) وعزاه لابن جرير عن كعب. ومن طريق آخر عن يزيد بن جابر، وعزاه لابن عساكر والواسطي في فضائل بيت المقدس.

(٤) انظر: الطبري (٢٦/ ١٨٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٠).

﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾ بدل من "يوم ينادي المنادي"[(١)][(٢)].

والمعنى: يوم يسمعون الصيحة بالحق، بالأمر الثابت الذي لا مِرْيَةَ فيه، وهو البعث.

﴿ذلك يوم الخروج﴾ من القبور.

قوله تعالى: ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً﴾ بدل أيضاً من "يوم ينادي المنادي"[(٣)].

ويجوز أن يكون منصوباً بقوله: ﴿وإلينا المصير﴾ أي: يصيرون إلينا في ذلك اليوم.

و"سراعاً" نصب على الحال، تقديره: فيخرجون سراعاً[(٤)].

﴿ذلك حشر علينا يسير﴾ هَيِّن.

ثم عزَّى نبيه ﷺ فقال: ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أي: بما يقول كفار مكة من تكذيبك والاستهزاء بك، ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ بمسلط تقهرهم على ما تريد.

قال ابن عباس: لم تُبعث لتُجبرهم على الإسلام، إنما بعثت مُذكِّراً، وذلك قبل أن يُؤمر بقتالهم[(٥)].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ١٨٢).

(٢) حصل سهو من ناسخ الأصل، فقدم بعض العبارات وأخّر البعض من قوله تعالى: ﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾ إلى قوله: تقهرهم على ما تريد. وقد أثبتنا ذلك من ب.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ١٨٢).

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره الطبري (٢٦/ ١٨٥) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٥).

﴿فذكر بالقرآن﴾ عِظْ به ﴿من يخاف وعيد﴾.

وقرأ يعقوب: "وعيدي" بياء في الحالين[1].

وكان ﷺ يُذكّر بالقرآن من يخاف ومن لا يخاف، لكنه خصَّ الخائفين من وعيده بالنار لمن عصاه بالذِّكْر؛ لموضع انتفاعهم به. والله تعالى أعلم.

(١) انظر: النشر (٢/ ٣٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٩).

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ستون آية في العددين[1]. وهي مكية بإجماعهم.

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴿٦﴾

قال الله تعالى: ﴿والذاريات ذرواً﴾ قال الزجاج[2]: جاء في التفسير عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: أن ابن الكواء سأله عن تفسير الذاريات فقال: الرياح. قال: ﴿فالحاملات وقراً﴾؟ فقال عليه السلام: السحاب. قال: ﴿فالجاريات يسراً﴾؟ قال: الفلك. قال: ﴿فالمقسمات أمراً﴾؟ قال عليه السلام: الملائكة[3].

قال الزجاج[4]: والمفسرون جميعاً يقولون بقوله في هذا.

قال[5]: "والذاريات" مجرور على القسم. المعنى: أحلف بالذاريات وبهذه

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٣٢).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٥١).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٠٦ ح٣٧٣٦)، والضياء في الأحاديث المختارة (٢/ ١٢٢ ح٤٩٤) بأطول منه.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٥١).

(٥) أي الزجاج.

الأشياء. والجواب: ﴿إنما توعدون لصادق﴾.

وقال قوم: المعنى: ورب الذاريات ذرواً، كما قال: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ [الذاريات:٢٣].

والذاريات: من ذرَتِ الريح تذْرُو؛ إذا فرّقت التراب وغيره. يقال: ذرَتِ الريح وأذرَتْ بمعنى واحد، ذرَّت فهي ذارِيَة، وهُنَّ ذاريات، وأذرَتْ فهي مُذْرِية ومُذْرِيات للجماعة. هذا كله كلام الزجاج.

وقال غيره: للعرب أيمانٌ يُجْرونها على ما استمرت به عادتهم، كحلفهم بعَمْرو الإنسان، وسير الجمال، وركض الخيل، والشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والأشجار، وغير ذلك مما يستعظمونه، فخوطبوا بما يفهمون، ألا ترى إلى قول أمية بن أبي الصلت:

لعمرو أدْمَاء جمالية حَجَّ عليها رجلٌ أشيب

فحلف بحياة ناقته.

وقال آخر:

أما ودماءٍ لا تزالُ كأنها على اللاتِ والعزى وبالنَّسْر عندما[1]

فحلف بالدماء.

وهذا أكثر من أن يحصى.

فقوله تعالى: ﴿والذاريات﴾ يمين برب القدرة على إذراء الرياح، وكذلك:

---

(١) البيت لعمرو بن عبد الجن القضاعي، ويروى: "مائرات تخالها"، بدل: "لا تزال كأنها". انظر: خزانة الأدب (٧/ ٢١٤، ٢١٧)، واللسان (مادة: نسر، عزز، قنن، لوي)، والإنصاف (١/ ٣١٨)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٣٦٠)، والحجة للفارسي (٢/ ١٨٢).

والمرسلات، والنازعات، والطور، والنجم، وسائر ما ذكر في القرآن من الأيمان.
ولا خلاف بين العلماء أن "الذاريات": الرياح. و"ذرواً" نصب على المصدر[١].

وأما "الحاملات" فهي السحاب. "وقراً" مفعول به[٢]، على معنى: تحمل ثقلاً من الماء.

و"الجاريات": السفن، "يسراً": أي: تجري جرياً ذا يُسْر، أي: سهولة.

وقد قيل: إن "الجاريات": السحاب [أيضاً][٣]، تجري حيث سيرها الله تعالى.

قال الأعشى:

كأنَّ [مِشْيَتَها][٤] من بيتِ جارتها   مشيُ السحابةِ لا ريثٌ ولا عجل[٥]

وأما "المقسمات" فالمشهور عندهم: أنها الملائكة، يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به.

قال ابن السائب ومقاتل[٦]: هم أربعة: جبريل وهو صاحب الوحي والغلظة، وميكائيل وهو صاحب الرزق والرحمة، وإسرافيل [وهو][٧] صاحب

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ١٨٣).

(٢) مثل السابق.

(٣) زيادة من ب.

(٤) في الأصل: شملتها. والتصويب من ب.

(٥) انظر: ديوانه (ص: ٣٠)، واللسان (مادة: مور)، والطبري (٢٧/ ٢٠)، والقرطبي (١٣/ ٩٤، ١٧/ ٣١، ١٧/ ٦٣)، والماوردي (٥/ ٣٦١)، وزاد المسير (٨/ ٤٨)، وروح المعاني (٢٧/ ٢٩)، والدر المصون (٦/ ١٩٦).

(٦) ذكره مقاتل (٣/ ٢٧٥)، والماوردي (٥/ ٣٦١).

(٧) في الأصل: هو. والتصويب من ب.

[الصور][1] واللوح، وعزرائيل وهو قابض الأرواح.

قال الحسن: المقسمات: السحاب يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد[2].

وقيل: إن المقسمات: الكواكب السبعة التي أقسم الله تعالى بها فقال تعالى: ﴿فلا أقسم بالخنس * الجواري الكنس﴾ [التكوير:١٥-١٦] فإنها ضُمّنت أحكام العالم.

والصحيح: الأول.

قوله تعالى: ﴿إنما توعدون﴾ يعني: من البعث والجزاء، من الثواب والعقاب ﴿لصادق﴾ حق.

﴿وإن الدين﴾ الجزاء والحساب ﴿لواقع﴾ كائن لا محالة.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾

ثم أقسم بالسماء التي هي من عجائب مخلوقاته، ودلائل عظمته، وقدرته، وحكمته فقال: ﴿والسماء ذات الحبك﴾.

قال الزجاج[3]: جاء في التفسير: أنها ذات الخلق الحسن. وأهل اللغة يقولون:

---

(١) في الأصل: الصوت. والمثبت من ب.

(٢) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٣٩٨).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٥٢).

ذات الحبك: ذات الطُّرُق الحسنة. والمحبوك في اللغة: ما أُجيد عمله، وكل ما تراه من الطرائق في الماء أو في الرمل إذا أصابته الريح فهو حُبُك، واحدها: حِبَاكٌ، مثل: مِثال ومُثُل، ويكون واحدها: حَبيكة، مثل: طريقة وطُرُق.

قلتُ: وإلى أصل هذه الكلمة في اللغة ترجع أقوال المفسرين.

قال ابن عباس وقتادة والربيع: ذات الخلق الحسن السوي[١].

قال عكرمة: ألم تر إلى النسَّاج إذا نسج الثوب، قيل: ما أحسن حبكه[٢]؟.

وقال سعيد بن جبير: ذات الزينة[٣].

وقال الحسن: حُبكَت بالنجوم[٤].

وقال مجاهد: هو المتقن البنيان[٥].

وقال الضحاك: ذات الطرائق ولكنها بعيدة من العباد فلا يرونها[٦].

قال[٧]: ومنه: حبك الرمل والماء؛ إذا ضربتهما الريح، وحبك الشعر الجعـد. ومنه الحديث في صفة الدجال: [رأسه][٨] حبك حبك، يعني: الجعودة[٩].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٨٩ و ١٩٠) دون لفظ: السوي.

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٩٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٨٩).

(٤) مثل السابق.

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٦١٦)، والطبري (٢٦/ ١٩٠).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٤) عن مقاتل والكلبي.

(٧) أي: الضحاك. وانظر: الماوردي (٥/ ٣٦٣).

(٨) زيادة من ب.

(٩) أخرجه أحمد (٥/ ٤١٠)، والطبري (٢٦/ ١٩٠).

وقال أبو صالح وابن زيد: ذات الشدة[١].

وقد اختلف القراء في هذا الحرف اختلافاً كثيراً، [فقرأه][٢] العامة بضم الحاء والباء، ومثلهم قرأ ابن عباس وأبي بن كعب وأبو رجاء وابن أبي عبلة، غير أنهم أسكنوا الباء[٣]، وهي لغة بني تميم، كرُسْل وعُمْد في رُسُل وعُمُد.

ومنهم من فتح الباء جمع حُبْكَة، مثل: طُرْفَة وطُرَف، ونبقة ونبق[٤].

وقرأ عمر بن الخطاب وأبو رزين: "الحِبِك" بكسر الحاء والباء[٥]، مثل: إبل وإطل، وهو قليل في الكلام.

وقرأ عثمان بن عفان والشعبي وأبو العالية بكسر الحاء وسكون الباء على التخفيف[٦].

وقرأ ابن مسعود وعكرمة: بفتح الحاء والباء[٧]، جمع حَبَكَة، مثل: عَقَبَة وعَقَبٍ.

وقرأ أبو الدرداء وأبو الجوزاء وأبو المتوكل وأبو عمران والجحدري بفتح الحاء وكسر الباء[٨].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٩٠) عن ابن زيد. وذكره الماوردي (٥/ ٣٦٢) عن أبي صالح.

(٢) في الأصل: قرأ. والتصويب من ب.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٨)، والدر المصون (٦/ ١٨٤).

(٤) في ب: وبُرْقَة وبُرَق.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٨)، والدر المصون (٦/ ١٨٤).

(٦) مثل السابق.

(٧) مثل السابق.

(٨) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٩)، والدر المصون (٦/ ١٨٤).

وعن الحسن في هذا الحرف اختلاف واسع، ليس هـذا موضـع استقـصائه، والجميع يرجع إلى معنى واحد، وهو ما ذكرناه.

قوله تعالى: ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ جواب القسم الثاني.

والمعنى: إنكم لفي قول مختلف في شأن رسولي وما بعثته بـه مـا بـين [شرك وإيمان][1]، وشك وإيقان، قد فرقتم القول فيه وفي القـرآن، هـذا يقـول: سـاحر وسحر، وهذا يقول: شاعر وشعر، وهذا يقول: مجنون، وهذا يقول: معلم، وهذا يقول: أساطير الأولين.

﴿يؤفك عنه من أفك﴾ قال الحسن: يصرف عنه من صرف[2].

وقد سبق ذكر الإفك وحقيقته في مواضع.

والضمير في "عنه" يعود إلى ما دلّ [عليه][3] قوله: ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ من الحق، أو الإيمان، أو الصواب، أو الرسول، أو القرآن، وأمثال ذلك.

وجوَّز بعضهم عود الضمير في "عنه" إلى القـول المختلـف، ولا تكـون عنـه هاهنا بمنزلة [قولهم][4]: صرفته عن كذا، إنما المعنى: أُتي من أفك عن جهة القول المختلف، أي: ما وقع به وقع عن هذه الجهة، والمفعول هو الذي يقتضيه "أفك"، أي: أفك عن كذا وعن الحق عن جهة القول المختلف.

قوله تعالى: ﴿قتل الخرّاصون﴾ أي: لُعن الكذابون أو المرتابون.

---

(١) في الأصل: شك إيمان. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٩١). وذكره الماوردي (٥/ ٣٦٣).

(٣) زيادة من ب.

(٤) زيادة من ب.

قال ابن الأنباري: القتل إذ أُخبر عن الله به فهو بمعنى اللعنة؛ لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك[(١)].

وقال الزجاج[(٢)]: تقول: قد تَخَرَّصَ عليَّ فُلانٌ الباطل.

قال[(٣)]: ويجوز أن يكون الخرّاصون الذين إنما يظنون الشيء لا [يُحقُّونه فيعملون][(٤)] لما لا يدرون صحته.

قال الفراء[(٥)]: المعنى: لُعن الكذابون الذين قالوا: إن النبي ﷺ ساحر وكاذب وشاعر، فخرصوا بما لا علم لهم به.

﴿الذين هم في غمرة﴾ من الجهالة والعمى ﴿ساهون﴾ غافلون.

﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ أي: يقولون يا محمد متى يوم الدين. وهذا سؤال استهزاء وتكذيب لا سؤال استرشاد وتصديق، ولذلك عُوملوا في الجواب بما يُعامل به أمثالهم من المستهزئين والمكذبين، فقيل: ﴿يوم هم﴾ أي: يقع ويكون جزاؤهم على الاستهزاء يوم هم[(٦)].

وقرأ ابن أبي عبلة: "يومُ" بالرفع[(٧)]، على معنى: هو يوم هم.

﴿على النار يفتنون﴾ يحرّقون ويعذّبون.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٠).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٥٢).

(٣) أي: الزجاج.

(٤) في الأصل: يحققونه فيعلمون. والمثبت من ب.

(٥) معاني الفراء (٣/ ٨٣).

(٦) في الأصل زيادة: على النار يفتنون. وستأتي بعد قليل. وانظر: ب.

(٧) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٣٤)، والدر المصون (٦/ ١٨٥).

ومنه قيل للحرة السوداء: فتين، كأنها أُحرقت بالنار.

﴿ذوقوا فتنتكم﴾ في محل [الحال][1] على معنى: [مقولاً][2] لهم: ذوقوا فتنتكم، أي: حريقكم وعذابكم، تقول الخَزَنة لهم ذلك تحقيراً وتصغيراً وإيصالاً للعذاب إلى حاسّة سمعهم؛ لأنها أحد الأسباب الموصلة للألم إلى القلب.

وقال ابن عباس: ذوقوا تكذيبكم[3]، على حذف المضاف، أي: جزاء تكذيبكم.

﴿هذا الذي كنتم به﴾ في الدنيا ﴿تستعجلون﴾ تكذيباً واستهزاءاً.

وهذه الجملة مبتدأ وخبر، ويجوز أن يكون "هذا" بدلاً من "فتنتكم"[4].

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ قال الزجاج[5]: "آخذين" نصب على

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: مفعولاً. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٩٥). وذكره الماوردي (٥/ ٣٦٤).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ١٨٥).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٥٣).

الحال[١]. المعنى: المتقين في جنات وعيون في حال أخذ ما آتاهم ربهم.

﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ يعني: في الدنيا ﴿محسنين﴾ موحدين طائعين.

وقال سعيد بن جبير: آخذين بما أمرهم ربهم، عاملين بالفرائض التي أوجبها عليهم. وروي نحوه عن ابن عباس[٢].

وفي نظم الكلام على هذا اضطراب[٣]، ولقد راجعتُ فيه بعض العلماء فقال: هو على حذف المضاف، تقديره: ثواب عملهم بالفرائض.

ويحتمل عندي أن يكون التقدير: إن المتقين في حكمي وعلمي في جنات وعيون، باعتبار ما يؤولون إليه والحكم لهم بذلك في حال كونهم آخذين قابلين ما أمرهم به ربهم، عاملين به، ولهذا قيل في التفسير: كانوا قبل نزول الفرائض محسنين في أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ الهجوع: النوم في الليل، وخصّه بعضهم بالقليل من النوم[٤]، وأنشدوا:

قد حَصَّتِ البيضةُ رأسِي فما أطعمُ نَوماً غيرَ تَهْجَاعِ[٥]

و"ما" مع الفعل بتأويل المصدر، التقدير: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، فيكون هجوعهم بدلاً من الواو في "كانوا"، أي: كان هجوعهم قليلاً من الليل. أو

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ١٨٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٩٦).

(٣) يعني: حسب الظاهر.

(٤) انظر: اللسان (مادة: هجع).

(٥) البيت لأبي قيس بن الأسلت. وهو في: اللسان (مادة: هجع)، والقرطبي (٩/ ٢٠٨، ١٧/ ٣٥)، وروح المعاني (١٢/ ٢٥٩)، والأغاني (١٧/ ١٢٠)، والعين (٣/ ١٤).

صلة زائدة، على معنى: كانوا يهجعون قليلاً من الليل، فـ"يهجعون" على هذا خبر "كان"، و"قليلاً" ظرف. أو صفة مصدر، على معنى: هجوعاً قليلاً. ويجوز أن يكون تقدير المصدرية: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، وارتفاعه بـ"قليلاً" على الفاعلية، ويجوز أن تكون "ما" موصولة، تقديره: كانوا قليلاً من الليل الذي يهجعون فيه، وارتفاعه أيضاً بـ"قليلاً" على الفاعلية[١].

وهذا المعنى المستفاد من هذا الإعراب على الأوجه الثلاثة في "ما" مذهب الحسن والأحنف بن قيس والزهري[٢].

وقال ابن عباس: كانوا قلَّ ليلة تَمُرُّ بهم إلا صَلُّوا فيها[٣]. فيكون "الليل" على هذا القول اسماً للجنس.

وقال عطاء: ذلك حين أمروا بقيام الليل، ثم نزلت الرخصة[٤].

وقيل: إن "ما" نافية.

ثم اختلف القائلون بذلك في توجيه الآية على مسلكين: فذهب قوم، منهم: الضحاك ومقاتل[٥]، إلى أن الوقف على قوله: ﴿كانوا قليلاً﴾ على معنى: كانوا من الناس قليلاً، ثم استأنفوا فقالوا: ﴿من الليل ما يهجعون﴾ أي: ما ينامون البتة[٦].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٣-٢٤٤)، والدر المصون (٦/ ١٨٦).

(٢) انظر: الطبري (٢٦/ ١٩٧-١٩٨)، والماوردي (٥/ ٣٦٥)، وزاد المسير (٨/ ٣٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٧ ح٦٣٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن نصر وابن المنذر.

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٧٦).

(٦) انظر: الطبري (٢٦/ ١٩٩)، والماوردي (٥/ ٣٦٥)، وزاد المسير (٨/ ٣١).

وهذا وإن كان حسناً من حيث المعنى، غير أنه مدخول من حيث صنعة الإعراب؛ لما فيه من تقديم خبر النفي على حرف النفي، قالوا: لا يجوز: [زيداً][(١)] ما ضربت[(٢)].

وذهب قوم إلى أن المعنى: كانوا ما يهجعون قليلاً من الليل، أي: كانوا يسهرون في قليل من الليل.

قال أنس بن مالك: يصلون ما بين المغرب والعشاء، ونظيره: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾[(٣)] [السجدة:١٦].

ويرد عليه الذي ورد على الوجه الذي قبله من حيث الإعراب، وفيه خلل من حيث المعنى.

قال صاحب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات[(٤)]: لا يجوز أن تكون "ما" نافية؛ لأنها لو كانت نافية تَرَدَّدَ الأمر في قوله: "من الليل"، فإما أن تكون صفة لـ"قليل" وذلك لا يجوز؛ لأن "قليلاً" ظرف زمان، فلا يصح كونه خبراً للواو في "كانوا"؛ لأنهم جُثَثٌ، وظرف الزمان لا يكون خبراً للجُثَّة، وإن قُدِّرت: كانوا ما يهجعون قليلاً من الليل، أو قُدِّرت: كانوا قليلاً ما يهجعون من الليل، فكنت قد

---

(١) في الأصل: زيد. والمثبت من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٣-٢٤٤)، والدر المصون (٦/ ١٨٥-١٨٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٣٥ ح١٣٢٢)، والنسائي في الصغرى (١/ ٤٧٨ ح٨٤١)، والطبري (٢٦/ ١٩٦)، والحاكم (٢/ ٥٠٧ ح٣٧٣٧)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ١٩ ح٤٥٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٥) وعزاه لأبي داود وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه.

(٤) كشف المشكلات (٢/ ٣٢٩).

قدمت "ما" في حيز النفي على حرف النفي، وهو ممتنع.

فإذاً: الوجه أن يكون "ما يهجعون" بدلاً أو صلة زائدة.

قوله تعالى: ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ قال الحسن: مدُّوا الصلاة إلى الأسحار، ثم أخذوا بالأسحار في الاستغفار[1].

﴿وفي أموالهم حق﴾ أي: نصيب، ﴿للسائل﴾ وهو المستجدي، ﴿والمحروم﴾ المتعفف الذي لا يسأل.

وقيل: هو المُحَارِف الذي لا يكاد يكسب.

وقيل: هو الذي ليس له شيء في الفيء.

والأول قول قتادة والزهري[2]، والثاني قول ابن عباس[3]، والثالث قول إبراهيم النخعي[4].

وأصل المحروم في اللغة: الممنوع، من الحرمان، وهو المنع[5]، كأنه الذي مُنِعَ وحُرِمَ الرزق.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٩٨)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٧ ح٦٢٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن نصر وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٧) وعزاه لابن أبي شيبة.

(٥) انظر: اللسان (مادة: حرم).

وسُئل عمر بن عبد العزيز عن المحروم فقال: الكلب[١].

وكان الشعبي يقول: أعياني أن أعلم ما المحروم[٢]، ولقد سألت عن المحروم منذ سبعين سنة، فما أنا اليوم بأعلم مني يومئذ.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال لأنس: «يا أنس! ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: يا رب ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا عليهم، قال: فيقول: وعزتي لأقربنَّكم وأبعدنَّهم. قال أنس: وتلا رسول الله ﷺ الآية: ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾»[٣].

قوله تعالى: ﴿وفي الأرض آيات﴾ علامات ودلالات على الصانع وقدرته وعظمته وحكمته؛ من إجراء أنهارها، وإخراج ثمارها، وإرساء جبالها، وانقسامها إلى حَزن وسهل، وبر وبحر، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على قدرة خالقها، ﴿للموقنين﴾ بالله تعالى.

﴿وفي أنفسكم﴾ أيضاً آيات، إذ كنتم نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً إلى أن نفخت فيكم الأرواح وصرتم بشراً ناطقاً، سميعاً بصيراً، فاهماً، ذوي ألسنة مختلفة، وطبائع غير مؤتلفة، وصور متباينة، وألوان متغايرة.

﴿أفلا تبصرون﴾ آيات الأرض وآيات أنفسكم، [فتستدلوا][٤] بالصنعة على

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٠٨ ح٤٨١٣)، والصغير (٢/ ١٣ ح٦٩٣). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٢) وعزاه للطبراني في الصغير والأوسط، قال: وفيه الحارث بن النعمان، وهو ضعيف. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٨) وعزاه للعسكري في المواعظ وابن مردويه.

(٤) في الأصل: وتستدلوا. والمثبت من ب.

الصانع، وبهذه العجائب على قدرة مكوّنها على بعثكم بعد إماتتكم.

﴿وفي السماء رزقكم﴾ وقرأ أبيّ بن كعب وحميد: "أرزاقكم" على الجمع[١]، أي: سبب أرزاقكم أو رزقكم[٢]، وهو المطر الذي تخرج به الحبوب التي تقتاتونها[٣]. وهذا قول عامة المفسرين[٤].

وقرأ ابن مسعود والضحاك وابن محيصن وأبو نهيك: "رازقكم"[٥]، يعني: الله عز وجل.

﴿وما توعدون﴾ من الثواب والعقاب، والخير والشر.

وقال مجاهد: "وما توعدون": الجنة[٦].

﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ قال الزجاج[٧]: المعنى: إن الذي ذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبي ﷺ حق، ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ أي: كما أنكم تنطقون.

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٣-٣٤)، والبحر المحيط (٨/ ١٣٥).

(٢) في ب: رزقكم أو أرزاقكم.

(٣) في ب: الحبوب فتقتاتونها.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٥)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٦١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٩) وعزاه لابن النقور والديلمي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً. ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لأبي الشيخ وابن جرير.

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٩)، وزاد المسير (٨/ ٣٤).

(٦) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٦) عن الضحاك. ولفظ مجاهد: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ يقول: الجنة في السماء، وما توعدون من خير أو شر. وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٥٤).

فَشَبَّهَ تحقيق ما أخبر عنه كتحقيق نطق الآدمي ووجوده كالذي تعرفه ضرورة.

قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: "مثلُ" بالرفع صفة لـ"لحق"، أي: إنه لحق مثل نطقكم. وقرأ الباقون: "مثلَ" بالنصب[1].

قال مكي[2]: حجتهم ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون مبنياً على الفتح لإضافته إلى اسم غير متمكِّن، وهو "أن"، كما بُنِيَتْ "غير" لإضافتها إلى "أن" في قوله:

لم يمنعِ الشُّربَ منها غير أن نَطَقَتْ .... [3]

الوجه الثاني: أن تجعل "ما" و"مثل" اسماً واحداً، وتبنيه على الفتح، وهو قول المازني، فهو عنده كقول الشاعر:

وتَدَاعَى مِنْخَراهُ بِدَمٍ مثلَ ما أَثْمَرَ حُمَّاضُ الجَبَل[4]

فبنى "مثلاً" لَمَّا جعلها و"ما" اسماً واحداً.

الوجه الثالث: أن تنصب "مثلاً" على الحال من النكرة، وهي "حق". وهو قول الجرمي[5].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٩)، والكشف (٢/ ٢٨٧)، والنشر (٢/ ٣٧٧)، والإتحاف (ص:٣٩٩)، والسبعة (ص:٦٠٩).

(٢) الكشف (٢/ ٢٨٧-٢٨٨).

(٣) تقدم.

(٤) انظر البيت في: اللسان (مادة: حمض)، والدر المصون (٦/ ١٨٧)، والحجة للفارسي (٢/ ٤٠٤، ٣/ ٤١٩). والحُمّاض: بقلة بريّة تنبت أيام الربيع في مسايل الماء ولها ثمرة حمراء، وهي من ذكور البقول (اللسان، مادة: حمض).

(٥) هو: صالح بن إسحاق أبو عمر الجرمي، أخذ النحو عن الأخفش، وقرأ كتاب سيبويه عليه، ولقي

والأحسنُ أن يكون حالاً من المضمر المرفوع في "لحقّ"، وهو العامل في المضمر وفي الحال، وتكون "ما" على هذا زائدة، و"مثل" مضاف إلى "أنكم" ولم يتعرّف بالإضافة لما ذكرنا أولاً، والحال من النكرة قليلٌ في الاستعمال. وقد حكى الأخفش[١] في قوله تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم * أمراً من عندنا﴾ [الدخان:٤-٥] أن "أمراً" الثاني حال من "أمر" الأول، وهو نكرة. والأحسن أن يكون حالاً من الضمير في "حكيم" وهو بمعنى محكم[٢].

سمعت شيخنا الإمام أبا محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه يقول: أخبرنا الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني إجازة، أخبرنا أبو الفتح عبدالرزاق بن محمد بن الشرابي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، قال: حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المذكر، حدثنا الحاكم أبو محمد يحيى بن منصور، حدثنا أبو رجاء محمد بن أحمد، حدثنا أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي[٣] قال: سمعت الأصمعي يقول: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينا أنا في بعض سككها، إذ

= يونس، وكان رفيقاً للمازني، وأخذ اللغة عن أبي زيد وطبقته، وكان ورعاً، وله تصانيف. توفي سنة ٢٢٥هـ (انظر: إنباه الرواة ٢/ ٨٠، ونزهة الألباء ص:١٤٣، ومراتب النحويين ص:٧٥).

(١) معاني الأخفش (ص:٢٨٤).

(٢) في الكشف: يحكم.

(٣) العباس بن الفرج الرياشي، أبو الفضل البصري النحوي، مولى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، كان عالماً باللغة، قدم بغداد وحدّث بها، مات سنة سبع وخمسين ومائتين بالبصرة، قتله الزنج (تهذيب التهذيب ٥/ ١٠٦، والتقريب ص:٢٩٣).

طلع أعرابي جَلْفٌ جافٍ على قَعُود[١] له متقلد سيفه وبيده قوس، فدنا وسلّم، وقال لي: ممن الرجل؟ قلتُ: من بني الأصمع. قال: أنت الأصمعي؟ قلتُ: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ [فقلت][٢]: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن. قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟ قلتُ: نعم، قال: اتل عليّ شيئاً منه، قلتُ له: انزل عن قَعُودك، فنزل وابتدأت بسورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾، قال: يا أصمعي! هذا كلام الرحمن؟ قلتُ: إي والذي بعث محمداً ﷺ بالحق إنه لكلامه، أنزله على نبيه محمد ﷺ، فقال لي: حسبك، ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطّعها بجلدها وقال: أعنّي على تفريقها، ففرّقناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرمل[٣]، وولى مدبراً نحو البادية وهو يقول: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾[٤]، فأقبلت على نفسي باللوم، وقلت: لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي.

فلما حججتُ مع الرشيد دخلت مكة، فبينا أنا أطوف بالكعبة، إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق، فالتفتّ فإذا أنا بالأعرابي نحيلٌ مصفارٌ، فسلّم عليّ وأخذ بيدي فأجلسني من وراء المقام وقال [لي][٥]: اتل عليّ كلام الرحمن، فأخذت في سورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾

---

(١) القَعود من الإبل: ما اتخذه الراعي للركوب وحمل الزاد والمتاع (اللسان، مادة: قعد).

(٢) في الأصل: قال. والتصويب من ب.

(٣) في كتاب التوابين (ص:٢٧٤): الرحل.

(٤) في الأصل: ورزقكم في السماء وما توعدون. والمثبت من ب.

(٥) زيادة من ب، والثعلبي (٩/ ١١٥)، والتوابين (ص:٢٧٥).

صاح الأعرابي: وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فقال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم. يقول الله تعالى: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾، فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله، من الذي أغضب الجليل حتى حلف؟ ألم يصدقوه حتى ألجأوه إلى اليمين؛ قالها ثلاثاً وخرجت فيها نفسه[١].

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ الاستفهام بمعنى تفخيم شأن القصة، والتنبيه على أن العلم بهذا الحديث لا طريق له سوى الوحي.

وقد سبق أن الضيف في الأصل مصدر، فلذلك يستوي فيه الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث، وهم الملائكة الذين جاؤوه بالبشرى. وقد ذكرنا عددهم في سورة هود[٢]. ووصفهم بالإكرام؛ لأن خير البرية إبراهيم ﷺ خَدَمَهُم بنفسه وخَدَمَتْهم زوجه سارة عليهما السلام، وعجّل لهم القِرى بذبح العجل، أو لأنهم [مكرمون][٣] عند الله. قال الله عز وجل: ﴿بل عباد مكرمون﴾ [الأنبياء:٢٦].

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ١١٥)، وابن قدامة في كتاب التوابين (ص:٢٧٣-٢٧٤).

(٢) عند الآية رقم: ٧٠.

(٣) في الأصل: مكرومون. والتصويب من ب.

﴿إذ دخلوا عليه﴾ الظرف منصوب بـ"مكرمين" على تفسير إكرامهم بخدمة إبراهيم وتعجيل القِرى، وإلا فهو منصوب بإضمار: "اذكروا"، بما في "ضيف" من معنى الفعل(١).

﴿قوم منكرون﴾ قال الزجاج(٢): ارتفع على معنى: [أنتم](٣) قوم منكرون.

قال ابن عباس: لم يعرفهم(٤).

وقال أبو العالية: أنكر في ذلك الزمان وفي تلك الأرض السلام الذي هو من شعائر الإسلام(٥).

وقيل: أنكرهم؛ لأنه رأى فيهم صورة الملائكة وصورة البشر.

وقيل: لأنهم دخلوا عليه بغير استئذان.

﴿فراغ إلى أهله﴾ عَدَلَ إليهم في خِفْيَةٍ من ضيفه، وهذا من فُتُوّته ومروءته وحسن أدبه وعشرته، فإن مبادرة الضيف بالقِرى وإخفاء ذلك منه لئلا يكفه عنه ويمنعه منه؛ [من](٦) شيم الأكارم وخصال المكارم.

﴿فجاء بعجل سمين﴾ قال قتادة: كان عامّة مال نبي الله: البقر(٧).

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٤)، والدر المصون (٦/ ١٨٨).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٥٤).

(٣) في الأصل: أأنتم. والتصويب من ب، ومن معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦).

(٦) زيادة من ب.

(٧) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

"فجاء بعجل" والمعنى: جاء به مَشْوِيّاً، بدليل قوله تعالى في هود: ﴿جاء بعجل حنيذ﴾ [هود:٦٩].

﴿فقرّبه إليهم قال ألا تأكلون﴾ أنكر عليهم ترك الأكل وحثَّهم عليه.

﴿وبشروه بغلام عليم﴾ وهو إسحاق عليه السلام، لقوله تعالى: ﴿فأقبلت امرأته﴾، [وقولها][١] في هود: ﴿وهذا بعلي شيخاً﴾[هود:٧٢].

[ويروى][٢] عن مجاهد: أنه إسماعيل[٣]. وليس بشيء.

قال ابن قتيبة[٤]: لم تُقْبِل من موضع إلى موضع، وإنما هو كقولك: أقْبَلَ يشتمني، أي: أخذ في شتمي.

﴿في صَرَّة﴾ أي: في صيحة، ومنه: صَرَّ الجُنْدُب[٥]، وصَرَّ القلم والباب.

وقيل: في جماعة، ومنه: المُصَرَّاة وصُرَّة الدراهم.

والأول هو التفسير الصحيح. ومحله النصب على الحال[٦]. [أي][٧]: جاءت صارَّة.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: ويرى. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦١٩)، والطبري (٢٦/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٤٢١).

(٥) الجُنْدُب: الذَّكر من الجراد (اللسان، مادة: جدب).

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٤)، والدر المصون (٦/ ١٨٩).

(٧) زيادة من ب.

قال قتادة: تأوَّهَت[1].

وقال الفراء[2]: قالت: يا ويلتا.

﴿فصكّت وجهها﴾ قال ابن عباس: لَطَمَتْه[3].

ومعنى الصَّكُّ: ضرب الشيء بالشيء[4].

قال ابن السائب ومقاتل[5]: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجباً.

﴿وقالت عجوز عقيم﴾ [أي: أنا عجوز عقيم][6] فكيف ألِدُ؟

﴿قالوا كذلك قال ربك﴾ أي: مثل الذي قلنا وأخبرنا به قال ربك، ﴿إنه هو الحكيم﴾ فيما يدبّره ﴿العليم﴾ بما يقدّره. فأيقن [حينئذ أنهم][7] ملائكة أرسلهم الله تعالى إليه.

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٧).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: اللسان (مادة: صكك).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٢٧٨). وانظر: الطبري (٢٦/ ٢١٠) بلا نسبة.

(٦) زيادة من ب.

(٧) في الأصل: أنهم حينئذ. والمثبت من ب.

ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾

فـ﴿قال﴾ لهم: ﴿فما خطبكم﴾ أي: ما شأنكم ﴿أيها المرسلون﴾.

﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ أي: في قرى قوم لوط ﴿من المؤمنين﴾، وذلك قوله تعالى: ﴿فأسْرِ بأهلك﴾ [هود:٨١].

﴿فما وجدنا فيها غير بيت﴾ أي: غير أهل بيت ﴿من المسلمين﴾ يعني: لوطاً وبنتيه. وصفهم الله بالإسلام والإيمان جميعاً؛ لأن كل مؤمن مسلم.

﴿وتركنا فيها آية﴾ علامة ﴿للذين يخافون العذاب الأليم﴾، وما لم نفسره في هاتين القصتين مُفسّر في هود[١].

قوله تعالى: ﴿وفي موسى﴾ معطوف على ﴿وفي الأرض آيات﴾، أو على قوله: ﴿وتركنا فيها آية﴾، على معنى: وجعلنا في موسى آية[٢].

---

(١) عند الآيات: ٦٩-٨٣.

(٢) وهذا هو الظاهر. وأما القول الأول -أي: أنه معطوف على: "وفي الأرض آيات"-؛ فقال أبو حيان في البحر (٨/ ١٣٩): وهذا بعيد جداً، ينزه القرآن عن مثله.

=

﴿فتولى بركنه﴾ أي: أعرض بما كان يتقوى به من جنده وملكه، كقوله: ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾ [هود:٨٠].

وقيل: أعرض بجانبه.

و"اليم" مذكور في الأعراف[١]، و"المُليم" في الصافات[٢].

قوله تعالى: ﴿وفي عاد﴾ معطوف أيضاً، ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ وهي التي لا تُنتج خيراً، لا تُنشئ مطراً، ولا تُلقح شجراً، بل هي ريح هلاك وعذاب.

ثم وصفها فقال: ﴿ما تذر من شيء أتت عليه﴾ من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم ﴿إلا جعلته كالرَّميم﴾.

قال الفراء[٣]: الرَّميم: نبات الأرض إذا يبس ودِيسَ.

قوله تعالى: ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ تفسيره قوله: ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ [هود:٦٥] وذلك حين عقروا الناقة.

﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ وقرأ الكسائي: "الصَّعْقَةُ" بسكون العين من غير ألف[٤].

= وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ١٩٠): ووجه استبعاده له بُعْد ما بينهما، وقد فعل أهل العلم هذا في أكثر من ذلك.

(١) عند الآية رقم: ١٣٦.

(٢) عند الآية رقم: ١٤٢.

(٣) معاني الفراء (٣/ ٨٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٠)، والكشف (٢/ ٢٨٨)، والنشر (٢/ ٣٧٧)، والإتحاف (ص:٣٩٩)، والسبعة (ص:٦٠٩).

قيل: هما لغتان في الصاعقة [التي][1] تنزل وتحرق.

وقيل: الصاعقة هي التي تنزل، والصَّعْقَة: الزَّجْرَة، وهي الصوت عند نزول الصاعقة.

﴿وهم ينظرون﴾ يرون ذلك عياناً.

وقيل: [ينتظرونه][2]، على ما ذكرناه في قصتهم.

﴿فما استطاعوا من قيام﴾ أي: فما قدروا على نهوضٍ من تلك الصرعة.

﴿وما كانوا منتصرين﴾ ممتنعين من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وقوم نوح﴾ قرأ أبو عمرو إلا عبد الوارث وأهل الكوفة إلا عاصماً: "وقومِ" بخفض الميم. وروى عبد الوارث: "وقومُ" بالرفع[3]، وقرأ الباقون من العشرة بنصبها[4].

فالجر على معنى: وفي قوم نوح، وهكذا يقرأ ابن مسعود، والرفع على الابتداء، والنصب على معنى: واذكر قوم نوح. أو هو عطف على المعنى؛ لأن معنى: "فأخذتهم الصاعقة": أهلكناهم، التقدير: وأهلكنا قوم نوح. أو عطف على معنى: فنبذناهم في اليم، أي: فأغرقناهم وأغرقنا قوم نوح. وهذا الوجه اختيار الزجاج[5].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: ينظرونه. والمثبت من ب.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٠)، والدر المصون (٦/ ١٩١).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٠-٦٨١)، والكشف (٢/ ٢٨٩)، والنشر (٢/ ٣٧٧)، والإتحاف (ص:٤٠٠)، والسبعة (ص:٦٠٩).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٥٧).

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأَيْدٍ﴾ وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة المفسرين واللغويين: بقوة[1].

والأَيْد والأداء: القول، وقد آدَ يَئِيدُ فهو أَيْد[2].

﴿وإنا لموسعون﴾ قال الحسن: لموسعون الرزق بالمطر[3].

وقال ابن زيد: لموسعون السماء[4].

وقال الزجاج[5]: لموسعون ما بين السماء والأرض.

وقال الواحدي[6]: وإنا لذو سعة لخلقنا.

المعنى: قادرون على رزقهم لا نعجز عنه، والموسع ذو الوسع والسعة، وهو

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٦٢١)، والطبري (٢٧/ ٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لآدم بن أبي إياس والبيهقي.

(٢) انظر: اللسان (مادة: أيد).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١).

(٤) مثل السابق.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٥٧).

(٦) الوسيط (٤/ ١٨٠).

الغنى والجدة.

﴿والأرض فرشناها﴾ بسطناها ﴿فنعم الماهدون﴾ أي: فنعم الماهدون نحن.

﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ أي: ومن كل شيء من الحيوان خلقنا ذكراً وأنثى.

وقال الحسن: السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والبر والبحر، والموت والحياة، فعدَّد أشياء وقال: كل اثنين منها زوج، والله تعالى فرد لا مثل له[1].

﴿لعلكم تذكرون﴾ أي: فعلنا ذلك إرادة أن تتذكروا فتعرفوا عظمة الله وقدرته ووحدانيته وتشكروا نعمته.

ولما عرّف عباده عظمته وحكمته ووحدانيته وقدرته وإحسانه إليهم وإنعامه عليهم، بعد أن قصَّ عليهم أخبار الأمم المكذبة في الأيام الخالية، أمرَهم بالمبادرة إلى ثوابه والهرب من عقابه، فقال تعالى: ﴿ففروا إلى الله﴾ أي: إلى طاعته من معصيته، ﴿إني لكم منه﴾ أي: من الله ﴿نذير مبين﴾.

ثم زجرهم عن الشرك فقال: ﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر... الآية﴾.

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

---

(١) أخرج نحوه الطبري (٢٧/ ٨) عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: الأمر كذلك، أو الأمر مثل ذلك. والإشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميتهم إياه ساحراً ومجنوناً. ثم فسره فقال: ﴿ما أتى... الآية﴾.

قوله تعالى: ﴿أتواصوا به﴾ الضمير للقول، على معنى: أتَواصَى الأولون والآخرون بهذا القول حتى اتفقوا عليه. والاستفهام للتوبيخ.

ثم أضرب عن ذلك فقال: ﴿بل﴾ أي: لم يتواصوا به، وأثبت لهم الاشتراك في الطغيان فقال: ﴿هم قوم طاغون﴾.

﴿فتولَّ عنهم﴾ أعرض عن هؤلاء الذين دَأَبْتَ في مناصحتهم ودعائهم إلى توحيدنا وهم يعاندونك ويباعدونك، وهذا تهديد لهم، ﴿فما أنت بملوم﴾ إذا بذلت مجهودك في تبليغ رسالتنا ونهضت بأعباء دعوتنا.

﴿وذكِّرْ﴾ أي: لا تدع مع ذلك التذكير والموعظة.

قال ابن عباس وجمهور المفسرين: لما نزلت هذه الآية: ﴿فتولَّ عنهم﴾ حزن رسول الله ﷺ والمؤمنون وظنوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر، حتى نزلت الآية الثانية: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[1].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ١١) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٤) وعزاه لابن جرير عن قتادة.

قال مقاتل[١]: عِظْ كفار مكة، فإن الذكرى تنفع من في علم الله أنه يؤمن.

وقيل: تنفعهم في دينهم.

قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ قال علي عليه السلام: لآمرهم أن يعبدون[٢]. واختاره الزجاج[٣].

وقال ابن عباس: ليقرّوا لي بالعبودية طوعاً وكرهاً[٤].

وقال الضحاك والفراء وابن قتيبة والقاضي أبو يعلى[٥]: هذا خاص في المؤمنين.

قال سعيد بن المسيب: ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني[٦].

قال القاضي أبو يعلى: معنى هذا: الخصوص؛ لأن البُلْه والأطفال والمجانين لا يدخلون تحت الخطاب وإن كانوا من الإنس، وكذلك الكفار يخرجون من هذا، بدليل قوله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ [الأعراف:١٧٩]، فمن خلق للشقاء ولجهنم لم يخلق للعبادة[٧].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٥٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) معاني الفراء (٣/ ٨٩)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٢٢). وانظر: زاد المسير (٨/ ٤٢).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣).

وقال جماعة من أهل المعاني: ما خلقتهم إلا ليخضعوا ويذلوا لي، وكلّ الخلق خاضعٌ ذليلٌ لعزة الله تعالى[١].

﴿ما أريد منهم من رزق﴾ أي: ما أريد منهم أن يرزقوا أحداً من خلقي، ولا أن يرزقوا أنفسهم، وما أريد أن يطعموا أحداً من خلقي.

وإنما أسند الإطعام إلى نفسه؛ لأن الخلق عيال الله، فمن أطعم عيال الله فقد أطعم الله، ومنه الحديث: «استطعمتك فلم تطعمني»[٢].

﴿إن الله هو الرزاق﴾ وقرأ الضحاك وابن محيصن: "الرَّازق"[٣].

قال الخطابي[٤]: المُتَكَفِّلُ بالرِّزْقِ، القائم على كل نَفْسٍ بما يُقيمُها من قُوتِها، والمتين: الشديد القوة.

وقرأ أبو رزين وقتادة وأبو العالية والأعمش وقتيبة عن الكسائي: "المتينِ" بكسر النون[٥].

قال الزجاج[٦]: جعل "المتين" صفة للقوة؛ لأن تأنيث القوة كتأنيث الموعظة. فالمعنى: ذو [الاقتدار][٧] الشديد.

قوله تعالى: ﴿فإن للذين ظلموا﴾ يعني: مشركي مكة ﴿ذَنُوباً﴾ نصيباً من

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٨١).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٠ ح٢٥٦٩).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٠).

(٤) شأن الدعاء (ص:٥٤، ٧٧).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٠).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٥٩).

(٧) في الأصل: الأقدار. والتصويب من ب.

العذاب ﴿مثل ذَنُوب أصحابهم﴾ الذين كانوا على مثل رأيهم في الشرك وتكذيب الرسل.

قال الفراء وابن قتيبة والزمخشري[١]: الذَّنُوب: الدَّلْوُ العظيمة. وهذا تمثيل، أصله في السُّقَاة يتقسّمون [الماء][٢]، فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب. قال:

لنا ذنوبٌ ولكمْ ذنوبُ فإن أبيتمْ فلنا [القَليبُ][٣]

والذَّنُوب يذكر ويؤنث.

﴿فلا يستعجلون﴾ بالعذاب، فإني قد أمهلتهم إلى يوم القيامة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ وهو يوم القيامة.

وقيل: يوم بدر. والله تعالى أعلم.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٩٠)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٢٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠٩).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: الذنوبين. وهو وهم. والمثبت من ب، ومصادر البيت.

وانظر البيت في: اللسان (مادة: ذنب)، والطبري (٢٧/ ١٤)، والقرطبي (١٧/ ٥٧)، والماوردي (٥/ ٣٧٥)، وزاد المسير (٨/ ٤٤).

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي سبع وأربعون آية في العدد المدني، وتسع في الكوفي[1]. وهي مكية بإجماعهم.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا مالك، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة[2]، عن أم سلمة قالت: «شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي، فقال: طوفي من وراء الناس وأنت راكبة، فطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور»[3]. هذا حديث متفق على صحته. وأخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى، عن مالك.

وبهذا الإسناد قال البخاري: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان قال: حدثوني عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٣٣).

(٢) زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمها أم سلمة، ولدت بأرض الحبشة، ماتت في ولاية طارق على المدينة سنة ثلاث وسبعين (تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٥٠، والتقريب ص:٧٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٧٧ ح٤٥٢)، ومسلم (٢/ ٩٢٧ ح١٢٧٦).

المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون﴾ كاد قلبي أن يطير.

قال سفيان: فأما أنا فإنما سمعت الزهري يحدث عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، لم أسمعه زاد الذي قالوا»[1].

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿والطور﴾ هو الجبل الذي كَلَّمَ الله تعالى عليه موسى عليه الصلاة والسلام. وقد ذكرناه في البقرة[2].

﴿وكتاب مسطور﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس: أنه اللوح المحفوظ[3].

ويرد على هذا القول إشكال لم أرهم تعرّضوا الذكره فضلاً عن جوابه، وهو أنه

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٩ ح٤٥٧٣).

(٢) عند الآية رقم: ٦٣.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٥).

وصف الكتاب بقوله: ﴿في رَقٍّ﴾.

واللوح المحفوظ بنص ابن عباس: دُرَّةٌ بيضاء[(١)].

وقال ابن السائب: هو ما كتبه الله تعالى لموسى وهو يسمع صرير القلم[(٢)].

والأظهر في التفسير: أن الكتاب المسطور: كَتْبُ أعمال بني آدم.

قال مقاتل[(٣)]: تخرج إليهم أعمالهم يومئذ.

[﴿في رَقٍّ منشور﴾ يعني: أديم الصحف.

قال الثعلبي[(٤)]: ونظيره][(٥)] قوله[(٦)]: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ [الإسراء:١٣]، وقوله: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ [التكوير:١٠].

وقيل: هو ما كتبه الله تعالى للخلق من السابقة والعاقبة.

وحكى الماوردي قولين آخرين[(٧)]:

أحدهما: أنه التوراة.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٦ ح٣٧٧١)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٠ ح١٠٦٠٥)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٤٩٢ ح٤٢)، والطبري (٢٧/ ١٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٩) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ في العظمة والحاكم وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٥٩)، والبغوي (٤/ ٢٣٦).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٢).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٢٣-١٢٤).

(٥) زيادة من ب.

(٦) في الأصل: وقوله تعالى. والتصويب من ب.

(٧) تفسير الماوردي (٥/ ٣٧٧).

والآخر: أنه القرآن.

والرّق: الصحيفة.

وقيل: الجلد الذي يُكتب فيه.

والمنشور: المبسوط.

﴿والبيت المعمور﴾ قال الحسن: هو البيت الحرام[(١)].

والصحيح ما ذهب إليه الجمهور: أنه بيت في السماء، يسمى: الضُّرَاح.

قال ابن عباس: هو على سمت البيت الحرام، حتى لو سقط لسقط عليه، يحجه كل يوم سبعون ألف ملك، ثم [لا][(٢)] يعودون فيه حتى تقوم الساعة، يسمى: الضُّرَاح[(٣)].

والضُّراح: بالضاد المعجمة. قال ابن فارس[(٤)]: هو بيت في السماء.

وقال الربيع بن أنس: أنه كان في الأرض في موضع الكعبة في [زمان][(٥)] آدم، حتى كان زمان نوح، فأمرهم أن يحجوا إليه، فعصوه، فلما طغى الماء رُفع فجعل في سماء الدنيا حذاء البيت الحرام، وبوأ الله تعالى لإبراهيم الكعبة حيث كان[(٦)].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٧).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٤١٧ ح١٢١٨٥)، وعبد الرزاق (٥/ ٢٨ ح٨٨٧٤)، والأزرقي (١/ ٩١ ح٣٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٢٧) وعزاه للطبراني وابن مردويه بسند ضعيف.

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٤٨).

(٥) في الأصل: زمن. والمثبت من ب.

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٣٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٧).

واختلفوا في أيّ سماء هو؛ فروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ: أنـه في الـسماء السابعة[١].

وحديث مالك بن صعصعة المخرج في الصحيحين يدل عليه[٢].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: أنه في السماء الدنيا[٣].

وروي عن علي رضي الله عنه: أنه في السماء السادسة[٤]. والله تعالى أعلم.

والمعنى: أنه معمور بمن يغشاه ويحجه من الملائكة، أو من الناس؛ إن قلنا هو البيت الحرام.

﴿والسقف المرفوع﴾ قال علي عليه السلام: هو السماء[٥]. وإليه ذهب جماهير

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٤٦ ح١٦٢)، والطبري (٢٧/ ١٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٩) وعزاه لابن جرير.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٣ ح٣٠٣٥)، ومسلم (١/ ١٤٩ ح١٦٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٤)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٥٩ ح٤٩٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٢٧) وعزاه لابن المنذر والعقيلي وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف.

قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٤٠): هذا حديث غريب جداً تفرد به روح بن جناح هـذا، وهـو القرشي الأموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ، منهم: الجوزجاني، والعقيلي، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري، وغيرهم. قال الحاكم: لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٤)، والحاكم (٢/ ٥٠٨ ح٣٧٤٣)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٣٠ ح٥٤٨)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٤٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٩) وعزاه لابن راهويه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة =

العلماء.

وقال الربيع بن أنس: هو العرش[١].

﴿والبحر المسجور﴾ قال علي عليه السلام: هو بحر تحت العرش، ماؤه غليظ، يُمْطَر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً، فينبُتون في قبورهم[٢]. وهذا قول ابن السائب ومقاتل[٣] وجمهور العلماء.

وقال الماوردي[٤]: هو بحر الأرض، قال: وهو الظاهر.

وأما المسجور؛ فقال أبو صالح وابن السائب وقتادة وعامة اللغويين: هو المتلئ[٥].

وقال مجاهد: الموقد ناراً[٦].

= والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٣٤ ح٦٢). وذكره الماوردي (٥/ ٣٧٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٢٩) وعزاه لأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٥). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٢٩) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم، كلهم بلفظ: بحر في السماء تحت العرش.

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٢).

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٣٧٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٣٠) وعزاه لابن جرير عن قتادة.

(٦) أخرجه مجاهد (ص:٦٢٤)، والطبري (٢٧/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٣٠) وعزاه لابن جرير.

قال شمر بن عطية[١]: هو بمنزلة التنور المسجور[٢].

وقال ابن عباس في رواية عطية وذي الرمة الشاعر وأبو العالية: هـو اليـابس الذي [قد][٣] ذهب ماؤه ونضب[٤].

قال الحسن: [تُسجر البحار][٥] حتى يذهب ماؤها، فلا يبقى فيها قطرة[٦].

وجاء في الحديث: أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً فتُسْجَرُ بهـا نار جهنم[٧].

ويروى أن علياً عليه السلام سأل يهودياً: أين موضع النار في كتابكم؟ قال: في البحر. قال علي: ما أراه إلا صادقاً، لقوله تعالى: ﴿والبحر المسجور﴾[٨].

---

(١) شمر بن عطية الأسدي الكاهلي الكوفي، كان ثقة صدوق، وله أحاديث صالحة (تهذيب التهذيب ٤/ ٣١٩، والتقريب ص:٢٦٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٩).

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرج الطبري (٢٧/ ١٩) عن ابن عباس في قوله: ﴿والبحر المسجور﴾ قال: سجره حين يذهب ماؤه ويفجر. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٨). وبمعناه السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٠) وعزاه للشيرازي في الألقاب من طريق الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن ذي الرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿والبحر المسجور﴾ قال: الفارغ.

(٥) في الأصل: يسجر البحر البحار. والمثبت من ب.

(٦) ذكره البخاري معلقاً (٤/ ١٨٣٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٨).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٨).

(٨) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

وهذا كله ينزع إلى قول مجاهد، ويشهد له بالصحة [والاعتبار][(١)].

وقال الربيع بن أنس: المسجور: المختلط العذب بالملح[(٢)]. ومنه: عين سَجْرَاء؛ إذا خالطت بياضها حُمرة[(٣)].

قال المفسرون: أقسم الله تعالى بهذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم قدرته.

وجواب القسم: ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ أي: لكائن.

﴿ما له من دافع﴾ أخرج عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد -تصنيف أبيه- بإسناده، عن هشام بن حسان قال: انطلقت أنا ومالك بن دينار إلى الحسن، فانتهينا إليه وعنده رجل يقرأ، فلما بلغ هذه الآية: ﴿إن عذاب ربك لواقع * ما له من دافع﴾ بكى الحسن وبكى أصحابه، وجعل مالك يضطرب حتى غُشي عليه[(٤)].

ثم بين زمان وقوعه فقال: ﴿يوم تمور السماء مَوْراً﴾ المَوْر: تحرّكٌ في تموّج.

قال ابن عباس: تدُور دَوْراً[(٥)].

---

(١) في الأصل: والاعتبارة. والتصويب من ب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٨).

(٣) انظر: اللسان (مادة: سجر).

(٤) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد. وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (ص:٨٩ ح٩٢)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ١٢٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢١) عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٨) عن ابن عباس، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٣١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

قال الضحاك: يموج بعضها في بعض لأمر الله تعالى[١].

وقال أبو عبيدة[٢]: تتكفَّأ بأهلها. ومنه بيت الأعشى:

كأنّ مِشْيَتَها من بيت جارتها [مَورُ][٣] السحابةِ لا رَيثٌ ولا عَجَل[٤]

والمعنى متقارب.

ودخول الفاء في قوله: "فويل"؛ لتضمن الكلام معنى المجازاة، مَجَازُه: إذا كان هذا ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾.

وما لم أذكره مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿يوم يدعّون﴾ أي: يدفعون دفعاً عنيفاً، ومنه: ﴿يدعّ اليتيم﴾ [الماعون:٢].

قال مقاتل[٥]: تُغَلُّ أيديهم إلى أعناقهم، وتُجمع نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يُدفعون إلى جهنم دفعاً على وجوههم، حتى إذا دنوا منها قال لهم خَزَنَتها: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾ في الدنيا.

﴿أفسحرٌ هذا﴾ الذي تشاهدونه من النار. وكانوا يقولون للرسل: سَحَرَة، فقيل لهم توبيخاً وتصغيراً وتبكيتاً وتهكّماً: أفسحر هذا، ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ اليوم كما كنتم لا تبصرون في الدنيا.

﴿اصلوها﴾ قاسوا شدتها وحرّها ﴿فاصبروا﴾ على العذاب ﴿أو لا تصبروا

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢١).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٣١).

(٣) في الأصل: مشي. والمثبت من ب. وانظر: مجاز القرآن، الموضع السابق.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٣).

سواء عليكم﴾ الصبر والجزع، ﴿إنما تجزون﴾ اليوم ﴿ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من الكفر والتكذيب والمعاصي.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾

ثم ذكر سبحانه وتعالى ما للمؤمنين فقال: ﴿إن المتقين في جنات ونعيم﴾ فائدة التنكير: التعظيم، تقديره: في أي جنات وأي نعيم.

﴿فاكهين﴾ مذكور في يس[1]. ونصبه على الحال[2].

﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ عطف على قوله: ﴿في جنات﴾. ويجوز أن تكون الواو في "ووقاهم" حالية بإضمار "قد".

﴿كلوا واشربوا﴾ على إضمار القول، تقديره: يقال لهم: كلوا واشربوا.

﴿هنيئاً﴾ صفة مصدر محذوف، تقديره: أكلاً وشرباً هنيئاً مأمون العاقبة من الأمراض والتخم.

قال زيد بن أرقم: «جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم! تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ فقال: والذي نفسي بيده، إن الرجل منهم يؤتى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع. قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة؟ فقال: عرق يفيض مثل ريح المسك، فإذا كان كذلك

---

(١) عند الآية رقم: ٥٥.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٥)، والدر المصون (٦/ ١٩٧).

ضمر له بطنه»[١].

ثم ذكر حالهم عن الأكل والشرب فقال: ﴿متكئين على سرر﴾ وهو جمع سرير، ﴿مصفوفة﴾ بعضها إلى جانب بعض.

وباقي الآية مذكور في آخر الدخان[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِىٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ قرأ أبو عمرو: "وأتْبَعْنَاهم" بقطع الهمزة وفتحها وسكون التاء وتخفيفها ونون وألف، "ذرياتهم" على الجمع، والتاء مكسورة في اللفظ على إضافة الفعل إلى الله تعالى، إجراء [للكلام][٣] على سَنَن واحد؛ لأن قبله "وزوجناهم"، وبعده "ألحقنا بهم" "وما ألتناهم" و"ذرياتهم" نصب بوقوع الفعل عليهم، والتاء غير أصلية، فلفظ النصب فيها كلفظ الخفض؛ لأنها تاء جماعة المؤنث، كالمسلمات والصالحات.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٧).

(٢) عند الآية رقم: ٥٤.

(٣) في الأصل: الكلام. والمثبت من ب.

وقرأ الباقون: "واتَّبعتهم" بوصل الألف وتشديد التاء وبعد العين تاء ساكنة، على إضافة الفعل إلى الذرية، "ذريَّتُهم" على التوحيد والرفع[(١)].

ووافق ابن عامر أبا عمرو في جمع "ذرياتهم"، غير أنه رفع بإسناد الفعل إليهم.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: "ألحقنا بهم ذرياتهم" على الجمع. وقرأ الباقون "ذُرِّيَّتهم" على التوحيد ونصب التاء[(٢)].

والذرية لفظ واقع على الواحد والجمع، والمراد هاهنا: الجمع.

والباء في "بإيمان" للسببية. المعنى: ألحقنا بهم ذرياتهم بسبب إيمانهم، ليتكامل حُبُورُهُم وسرورهم بانضمام ذريتهم إليهم، وإن لم تكن ذريتهم من أهل تلك الدرجات التي بلغتها الآباء بأعمالهم، كما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: ((إن الله يرفع ذرية المؤمن حتى يلحقهم به، وإن كانوا دونه في العمل لتقرّ بهم[(٣)] عينُه، ثم قرأ: ﴿والذين آمنوا... الآية﴾))[(٤)].

وقد أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه من حديث علي عليه السلام، أن النبي ﷺ قال: ((إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار، ثم قرأ: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم... الآية﴾))[(٥)].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨١-٦٨٢)، والكشف (٢/ ٢٩٠)، والنشر (٢/ ٣٧٧)، والإتحاف (ص:٤٠٠)، والسبعة (ص:٦١٢).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) في ب: به.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٤) موقوفاً على ابن عباس، وكذا ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٢) وعزاه للبزار وابن مردويه عن ابن عباس مرفوعاً.

(٥) أخرجه أحمد (١/ ١٣٤ ح١١٣١).

وقيل: بسبب إيمان الذرية، فيكون معنى التنكير في "إيمان" على القول الأول: التعظيم لذلك الإيمان، أي: بإيمان عظيم المحل كامل الأوصاف، وعلى القول الثاني على معنى: بشيء من إيمان الذرية.

قال صاحب كشف المشكلات[١]: الباء في "بإيمان"[٢] حال، إما من الفاعل، أو من المفعول، أو منهما جميعاً.

قرأ ابن كثير: "وما أَلِتْنَاهُم" بكسر اللام. وروى ابن شنبوذ: إسقاط الهمزة[٣].

وقرأ الباقون من العشرة: "وما أَلَتْنَاهُم" بفتح اللام مع الهمزة[٤].

قال أبو علي وغيره[٥]: هما لغتان، أَلَتَ يَأْلِتُ، مثل: ضَرَبَ يَضْرِب، وأَلِتَ يَأْلَتُ مثل: عَلِمَ يَعْلَمُ.

وقرأ ابن السميفع: "آلَتْنَاهُم" بمد الهمزة مع فتح اللام[٦].

وقرأ الضحاك وعاصم الجحدري: "ولَتْنَاهُم" بواو مفتوحة من غير همز مع فتح اللام[٧].

---

(١) كشف المشكلات (٢/ ٣٣٥).

(٢) في الأصل زيادة قوله: ضم.

(٣) النشر (٢/ ٣٧٧)، والإتحاف (ص:٤٠٠).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٢)، والكشف (٢/ ٢٩١)، والنشر (٢/ ٣٧٧)، والإتحاف (ص:٤٠٠-٤٠١)، والسبعة (ص:٦١٢).

(٥) انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٤١٤).

(٦) انظر هذه القراءة في: النشر (٢/ ٣٧٧)، وزاد المسير (٨/ ٥١).

(٧) مثل السابق.

قال ابن جني[١]: يقال: أَلَتَهُ يُؤْلِتُهُ إِيلاتاً، وَلاتَهُ يَلِيتُهُ لَيْتاً. ويقال أيضاً: [وَلَتَهُ][٢] يَلِتُهُ وَلْتاً بمعناه.

وقد ذكرنا المعنى في سورة الحجرات[٣].

﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ أي: مرهون.

قال مقاتل[٤]: كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مُرتَهن في النار، والمؤمن لا يكون مُرتَهَناً؛ لقوله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين﴾ [المدثر:٣٨-٣٩]، فاستثنى المؤمنين.

وقيل: هو على عمومه، على معنى: كل أحد مرتهن[٥] عند الله بالعمل الصالح، الذي هو مطالب به، فإن عمل صالحاً خلَّص نفسه، وإلا أوْبَقَها.

قوله تعالى: ﴿وأمددناهم﴾ أي: زدناهم في وقت بعد وقت.

قال ابن عباس: زيادة غير الذي كان لهم[٦].

﴿يتنازعون فيها كأساً﴾ يتعاطونها.

قال الزجاج[٧]: يتناول هذا الكأس من يد هذا، وهذا من يد هذا. وأنشد أبو

---

(١) المحتسب (٢/ ٢٩٠).

(٢) في الأصل: وليته. والتصويب من ب.

(٣) عند الآية رقم: ١٤.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٤).

(٥) في ب: مرهون.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥١).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٦٣).

عبيدة[١] [للأخطل][٢]:

نازعْتُه طَيِّبَ الرّاح الشَّمُول وقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وحانتْ وقعةُ الساري[٣]

والكأس مُفسّرة في الصافات[٤].

قوله تعالى: ﴿لا لغو فيها ولا تأثيم﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالفتح فيهما من غير تنوين. وقرأ الباقون بالرفع والتنوين فيهما[٥].

فمن فتح أراد النفي العام المستغرق لجميع الوجوه من ذلك الصنف، ومن رفع جعل "لا" بمنزلة "ليس"، وهكذا اختلافهم في قوله تعالى: ﴿لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾ [البقرة:٢٥٤]، وقوله: ﴿لا بيع فيه ولا خلال﴾ [إبراهيم:٣١]. وقد ذكرنا ذلك في مواضعه، ونبهنا على علة الفتح والرفع في قوله تعالى: ﴿فلا رفث ولا فسوق﴾ [البقرة:١٩٧].

قال ابن قتيبة[٦]: المعنى: لا تَذهب بعقولهم، فيلغُوا ويرفُثوا فيأثموا، كما يكون ذلك في خمر الدنيا.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٢) في الأصل: الأخطل. والتصويب من ب.

(٣) البيت للأخطل. انظر: ديوانه (ص:١٤٢)، والبحر (٨/ ١٤٧)، والدر المصون (٦/ ٢٠٠)، والماوردي (٥/ ٣٨٢)، والطبري (٢٧/ ٢٨)، والقرطبي (١٧/ ٦٨)، وزاد المسير (٨/ ٥٢)، والأغاني (١٥/ ١٠٢).

(٤) عند الآية رقم: ٤٥.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٣)، والنشر (٢/ ٣٧٧)، والإتحاف (ص:٤٠١)، والسبعة (ص:٦١٢).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٤٢٥).

﴿ويطوف عليهم غلمان لهم﴾ أي: مملوكون مخصوصون بهم، ﴿كأنهم﴾ في الحسن وصفاء اللون والبياض ﴿لؤلؤ مكنون﴾ مستور مصون في أصدافه، لم تمسه الأيدي.

قال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله! هذا الخادم فكيف بالمخدوم؟ فقال: والذي نفسي بيده، إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب[1].

وكان الحسن إذا تلا هذه الآية روى عن النبي ﷺ مثل ذلك.

قوله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ قال ابن عباس: [يتذاكرون][2] ما كانوا فيه في الدنيا من التعب والخوف، وهو قوله تعالى: ﴿إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾ خائفين من العذاب، ﴿فَمَنَّ الله علينا﴾ بالمغفرة والأمن ﴿ووقانا عذاب السموم﴾[3].

قال الحسن ومقاتل[4]: السَّمُوم: اسم من أسماء جهنم.

وقال الزجاج[5]: عذاب سموم جهنم، وهو ما يوجد من لفحها وحرّها.

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن القاسم بن محمد قال: غدوتُ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر.

(٢) في الأصل: يتذاكون. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٣).

(٤) ذكره مقاتل (٣/ ٢٨٥)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٣) عن الحسن.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٦٤).

يوماً، وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة أسلّم عليها، فوجدتها ذات يوم تصلي السبحة وهي تقرأ: ﴿فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ وترددها وتبكي، فقمتُ حتى مللت، ثم ذهبت السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي تقرؤها وترددها وتبكي وتدعو[١].

﴿إنا كنا من قبل﴾ أي: من قبل لقاء الله والرجوع إليه، حين كنا في الدنيا ﴿ندعوه﴾ نُوَحِّده ونعبده.

وقيل: ندعوه أن يقينا عذابه.

﴿إنه هو البر الرحيم﴾ قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي: "أَنه" بفتح الهمزة، على معنى: ندعوه لأنه، وقرأ الباقون من العشرة: "إِنه" بكسرها على الاستئناف[٢].

قال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه: البَرُّ: الصادق في وعده[٣].

وقال في رواية ابن أبي طلحة: البَرُّ: اللطيف[٤].

وقال الخطابي[٥]: البَرُّ: العَطُوفُ على عباده، المُحْسِنُ إليهم، الذي عَمَّ بِرُّهُ جميع خلقه.

---

(١) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد. وقد أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٣٠).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٣-٦٨٤)، والكشف (٢/ ٢٩١)، والنشر (٢/ ٣٧٨)، والإتحاف (ص:٤٠١)، والسبعة (ص:٦١٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٣٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) شأن الدعاء (ص:٨٩).

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَـٰمُهُم بِهَـٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فذكِّرْ﴾ أي: عِظْ بالقرآن وخَوِّف به.

ثم نفى عنه ما قرفوه به فقال تعالى: ﴿فما أنت بنعمة ربك﴾ أي: بإنعامه عليك ﴿بكاهن﴾ تخبرهم بالمغيبات من غير وحي. والكاهن: الذي له رِئيٌّ من الجن يخبره بالأمور المغيَّبة(١)، يقال: كَهَنَ يَكْهَنُ كِهَانَةً، مثل: كَتَبَ يَكْتُبُ كِتابةً.

واعلم أن "أم" هاهنا في أوائل هذه الآي من قوله تعالى: ﴿أم يقولون شاعر﴾ إلى قوله: ﴿أم لهم إله غير الله﴾ منقطعة، بمعنى: بل والهمزة.

قال أبو الفتح(٢): هذا هو الموضع الذي يقول أصحابنا [فيه](٣): أن "أم" المنقطعة بمعنى: بل، للترك والتحول، إلا أن ما بعد "بلْ" متيقَّن، وما بعد "أمْ" مشكوك فيه ومسؤول عنه، كقول علقمة:

هلْ ما علمتَ وما استودعتَ مكتومُ ... أم حبلُها إذْ نَأَتْكَ اليومَ مَصْرُوم(٤)

---

(١) انظر: اللسان (مادة: كهن).

(٢) المحتسب (٢/ ٢٩١-٢٩٢).

(٣) زيادة من المحتسب (٢/ ٢٩١).

(٤) البيت لعلقمة بن عبدة الفحل. انظر: ديوانه (ص:١٧)، والكتاب (٣/ ١٧٨)، والمقتضب (٣/ ٢٩٠)، والمحتسب (٢/ ٢٩٠)، وشرح المفصل لابن يعيش (٤/ ١٨)، والهمع (٢/ ٢٣٣)، والبحر (٥/ ٣٧١)، والدر المصون (٤/ ٢٣٧)، والأغاني (١٠/ ٢٠٣، ٢٠٦، ٢١٠).

أي: بل أيقولون شاعر، بل أتأمرهم، بل أهم قوم طاغون، أخرجه مخرج الاستفهام، وإن كانوا عنده قوماً طاغين؛ تلعُّباً بهم، وتهكماً عليهم، [وهذا][١] كقول الرجل لصاحبه الذي لا يشك في جهله: أجاهل أنت؟ توبيخاً له، وتقبيحاً عليه.

قوله تعالى: ﴿أم يقولون شاعر﴾ أي: هو شاعر ﴿نتربص به ريب المنون﴾.

قال ابن عباس: ننتظر به الموت[٢]، وأنشد:

تَرَبَّصْ بها ريبَ المنون لعلَّها ... تُطَلَّقُ يَوْماً أوْ يموتُ حَلِيلُها[٣]

وقال مجاهد وابن قتيبة[٤]: حوادث الدهر. وأنشد ابن قتيبة قول أبي ذؤيب الهذلي:

أمِنَ [المنون][٥] ورَيْبِه تَتَوَجَّعُ ... والدهرُ ليس بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ[٦]

وقال غيره: المنون يكون بمعنى الدهر، ويكون بمعنى الموت، سميا بذلك؛

---

(١) في الأصل: هذا. والتصويب من ب، والمحتسب (٢/ ٢٩١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٣١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٧).

(٣) انظر البيت في: اللسان (مادة: ربص)، والبحر المحيط (٢/ ١٨٦، ٨/ ١٤٨)، والدر المصون (١/ ٥٥١، ٦/ ٢٠١)، والقرطبي (٣/ ١٠٨، ١٧/ ٧٢).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٣١). وانظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

(٥) في الأصل: المون. والتصويب من ب.

(٦) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو في: اللسان (مادة: منن)، والأغاني (٦/ ٢٨٠، ٢٨٦)، والماوردي (٥/ ٣٨٤)، والبحر (٨/ ١٤٨)، والدر المصون (٦/ ٢٠١)، والقرطبي (١٦/ ١٧٠، ١٧/ ٧٢)، وزاد المسير (٨/ ٥٤).

لأنهما ينقضان الأمل، ويقطعان[١] الأجل.

قوله تعالى: ﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا﴾ قال المفسرون: كانت عظماء قريش تُوصف بالأحلام والعقول، فأزرى الله حلومهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل[٢].

قيل لعمرو بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل؟ فقال: تلك عقول كادها الله، [أي][٣]: لم يصحبها التوفيق[٤].

قرأ مجاهد: "بل هم قوم طاغون"[٥].

قال ابن عباس: حملهم طغيانهم على تكذيبك[٦].

﴿أم يقولون تقوله﴾ افتعله من تلقاء نفسه ﴿بل لا يؤمنون﴾ فلذلك يرمونك[٧] بهذه المطاعن البعيدة من أخلاقك الكريمة، وأوصافك الحميدة.

ثم تحداهم بقوله تعالى: ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ أي: مثل القرآن في رصانة مبانيه وصحة معانيه.

وقرأ أبو رجاء وأبو نهيك والجحدري: "بحديثِ مثله" بغير تنوين على

---

(١) في الأصل زيادة قوله: الآن. وانظر: ب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٤).

(٣) زيادة من زاد المسير (٨/ ٥٥).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٤-٥٥).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٤٩)، والدر المصون (٦/ ٢٠١).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٨٩).

(٧) في الأصل زيادة قوله: بذلك. وانظر: ب.

الإضافة[١]، على معنى: بحديث مثل محمد، أي: بحديث رجل من العرب مثل محمد، ﴿إن كانوا صادقين﴾ أنه تقوَّله.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَـٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿أم خُلقوا﴾ قدّروا هذا التقدير العجيب الذي هم عليه، ﴿من غير شيء﴾ أي: من غير مُقَدِّرٍ [خَلَقَهم][٢] وأوجدهم، ﴿أم هم الخالقون﴾ الذين خلقوا أنفسهم حتى استنكفوا عن توحيدي، وجعلوا الصنم نديدي.

وقيل: المعنى: أم خلقوا من غير أب وأم، فهم كالجماد لا يعقلون ولا يفهمون.

وقيل: "مِنْ" بمعنى اللام، تقديره: أم خلقوا لغير شيء، على معنى: أخُلقوا باطلاً لا يُحاسبون ولا يُكلفون، أم هم الخالقون فلا يؤمرون ولا ينهون.

والآية التي تليها ظاهرة.

﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ قال ابن عباس: يريد: المطر والرزق[٣].

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٥٥)، والدر المصون (٦/ ٢٠١).

(٢) في الأصل: لخلقهم. والمثبت من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٦).

وقال عكرمة: النبوة[(١)].

وقيل: عِلْم ما يكون من الغيب[(٢)].

والمعنى: أعندهم مفاتيح الملك فيتخيروا للرسالة من شاؤوا.

﴿أم هم المصيطرون﴾ المسلطون الغالبون.

وقال عطاء: أرباب قاهرون[(٣)]، [فيتصرفوا][(٤)] كيف شاؤوا على حسب إرادتهم.

قرأ قنبل وهشام: "المسيطرون" بالسين. وقرأ حمزة بين الصاد والزاي، وقرأ الباقون بالصاد[(٥)]؛ لأجل الطاء، ليعمل اللسان عملاً واحداً في [الإطباق][(٦)] والاستعلاء.

والسين هو الأصل؛ لجواز نقل الصاد إليها، ولو كانت الصاد هي الأصل لم تُنقل إلى السين؛ لأن الأقوى لا يُنقل إلى الأضعف، والصاد أقوى من السين؛ لما فيها من الاستعلاء والإطباق. وكلها لغات أشرنا إلى عللها فيما مضى.

قوله تعالى: ﴿أم لهم سُلّم يستمعون فيه﴾ أي: مصعد ومرتقاً يرتقون فيه إلى

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٦).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٦) حكاية عن الثعلبي.

(٣) ذكره القرطبي (١٧/ ٧٥)، والبغوي (٤/ ٢٤١).

(٤) في الأصل: فيتصرروا. والتصويب من ب.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٤)، والكشف (٢/ ٢٩٢)، والنشر (٢/ ٣٧٨)، والإتحاف (ص:٤٠١)، والسبعة (ص:٦١٣).

(٦) في الأصل: الإباق. والتصويب من ب.

السماء لاستماع الوحي، ﴿فليأت مستمعهم﴾[١] أي[٢]: إن ادعى ذلك ﴿بسلطان مبين﴾ كما جاء محمد ﷺ على صحة رسالته بحجة ظاهرة.

والآية التي بعدها كقوله تعالى: ﴿فاستفتهم ألربك البنات﴾ [الصافات:١٤٩].

﴿أم تسألهم أجراً﴾ أي: أتسألهم[٣] جُعْلاً على ما جئتَهم به ودعوتَهم إليه؟

﴿فهم من مغرم مثقلون﴾ أثقلهم ذلك الغرم وقدحهم حتى زهدهم في اتباعك.

﴿أم عندهم الغيب﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿فهم يكتبون﴾ ما فيه حتى قالوا: لا نُبعث، وإن بُعثنا لم نُعذب.

وقيل: المعنى: أعندهم الغيب حتى علموا أن محمداً يموت قبلهم، حتى قالوا: نتربص به ريب المنون.

﴿أم يريدون كيداً﴾ لمحمد ﷺ والمؤمنين يوم دار الندوة، ﴿فالذين كفروا﴾ إشارة إليهم. وقيل: إلى كل كافر ﴿هم المكيدون﴾ المجزيّون بكيدهم، يريد: أن ضرر كيدهم عائد عليهم وراجع إليهم.

﴿أم لهم إله غير الله﴾ يرزقهم ويحفظهم.

ثم نزّه نفسه بقوله تعالى: ﴿سبحان الله عما يشركون﴾.

---

(١) في الأصل زيادة قوله: بسلطان مبين. وستأتي بعد. وانظر: ب.

(٢) غير موجودة في ب.

(٣) في الأصل زيادة قوله: أجراً أي. وانظر: ب.

وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ﴿٤٤﴾ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

ثم ذكر عنادهم وقسوة قلوبهم فقال: ﴿وإن يروا كِسْفاً من السماء ساقطاً﴾ أي: وإن يروه[1] ساقطاً عليهم ﴿يقولوا﴾ لفرط عنادهم ﴿سحاب مركوم﴾ بعضه فوق بعض ممطرنا، ولم يصدقوا أنه كسف ساقط لعذابهم.

ثم هددهم فقال: ﴿فذرهم حتى يلاقوا﴾ وقرأ أبو جعفر وعبدالوارث: "يَلْقُوا"[2]، ﴿يومهم الذي فيه يَصْعَقُون﴾.

وقرأ ابن عامر وعاصم: "يُصْعَقُون" بضم الياء[3].

والمراد: يوم هلاكهم وموتهم.

وقيل: يوم القيامة، فيكون المراد بصعقهم: غشيتهم، كقوله: ﴿وخرَّ موسى صعقاً﴾ [الأعراف:١٤٣].

---

(١) أي: الكِسْف. والكسف: القطعة (اللسان، مادة: كسف).

(٢) النشر (٢/ ٣٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠١).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٤)، والكشف (٢/ ٢٩٢)، والنشر (٢/ ٣٧٩)، والإتحاف (ص:٤٠١)، والسبعة (ص:٦١٣).

قوله: ﴿وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك﴾ وهو عذاب القبر[١].

وقيل: ما أصابهم يوم بدر[٢]. رويا عن ابن عباس.

وقال الحسن: مصائبهم في الدنيا[٣].

قوله تعالى: ﴿واصبر لحكم ربك﴾ أي: اصبر لحكم ربك بإمهالهم وتمكنهم من أذاك ﴿فإنك بأعيننا﴾ قال الزجاج[٤]: بحيث نراك ونحفظك ونرعاك، فلا يصلون إلى مكروهك.

وهذا من المواضع التي يقول أكثر المفسرين: أنها منسوخة[٥]. ولا يصح؛ لما ذكرنا في نظائره.

﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ قال ابن عباس: صلِّ لله حين تقوم من منامك[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٣٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٣٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩١) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٠).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣٨٦).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٦٨).

(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٦٩)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٨)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٧٤).

(٦) ذكره الطبري (٢٧/ ٣٨)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٩١).

وهذا القول هو اختيار الطبري في تفسيره، قال: وهذا أولى الأقوال بالصواب؛ لأن الجميع مجمعون على أنه غير واجب أن يقال في الصلاة: سبحانك وبحمدك، وما روي عن الضحاك عند القيام إلى الصلاة، فلو كان القول كما قال الضحاك لكان فرضاً أن يقال؛ لأن قوله: "وسبح بحمد ربك" أمر من الله تعالى بالتسبيح، وفي إجماع الجميع على أن ذلك غير واجب الدليل الواضح على أن القول في

وقال عطاء ومجاهد: قل: سبحانك اللهم وبحمدك حين تقوم من مجلسك[١].

وقال الضحاك: قل سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك، حين تقوم في الصلاة[٢].

وهذا أحد الترجيحات لمذهب إمامنا أحمد وأبي حنيفة، فإنهما يستحبان الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام [بهذا[٣].

قال زيد بن أسلم][٤]: صَلِّ صلاة الظهر حين تقوم من نوم القائلة[٥].

﴿ومن الليل فسبحه﴾ قال مقاتل[٦]: صلاة المغرب [والعشاء.

﴿وإدبار][٧] النجوم﴾ يعني: الركعتين قبل صلاة الفجر، في قول علي عليه

= ذلك غير الذي قاله الضحاك.

فإن قال قائل: ولعله أريد به الندب والإرشاد؟!

قيل: لا دلالة في الآية على ذلك، ولم تقم حجة بأن ذلك معني به ما قاله الضحاك فيجعل إجماع الجميع على أن التسبيح عند القيام إلى الصلاة مما خير المسلمون فيه دليلاً لنا على أنه أريد به الندب والإرشاد.

(١) أخرجه مجاهد (ص:٦٢٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٧) عن عطاء. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٧) وعزاه للفريابي وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٣٨)، وابن أبي شيبة (١/ ٢١٠ ح٢٤٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٧) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر.

(٣) انظر: المغني (١/ ٢٨٢)، وبدائع الصنائع (١/ ٤٧٠).

(٤) في الأصل: وبهذا قال زيد بن أرقم. والتصويب من ب.

(٥) ذكره الطبري (٢٧/ ٣٨)، والماوردي (٥/ ٣٨٧).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٨).

(٧) بياض في الأصل. والمثبت من ب.

السلام وجمهور المفسرين[(١)].

وقال الضحاك وابن زيد: هي صلاة الغداة[(٢)].

وقرأ يعقوب في رواية زيد عنه: "وأدبار" بفتح الهمزة[(٣)]. وقد أشرنا إلى ذلك في آخر قاف. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٣٩). وذكره الماوردي (٥/ ٤٨٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٣٨) وعزاه لابن مردويه عن أبي هريرة. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٨) وعزاه لابن جرير عن الضحاك.

(٣) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠١-٤٠٢)، وزاد المسير (٨/ ٦٠-٦١).

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي [إحدى][1] وستون آية في المدني، واثنتان في الكوفي[2]. وهي مكية بإجماعهم.

واستثنى ابن عباس ومقاتل وقتادة آية، وهي قوله تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم... الآية﴾[3].

قال مقاتل[4]: هذه أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة.

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

قال الله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى﴾ اختلف العلماء في تفسيره على خمسة أقوال:

أحدها: أنه الثريا، وهو اسم غالب لها[5].

---

(١) في الأصل: أحد. والتصويب من ب.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٣٤).

(٣) انظر: الإتقان (١/ ٥٣)، والماوردي (٥/ ٣٨٩)، وزاد المسير (٨/ ٦٢).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٩).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٠-٤١) وهو اختياره، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٨). وذكره السيوطي في

قال ابن قتيبة(١): العرب تسمي الثريا -وهي ستة أنجمٍ-: نجماً.

وقال غيره: هي سبعة، فستة ظاهرة، وواحد خفي، يَمتحن به الناسُ أبصارهم.

والمعنى: والنجم إذا سقط وغاب.

الثاني: أنه النجم من نجوم القرآن(٢)، فإنه نزل نُجُوماً متفرقة، على ما ذكرناه في مقدمة الكتاب. والقولان عن مجاهد.

الثالث: أنه النجم الذي تُرمى به الشياطين إذا هوى وانقضّ للرجم(٣). وهذه الأقوال الثلاثة مروية عن ابن عباس.

الرابع: أنه اسم جنس، يريد: النجوم إذا غربت أو تناثرت يوم القيامة. رُوي عن مجاهد(٤).

الخامس: أنها الزهرة. قاله السدي(٥).

وقد روى عروة بن الزبير عن رجال من أهل بيته قالوا: كانت بنت رسول الله ﷺ عند عتبة بن أبي لهب، فأراد الخروج إلى الشام، فقال: لآتين محمداً فلأوذينه،

= الدر (٧/ ٦٤٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن المنذر.

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٤٢٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٠). وذكره الماوردي (٥/ ٣٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٤١) وعزاه لابن جرير عن مجاهد.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٢).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٣).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٣٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٣).

فأتاه فقال: يا محمد! هو يكفر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى، ثم تَفَلَ في وجهه، وردّ عليه ابنته فطلَّقها، فقال رسول الله ﷺ: اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك. قال: وأبو طالب حاضر، فَوَجَمَ[١] لها، وقال: ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة، فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره بذلك، ثم خرجوا إلى الشام ونزلوا منزلاً، فأشرف عليهم راهب من الدير فقال: هذه أرض مَسْبَعَة[٢]، فقال أبو لهب لأصحابه: أغيثونا يا معاشر قريش هذه الليلة، فإني أخاف على ابني دعوة محمد، فجمعوا [له][٣] أحمالهم وفرشوا لعتبة في أعلاها، وناموا حوله، فجاء الأسد فجعل يتشمم وجوههم، ثم ثنى ذنبه فوثب وضرب عتبة بيده ضربة واحدة فخدشه، فقال: قتلني، ومات مكانه[٤]. ففي ذلك يقول حسان بن ثابت:

مَنْ يَرْجِعُ العامَ إلى أهلِهِ فما أكيلُ السَّبُعِ بالرَّاجِعِ[٥]

قوله تعالى: ﴿ما ضل صاحبكم﴾ يعني: محمداً ﷺ. وهذا جواب القسم، والخطاب لقريش.

والمعنى: ما ضل عن طريق الهدى ﴿وما غوى﴾.

﴿وما ينطق عن الهوى﴾ أي: ما يتكلم بالباطل. وهذا تكذيب لهم حيث

---

(١) الوُجوم: السكوت على غيظ. والواجم: الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام. وقيل: الوجوم: الحزن (اللسان، مادة: وجم).

(٢) أرض مَسْبَعَة: أي: ذات سباع (اللسان، مادة: سبع).

(٣) ساقط من ب.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٨٣).

(٥) البيت لحسان بن ثابت. انظر: حياة الحيوان للدميري (٢/ ٤٤٦)، والقرطبي (٦/ ٥٠)، والكشاف (٤/ ٤١٩)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٦٢).

زعموا أنه جاء بالقرآن من تلقاء نفسه، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ أي: ما القرآن إلا وحي من الله تعالى أوحاه إليه.

وربما احتج بهذه الآية من لم يجوز للنبي ﷺ أن يجتهد فيما لم ينزل عليه فيه وحي، ولا حجة فيها؛ لأنه إذا كان مأذوناً له في الاجتهاد فهو من الوحي.

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾

﴿علمه شديد القوى﴾ وهو جبريل ﷺ[(١)].

ومن آثار قوته: اقتلاعه قرى قوم لوط حاملاً لها على جناحه، رافعاً لها إلى السماء، وصياحه بثمود فأصبحوا جاثمين.

﴿ذو مِرَّة﴾ حصافة في عقله ورأيه، ومتانة في دينه.

وقال أكثر المفسرين: ذو شِدَّة في خلقه.

﴿فاستوى * وهو﴾ أي: استوى جبريل ومحمد ﴿بالأفق الأعلى﴾، ليلة أسري بمحمد ﷺ. فتكون الواو في "وهو" عاطفة على الضمير في "استوى" غير مؤكد،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٢) عن قتادة، ومن طريق آخر عن الربيع، ومن طريق آخر عن مجاهد.

كقول الشاعر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النبْعَ يَصْلُبُ عُودُه　　ولا يَسْتَوِي والخِرْوَعُ المتَقَصِّفُ[١]

وعليه حملوا أيضاً قوله تعالى: ﴿أئذا كنا تراباً وآباؤنا﴾ [النمل:٦٧].

وقيل: فاستوى جبريل، أي: استقام وهو بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية التي جُبل عليها، فإنه كان يتمثل لرسول الله ﷺ إذا هبط عليه في صورة رجل، فأحب رسول الله ﷺ أن ينظره في صورته الملكيّة التي خلق عليها، فاستوى في أفق المشرق فملأ الأفق.

قال مجاهد: "الأفق الأعلى": مطلع الشمس[٢].

وقال غيره: إنما قيل: الأعلى؛ لأنه فوق جانب المغرب في صعيد الأرض، لا في الهواء[٣].

قال المفسرون: سأل رسولُ الله ﷺ جبريلَ أن يريه نفسه في صورته التي خُلق عليها، فأراه نفسه مرتين، مرة في الأرض، ومرة في السماء. فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى، وذلك أن محمداً ﷺ كان بحراء، فطلع له جبريل من المشرق فسدّ الأفق إلى المغرب، فخرّ رسول الله ﷺ مغشياً عليه، فنزل جبريل في صورة الآدميين، فضمّه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه. وأما في السماء فعند

---

(١) البيت لجرير، انظر: شرح ديوانه (١/ ٣٧٩)، ومعاني الفراء (٣/ ٩٥)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٩)، والطبري (٢٧/ ٤٣)، والقرطبي (١٧/ ٨٥).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٣٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٥)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٤٤) وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٥).

سدرة المنتهى[١].

وفي الصحيحين من حديث عائشة: «ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين»[٢].

فعلى هذا القول، يكون الواو في "وهو" للحال.

قوله تعالى: ﴿ثم دنا فتدلى﴾ قال الفراء[٣]: المعنى: ثم تدلى فدنا، ولكنه جائز أن تُقدّم أيّ الفعلين شئت إذا كان المعنى فيهما واحداً، تقول: دنا فقرُب وقرُب فدنا، وشَتَم فأساء وأساء فشتم.

وقال الزجاج[٤]: "دنا" بمعنى: قَرُبَ، "فتدلى": زاد في القُرْب. ومعنى اللفظين واحد.

وفي المشار إليه بقوله: "دنا" ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الله عز وجل. ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: «دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى»[٥].

وقال ابن عباس: دنا ربه فتدلى[٦]. وهو اختيار مقاتل قال[٧]: دنا الرب عز وجل من محمد ﷺ ليلة أسري به، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٠ ح٤٥٧٤)، ومسلم (١/ ١٥٩ ح١٧٧).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٩٥).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٧٠).

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٣١ ح٧٠٧٩). ولم أقف عليه عند مسلم.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٤٥) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٩).

القول الثاني: أنه محمد ﷺ دنا من ربه عز وجل. قاله القرظي[(١)].

الثالث: أنه جبريل عليه السلام[(٢)].

قال الحسن وقتادة: دنا بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، فتدلى إلى رسول الله ﷺ[(٣)].

ويقال: "تدلّى": تعلّق عليه في الهواء. ومنه: تدلّت الثمرة، ودلّى رجليه من السرير. والدَّوالي: الثمر المعلَّق[(٤)]. ويقال: هو مثل القِرِلَّى، إن رأى خيراً تدلى، وإن [لم][(٥)] يره تولى.

والقِرِلَّى: طائر من طير الماء، إحدى رجليه أطول من الأخرى.

﴿فكان قاب قوسين﴾ القَابُ والقِيب، والقَادُ والقِيد، والقَاسُ والقِيس: المقدار.

وقرأ ابن مسعود وأبو رزين: "قَادَ قوسين" بالدال[(٦)].

والمعنى: فكان مقدار مسافة قُربه مثل قاب قوسين.

قال الكسائي: هي لغة حجازية، يقال: كان مني قاب قوسين، وقيد قوسين[(٧)].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٦).

(٤) انظر: اللسان (مادة: دلا).

(٥) زيادة من ب.

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٦٦).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٣).

قال ابن قتيبة[١]: قدر قوسين عربيتين.

قال ابن عباس: هي القوس التي يرمى بها[٢]. وهو قول مجاهد وعكرمة[٣].

وقال ابن مسعود: قدر ذراعين[٤]. ويروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ من حديث أنس[٥].

قال الواحدي[٦]: فيكون المراد بالقوس على هذا القول: ما ينقاس به الشيء.

قال ابن السكيت: قَاسَ الشيء يَقُوسُه قَوْساً، لغة في قَاسَهُ يَقِيسُهُ قِياسَاً؛ إذا قَدَّرَه[٧].

ويحتمل عندي أن يكون الحديث وتفسير ابن مسعود تفسيراً لقاب قوسين، فإنه بمقدار ذراعين تقريباً.

قال الكسائي: أراد بالقوسين قوساً واحداً[٨].

ويقال: القاب: ما بين المَقْبَض والسِّيَة، فكل قوس له قابان[٩].

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٤٢٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٣-١٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط، الموضع السابق.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٤٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٥) انظر: الطبري (٢٧/ ٤٥)، والدر المنثور (٧/ ٦٥٢).

(٦) الوسيط (٤/ ١٩٤).

(٧) انظر: اللسان (مادة: قيس).

(٨) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٧).

(٩) انظر: اللسان (مادة: قوب).

قال ابن قتيبة: السِّية: ما عُطف من طرفي القوس[١].

﴿أو أدنى﴾ قال مقاتل[٢]: بل أدنى.

وقيل: المعنى: كان على ما تقدّرونه أنتم قدر قوسين أو أقل. وهذا مِثْلُ قوله تعالى: ﴿أو يزيدون﴾ [الصافات:١٤٧].

قوله تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده﴾ أي: أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ ﴿ما أوحى﴾ كفاحاً. وهذا قول من قال: كان ليلة المعراج.

وقال ابن عباس في رواية عطاء: فأوحى جبريل إلى عبدِ الله محمد ﷺ ما أوحى إليه[٣].

وقالت عائشة والحسن وقتادة: فأوحى إلى عبده جبريل ما أوحى[٤].

وقوله: "ما أوحى" تفخيم للوحي الذي أوحي إليه.

قال سعيد بن جبير: أوحى إليه: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾ [الضحى:٦] إلى قوله: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾[٥] [الشرح:٤].

وقيل: أوحى إليه أن الجنة محرّمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك[٦].

قوله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ وقرأ أبو جعفر وهشام: "ما كَذَّبَ"

(١) انظر: اللسان (مادة: سيا).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٩).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٧). وذكره الماوردي (٥/ ٣٩٣).

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٤٦).

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٣٩).

بالتشديد[(١)]، على معنى: ما أنكر فؤاده ما رأتْ عيناه بل صدَّقه.

ومعنى الآية على قراءة الأكثرين: ما أوهمه فؤاده أنه رأى ولم ير، بل رأى شيئاً فصدق به، يقال: كذَبَه -بالتخفيف-؛ إذا قال له الكذب[(٢)].

قال ابن عباس وأنس والحسن وعكرمة وجمهور المفسرين: رأى محمد ﷺ ربه بعيني رأسه[(٣)].

وكان الحسن يحلف بالله: لقد رأى محمد ﷺ ربه تبارك وتعالى[(٤)].

وقال ابن مسعود وعائشة: رأى جبريل على صورته التيَ خُلق عليها[(٥)].

أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه[(٦)] قال: أخبرنا أبو محمد العباس بن محمد بن العباس، ويعرف بعباسة، قال: أخبرنا محمد بن سعيد، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد الثقفي، حدثنا أبو علي بن حبيش المقرئ، أخبرنا علي بن زنجويه، حدثنا سلمة، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا ابن عيينة، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن عبدالله بن الحارث قال: اجتمع ابن عباس وكعب، فقال ابن عباس: إنا نحن بني هاشم نقول: إن محمداً رأى ربه مرتين،

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٥)، والكشف (٢/ ٢٩٤)، والنشر (٢/ ٣٧٩)، والإتحاف (ص:٤٠٢)، والسبعة (ص:٦١٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: كذب).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٤٧) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٥).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ١٥٩ ح١٧٧).

(٦) في ب: الطوسي كتابة.

فقال: تعجبون أن الخُلَّة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد صلى الله عليهم أجمعين، قال: فكبّر كعب حتى جاوبته الجبال، فقال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى صلى الله عليهما، فكلّم[1] موسى ورآه محمد عليهما الصلاة [والسلام][2].[3].

قال [مجالد][4]: وقال الشعبي: وأخبرني مسروق أنه قال لعائشة: يا أماه! هل رأى محمد ربه قط؟ قالت: إنك لتقول قولاً إنه ليقف منه شعري. قال: قلت: رويداً، فقرأتُ عليها: ﴿والنجم إذا هوى﴾ إلى قوله: ﴿قاب قوسين أو أدنى﴾ فقالت: رويداً أين يذهب بك؟ إنما رأى جبريل عليه السلام في صورته، مَنْ حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [الأنعام:١٠٣]، ومَنْ حدثك أنه يعلم الخمس من الغيب فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿إن الله عنده علم الساعة... الآية﴾ [لقمان:٣٤]، ومن حدثك أن محمداً قد كتم شيئاً من الوحي فقد كذب، والله يقول: ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك... الآية﴾[5] [المائدة:٦٧].

---

(١) في ب: فكلمه.

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٤ ح٣٢٧٨)، والحاكم (٢/ ٣٠٩ ح٣١١٤)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ١٤١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٤٧) وعزاه لعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن الشعبي.

(٤) في الأصل: مجاهد. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٤ ح٣٢٧٨)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ١٤١)، والطبري (٢٧/ ٥١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٤٧) وعزاه لعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر =

قال عبدالرزاق: فذكرت هذا الحديث لمعمر فقال: ما عائشة عندنا بأعلم من [ابن][(١)] عباس[(٢)].

قوله تعالى: ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ قرأ حمزة والكسائي: "أفتَمْرُونَـه" بفـتح التاء وسكون الميم من غير ألف[(٣)]، على معنى: أفتجحدونه، يقال: مَرَيْتَهُ حَقَّه؛ إذا جحدته[(٤)]، وأنشدوا:

لئنْ جحدتَ[(٥)] أَخَا صِدْقٍ ومكرُمَةٍ   لقدْ مَرَيْتَ أخاً ما كان يَمْرِيكَا[(٦)]

وقيل: المعنى: أفتغلبونه في المراء، من مَارَيْتُه فَمَرَيْتُه. قالوا: ولما فيه من معنى الغلبة، عُدّي بـ"على"، كما تقول: غلبتُه على كذا، وهذه القراءة اختيار أبي عبيد، وبها قرأ علي، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، ومسروق، والنخعي، وخلف، ويعقوب. ومثل هذه القراءة قراءة طلحة بن مصرّف، وسعيد بن جبير، غير أنهما ضمّا التاء[(٧)]، على معنى: أفتُوقِعُونه في المِرْيَة والشك.

= والحاكم وابن مردويه.

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٤١)، والنووي في شرحه على صحيح مسلم (٣/ ٥).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٥)، والكشف (٢/ ٢٩٤)، والنشر (٢/ ٣٧٩)، والإتحاف (ص:٤٠٢)، والسبعة (ص:٦١٤-٦١٥).

(٤) انظر: اللسان (مادة: مرا).

(٥) في ب: هجرت.

(٦) البيت لم أعرف قائله. وهو في: البحر (٨/ ١٥٧) وفيه: "سخرت" بدل: "جحدت"، والدر المصون (٦/ ٢٠٦)، والقرطبي (١٧/ ٩٣)، وروح المعاني (٢٧/ ٤٩)، والكشاف (٤/ ٤٢١).

(٧) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٥٧)، والدر المصون (٦/ ٢٠٦).

وقرأ الأكثرون: "أفتمارونه" من المِرَاء، وهو الملاحاة والمجادلة، واشتقاقه من: مَرَيْتُ النَّاقَةَ[١]، كأن كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه.

﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ أي مرة أخرى من النزول.

قال ابن عباس: رأى محمد ربه، وذاك أنه كان يتردد لأجل الصلوات، فرآه مرة أخرى في بعض تلك المرات[٢]، وهو قول كعب أيضاً على ما حكيناه آنفاً.

وقال ابن مسعود وعائشة: هذه الرؤية لجبريل أيضاً[٣]، فإنه رآه على صورته مرتين، كما ذكرناه.

قالت عائشة: أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: هو جبريل[٤].

والسِّدْرَةُ: شجرة النَّبْق.

وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: نَبِقُها مثل قِلال هَجَر[٥]، وورقها مثل آذان الفيلة[٦].

وهي فوق السماء السابعة، على ما في حديث مالك بن صعصعة[٧].

---

(١) مَرَيْتُ الناقة: أي: مسحت ضرعها لِتَدِرَّ (اللسان، مادة: مرا).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٨).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٥٠).

(٥) القِلال: جمع قُلَّة، وهي الجرة العظيمة (اللسان، مادة: قلل)، وهَجَر: قرية قرب المدينة (معجم البلدان ٥/ ٣٩٣).

(٦) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٣ ح٣٠٣٥).

(٧) أخرجه البخاري، الموضع السابق، ومسلم (١/ ١٤٩ ح١٦٤).

قال مقاتل[(١)]: هي عن يمين العرش. قال: ولو أن ورقة من ورقها وُضِعَتْ في الأرض، لأضاءت لأهل الأرض [نوراً][(٢)]، تحمل الحُلِيّ والحُلَل والثمار من جميع الألوان.

وفي أفراد مسلم من حديث ابن مسعود: أنها في السماء السادسة[(٣)]. وقد ذكرنا الحديث بتمامه عند قوله: ﴿آمن الرسول﴾ في البقرة[(٤)].

قال المفسرون: سميت سدرة المنتهى؛ لأن إليها ينتهي ما يُصْعَدُ به من الأرض، فيُقبض منها، وإليها ينتهي ما يَهبط من فوقها فيُقبض منها، وإليها ينتهي علم الملائكة[(٥)].

وقيل: إليها تنتهي أرواح الشهداء، وأرواح من مات على منهاج رسول الله ﷺ.

وفي حديث أبي هريرة قال: لما أسري بالنبي ﷺ انتهى إلى السدرة، فقيل له: هذه سدرة المنتهى، ينتهي إليها كلُّ أحد من أمتك على سنّتك[(٦)].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢٩٠).

(٢) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ١٥٧ ح١٧٣).

(٤) آية رقم: ٢٨٥.

(٥) أخرجه مسلم (١/ ١٥٧ ح١٧٣)، والنسائي في الصغرى (١/ ٥٤٨ ح١٠٠١)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣١٢ ح٣١٦٩٧)، وأحمد (١/ ٣٨٧ ح٣٦٦٥، ١/ ٤٢٢ ح١٠١١)، والطبري (٢٧/ ٥٢) كلهم من حديث ابن مسعود. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٤٩) وعزاه لأحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ٥٣).

﴿عندها جنة المأوى﴾ قال ابن عباس: هي عن يمين العرش، وهي منزل الشهداء[١]، نظيره: ﴿فلهم جنات المأوى نزلاً﴾ [السجدة:١٩].

وقرأ معاذ القارئ وابن يعمر وأبو نهيك: "عِنْدَه"[٢] على ضمير المذكر.

وقرأ جماعة؛ منهم: علي، وأنس، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن المسيب، والشعبي، ومحمد بن كعب، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو العالية: "جَنَّهُ المأوى"[٣]، أي: سَتَرَه بظلاله ودخل فيه.

وقيل: عندها أدركه المبيت، والضمير للنبي ﷺ.

قال [ثعلب][٤]: يريد: "أجنّه" وهي شاذة[٥].

قوله تعالى: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ لم أر أحداً ذكر بماذا يتعلق الظرف هاهنا، ولا يخلو من أمرين؛ إما أن يتعلق بـ"رآه" على معنى: رأى محمد جبريل عليهما السلام، أو رأى ربه، "إذ يغشى السدرة ما يغشى".

قال عطية: غشيها الجبار عز وجل.

وفي [الحديث][٦] عن النبي ﷺ: «غشيها نور الخلاق، وغشيتها الملائكة من

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٥١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٦٩).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير، الموضع السابق، والدر المصون (٦/ ٢٠٧). وقد ردّت عائشة هذه القراءة، وتبعها جماعة، وقالوا: أَجَنَّ الله من قرأها.

(٤) زيادة من ب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٠).

(٦) في الأصل: حديث. والمثبت من ب.

حب الله عز وجل، أمثال الغربان يقعن على الشجر»[١].

وفي الحديث أيضاً: يغشاها رفرف من طير خضر[٢].

وقال ابن مسعود: يغشاها فراش من ذهب[٣].

وفي حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ: لما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها[٤].

وإما أن يتعلق بقوله: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ أي: ما مال بصر محمد ﷺ، ولا تجاوز ما رأى، أو ما أمر به حين غشي السدرة ما غشيها من التهاويل والأنوار والملائكة.

قال ﷺ: «انتهيتُ إلى السدرة وأنا أعرف أنها سدرة المنتهى، فأعرف ثمرها [وورقها][٥]، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت ياقوتاً وزمرداً، حتى ما يستطيع أحد أن يصفها»[٦].

قوله تعالى: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ قال ابن مسعود: رأى رفرفاً أخضر [من][٧] الجنة قد سدّ الأفق[٨].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٥٦) من حديث الربيع.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٩٧).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ١٥٧ ح١٧٣).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ١٤٦ ح١٦٢).

(٥) في الأصل: ووقها. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨ ح١٢٣٢٣)، والطبري (٢٧/ ٥٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٧) في الأصل: في. والمثبت من ب.

(٨) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤١ ح٤٥٧٧)، وأحمد (١/ ٤٤٩ ح٤٢٨٩)، والطبراني في الكبير =

قال الضحاك: سدرة المنتهى[١].

وقال عبدالرحمن بن زيد: رأى جبريل في صورته[٢].

قال ابن جرير[٣]: رأى من أعلام ربه وأدلته الكبرى.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

قال الزجاج[٤]: لما قصّ الله تعالى هذه القصص قال: ﴿أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى﴾ كأن المعنى -والله أعلم-: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها، هل لها من هذه القدرة والعظمة التي وُصف بها ربُّ العزة شيء.

(٩/ ٢١٦ ح٩٠٥١)، والطبري (٢٧/ ٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٥١) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد والبخاري وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل.

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٩٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٥٧).

(٣) تفسير الطبري (٢٧/ ٥٧).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٧٢).

قرأ رويس عن يعقوب، وروى هبة الله عن اللهبي: "اللاَّتَّ" بتشديد التاء، وهي قراءة ابن عباس، وأبي رزين، وأبي عبدالرحمن السلمي، ومجاهد، وأبي صالح، والضحاك، وابن السميفع، والأعمش في آخرين، واتفقوا على الوقف بالتاء اتباعاً للمصحف، وكذلك "مناة" إلا الكسائي، فإنه وقف على الهاء في الموضعين.

وقرأ الأكثرون والباقون من العشرة بتخفيف التاء[1].

فمن شدّد التاء قال: هو رجل كان يَلُتُّ السَّويق[2] للحاج، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.

قال أبو صالح: كان بالطائف وكان يقوم على آلهتهم، ويَلُتُّ لهم السويق، فلما مات عبدوه[3].

وقال الزجاج[4]: زعموا أن رجلاً كان يَلُتُّ السويق ويبيعه عند ذلك الصنم، فسمّي الصنم: اللاتّ -بالتشديد-.

وجمهور القراء على تخفيف التاء، وهو اسم صنم لثقيف، وكانوا يشتقون لآلهتهم أسماء من أسماء الله تعالى، فقالوا من الله: اللاّت، وكذلك اختار الكسائي الوقف على الهاء[5].

---

(١) النشر (٢/ ٣٧٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٢).

(٢) السَّويق: ما يُتَّخذ من الحنطة والشعير (اللسان، مادة: سوق).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٥٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٧٣).

(٥) قال ابن الجزري في النشر (٢/ ٣٧٩): وما وقع في كتب بعضهم من أن الكسائي وحده يقف بالهاء والباقون بالتاء؛ فَوَهْمٌ لعله انقلب عليهم من "اللّات".

قال الخطابي[١]: صَرَفَهُ الله إلى اللاَّتِ صيانةً لهذا الاسم، وذَبّاً عنه.

وقالوا من العزيز: العُزّى، وهي تأنيث الأعز.

قال مجاهد: وهي سَمُرة بنخلة لغطفان يعبدونها[٢].

وهي التي بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها، فجعل خالد يضربها بالفأس ويقول:

يا عزُّ كفرانكِ لا سُبحانكِ إني رأيتُ الله قد أهانَكِ[٣]

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها، واضعة يدها على رأسها، تدعو بالويل، فقتلها خالد، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: تلك العُزّى، ولن تُعبد أبداً[٤].

قرأ ابن كثير والشموني: ["ومناءة"][٥] بالمد والهمز. وقرأ الباقون من العشرة بغير مد ولا همز[٦]، وهما لغتان، والتي هي قراءة الأكثرين هي[٧] أعلى اللغتين.

قال أبو عبيدة: لم أسمع فيه المد.

---

(١) شأن الدعاء (ص:٣١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٩) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٢).

(٣) انظر البيت في: اللسان (مادة: عزز)، والقرطبي (١٧/ ١٠٠)، وروح المعاني (٢٧/ ٥٥)، والبحر (٨/ ١٥٨).

(٤) أخرجه النسائي (٦/ ٤٧٤ ح١١٥٤٧).

(٥) في الأصل: ومناء. والمثبت من ب.

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٥)، والكشف (٢/ ٢٩٦)، والنشر (٢/ ٣٧٩)، والإتحاف (ص:٤٠٣)، والسبعة (ص:٦١٥).

(٧) ساقط من ب.

وقال أبو علي[1]: لعل "مناءة" -بالمد- لغة، ولم أسمع بها عن أحد من رواة اللغة.

وقال بعض العلماء: أصلها: الهمز، من النَّوْء، كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركاً بها، وأنشدوا:

ألا هلْ أتى زيدُ بن عبدِ مناءةٍ على الشيء فيما بيننا ابنُ تميم[2]

وقال جرير في اللغة العالية:

أَزَيْدَ مناةَ تُوعِدُ يا ابنَ تَيْمٍ تَبَيَّنَ أَيْنَ تَاهَ بكَ الوعيدُ[3]

قال الضحاك: مناة صنم لهذيل وخزاعة[4].

وقال قتادة: بل كانت للأنصار[5].

قال صاحب الكشاف[6]: سميت بذلك؛ لأن دماء المناسك [كانت][7] تمنى عندها، أي: تُراق.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٥).

(٢) البيت لهوبر الحارثي. انظر: ديوان أبي تمام (٣/ ٣٤٤)، واللسان (مادة: شظي، مني)، والبحر المحيط (٨/ ١٥٩)، والدر المصون (٦/ ٢٠٨)، والقرطبي (١٧/ ١٠٢)، وروح المعاني (٢٧/ ٥٥). ويروى البيت: "الشنء" و "النأي" بدل: "الشيء".

(٣) البيت لجرير. انظر: ديوانه (ص:١٢٦)، والبحر (٨/ ١٥٩)، والدر المصون (٦/ ٢٠٨)، والحجة للفارسي (٤/ ٥).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٢).

(٥) مثل السابق.

(٦) الكشاف (٤/ ٤٢٤).

(٧) زيادة من الكشاف، الموضع السابق. وفي نسخة ب: كأنها. وكتب على الهامش: صوابه: كانت.

قال الثعلبي[١]: العرب لا تقول للثالثة الأخرى، وإنما الأخرى نعتٌ للثانية.

واختلفوا في وجهها؛ فقال الخليل: إنما قال ذلك لوفاق رؤوس الآي، كقوله تعالى: ﴿مآرب أخرى﴾ [طه:١٨] ولم يقل: أُخَر.

وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير، مجازها: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة.

وقال الزمخشري[٢]: "الأخرى" ذم، وهي المتأخرة [الوضيعة][٣] المقدار. ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للاّت والعزى.

قال أبو علي[٤]: التقدير: أفرأيتم جعلكم اللات والعزى ومناة بنات الله، فحذف.

قال ابن السائب[٥]: قال مشركوا قريش: الملائكة والأصنام بنات الله، وكان الرجل منهم إذا بُشِّرَ بالأنثى كره، فقال الله تعالى منكراً عليهم: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزى﴾ جائرة ظالمة، من ضَازَهُ يَضِيزُهُ ويَضُوزُه[٦].

قال صاحب [كشف المشكلات][٧]: أصله: ضُوْزَى، فُعلى نقلت إلى فِعْلى، لا بد من هذا التقدير؛ لأن حمله على فِعْلى كما هو في اللفظ يوجب خروجاً عن

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٤٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٢).

(٢) الكشاف (٤/ ٤٢٤).

(٣) في الأصل: الوضعية. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) لم أقف عليه في الحجة للفارسي.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٣).

(٦) انظر: اللسان (مادة: ضيز).

(٧) كشف المشكلات (٢/ ٣٣٨). وما بين المعكوفين في الأصل: الكشاف. والتصويب من ب.

كلامهم، إذ ليس فِعْلى من أبنية الصفات، إنما جاء فِعْلى في الصفات في حرفين أو ثلاثة.

قال مكي[١]: فلما كُسر أوله انقلبت الواو ياء.

وإن جعلته من: ضَازَ يَضِيزُ، فالياء في "ضيزى" غير منقلبة من واو، بل هي أصلية.

وقرأ ابن كثير: "ضِئْزَى" بالهمز[٢]، من ضَأَزَهُ يَضْأَزُه؛ إذا ظلمه[٣]، قال الشاعر:

ضأزت بنو أسد بحكمهم ... إذ يجعلون الرأس كالذنب[٤]

قال أبو علي[٥]: لا ينبغي أن يكون ابن كثير أراد بضئزى فُعلى؛ لأنه لو أراد ذلك لكان "ضُوزَى"، ولم يرد به أيضاً فِعلى صفة؛ لأن هذا البناء لم يجئ صفة، ولكن ينبغي أن يكون أراد المصدر، مثل: الذكرى، فكأنه قال: قسمةٌ ذات ظلم. فعلى هذا يكون وجه قراءته.

قوله تعالى: ﴿إن هي﴾ يريد: الأصنام، أي: ما هي ﴿إلا أسماء﴾ ليس تحتها في الحقيقة مسميات، ﴿سميتموها﴾ أي: سَمَّيْتُم بها، تقول: سميتُه زيداً وسميتُه بزيد.

---

(١) الكشف (٢/ ٢٩٥).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٥-٦٨٦)، والكشف (٢/ ٢٩٥)، والنشر (١/ ٣٩٥)، والإتحاف (ص:٤٠٣)، والسبعة (ص:٦١٥).

(٣) انظر: اللسان (مادة: ضيز).

(٤) البيت نُسب لامرئ القيس، وليس في ديوانه، وهو في: البحر (٨/ ١٥٢)، والدر المصون (٦/ ٢٠٩)، والقرطبي (١٧/ ١٠٢)، وروح المعاني (٢٧/ ٥٧).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٦).

﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ سبق تفسيره.

﴿إن يتبعون﴾ في عبادتها واعتقاد إلاهيّتها ﴿إلا الظن﴾ أي: الوَهْم ﴿وما تهوى الأنفس﴾ أي: تميل إليه وتشتهيه، ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ البيان الواضح بتحقيق الحق، وإبطال الباطل.

ثم أبطل ما كانوا يعتقدونه من شفاعتها فقال: ﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ هي "أم" المنقطعة، والهمزة للإنكار.

والمعنى: ليس للكافر ما تمنى من شفاعة الآلهة.

وقيل: هو قولهم: ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ [فصلت:٥٠].

وقيل: هو [قول][1] العاص بن وائل: ﴿لأوتين مالاً وولداً﴾ [مريم:٧٧].

وقيل: هو تمني بعضهم أن يكون هو النبي[2].

﴿فلله الآخرة والأولى﴾ أي: هو مالكهما، فهو يتصرف فيهما بالعطاء والمنع، والضر والنفع، وغير ذلك.

﴿وكم من ملك في السموات﴾ مع قربهم مني وعبادتهم إياي وطاعتهم لي ﴿لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله﴾ في الشفاعة ﴿لمن يشاء﴾ الشفاعة له ﴿ويرضى﴾ عنه. وهذه الآية كقوله: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء:٢٨].

فإن قيل: ما وجه الجمع في قوله: "شفاعتهم" واللفظ واحد؟

قلتُ: "كم" هاهنا يراد به الجمع، ولو قيل: "شفاعته" كان جائزاً حملاً على

---

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكر هذه الأقوال الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٤٢٤).

اللفظ.

وقال الأخفش: الملك موحَّد، ومعناه: الجمع، فهو كقوله: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [الحاقة:٤٧].

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة﴾ أي ليسمون كل واحد من الملائكة بنتاً؛ لقولهم: الملائكة بنات الله.

﴿وما لهم به﴾[١] أي: بذلك، أو بقولهم.

وقرأ أبيّ: "بها"[٢].

---

(١) في الأصل زيادة قوله: ﴿من علم﴾. وستأتي بعد.

(٢) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٢١٠)، والكشاف (٤/ ٤٢٥).

﴿من علم﴾ أي: بالتسمية أو بالملائكة.

﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ أي: لا يقوم مقام العلم الموصل إلى إدراك حقيقة الشيء.

قوله تعالى: ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا﴾ منسوخ عند عامة المفسرين بآية السيف[1].

﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ قال الزجاج[2]: إنما يعلمون ما يحتاجون إليه في معايشهم، وقد نبذوا أمر الآخرة.

قال الفراء[3]: صَغَّرَ رأيهم وأزرى بهم، يقول: ذلك قَدْر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة.

﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ وسيجازيهم على ضلالهم واهتدائهم.

وقيل: هو تسكينٌ للنبي ﷺ، فإنه كان شديدَ الحرص على إيمانهم.

المعنى: خفض على نفسك، فإن ربك قد فرغ منهم، وعَلِمَ الضال من المهتدي، وليس عليك إلا البلاغ.

قوله تعالى: ﴿ليجزيَ﴾ متعلق بقوله: ﴿هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٧٠)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٨)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٧٥).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٧٤).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٠٠).

أعلم بمن اهتدى﴾؛ لأن نتيجة العلم بالضال والمهتدي: جزاؤهما، [وما][(١)] بينهما اعتراض. ويجوز أن يكون متعلقاً بقوله: ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ على معنى: له ما فيهما مُلْكاً وخلْقاً، خَلَقَهم ليجزيهم بالعقوبة والمثوبة. والحسنى: الجنة، و"الكبائر" مذكورة في سورة النساء[(٢)].

وقرأ حمزة والكسائي: "كبير الإثم"[(٣)]. قيل: هو النوع الكبير منه، وهو الإشراك بالله.

والفواحش: ما فَحُشَ من الكبائر، كأنه قال: ويجتنبون الفواحش منها خاصة. وقد سبق ذكرها فيما مضى.

﴿إلا اللمم﴾ قال ابن مسعود وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة والشعبي ومسروق وعامة المفسرين: هو صغار الذنوب؛ كالنَّظْرة والقُبْلَة، وما كان دون الزنا[(٤)].

وإلى هذا نظر وضاح اليمن في قوله:

فما نَوَّلَتْ حتى تَضَرَّعْتُ حولَهَا وأقرأتُها ما رخَّص الله في اللمم[(٥)]

ويؤيد هذا المعنى: ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب على ابن آدم حظَّه من الزنا، فزنا العينين: النظر، وزنا اللسان: النطق، والنفس تشتهي

(١) في الأصل: ما. والتصويب من ب.

(٢) عند الآية رقم: ٣١.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٦)، والكشف (٢/ ٢٥٣)، والنشر (٢/ ٣٦٧-٣٦٨)، والإتحاف (ص:٤٠٣)، والسبعة (ص:٦١٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٦).

(٥) انظر البيت في: اللسان وتاج العروس (مادة: نول، لمم)، والأغاني (٦/ ٢٤٠).

وتتمنى، ويصدق ذلك ويكذبه الفرج»[١]. فإن تقدم بفرجه كان الزنا، وإلا فهو اللمم. هذا حديث صحيح.

وقال سعيد بن المسيب: هو ما ألمَّ بالقلب، أي: خَطَرَ[٢].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: هو الرجل يُلِمُّ بالفاحشة، ثم يتوب[٣].

وروى عمرو بن دينار عن عطاء، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «إنْ تغفر اللهم تغفرْ جماً، وأيُّ عبدٍ لكَ لا ألمّا»[٤]. أخرجه الترمذي.

قال الزمخشري[٥]: ولا يخلو قوله: "إلا اللمم" من أن يكون استثناء منقطعاً أو صفة، كقوله: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله﴾ [الأنبياء:٢٢] كأنه قيل: كبائر الإثم والفواحش غير اللمم، وآلهة غير الله.

قوله تعالى: ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ قال ابن عباس: لمن فعل ذلك ثم تاب[٦].

قال أبو وائل: رأى أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل -وهو من أفاضل أصحاب

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٤ ح٥٨٨٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٦ ح٢٦٥٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٦٦)، والحاكم (٢/ ٥١٠ ح٣٧٥٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٨٥)، وشعب الإيمان (٥/ ٣٩٢ ح٧٠٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٥٦) وعزاه لسعيد بن منصور والترمذي وصححه والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٦ ح٣٢٨٤).

(٥) الكشاف (٤/ ٤٢٦).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٦).

عبدالله بن مسعود رضي الله عنه- في المنام، قال: رأيت كأني أدخلت الجنـة، فـإذا قباب مضروبة، فقلت: لمن هذه؟ فقيل: لذي الكلاع وحوشب، وكانا [قُـتلا][١] مع معاوية، فقلت: أين عمار وأصحابه؟ فقالوا: أمامك. قلت: وقد قَتَلَ بعضهم بعضاً، فقال: إنهم لقوا الله فوجدوه واسع المغفرة[٢].

قوله تعالى: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ أي: هو أعلم بالبَرِّ منكم والفاجر، والصالح والطالح، وقت خلق أبيكم آدم من قبضة قبـضها مـن جميـع الأرض، ﴿وإذ أنتم أجنّة في بطون أمهاتكم﴾ جمع: جنين، ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ لا تمدحوها وتشهدوا لها بأنها زاكية طاهرة من المعاصي، ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾.

قال علي عليه السلام: يعني: عمل حسنة وارعوى عن سيئة[٣].

وقال الحسن: أخلص العمل لله[٤].

وكان السبب في نزول هذه الآية: أن ناساً من المسلمين كانوا يقولون: صُـمْنا وصلَّيْنا وغَزَوْنا وفَعَلْنا، يزكون أنفسهم بذلك[٥].

وقيل : إن اليهود كانوا إذا مـات لهـم صـبي قـالوا : صـدّيق ، فنزلـت هـذه الآية[٦].

---

(١) في الأصل: قاتلا. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٣/ ٢٦٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٤٣).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٥٠).

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٥٠) من قول الكلبي ومقاتل.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٨١ ح١٣٦٨).

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿أفرأيت الذي تولى﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أنه الوليد بن المغيرة، وكان قد ركن إلى رسول الله ﷺ، فعيّره بعض المشركين وقال له: تركتَ دين الأشياخ وضللتهم، وزعمت أنهم في النار، وكان ينبغي لك أن تَنْصُرَهُم، فقال: إني خشيت عذاب الله، فضمن له عاتِبه إن هو أعطاه شيئاً من ماله وعاد إلى شركه أن يتحمّل عنه عذاب الله، ففعل، فأعطاه بعض الذي ضمن له، ثم بخل ومنعه تمام ما ضمن له، فأنزل الله هذه الآية. قاله مجاهد وابن زيد(١).

الثاني: أنه النضر بن الحارث، أعطى بعض فقراء المسلمين خمس قلائص حين ارتدَّ عن الإسلام، وضمن له أن يتحمل عنه مأثم رجوعه عن الإسلام. قاله الضحاك(٢).

الثالث: أنه العاص بن وائل السهمي، كان ربما وافق رسولَ الله ﷺ في بعض

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٥٩) وعزاه لابن جرير عن ابن زيد. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٨).

الأمور. قاله السدي[١].

الرابع: أنه أبو جهل، فإنه قال يوماً: والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق. قاله محمد بن كعب القرظي[٢].

ومعنى "تولى": أعرض عن الإيمان.

﴿وأعطى قليلاً وأكدى﴾ قَطَعَ ومَنَعَ، أصله من إكْدَاء الحافر، وهو أن تلقاه كُدْيَة[٣] صخرة أو نحوها، فيمسك عن الحفر، ثم قيل لكل من طلب شيئاً فلم يبلغ آخره، أو أعطى ولم يتمم: أكْدَى.

قال الحطيئة:

فأعْطَى قليلاً ثمَّ أكْدَى بماله ومنْ يبذُلِ المعروفَ في الناس يُحمد[٤]

قال ابن عباس: أطاع قليلاً ثم عصى[٥]. وهو معنى قول مجاهد: أعطى قليلاً من نفسه بالاستماع ثم أكدى بالانقطاع[٦]، ومعنى قول مقاتل[٧]: أعطى قليلاً من الخير بلسانه ثم قطع.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٨).

(٣) الكُدْيَة: قطعة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس (اللسان، مادة: كدا).

(٤) البيت للحطيئة. انظر: البحر (٨/ ١٥٣)، والقرطبي (١٧/ ١١٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧١). وذكره الماوردي (٥/ ٤٠٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٥٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٨).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٢٩٣).

وقال الضحاك: أعطى قليلاً من ماله ثم منع[١].

﴿أعنده علم الغيب﴾ وهو ما غاب عنه من أمر الآخرة ﴿فهو يرى﴾ حاله فيها، وأن ما صنعه نافع له إذا وافاها.

﴿أم﴾ معادلة [لهمزة][٢] الاستفهام، أو منقطعة بمعنى: بل والهمزة ﴿لم ينبأ بما في صحف موسى﴾ يعني: التوراة.

﴿وإبراهيم﴾ أي: وصحف إبراهيم.

وفي حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى أنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف»[٣].

﴿الذي وفى﴾ وقرأ سعيد بن جبير وأبو عمران وابن السميفع: "وَفَى" بالتخفيف[٤]. وقراءة الأكثرين أبلغ في المدح بالوفاء.

أخرج الإمام أحمد من حديث سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفى؛ لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون...﴾ [الروم:١٧] حتى يختم الآية»[٥].

وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ: «أنه قرأ ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ يعني: عمل

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٨).

(٢) في الأصل: همزة. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه ابن حبان (٢/ ٧٧ ح٣٦١).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٧٩)، والدر المصون (٦/ ٢١٢).

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٩).

يومه [أربع][(١)] ركعات كان يصليهن من أول النهار»[(٢)].

وفي حديث نعيم بن همار أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا [ابن آدم][(٣)]! لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفيك آخره»[(٤)].

وقال ابن عباس: وفّى جميع شرائع الإسلام[(٥)].

وقال الحسن: ما أمره الله بشيء إلا وفّى به[(٦)].

ويدخل في هذا قول الضحاك: وفّى شأن المناسك[(٧)].

وقول سفيان بن عيينة: أدّى [الأمانة][(٨)].

وقول الربيع بن أنس: وفّى برؤياه وقام بذبح ابنه[(٩)].

وقال عطاء بن السائب: بلغني: أن إبراهيم عليه السلام كان عاهد الله أن لا يسأل مخلوقاً شيئاً، فلما قُذف في النار قال له جبريل: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك

---

(١) في الأصل: وأربع. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٣)، والديلمي في الفردوس (١/ ١٣٤ ح٤٧١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٠) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والشيرازي في الألقاب والديلمي بسند ضعيف.

(٣) في الأصل: إبراهيم. والتصويب من ب، ومسند أحمد (٥/ ٢٨٦).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (١/ ١٧٧ ح٤٦٨)، وأحمد (٥/ ٢٨٦ ح٢٢٥٢٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٢-٧٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٠).

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٣).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٠).

(٨) في الأصل: أمانة. والتصويب من ب. وذكر هذا القول ابن الجوزي في: زاد المسير (٨/ ٨٠).

(٩) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٢) عن القرظي. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٠) وعزاه لابن جرير عن القرظي.

فلا، فوفّى بما عاهد[١].

وقال مجاهد وعكرمة والنخعي: وفّى ألا تزر وازرة وزر أخرى[٢]، على معنى: وفّى العمل بها، وذلك أنهم كانوا فيما بين نوح وإبراهيم يأخذون الرجل بجريرة أبيه وجريرة ابنه[٣].

قوله تعالى: ﴿أن لا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي: لا تحملُ نفسٌ حاملـةٌ حِمْـل نفس أخرى، ولا تُؤخذ بإثمها.

و"أَنْ" مخففة من الثقيلة، على إضمار الشأن، ومحل "أنْ" ومـا في [حيزهـا][٤]: الجر بدلاً من "ما في صحف موسى"، أو الرفع على معنى: هو أن لا تزر[٥].

قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ أي: وأنه ليس للإنسان إلا مـا سعى.

قال الزجاج[٦]: هذا في صحفهما أيضاً. ومعناه: ليس للإنسان إلا جزاء سعيه، إن عَمِلَ خيراً جُزِيَ عليه خيراً، وإن عَمِلَ شراً جُزي عليه شراً.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٠) وعزاه لابن جرير عـن مجاهـد وعكرمة.

(٣) انظر: الماوردي (٥/ ٤٠٣).

(٤) في الأصل: خبرها. والتصويب من ب.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٨)، والدر المصون (٦/ ٢١٣).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٧٦).

فصل

يروى عن ابن عباس: أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ [الطور:٢١]، فأدخل الأبناء بصلاح الآباء الجنة[١].

وهذا لا يستقيم؛ لأنه يمكن الجمع بين الآيتين.

ولأن هذا خبر، والأخبار لا تنسخ.

فإن قيل: فما وجه الآية، وقد صحت الأخبار بنفع الميت بالصدقة عنه، والحج عنه، ومضاعفة الثواب زائداً على ما يستحقه على عمله، ووصول ثواب القراءة إليه، [على أصل الإمام][٢] أحمد رضي الله عنه[٣]، وكل هذا ليس من سعيه؟

[قلتُ][٤]: قال عكرمة: كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى خاصة، فأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى غيرهم[٥]؛ بخبر سعد حين سأل رسول الله ﷺ: هل لأمي إن تطوَّعت عنها؟ قال: نعم.

وخَبَرَ المرأة التي سألت رسول الله ﷺ فقالت: إن أبي مات ولم يحج؟ فقال:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٤)، والنحاس في ناسخه (ص:٦٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٢) وعزاه لأبي داود والنحاس كلاهما في الناسخ وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه. وانظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٧٠)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٧٥-٤٧٦).

(٢) في الأصل: على إمام. والتصويب من ب.

(٣) انظر: المغني (٢/ ٢٢٥).

(٤) في الأصل: قالت. والتصويب من ب.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨١).

حُجِّي عنه[١].

وقال الربيع بن أنس: المراد بالإنسان هاهنا: [الكافر][٢]، يريد: أنه ليس له من عمل الخير إلا ما سعاه، فيُطْعَم به في الدنيا، حتى يُوافي الآخرة وليس له عمل يُثاب عليه[٣].

وقال الحسين بن الفضل: ليس للإنسان إلا ما سعى من طريق العدل[٤]. فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله تعالى ما يشاء.

وقيل: اللام بمعنى: على، تقديره: ليس على الإنسان إلا ما سعى.

وذكر بعض المتأخرين عن هذه الآية جوابين محررين[٥]:

أحدهما: أن سعي غيره لمّا لم ينفعه إلا مبنياً على سعي نفسه -وهو أن يكون مؤمناً صالحاً- كان سعي غيره كأنه سعي له، لكونه قائماً مقامه، وتابعاً له.

الثاني: أن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه، ولكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه.

قوله تعالى: ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ [أي][٦]: يُرى الإنسان جزاءه.

﴿ثم يجزاه﴾ أي: يجزى سعيه، يقال: جزاه الله تعالى عمله، بحذف الجار وإيصال الفعل، وجزاه على عمله، ﴿الجزاء الأوفى﴾ الأكمل الأتمّ.

---

(١) أخرجه النسائي (٥/ ١١٦ ح٢٦٣٤).

(٢) في الأصل: الكافرين. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٥٣).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨١).

(٥) هو قول الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٤٢٨).

(٦) في الأصل: أن. والتصويب من ب.

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾

﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ أي: منتهى الخلق ومرجعهم.

قال الزجاج[1]: هذا كله في صحف موسى وإبراهيم.

قوله تعالى: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: مرَّ النبي ﷺ على قوم يضحكون فقال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، فنزل جبريل فقال: إن الله يقول: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ فرجع إليهم فقال: ما خطوت أربعين خطوة حتى جاء جبريل فقال: ائت هؤلاء فقل لهم: إن الله تعالى هو أضحك وأبكى[2].

قال مجاهد: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار[3].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٧٦).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٥٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٤١٦-٤١٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٦٣) وعزاه لابن مردويه.

(٣) ذكره الطبري (٢٧/ ٧٤) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٣) عن مجاهد.

وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر[١].

وقيل: أضحك المؤمن في الآخرة، وأبكاه في الدنيا[٢].

وقيل: أضحك الكافر في الدنيا، وأبكاه في الآخرة.

﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ أي: أفنى في الدنيا وأحيا للبعث.

وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء[٣].

وقيل: أمات الكافر بكفره، وأحيا المؤمن بإيمانه. قال الله تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾ [الأنعام:١٢٢].

﴿وأنه خلق الزوجين﴾ أي: الصنفين ﴿الذكر والأنثى﴾ من جميع الحيوانات.

﴿من نطفة إذا تمنى﴾ أي: تُراق في الرَّحم. يقال: مَنَى الرجل وأمْنَى. وهذا المعنى قول الضحاك وعطاء بن أبي رباح وابن السائب[٤].

وقيل: "تُمْنَى": تُخْلَق وتُقَدَّر، من قولهم: ما تدري ما يَمْنِي لك الماني. قاله ابن قتيبة وأبو عبيدة[٥].

﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾ أي: الخلق الآخر يوم البعث.

﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾ أي: أغنى الناس بالأموال وأعطاهم القِنْيَة[٦]، وهي

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٣).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ١١٧) عن محمد بن علي الترمذي.

(٣) ذكره القرطبي (١٧/ ١١٧)، والبغوي (٤/ ٢٥٥).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٣) كلاهما من قول ابن السائب الكلبي.

(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٢٩)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٣٨).

(٦) بكسر القاف وفتحها (اللسان، مادة: قنا).

أصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية.

قال الضحاك: أغناهم بالذهب والفضة، وصنوف الأموال، وأقنى بالإبل والبقر والغنم[١].

وقال الحسن وقتادة: "أقنى": أخدم[٢].

وقال ابن زيد: "أغنى": أكثر، و"أقنى": أقلّ، وتلا: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾[٣] [الرعد:٢٦].

وقال الأخفش: "أقنى": أفقر[٤].

قال[٥] بعض العلماء: إن كان هذا الحرف من الأضداد، وإلا فمعنى "أقنى": أحوج إلى طلب القنية.

والمنقول عن ابن عباس: "أغنى": بالكفاية، و"أقنى": أرضى بما أعطى[٦].

وفي رواية عنه: أقنى بالزيادة[٧].

وقال سفيان: أغنى بالقناعة[٨].

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٦).

(٣) أخرجه الطبري، الموضع السابق.

(٤) ذكره القرطبي (١٧/ ١١٩)، والبغوي (٤/ ٢٥٦).

(٥) في ب: وقال.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٣).

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٥).

(٨) مثل السابق.

وقيل: أغنى نفسه، وأفقر الخلائق إليه[1].

﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ وهو نجم يطلع وراء الجوزاء، يقال له: مِرْزَم الجوزاء، وهما شعريان، يقال لأحدهما: العَبُور[2]، وللأخرى: الغُمَيْصَاء[3]. وأراد هاهنا: العَبُور. وكانت خزاعة تعبدها من دون الله، وكان أول من سنَّ لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له: أبو كبشة.

﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب والمفضل: "عاداً لُّولى" بإدغام التنوين في اللام وطرح الهمزة، ونقل ضمتها إلى لام التعريف. وكان قالون يأتي بهمزة ساكنة بعد اللام في موضع الواو.

وقرأ الباقون من العشرة بكسر التنوين وتحقيق الهمزة[4].

[قال أبو علي[5]: لما حقق الهمزة من][6] "الأولى" سكنت لام المعرفة والتنوين ساكن، فحرّك التنوين لالتقاء الساكنين بالكسر. فأما من أدغم التنوين في اللام فإنه لما خفف الهمزة ألقى حركتها على اللام الساكنة قبلها، فلما ألقى حركتها عليها تحركت، وقبلها نون ساكنة فأدغمها في اللام بعد أن قلبها لاماً.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٦) عن الحضرمي. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٥) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ عن الحضرمي.

(٢) انظر: اللسان (مادة: عبر).

(٣) انظر: اللسان (ماة: غمص).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٧)، والكشف (٢/ ٢٩٦)، والنشر (١/ ٤١٠)، والإتحاف (ص:٤٠٣)، والسبعة (ص:٦١٥).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٩).

(٦) زيادة من ب.

قال ابن سوار صاحب كتاب المستنير: أجمعوا على الوقف على "عادا" بالألف، واختلفوا [في الابتداء][١] بلفظة "الأولى"، فكان أهل المدينة والبصرة والمفضّل يبتدئون: "الأولى" بإثبات الهمزة وضم اللام الأولى.

وروى قالون إلا أبا نشيط كذلك، ويهمز الواو على أصله، الباقون يبتدئون بهمزة مفتوحة وإسكان اللام وبعدها همزة مضمومة. تمّ كلامه.

وقال الزجاج[٢]: فيها ثلاث لغات؛ "الأولى": بسكون اللام وإثبات الهمزة، وهي أجود اللغات.

قال جمهور المفسرين: هم قوم هود، وكان لهم عقب هم عاد الأخرى[٣].

قال قتادة: عاد الآخرة كانت بحضرموت[٤].

وقال كعب الأحبار: قوم هود هم عاد الآخرة، وهم من أولاد عاد الأولى[٥].

﴿وثمود﴾ وهم قوم صالح ﴿فما أبقى﴾ أحداً منهم. وقد ذكرنا قصة هلاكهم في الأعراف[٦]، واختلاف القرّاء في صرف ثمود وعدم صرفه في سورة هود[٧].

﴿وقوم نوح من قبل﴾ أي: وأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، ﴿إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ أشد ظلماً وأعظم طغياناً من غيرهم؛ لفرط عنادهم وعتوهم

---

(١) في الأصل: بالابتداء. والمثبت من ب.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٧٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٤).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٥)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٦٥) وعزاه لابن المنذر عن ابن جريج.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٤).

(٦) عند الآية رقم: ٧٣.

(٧) عند الآية رقم: ٦٨.

على الله تعالى، وتماديهم في غيّهم [وضلالهم][(١)]، مع طول دعوة نوح إياهم، وكثرة أذاهم له.

﴿والمؤتفكة أهوى﴾ أي: وأهلك القرى التي ائتفكت بأهلها، أي: انقلبت بهم، وهي سدوم وأخواتها، قُرى قوم لوط، رفعها الله إلى السماء على جناح جبريل عليه السلام ثم أهواها، أي: أسقطها إلى الأرض، ثم أتبعها بالحجارة، فذلك قوله: ﴿فغشاها ما غشى﴾ أي: ألبسها ما ألبسها من العذاب.

وقوله تعالى: ﴿ما غشى﴾ تعظيم وتفخيم لشأن ذلك العذاب الشديد.

قال المفسرون: عدَّد الله نعماً ونقماً، وسمى الجميع "آلاء"؛ لما في النقمة من نعمة التذكير والزجر عن الحال المفضية إلى العذاب.

ثم قال: ﴿فبأي آلاء ربك﴾ أيها الإنسان.

وقال ابن عباس: الخطاب للوليد بن المغيرة[(٢)].

﴿تتمارى﴾ تتشكَّك.

هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

﴿هذا﴾ إشارة إلى سيد ولد آدم محمد ﷺ ﴿نذير من النذر الأولى﴾ أي: من جماعة النذر الأولى.

---

(١) في الأصل: وضلالتهم. والمثبت من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٤).

وقال قتادة: الإشارة إلى القرآن[(١)].

﴿أزفت الآزفة﴾ أي: قَرُبَت الساعة الموصوفة بالقرب في قوله: ﴿اقتربت الساعة﴾ [القمر:١]، وأمثالها من الآيات.

﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ أي: نفسٌ كاشفة.

وقيل: الهاء للمبالغة؛ كعلاّمة ونسّابة.

والمعنى: لا يكشف أحد عن وقتها إلا الله، كما قال تعالى: ﴿لا يجلّيها لوقتها إلا هو﴾ [الأعراف:١٨٧].

وقال الضحاك وقتادة وعطاء: إذا غشيت [الخلق][(٢)] شدائدها وأهوالها لا يكشفها عنهم أحد ولم يَرُدَّهَا[(٣)].

وقيل: "الكاشفة" مصدر بمعنى: كشف، كالخائنة بمعنى: خيانة.

ثم أنكر عليهم ضحكهم واستهزاءهم وغفلتهم عن مواعظ القرآن وزواجره وحِكَمه فقال تعالى: ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون﴾ إنكاراً. ﴿وتضحكون﴾ استهزاءً ﴿ولا تبكون﴾ خوفاً من وعيده وزواجره.

﴿وأنتم سامدون﴾ ساهون لاهون، يقال: دَعْ عنك سُمُودَك، قال الشاعر:

ألا أيها الإنسان إنك سامد ... كأنك لا تفنى ولا أنت هالك[(٤)]

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٥).

(٢) في الأصل: الحق. والتصويب من ب، وزاد المسير (٨/ ٨٥).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٥).

(٤) انظر البيت في: الدر المصون (٦/ ٢١٩).

وهذا المعنى مروي عن ابن عباس[١].

وروي عنه: سَامِدون: شامخون مستكبرون[٢].

وروي عنه: أن السُّمُود: الغناء[٣].

وقال قتادة: غافلون[٤].

وقال الضحاك: أَشِرُون بَطِرُون[٥].

وقال الحسن: واقفون عن الطاعة[٦].

وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى.

وقال مجاهد: "سامدون": غِضَابٌ مُبرطِمُون، فقيل له: ما [البرطمة][٧]؟ قال: الإعراض[٨].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٨٢)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٧٦ ح١١٧٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٧) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٧). وقوله: "مستكبرون" عن السدي.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٨٢)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٢٣)، وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (ص:٧٣)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٧) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وأبي عبيد في فضائله وغيرهم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٧) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٦).

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ١٢٣) بلفظ: واقفون للصلاة.

(٧) في الأصل: المبرطم. والمثبت من ب.

(٨) أخرجه مجاهد (ص:٦٣٤) بلفظ: قال: البرطمة، وهو العابس الوجه، والطبري (٢٧/ ٨٢) بلفظ: =

أخرج الإمام أحمد بإسناده عن صالح بن الخليل قال: لما نزلت: ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون * وتضحكون ولا تبكون﴾ ما رؤي النبي ﷺ ضاحكاً[(١)].

قوله تعالى: ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ أي: خُصُّوه سبحانه بالسجود والعبادة، ولا تسجدوا لآلهتكم ولا تعبدوها.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثني نصر بن علي[(٢)]، حدثني أبو أحمد[(٣)]، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق[(٤)]، عن الأسود بن يزيد[(٥)]، عن عبد الله بن مسعود قال: «أول سورةٍ أنزلت فيها سجدة: النجم، قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجل رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد قُتل كافراً، وهو

= غضاباً مبرطمين. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(١) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد للإمام أحمد، وقد أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٨٢ ح٣٤٣٥٦)، والثعلبي (٩/ ١٥٨).

(٢) نصر بن علي بن نصر بن علي بن أصبهان الأزدي الجهضمي، أبو عمرو البصري الصغير، ثقة ثبت، طلب للقضاء فامتنع، مات في ربيع الآخر سنة خمسين ومائتين أو بعدها (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٨٤، والتقريب ص:٥٦١).

(٣) محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر بن درهم الأسدي مولاهم، أبو أحمد الزبيري الكوفي، ثقة صدوق، مات بالأهواز سنة ثلاث ومائتين (تهذيب التهذيب ٩/ ٢٢٧، والتقريب ص:٤٨٧).

(٤) هو عمرو بن عبد الله بن عبيد، أبو إسحاق السبيعي. تقدمت ترجمته.

(٥) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الرحمن، مخضرم ثقة مكثر، مات بالكوفة سنة خمس وسبعين (تهذيب التهذيب ١/ ٢٩٩، والتقريب ص:١١١).

أمية بن خلف»[١]. هذا حديث متفق على صحته. أخرجاه من طرق.

وبالإسناد قال محمد بن إسماعيل البخاري: حدثنا أبو معمر[٢]، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون، والجن والإنس»[٣]. هذا حديث صحيح. والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٢ ح٤٥٨٢)، ومسلم (١/ ٤٠٥ ح٥٧٦).

(٢) عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج ميسرة التميمي المنقري مولاهم، أبو معمر المقعد البصري، كان ثقة ثبتاً صدوقاً، رمي بالقدر، مات سنة أربع وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٥/ ٢٩٣، والتقريب ص:٣١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٢ ح٤٥٨١).

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي خمس وخمسون آية[1]. وهي مكية.

واستثنى قوم ثلاث آيات من قوله: ﴿أم يقولون نحن جميع﴾ إلى قوله: ﴿أدهى وأمرّ﴾[2]؛ لما أخبرني به الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا إبراهيم بن موسى[3]، أخبرنا هشام بن يوسف[4]، أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني يوسف بن ماهك قال: «إني عند عائشة أم المؤمنين قالت: لقد نزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية ألعب: ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾»[5]. هذا حديث صحيح.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٣٦).

(٢) وقال السيوطي في الإتقان (١/ ٥٣): استثني منها: ﴿سيهزم الجمع﴾. وقيل: ﴿إن المتقين﴾ الآيتين. وانظر: الماوردي (٥/ ٤٠٨)، وزاد المسير (٨/ ٨٧).

(٣) إبراهيم بن موسى بن يزيد بن زاذان التميمي، أبو إسحاق الرازي الفراء، المعروف بالصغير، ثقة حافظ، مات بعد العشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١٤٨، والتقريب ص:٩٤).

(٤) هشام بن يوسف الصنعاني، أبو عبد الرحمن الأبناوي، قاضي صنعاء، ثقة مأمون، مات سنة سبع وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٥١، والتقريب ص:٥٧٣).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٦ ح٤٥٩٥).

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾

قال الله تعالى: ﴿اقتربت الساعة﴾ أي: دَنَتِ القيامة، ﴿وانشق القمر﴾ أي: وقد انشق، وكذلك هي في قراءة حذيفة بن اليمان(١)، وكان يقول: ألا إن الساعة قد اقتربت، والقمر قد انشق.

وبالإسناد قال البخاري: حدثنا مسدد(٢)، حدثنا يحيى، عن شعبة وسفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه. فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا»(٣).

وبه قال البخاري: حدثنا علي، حدثنا سفيان، حدثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله: «انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ، فصار فرقتين، فقال لنا: اشهدوا اشهدوا»(٤). هذا حديث متفق على صحته، أخرجاه من طرق.

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ١٧١).

(٢) مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مستورد البصري الأسدي، أبو الحسن الحافظ، ثقة صدوق، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٩٨، والتقريب ص:٥٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٣ ح٤٥٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٣ ح٤٥٨٤)، ومسلم (٤/ ٢١٥٨ ح٢٨٠٠).

وقد روى حديث انشقاق القمر جماعة، منهم: عبد الله بن العباس[١]، وعبد الله بن عمر[٢]، وحذيفة[٣]، وجبير بن مطعم[٤]، وأنس بن مالك[٥].

قال ابن مسعود: رأيت فلقتيه[٦].

---

(١) حديث عبدالله بن عباس، أخرجه البخاري (٣/ ١٣٣١ ح٣٤٣٩)، ومسلم (٤/ ٢١٥٩ ح٢٨٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧١) وعزاه للبخاري ومسلم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) حديث عبدالله بن عمر، أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٩ ح٢٨٠١)، والترمذي (٥/ ٣٩٨ ح٣٢٨٨)، والطبري (٢٧/ ٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧١) وعزاه لمسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم والبيهقي وأبي نعيم في الدلائل.

(٣) حديث حذيفة، أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٣٩ ح٣٤٧٩٨)، وعبد الرزاق (٣/ ١٩٣ ح٥٢٨٥)، والطبري (٢٧/ ٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٨١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧٢) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن مردويه وأبي نعيم.

(٤) حديث جبير بن مطعم، أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٨ ح٣٢٨٩)، وأحمد (٤/ ١٨)، والطبري (٢٧/ ٨٦)، والحاكم (٢/ ٥١٣ ح٣٧٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧١) وعزاه لأحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير والحاكم وأبي نعيم والبيهقي.

(٥) حديث أنس بن مالك، أخرجه البخاري (٣/ ١٣٣١ ح٣٤٣٨)، ومسلم (٤/ ٢١٥٩ ح٢٨٠٢)، والترمذي (٥/ ٣٩٧ ح٣٢٨٦)، والحاكم (٢/ ٥١٣ ح٣٧٦١)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٧٦ ح١١٥٥٤)، وأحمد (٣/ ١٦٥ ح١٢٧١١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧٠) وعزاه للبخاري ومسلم وعبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والترمذي وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) أخرجه أحمد (١/ ٤١٣ ح٣٩٢٤)، والحاكم (٢/ ٥١٢ ح٣٧٥٦)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٧٥ ح٩٩٩٧)، والطبري (٢٧/ ٨٥) كلهم بلفظ نحو هذا اللفظ. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧٠) وعزاه لأحمد وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل.

وقال مجاهد: ثبتت فرقة [وذهبت][1] فرقة من وراء الجبل[2].

وقال ابن زيد: كان يُرى نصفه على قعيقعان[3]، والنصف الآخر على أبي قبيس[4].

قال المفسرون: كان انشقاق القمر من معجزات النبي ﷺ وآياته التي اقترحها قومه عليه.

قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقاً فشقّ لنا القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله ﷺ: إن فعلتُ أتؤمنون؟ قالوا: نعم. فسأل ربه أن يعطيَه ما سألوا، فانشق القمر فرقتين، ورسول الله ﷺ ينادي: يا فلان يا فلان اشهدوا، وذلك بمكة قبل الهجرة[5].

وعلى هذا القول عامة المفسرين.

---

(١) في الأصل: وذبت. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٨٧).

(٣) قعيقعان: جبل بمكة يشرف على المسجد الحرام من جهة الشمال، والشمال الغربي، ويعرف بأسماء عدة، فالجزء المشرف على المعلاة يسمى بجبل العبادي، وجبل السليمانية، أما الجزء الجنوبي المتصل بالفلق فيسمى بجبل هندي وطرفه المشرف على حارة الباب بريع الرسام. ومن هذه الأسماء جبل القرارة، وجبل فلفلة من جهة الشامية، وكل هذه الأجزاء تمثل جبل قعيقعان (معالم مكة التاريخية ص:٢٢٣).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٨).

وأبو قبيس هو: الجبل المشرف على الكعبة المشرفة من مطلع الشمس، وكان يزحم السيل فيدفعه إلى المسجد الحرام، فنُحِتَ منه الكثير وشق بينه وبين المسجد الحرام طريقاً للسيل وطريقاً للسيارات، وهو مكسو بالبنيان (معجم معالم الحجاز ٧/ ٨٩).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠٦).

وشذَّ قوم فقالوا: المعنى: سينشق القمر. وليس هذا القول بشيء؛ لمصادمته الأحاديث، والآثار الصحيحة، وإجماع العلماء، والآية التي بعد هذه الآية، وما تشتمل عليه من نسبتهم السحر إليه. هذا مع ما فيه من مخالفة مدلول اللفظ، فإنه فعل ماض، فَصَرْفُهُ إلى المستقبل يفتقر إلى دليل صارف له عن موضوعه الأصلي.

ومعنى الآية: اقتربت الساعة وقد حصل من أمارات اقترابها انشقاق القمر، الدالّ على رسالة النبي محمد ﷺ، المبعوث في آخر الزمان.

قوله تعالى ﴿سحر مستمر﴾ قال مجاهد وقتادة: ذاهبٌ[١]، من قولهم: مَرَّ الشيء واستمرّ: إذا ذهب[٢]. أي: هذا سحر، والسحر يذهب ولا يثبت. وهذا اختيار الكسائي والفراء[٣].

وقال أبو العالية والضحاك: "مستمر" أي: شديد قوي محكم[٤].

قال ابن قتيبة[٥]: هو مأخوذ من المِرَّة، والمِرَّة: الفَتْل[٦].

وقيل: سحر دائم مطّرد. قالوا ذلك حين رأوا تتابع معجزاته وتواصل آياته.

قوله تعالى: ﴿وكلُّ أمر مستقر﴾ أي: كل أمر، [فهو][٧] صائرٌ إلى غاية يستقر

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٦٣٥)، والطبري (٢٧/ ٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧٣) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد.

(٢) انظر: اللسان (مادة: مرر).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٠٤).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ١٢٧).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤٣١).

(٦) انظر: اللسان، مادة: (مرر).

(٧) في الأصل: هو. والتصويب من ب.

عليها، وسيصير أمر محمد ﷺ إلى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل، وستظهر لهم عاقبته.

وقيل: وكل أمر من أمر محمد ﷺ، وأمرهم يستقر على حالة خذلان ونصر وشقاء وسعادة.

قال قتادة: الخير يستقر بأهل الخير، والشر بأهل الشر[١].

وقرأتُ لأبي جعفر: "مستقرٍ" بالجر[٢]، عطفاً على "الساعة"، على معنى: اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر.

ويروى عن نافع فتح القاف[٣]، على معنى: ذو مستقر، أي: ذو موضع استقرار أو زمان استقرار.

﴿ولقد جاءهم﴾ أي: أتاهم من أنباء الأمم المكذبة الماضية وأخبار هلاكهم في القرآن ﴿ما فيه مزدجر﴾ ازدجار أو موضع ازدجار، فهو مصدر بمعنى: ما فيه نهي وعظة. والأصل فيه: مزتجر، ولكن التاء إذا وقعت بعد الزاي أبدلت دالاً، نحو: مَزْدَان.

﴿حكمة بالغة﴾ بدل من "ما"، أو خبر مبتدأ محذوف[٤]، تقديره: هو حكمة تامة قد بلغت الغاية، ﴿فما تُغْنِ النُّذر﴾ استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ، كقوله:

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير.

(٢) النشر (٢/ ٣٨٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٤).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٧٢)، والدر المصون (٦/ ٢٢١). قال أبو حاتم: لا وجه لفتح القاف.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٩)، والدر المصون (٦/ ٢٢٢).

﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ [يونس:١٠١].

وجائز أن تكون "ما" نافية، أي: لا تغني النذر عنهم شيئاً.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝﴾

﴿فتولَّ عنهم﴾ أعرض عن إنذارهم، وهو منسوخ بآية السيف عند عامة المفسرين[(١)]، وهاهنا تم الكلام.

قوله تعالى: ﴿يوم يدعُ الداعي﴾ منصوب بقوله: ﴿يخرجون﴾ المعنى: يخرجون من قبورهم في ذلك اليوم، أو بإضمار "اذكر"، أي: اذكر يوم يدعو الداعي، وهو إسرافيل يوم ينفخ النفخة الثانية.

وأبو عمرو وأبو جعفر والبزي ووَرْش وإسماعيل يثبتون الياء في "الداعي" في الوصل، زاد يعقوب إثباتها في الحالين، وحذفها الباقون في الحالين، اكتفاء بالكسرة عنها[(٢)].

﴿إلى شيء نكر﴾ وقرأ ابن كثير: "نكْر" بسكون الكاف[(٣)].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٧١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٧٧).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٩-٦٩٠)، والكشف (٢/ ٢٩٨)، والنشر (٢/ ٣٨٠)، والإتحاف (ص:٤٠٤)، والسبعة (ص:٦١٧).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٨)، والكشف (٢/ ٢٩٧)، والنشر (٢/ ٢١٦)، والإتحاف (ص:٤٠٤)، والسبعة (ص:٦١٧).

وقال أبو علي[١]: ضم الكاف هو الأصل؛ لأن الكلمة على فُعُل؛ كرُسُل، نحو: عُنُق ورُسُل. ومن أسكن الكاف حذف الضمة استخفافاً، وهي في تقدير الثبات.

والمعنى: يوم يدعو الداعي إلى أمر فظيع منكر لم يُر مثله.

قرأ أهل العراق إلا عاصماً: "خاشِعاً" بالألف وكسر الشين وتخفيفها. وقرأ الباقون من العشرة: بغير ألف وفتح الشين وتشديدها[٢].

وخشوع أبصارهم كناية عن ذلّهم. والنصب على الحال[٣]، على معنى: يخرجون خشعاً.

قال الزجاج[٤]: لك في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة: التوحيد، نحو: خاشعاً أبصارهم، [ولك][٥] التوحيد والتأنيث لتأنيث الجماعة، نحو: ﴿خاشعة أبصارهم﴾ [القلم:٤٣]، ولك الجمع نحو: ﴿خشعاً أبصارهم﴾، تقول: مررت بشبان حَسَنٍ [أوجههم][٦] وحِسَانٍ أوجههم، وحَسَنَةٍ أوجههم. قال الشاعر:

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١١).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٨)، والكشف (٢/ ٢٩٧)، والنشر (٢/ ٣٨٠)، والإتحاف (ص:٤٠٤)، والسبعة (ص:٦١٧-٦١٨).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٩)، والدر المصون (٦/ ٢٢٤).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٨٦).

(٥) في الأصل: وذلك. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ٨٦).

(٦) في الأصل: وجههم. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

وَشَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ مِنْ إيادِ بن نزار بن معد[(١)]

وقال أبو علي[(٢)]: من قرأ "خاشعاً" فوجهه: أنه فعل متقدِّم، فكما أنه لم تلحقه علامة التأنيث لم يُجمع، وحَسُن أن لا يؤنث؛ لأن تأنيث فاعله ليس بحقيقي.

ومن قرأ "خُشَّعاً" فقد أثبت ما يدل على الجمع، وهو على لفظ الإفراد، ودلَّ الجمع على ما يدلُّ عليه التأنيث الذي ثبت في نحو قوله تعالى: ﴿خاشعة أبصارهم﴾ [القلم:٤٣]، فلذلك ترجَّحَ قولهم: مررت برجلٍ حِسَانٍ قومُه، على قولهم: مررت [برجلٍ][(٣)] حَسَنٍ قومه؛ لأن حِسَاناً [قد][(٤)] حصل فيه ما يدل على الجمع، والجمع كالتأنيث في باب أنه يدل عليه.

وقرأ ابن مسعود: "خاشعة"[(٥)].

قوله تعالى: ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ الجراد مَثَلٌ في الكثرة. والمعنى: يخرجون من قبورهم عند النفخة الثانية، كأنهم في كثرتهم واضطرابهم وتموجهم جراد مُنبثّ في كل مكان، ليست له جهة يقصدها.

﴿مهطعين﴾ مذكور في إبراهيم[(٦)]، يريد: مسرعين، مادّي أعناقهم إلى صوت

---

(١) البيت لأبي داود الإيادي. وهو في: اللسان (مادة: خشع)، والطبري (٢٧/ ٩٠)، والقرطبي (١٧/ ١٢٩)، وزاد المسير (٨/ ٩١)، والبحر (٨/ ١٧٣) وفيه: "ورجال" بدل: "وشباب"، والدر المصون (٦/ ٢٢٣).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١١-١٢).

(٣) زيادة من ب، والحجة للفارسي (٤/ ١٢).

(٤) مثل السابق.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٩٠)، والدر المصون (٦/ ٢٢٣).

(٦) عند الآية رقم: ٤٣.

الداعي إسرافيل.

﴿يقول الكافرون﴾ لما لابسهم من أهوال القيامة وشدائدها ﴿هذا يوم عسر﴾ صعب شديد.

قال ابن عباس: عسر على الكافرين، سهل يسير على المؤمنين، كقوله: ﴿يوم عسير * على الكافرين غير يسير﴾[1] [المدثر:٩-١٠].

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم﴾ أي: كذبت قبل أهل مكة ﴿قوم نوح﴾ قال صاحب الكشاف[2]: إن قلت: ما معنى قوله: ﴿فكذبوا﴾ بعد قوله: ﴿كذبت﴾؟

قلتُ: معناه: كذبوا فكذبوا عبدنا، أي: كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن [مُكذّب][3] تبعه قرن مُكذّب. أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا، أي: لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة: كذبوا نوحاً؛ لأنه من جملة

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠٨).

(٢) الكشاف (٤/ ٤٣٤).

(٣) في الأصل: كذب. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

الرسل.

﴿وقالوا مجنون﴾ أي: هو مجنون ﴿وازدجر﴾.

قال المفسرون: زجروه عن دعوته بالشتم والوعيد[١].

﴿فدعا ربه أني مغلوب﴾ أي: بأنّي.

وقرأ [عيسى][٢] بن عمر: "إني" بكسر الهمزة[٣]، على إرادة القول، أو لتضمُّن الدعاء معنى القول.

﴿ففتحنا﴾ وشدّد التاء ابن عامر[٤].

قال علي عليه السلام: إن أبواب السماء فُتحت بالماء من المجرّة، وهي شَرْجُ السماء[٥].

﴿أبواب السماء بماء منهمر﴾ مُنْصَبٌّ بسرعة في كثرة.

﴿وفجَّرنا الأرض عيوناً﴾ تقديره: بعيون، فحذف الجار، وإن شئت كان "عيوناً": تمييزاً، أو حالاً، وإن شئت كان التقدير: وفجرنا من الأرض عيوناً[٦].

---

(١) ذكره الطبري (٢٧/ ٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٩٢).

(٢) في الأصل: موسى. والتصويب من ب. وانظر: زاد المسير (٨/ ٩٢).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٩٢)، والدر المصون (٦/ ٢٢٥).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٩)، والكشف (٢/ ٢٩٧)، والنشر (٢/ ٢٥٨)، والإتحاف (ص:٤٠٤)، والسبعة (ص:٦١٨). .

(٥) أخرجه البخاري في الأدب (ص:٢٦٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٩٧-١٢٩٨ ح٧٩٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٠). وذكره الماوردي (٥/ ٤١٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٧٥) وعزاه للبخاري في الأدب وابن أبي حاتم.

(٦) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٢٦).

قال المفسرون: جاءهم الماء من فوقهم أربعين يوماً، وفجرت الأرض من تحتهم أربعين يوماً[١].

﴿فالتقى الماء﴾ النازل من السماء والنابع من الأرض.

وقرأ أبي بن كعب وأبو رجاء وعاصم الجحدري: "الماءان"[٢]، أي: النوعان من الماء؛ السمائي، والأرضي.

وقرأ ابن مسعود: "المايان" بقلب الهمزة ياء[٣].

وقرأ الحسن: "الماوان" بقلب الهمزة واواً[٤]، كقولهم: علباوان.

﴿على أمر قد قُدِر﴾ أي: قضي عليهم.

وقال مقاتل[٥]: قدّر الله أن يكون [الماءان][٦] سواء، فكانا على قَدَر.

﴿وحملناه﴾ يعني: نوحاً ﴿على﴾ سفينة ﴿ذات ألواح ودُسُر﴾. قال الزجاج[٧]: الدُّسُر: المسامير والشُّرط التي تُشدُّ بها الألواح، وكل شيء كان نحو السَّمْر، أو إدخال شيء في شيء بقوّة وشِدّة فهو الدَّسْر، يقال: دَسَرْتُ المسمار أَدْسُرُهُ دَسْراً[٨]. والدُّسُرُ: واحدها: دِسَار، نحو: حِمَار وحُمُر.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٩٢).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٩٢)، والدر المصون (٦/ ٢٢٦).

(٣) مثل السابق.

(٤) مثل السابق.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٢٩٧).

(٦) في الأصل: الماء. والتصويب من ب.

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٨٧-٨٨).

(٨) انظر: اللسان (مادة: دسر).

وقال عكرمة: الدُّسر: صدر السفينة الذي يَدْسُرُه الموج[١].

﴿تجري بأعيننا﴾ أي: بمرأى منا.

وقال الضحاك: بأمرنا[٢].

وقيل: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها[٣].

والأول أصح.

﴿جزاء﴾ مفعول له، أي: فعلنا ذلك جزاء[٤] ﴿لمن كان كُفِر﴾ وهو نوح عليه السلام، على معنى: مكافأة لنوح حين كفر به قومه، وأفرطوا في أذاه، فصبر عليهم.

وقال السدي: جزاء لتكذيبهم نوحاً[٥].

قال ابن جني[٦]: تأويله: جزاء لهم لكفرهم بنوح. واللام الأولى التي هي مفعول بها محذوفة، واللام الثانية الظاهرة في قوله: ﴿لمن كان كفر﴾ [لام المفعول له. وهناك مضاف محذوف، أي: جزاء لهم، لكفر من كُفِر][٧]، أي: لكفرهم بمن كفروا به.

وقرأ جماعة؛ منهم: مجاهد وقتادة: "كَفَر" بفتح الكاف والفاء[٨]، على معنى:

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤١٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٧٦) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٢٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٩)، والدر المصون (٦/ ٢٢٧).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٤١٣).

(٦) المحتسب (٢/ ٢٩٨).

(٧) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٨) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٩٤)، والدر المصون (٦/ ٢٢٧).

جزاءً للكافرين.

﴿ولقد تركناها﴾[١] يعني: الفعلة [أو السفينة][٢] ﴿آية﴾ يعتبر بها.

قال قتادة: أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة دهراً طويلاً، حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة[٣].

وقد ذكرنا ذلك وقصة هلاكهم[٤] وكيفية عمل السفينة في سورة هود[٥].

﴿فهل من مُدَّكر﴾ مُتَّعِظٌ مُعتبر.

وقرئ: "مُذْتَكِر" على الأصل[٦].

قال الزجاج[٧]: أصله: مُذْتَكِر، بالذال والتاء، ولكن التاء أبدل منها الدال، والذال من موضع التاء، وهي أشبه بالذال[٨] من التاء، وأدغمت الذال في الدال. وقد قال بعض العرب: "مُذَّكِر" بالذال المعجمة، فأدغم التاء في الأول. وهذا ليس بالوجه، [إنما][٩] الوجه: إدغام الأولى في التاء.

---

(١) في الأصل: والتقدير كناها. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: والسفينة. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) في ب: إهلاكهم.

(٥) عند الآية رقم: ٢٥-٤٤.

(٦) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٢٢٧)، والكشاف (٤/ ٤٣٦).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٨٨).

(٨) في معاني الزجاج: بالدال.

(٩) زيادة من معاني الزجاج (٥/ ٨٨).

قال قتادة: هل من طالب خير فَيُعان عليه[١].

﴿فكيف كان عذابي﴾ استفهام بمعنى التعظيم والتفخيم لذلك العذاب الشديد، والتخويف [لكفار][٢] قريش[٣].

قرأ يعقوب: "ونذري" بإثبات الياء في الحالين، في المواضع الستة في هذه السورة، وافقه في الوصل وَرْش عن نافع. وقرأ الباقون بحذفها في الحالين[٤].

قال ابن قتيبة[٥]: النُّذُر هاهنا: جمع نذير، وهو بمعنى الإنذار.

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ أي: سَهَّلناه للحفظ والتلاوة، على ذوي الألسنة المختلفة، حتى إن الأعجمي والعجمي يُشارك الفصيح والعربي في تلاوته وحفظه، إعانة للمتذكرين، وتيسيراً لطريق [الوصول][٦] إلى الاتعاظ به.

قال سعيد بن جبير: ليس كِتابٌ من كُتب الله تعالى يُقرأ كله [ظاهراً][٧] إلا القرآن[٨].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٩٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٧٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) في الأصل: لكافر. والمثبت من ب.

(٣) في ب: مكة.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٠)، والكشف (٢/ ٢٩٨)، والنشر (٢/ ٣٨٠)، والإتحاف (ص:٤٠٤)، والسبعة (ص:٦١٨).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤٣٢).

(٦) في الأصل: الموصل. والمثبت من ب.

(٧) في الأصل: طاهراً. والتصويب من ب.

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٩٥).

وقيل: يسرناه [للادّكار][١] والاتعاظ بما أودعناه من [المواعظ][٢] الشافية، وصرفنا فيه من الوعيد.

﴿فهل من مدكر﴾ ذاكر يذكره، وقارئ يقرأه.

ومعنى ذلك: الحث على تعلّم القرآن وتدبر مواعظه.

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾

وقد سبق تفسير "الصَّرْصَر" في حم السجدة[٣].

قوله تعالى: ﴿في يوم نحس مستمر﴾ أي: شُؤْمٍ دائم.

وقرأ الحسن: "يومٍ" بالتنوين[٤]، كقوله: ﴿في أيام نحسات﴾ [فصلت:١٦].

قال ابن عباس: كانوا يتشاءمون بذلك اليوم[٥].

قال الزجاج[٦]: قيل: في يوم الأربعاء في آخر الشهر.

﴿تنزع الناس﴾ تقلعهم من الأرض وقد تماسكوا ودخل بعضهم في بعض، واعتصم بعضهم بالشعاب والحفائر، فتنزعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم، فتدقّ

---

(١) في الأصل: للاذتكار. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: الموعظ. والتصويب من ب.

(٣) سورة فصلت، عند الآية رقم: ١٦.

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٩٥).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٨٩).

رقابهم، ﴿كأنهم﴾ وقد بانت رؤوسهم عن أجسادهم، أو مَالَتْ على أكتافهم، صرعى على الأرض، وهم جُثث طوال عظام ﴿أعجاز نخل﴾ قطعت فروعها ﴿منقعر﴾ منقلع عن مغارسها.

والأعْجَاز: جمع عَجُز، وهو مؤخر الشيء[١].

وقرأ أبي بن كعب: "أَعْجُز" بضم الجيم من غير ألف بعد الجيم[٢].

وقرأ ابن مسعود وأبو مجلز وأبو عمران: "عُجُز" بضم العين والجيم من غير ألف قبل العين وبعد الجيم[٣].

قال الفراء[٤]: المنقعر: المُنْصَرِع من النخل.

قال ابن قتيبة[٥]: يقال: قَعَرْتُهُ فانقعَرَ، أي: قلعته فسقط.

قال أبو عبيدة[٦]: والنخل يذكر ويؤنث. فهذه الآية على لغة من ذَكَّر. وقوله: ﴿أعجاز نخل خاوية﴾ [الحاقة:٨] على لغة من أنَّث.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

---

(١) انظر: اللسان (مادة: عجز).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٩٥)، والدر المصون (٦/ ٢٢٨).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير، الموضع السابق.

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٠٨).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤٣٣).

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٤١).

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ أي: بالرسل.

وقد ذكرنا فيما مضى أن المكذِّب لرسول واحد مكذِّب لجميع الرسل.

وقيل: النذر بمعنى [الإنذار. والمعنى][1]: كذبت ثمود [بالإنذار][2] الذي جاءهم به صالح.

﴿فقالوا أبشراً منا﴾ منصوب بفعل مضمر، يفسره ما بعده [وهو: ﴿نتَّبِعُه﴾][3].

وقرأ أبو [السمّال][4] العدوي: "أَبَشَرٌ" بالرفع، "واحِدَاً" بالنصب[5].

قال أبو الفتح[6]: "بَشَرٌ" عندي مرتفع بفعل يدل عليه قوله تعالى: ﴿أألقي الذكر عليه من بيننا﴾ كأنه قال: أَيُنَبَّأ، أو أَيُبعث بَشَر منا.

---

(١) في الأصل: الإذار والعنى. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: بالإذار. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: ونتبعه. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: السماك. والتصويب من ب.

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٧٨)، والدر المصون (٦/ ٢٢٩).

(٦) المحتسب (٢/ ٢٩٨-٢٩٩).

وأما انتصاب "واحداً"؛ فإن شئت جعلته حالاً من الضمير في ["مِنَّا"[١] أي: أَبَشَرٌ كائن مِنَّا؟ والناصب لهذه الحال الظرف، كقولك: زيد في الدار جالساً.

وإن شئت جعلته حالاً من الضمير في][٢] قوله: "نَتَّبِعه"[٣]، أي: نتبعه واحداً منفرداً لا ناصر له.

وقال الزمخشري[٤]: قرئ: "أبشرٌ منا واحدٌ" على الابتداء، و"نتبعه" خبره.

فإن قيل: ما مرادهم بقولهم: "منا"؟

قلتُ: الذي يظهر لي: أنهم أرادوا انتظامه معهم في سلك المساواة في البشرية والقبيلة، كأنهم قالوا: نتبع بشراً، ثم مع كونه بشراً هو رجل منا لا امتياز له علينا بوجه من الوجوه.

وقَلَّ أن ترى مثل هذا التدقيق والتحقيق في تفسير، فإذا قرأته فادْعُ بالرحمة والمغفرة لمن أسهَر فيه ناظره، وأتعب في استثماره خاطره.

واعلم أنني بعد ذلك رأيت بعض نَحارِير[٥] العلماء قد ألمّ بهذا المعنى، فحمدتُ الله على مماثلته في التوفيق، [لإصابة][٦] جهة التحقيق.

﴿إنا إذاً﴾ إن فعلنا ذلك ﴿لفي ضلال﴾ عن الصواب ﴿وسُعُر﴾ أي: جنون.

---

(١) أي الضمير المستقر في متعلقه.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من المحتسب (٢/ ٢٩٨-٢٩٩).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٠)، والدر المصون (٦/ ٢٢٩).

(٤) الكشاف (٤/ ٤٣٧).

(٥) النحارير: جمع نحرير، وهو الرجل الفَطِن المُتقن البصير في كل شيء، أو الحاذق الماهر العاقل المجرِّب (اللسان، مادة: نحر).

(٦) في الأصل: والإصابة. والتصويب من ب.

قال الفراء[١]: يقال: نَاقَةٌ مسعورةٌ؛ إذا كانت خفيفة الرأس، هائمةً على وجهها[٢].

قال الشاعر يصف ناقته:

تَخَالُ بها [سُعْراً][٣] إذا العيسُ هزَّها ذميلٌ [وإيضاعٌ من السَّيْرِ][٤] مُتْعِبُ[٥]

العِيس: الإبل البيض وفي بياضها ظُلمة خفيفة[٦]. يريد: تَخَالُ بها من شدة نشاطها وسرعة مشيها[٧] جُنوناً. وهذا التفسير منقول عن ابن عباس وكثير من المفسرين[٨].

وقيل: السُّعُر: وقود النار[٩].

ثم في تأويل ذلك وجهان:

أحدهما: أنه كقول من وقع في [خَطْبٍ][١٠] عظيم وعذاب أليم: أنا في النار،

---

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظره في: تفسير البغوي (٤/ ٢٦٢).

(٢) انظر: اللسان (مادة: سعر).

(٣) زيادة من ب، ومن مصادر البيت.

(٤) في الأصل: وإيضاح من السر. والمثبت من ب، ومصادر البيت. والإيضاع: سيرٌ مثل الخَبَب (اللسان، مادة: وضع).

(٥) البيت لم أعرف قائله، وهو في: البحر (٨/ ١٧٨)، والدر المصون (٦/ ٢٢٩)، والكشاف (٤/ ٤٣٧)، والقرطبي (١٧/ ١٣٨)، وروح المعاني (٢٧/ ٨٨).

(٦) انظر: اللسان (مادة: عيس).

(٧) في ب: سيرها.

(٨) انظر: القرطبي (١٧/ ١٣٨).

(٩) انظر: اللسان (مادة: سعر).

(١٠) في الأصل: خصب. والتصويب من ب.

يريد: تشبيه حاله في الألم بحال من يُعذّب بالنار ويحرق بها.

الثاني: أنهم عكسوا على صالح ما كان يتوعدهم به إن لم يتبعوه من نار جهنم، فقالوا على طريقة الفَرَض والتقدير: إن اتبعناك كنا إذاً في ضلال وسُعُر.

ثم أنكروا اختصاصه من بينهم بالنبوة والرسالة فقالوا: ﴿أألقي الذكر﴾ أي: أنزل ﴿عليه﴾ الوحي ﴿من بيننا بل هو كذابٌ أشِر﴾ بَطِرٌ متكبّر، حمله كبره على الكذب في [ادعاء][1] النبوة ليتعظَّم علينا بها.

وقرأ مجاهد: "أَشُر" بضم الشين[2]، وهما لغتان، مثل: حَذِر وحَذُر، ويَقِظ ويَقُظ، وعَجِل وعَجُل.

﴿سيعلمون غداً﴾ وقرأ ابن عامر وحمزة: ["ستعلمون"][3] بالتاء[4]، على معنى: قيل لهم ستعلمون غداً عند نزول العذاب بكم أو يوم القيامة ﴿من الكذاب الأشِر﴾.

وقرأ أبو قلابة: "الأَشَرُّ" بفتح الشين وتشديد الراء[5].

والصحيح: ما عليه عامة القرّاء؛ لثلاثة أوجه:

أحدها: أنها نُقلت بطريق التواتر الذي لا يثبت كونه قرآناً إلا به.

الثاني: أنه رام عكس قولهم عليهم، وهم إنما نسبوه إلى الأشَر لا إلى الشَّرَارة.

---

(١) في الأصل: الدعاية. والتصويب من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٧٩)، والدر المصون (٦/ ٢٣٠).

(٣) في الأصل: وستعلمون. والتصويب من ب.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٩)، والكشف (٢/ ٢٩٧)، والنشر (٢/ ٣٨٠)، والإتحاف (ص:٤٠٥)، والسبعة (ص:٦١٨).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٧٩)، والدر المصون (٦/ ٢٣٠).

الثالث: أنه وإن كان أصل قولهم هو شر منه، لكنه أصل مرفوض.

وقد حكى ابن الأنباري أن العرب تقول: هو أخْيَر وأشَرّ، وما أخيَرَه وما أشرّه[١].

قوله تعالى: ﴿إنا مرسلو الناقة فتنة لهم﴾ أي: باعثوها ومخرجوها على حسب ما اقترحوا من الصخرة ابتلاء وامتحاناً لهم، ﴿فارتقبهم﴾ انتظر ما هم صانعون ﴿واصطبر﴾ على أذاهم، منتظراً أمري فيهم وحكمي عليهم.

﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم﴾ لهم شِرْبٌ وللناقة شِرْبٌ. وإنما قال "بينهم": تغليباً للعقلاء.

﴿كل شرب محتضر﴾ محضور إما لهم أو للناقة.

﴿فنادوا صاحبهم﴾ قدَّار بن سالف ﴿فتعاطى﴾ عقر الناقة ﴿فعقر﴾ فبلغ ما أراد، أو فتعاطى السيف فعقر الناقة.

و"المحتظِر": الذي يعمل الحَظِيرة يمتنع بها، من [الحَظْر][٢]، وهو المنع[٣].

قال ابن عباس: هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك ودَاسَتْهُ الغنم فهو الهَشِيم[٤].

قال الزجاج[٥]: الهَشِيم: ما يَبِسَ من الورق وتكسّر وتحطّم.

---

(١) انظر قول الأنباري في: البحر المحيط (٨/ ١٧٩).

(٢) في الأصل: الظر. والتصويب من ب.

(٣) انظر: اللسان (مادة: حظر).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٩٨).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٩٠).

وقرأ الحسن: "المحتَظَر" بفتح الظاء[١]، وهو موضع الاحتظار، أي: كهشيم المكان الذي فيه الحظيرة.

وقد ذكرنا قصتهم في موضعها[٢].

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصباً﴾ قال ابن عباس: يريد: ما حُصبوا به من الحجارة من السماء[٣].

قال أبو عبيدة والنضر[٤]: الحاصب: الحجارة في الريح.

وقد ذكرنا ذلك في بني إسرائيل عند قوله: ﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾ [الإسراء:٦٨].

قوله تعالى: ﴿نجيناهم بسَحَر﴾ قال الأخفش: إنما أجراه؛ لأنه نكرة، ومجازه:

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٥).

(٢) وذلك في تفسير سورة الأعراف عند الآية رقم: ٧٣.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤١٧) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٤/ ٢١١).

(٤) ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٢٤١)، والماوردي (٥/ ٤١٨) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٤/ ٢١١).

بسحر من الأسحار، ولو أراد سحراً بعينه لقال: بسحر، غير مجرى، ونظيره قوله تعالى: ﴿اهبطوا مصراً﴾[١] [البقرة:٦١].

﴿نعمةً من عندنا﴾ مفعول له[٢]، أي: نجيناهم للإنعام عليهم، ﴿كذلك نجزي من شكر﴾ [أنعُمَنا][٣] فَوَحَّد وأطاع.

﴿ولقد أنذرهم﴾ لوط قبل حلول العذاب بهم ﴿بطشتنا﴾ أخْذَنا إياهم بالعقوبة ﴿فتماروا بالنذر﴾ وكذبوا بالإنذار متشاككين فيه.

﴿ولقد راودوه عن ضيفه﴾ مثل قوله: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ [يوسف:٢٣].

﴿فطمسنا أعينهم﴾ مسحناها وجعلناها كسائر الوجه، على ما ذكرناه في سورة هود[٤]. وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين[٥].

وقال الضحاك: أُخفوا عن أبصارهم حتى لم يروهم مع بقاء أعينهم[٦].

﴿فذوقوا﴾ على إضمار القول، تقديره: فقلنا لهم على ألسنة الملائكة ﴿ذوقوا عذابي ونذري﴾ ما أنذركم به لوط من العذاب، سمى العذاب باسم الإنذار.

﴿ولقد صبّحهم بكرة﴾ أول النهار، وأراد بُكْرة: من البُكَر، فلذلك صُرِفَت ﴿عذاب مستقر﴾ دائم إلى أن يُفضي بهم إلى عذاب الآخرة.

---

(١) انظر قول الأخفش في: القرطبي (١٧/ ١٤٣).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٠)، والدر المصون (٦/ ٢٣١).

(٣) في الأصل: أنعامنا. والتصويب من ب.

(٤) عند الآية رقم: ٨١.

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٠٥). وذكره الماوردي (٥/ ٤١٨).

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٤١٨).

وما [كرّره][1] في هذه السورة في آخر كل قصة ففائدته: قرع [الأسماع][2] بالزواجر والمواعظ، وإيقاظ البصائر من رقدة الغفلة عن هذا النبأ العظيم، [والخَطْب][3] الجسيم.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ وهم موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء، [لأنهما][4] عَرَضا عليه ما جاءت به النُّذُر من قبلهما.

وقيل: النُّذُر: جمع نذير، إما بمعنى الإنذار، وإما لأن كل آية من الآيات التسع نذير.

﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ يعني: الآيات التسع. وقد ذكرناها في بني إسرائيل[5].

﴿فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾ لا يُغالَب مقتدر على ما يريد.

﴿أكفاركم﴾ يا أهل مكة ﴿خير﴾ أقوى وأشد، أو بمعنى: أقلّ كُفْراً ﴿من

---

(١) في الأصل: ذكره. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: المسماع. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: والخطاب. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: بأنهما. والمثبت من ب.

(٥) سورة الإسراء، الآية رقم: ١٠١.

أولئكم﴾ المذكورين المهلكين. وهذا الاستفهام بمعنى: الإنكار والتوبيخ.

﴿أم لكم براءة في الزبر﴾ أي: براءة أنزلها الله تعالى في الكتب المتقدمة بأنكم آمنون من حلول مثل ذلك العذاب بكم.

﴿أم يقولون﴾ لاتفاق كلمتهم وشدة شكيمتهم: ﴿نحن جميع منتصر﴾.

قال الكلبي: نحن جميع ننتصر من أعدائنا(١).

قال الثعلبي(٢): وكان حقُّه: مُنْتَصِرُون، فَتَبعَ رُؤوس الآي.

وقال الواحدي(٣): وَحَّدَ "مُنْتَصِر" للفظ الجميع، وهو واحد في اللفظ، وإن كان اسماً للجماعة، كالرَّهْط والجَيْش.

﴿سيُهزم الجمع﴾ وقرأ يعقوب في رواية أبي حاتم عنه: "سَنَهْزِمُ" بالنون وكسر الزاي، "الجَمْعَ" بالنصب، "وتُوَلُّونَ" بالتاء(٤).

والمعنى: سيهزم جمع كفار قريش، ﴿ويولون الدُّبُر﴾ يريد: الأدبار، فذهب به مذهب [الجنس](٥). وهذا مما وعد الله به رسوله والمؤمنين، فحققه لهم يوم بدر، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

ولقدْ وليتُمُ الدُّبُرَ لنا حين ... سالَ الموتُ من رأسِ الجبل(٦)

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٣).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ١٦٩).

(٣) الوسيط (٤/ ٢١٣).

(٤) النشر (٢/ ٣٨٠).

(٥) في الأصل: الجيش. والتصويب من ب.

(٦) انظر البيت في: الماوردي (٥/ ٤١٩).

أخبرنا الشيخان أحمد بن عبدالله وعلي بن أبي بكر بن عبدالله البغداديان قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا محمد بن حوشب[١]، حدثنا عبد الوهاب[٢]، حدثنا خالد الحذّاء[٣].

قال البخاري: وحدثنا عفان بن مسلم، عن وهيب، حدثنا خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ قال وهو في قُبَّةٍ يوم بدر: اللهم! إني أنشدك عهدك ووعدك، إن تشأ لا تُعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبُك يا رسول الله، ألححتَ على ربك، وهو يَثِبُ في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾»[٤].

هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

قوله تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم﴾ أي: موعد الجميع للعذاب، ﴿والساعة

---

(١) محمد بن عبد الله بن حوشب الطائفي، نزيل الكوفة، صدوق (تهذيب التهذيب ٩/ ٢٢٦، والتقريب ص:٤٨٧).

(٢) عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت بن عبيد الله بن الحكم بن أبي العاص الثقفي، أبو محمد البصري، ثقة تغير قبل موته بثلاث سنين، مات أربع وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ٦/ ٣٩٧، والتقريب ص:٣٦٨).

(٣) خالد بن مهران الحذّاء، أبو المنازل البصري، مولى قريش، وقيل: مولى بني مجاشع، ثقة كثير الحديث، وسمي بالحذّاء؛ لأنه كان يجلس عندهم، وقيل: لأنه كان يقول أحذ على هذا النحو، أشار حماد بن زيد إلى أن حفظه تغير لما قدم من الشام، وعاب عليه بعضهم دخوله في عمل السلطان (تهذيب التهذيب ٣/ ١٠٤، والتقريب ص:١٩١).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٥ ح٤٥٩٤).

أدهى﴾ قال الزجاج[١]: الداهية: الأمر الشديد الذي لا يُهتدى لدوائه.

والمعنى: والساعة أفظع ﴿وأمرّ﴾ أشد مرارة مما نالهم من القتل والأسر والهزيمة يوم بدر.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿إن المجرمين في ضلال وسُعُر﴾ أي: في ضلال عن الحق في الدنيا، ونار تُسْعَر عليهم في الآخرة.

أخرج مسلم في صحيحه والترمذي من حديث أبي هريرة قال: «جاء مشركوا قريش إلى رسول الله ﷺ يخاصمون في القَدَر، فأنزل الله: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقَدَر﴾»[٢].

وهذه الآية المعتضدة بالأحاديث الصحيحة المبين لسبب النزول الدافع لكل تأويل يعتصم به الخصم من جملة الدلائل الدامغة للقدرية، والبراهين المبطلة لمذهبهم الخبيث.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٦ ح٢٦٥٦)، والترمذي (٤/ ٤٥٩ ح٢١٥٧).

قال وهب بن منبه: قرأتُ اثنين وسبعين كتاباً من كُتُب الله عز وجل، فوجدت فيها كلها: أن من جعل لنفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر(١).

ويكفي في إثبات كفرهم وضلالهم؛ ما أخبرنا به شيخنا الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه بقراءتي عليه قال: قرئ على [فاطمة](٢) بنت علي بن عبدالله وأنا أسمع، أخبركم أبو القاسم بن بنان، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أبو حفص بن شاهين(٣)، حدثنا محمد بن سليمان، حدثنا إبراهيم بن عبدالله الهروي(٤)، حدثنا زكريا بن منظور(٥)، عن أبي حازم(٦)،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٤٦، ٦٨٣)، وابن سعد في طبقاته (٥/ ٥٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣٦) وعزاه لابن سعد والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) في الأصل: طمة. والتصويب من ب.

(٣) عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب، أبو حفص المعروف بابن شاهين البغدادي الواعظ، ولد في سنة سبع وتسعين ومائتين، ارتحل بعد الثلاثين إلى دمشق فسمع بها وبغيرها، وجمع وصنف الكثير، كان ثقةً مأموناً، مات في ذي الحجة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٣١-٤٣٤).

(٤) إبراهيم بن عبد الله بن حاتم، أبو إسحاق الهروي، نزيل بغداد، صدوق حافظ تكلم فيه بسبب القرآن، مات بسر من رأى سنة أربع وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١١٥، والتقريب ص: ٩٠).

(٥) زكريا بن منظور، ويقال: اسم جده: عقبة بن ثعلبة بن أبي مالك، ويقال: زكريا بن يحيى بن منظور بن ثعلبة القرظي، أبو يحيى المدني القاضي، حليف الأنصار، ضعيف، منكر الحديث (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٧، والتقريب ص: ٢١٦).

(٦) هو سلمة بن دينار. تقدمت ترجمته.

عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «القدرية مجوس هـذه الأمـة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[١].

وممن روى عن النبي ﷺ أن القدرية مجوس هذه الأمة: أبو هريرة، وأبو سعيد، وأبو أمامة، وجابر بن عبدالله، وأنس، وسهل بن سعد.

قال أبو سليمان الخطابي: إنما جعلهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذاهب المجوس في قولهم بالأصلين: النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر مـن فعل الظلمة، فصاروا ثنويّة، وكذلك القدرية يُـضيفون الخـير إلى الله، والـشر إلى غيره[٢]. والله أعلم.

وروى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «اتقـوا هـذه القدريـة، فإنهـا شـعبة مـن النصرانية»[٣].

وروى عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «ما هلكت أمة قط، إلا كان بدؤها الشرك بالله، وما كان بدؤها الشرك إلا التكذيب بالقدر»[٤].

وروى ابن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قـال: «مـن كـذَّب بالقـدر أو خاصم فيه فقد كفر بما جئت به، وجحد ما أنزل عليّ»[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٢٢ ح٤٦٩١).

(٢) ذكره النووي في شرحه على مسلم (١/ ١٥٤)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٢٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٢٦٢ ح١١٦٨٠)، واللالكائي في اعتقاد أهل الـسنة (٤/ ٦٣١ ح١١٢٨).

(٤) أخرجـه الطـبراني في الـصغير (٢/ ٢١٩ ح١٠٥٩)، والبخـاري في التـاريخ الكبـير (٨/ ٣٠٠ ح٣٠٨١).

(٥) أخرجـه العقـيلي في الـضعفاء (٢/ ١٧٠ ح٦٨٦)، والطـبراني في الأوسـط (٨/ ١٦٩ ح٨٢٩٨) =

وهذه الأحاديث تركت أسانيدها اختصاراً.

قرأتُ على الإمام أبي محمد عبدالله بن أحمد المقدسي، أخبركم أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي فأقرّ به، أخبرنا محمد بن الحسن المقوّمي، أخبرنا القاسم بن أبي المنذر، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان، أخبرنا محمد بن [يزيد][1] بن ماجه، حدثنا عبدالله بن عامر بن زرارة[2]، حدثنا شريك[3]، عن منصور، عن ربعي، عن علي بن أبي طالب كرَّمَ الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن [عبد حتى يؤمن][4] بأربع: بالله وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وبالبعث بعد الموت، والقدر»[5]. هذا حديث صحيح.

وقرأتُ على شيخنا أبي محمد عبدالله بن أحمد، أخبركم أبو الحسن علي بن عساكر المقرئ فأقرَّ به، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبدالله[6] الفقيه، أخبرنا أبو

=

كلاهما بلفظ: "من كذب بالقدر فقد كذب بما أنزل على محمد ﷺ".

(١) في الأصل: زيد. والتصويب من ب.

(٢) عبد الله بن عامر بن زرارة الحضرمي مولاهم، أبو محمد الكوفي، صدوق، مات سنة سبع وثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ٥/ ٢٣٨، والتقريب ص:٣٠٩).

(٣) شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي، أبو عبد الله الكوفي القاضي بواسط ثم الكوفة، صدوق يخطىء كثيراً، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة، وكان عادلاً فاضلاً عابداً، شديداً على أهل البدع، مات سنة سبع أو ثمان وسبعين ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩٣-٢٩٥، والتقريب ص:٢٦٦).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٥٢ ح٢١٤٥)، وابن ماجه (١/ ٣٢ ح٨١).

(٦) في ب: عبيدالله.

الحسن علي بن البسري، [أنبأنا][(١)] عبيدالله، حدثني يعقوب بن يوسف، حدثنا محمد بن عبدالله المروزي، حدثنا يحيى بن أبي جعفر، أخبرني أحمد بن عمرو، حدثنا إبراهيم بن سلمة[(٢)] البصري، حدثنا إبراهيم بن سليمان السلمي، حدثنا ابن أبي روّاد، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ينادي منادٍ يوم القيامة: أين خصماء الله؟ قال: فتقوم القدرية مسودّة وجوههم، مزرقّة أعينهم، مائلاً شقّهم، يسيل لُعابهم، يقذرهم كل من رآهم، فيقولون: والله ربنا ما عبدنا شمساً ولا قمراً ولا وثناً، ولا اتخذنا من دونك إلهاً، ثم قرأ ابن عباس: ﴿ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ [المجادلة:١٨] هم والله القدريون، هم والله القدريون، هم والله القدريون»[(٣)].

قال بعض العلماء: إنما سُمُّوا خصماء الله؛ لأنهم يقولون: يكتب الله علينا المعاصي، ثم يُعذّبنا[(٤)].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناده عن وهب بن خالد، عن ابن الديلمي قال: «لقيت أبيّ بن كعب فقلت: يا أبا المنذر، إنه قد وقع في قلبي شيء من هذا القدر، فحدثني بشيء فلعله يَذهب من قلبي. قال: لو أن الله عذب أهل سماواته

---

(١) في الأصل: أنبأ. والتصويب من ب.

(٢) في ب: سلم.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ١٦٢، ح٧١٦٢). قال الهيثمي (٧/ ٢٠٦): فيه محمد بن الفضل بن عطية، والدارقطني في العلل (٢/ ٧٠، ح١١٥) وقال: هو حديث مضطرب الإسناد غير ثابت، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٦٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٨٦) وعزاه لابن مردويه.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٥).

وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً من أعمالهم، ولو أنفقتَ جبل أُحد أو مثل جبل أُحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير ذلك لدخلت النار. قال: فأتيت حذيفة فقال لي مثل ذلك، وأتيت ابن مسعود فقال لي مثل ذلك، وأتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك»[١].

وفي الصحيح من حديث عمر بن الخطاب قال: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت. قال: ثم انطلق، فلبثت ملياً، ثم قال: يا عمر، تدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[٢]. وهو مختصر من حديث طويل.

وقد ذكرت في أثناء كتابي هذا أنواعاً من الأدلة الدّالة على بطلان مذهبهم، ولولا خشية الإطالة لذكرتُ في إقامة حُجج الله عليهم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يملأ أوراقاً كثيرة، لكن في هذا القدر كفاية لمن أراد الله تعالى هدايته.

قال أبو الأسود الدؤلي: ما أدركتُ أحداً من أصحاب النبي ﷺ إلا وهو يُثبت

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٢ ح٢١٦٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٧ ح٨).

القدر[١].

قوله تعالى: ﴿ذوقوا مس سقر﴾ على إرادة القول، أي: يقال لهم ذوقوا مسّ سقر.

قال الحسن البصري رحمه الله: والله لو أن قدرياً صام حتى يصير كالحبل، ثم صلى حتى يصير كالوَتَر، ثم أُخذ ظُلماً وزُوراً حتى ذُبح بين الركن والمقام، لكبَّه الله على وجهه في سقر، ثم قيل له: ذُقْ مَسَّ سقر[٢].

قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقَدَر﴾ قرأ العشرة وأكثر القرّاء: "كلَّ" بالنصب بفعل مُضْمَر يفسره الظاهر.

وقرأ أبو [السَّمَّال][٣] العدوي البصري: "إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ" بالرفع[٤].

قال أبو الفتح[٥]: الرفع هنا أقوى من النصب، وإن كانت الجملة على النصب، وذلك أنه في موضع الابتداء، فهو كقولك: زيدٌ ضربتُه، وهو مذهب صاحب الكتاب[٦] والجماعة. وذلك لأنها جملة وقعت في الأصل خبراً عن مبتدأ، من قولك: نحن كل شيء خلقناه بقدر، فهو كقولك: هندٌ زيدٌ ضربها، ثم دخلت

---

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٥٨٥ ح١٠٣٧، ٤/ ٦٦٢ ح١٢٠٢)، وابن منده في الإيمان (١/ ١٤٣ ح١١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٤-٢١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٢).

(٣) في الأصل: السماك. والتصويب من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٨١)، والدر المصون (٦/ ٢٣٢).

(٥) المحتسب (٢/ ٣٠٠).

(٦) انظر: الكتاب (١/ ١٤٨) وفيه عن الآية: "فأما قوله عز وجل: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ فإنما هو على قوله: زيداً ضربته، وهو عربي كثير".

"إِنَّ" فنصبت الاسم، وبقي الخبر على تركيبه الذي كان عليه من كونه جملة من مبتدأ وخبر.

ومعنى الآية: كل شيء خلقناه بقدر مقدور مكتوب في اللوح المحفوظ.

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العَجْز والكَيْس»[١].

قال ابن عباس: كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدّك[٢].

قوله تعالى: ﴿وما أمرنا﴾ قال ابن عباس: قضاؤنا في خلقنا[٣].

وقال ابن السائب: ما أمرنا بمجيء الساعة[٤].

﴿إلا واحدة﴾ كلمة واحدة، وهي: "كُنْ"، فهي في سرعة التكوين كلمْح البصر.

ومعنى اللمْح: النَّظَر بسرعة[٥].

﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أشباهكم ونظراءكم من كفار الأمم الماضية.

﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾ قال مقاتل[٦]: مكتوب عليهم في اللوح المحفوظ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٥ ح٢٦٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣١٨ ح٩٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٨٤) وعزاه للبخاري في تاريخه.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٢).

(٤) مثل السابق.

(٥) انظر: اللسان (مادة: لمح).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٣٠٢).

وقيل: في كتب الحفظة.

﴿وكل صغير وكبير﴾ من الأعمال، وما كان وما يكون ﴿مستطر﴾ مكتوب في اللوح.

وقيل: كونه ووقوعه.

﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾ يريد: أنهار الجنة من الماء واللبن والخمر والعسل، فوحَّد لوفاق الفواصل، أو ذهب به مذهب الجنس، وأنشد الخليل وسيبويه[١]:

بها جِيَفُ [الحَسْرَى][٢] فأمَّا عِظَامُها فبيضٌ وأما جلدُها فصليبُ[٣]

وقيل: المراد بالنَّهَر: الضِّياء والسعة، من قولك: أنهرْتُ الطَّعْنة؛ إذا أوسعتها[٤].

وقرأ الأعمش والأعرج: "ونُهُر" بضم النون والهاء[٥]، [جمع][٦] نَهَر، كأَسَد وأُسُد، أو جمع نَهَار، يريد: لا ليل لهم، بل هم في ضياء أبداً.

﴿في مقعد صدق﴾ أي: في مكان مرضي ومجلس. وقد نبهنا على هذا في قوله

---

(١) انظر: الكتاب لسيبويه (١/ ٢٠٩).

(٢) في الأصل: الحشرى. والمثبت من ب، ومصادر البيت.

(٣) البيت لعلقمة بن عَبَدَةَ المعروف بالفحل. انظر: ديوانه (ص:٤٠) والكتاب (١/ ٢٠٩)، والمفضليات (ص:٣٩٤)، والطبري (٤/ ٢٤٤، ١٧/ ١٢)، والقرطبي (١/ ١٩٠)، ومعاني الزجاج (١/ ٨٣، ٢/ ٧٤)، وزاد المسير (١/ ٣٠٧، ٤٠١، ٢/ ١٢٨، ٨/ ١٠٣)، والدر المصون (١/ ١٠٨، ٢/ ١٢٥).

(٤) انظر: اللسان (مادة: نهر). وفي ب: وسعتها.

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٥).

(٦) في الأصل: وجمع. والتصويب من ب.

تعالى: ﴿أن لهم قدم صدق﴾ [يونس:٢].

﴿عند مليك﴾[1] مالك، وجاء على بناء فعيل؛ للمبالغة، ﴿مقتدر﴾ قادر على ما يشاء.

والمراد: المجالس التي أعدّها الله تعالى لأوليائه في جواره. والله تعالى أعلم.

(١) في الأصل زيادة قوله: مقتدر. وستأتي بعد.

سورة الرحمن عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي سبع وسبعون آية في المدني، وثمان في الكوفي[١].

وهي مكية في قول الحسن وعطاء ومقاتل[٢] والأكثرين، وابن عباس في رواية ابن أبي طلحة عنه[٣]، واستثنى آية وهي: ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾[٤].

ومدنية في قول ابن مسعود وابن عباس في رواية عطية عنه[٥].

والصحيح الأول؛ لأن النبي ﷺ قرأها على الجن الذين صرفهم الله تعالى إليه، وكان ذلك بمكة.

وسنذكر الحديث في آخر السورة إن شاء الله.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٣٧).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٠٣).

(٣) انظر: الإتقان (١/ ٤٣).

(٤) انظر: الماوردي (٥/ ٤٢٢)، وزاد المسير (٨/ ١٠٥)، والدر المنثور (٧/ ٦٨٩).

(٥) انظر: المصادر السابقة.

بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣

قال الله عز وجل: ﴿الرحمن * علم القرآن﴾ قال مقاتل[١]: لما نزل قوله: ﴿اسجدوا للرحمن﴾ [الفرقان: ٦٠] قال كفار مكة: وما الرحمن؟ فأنكروه. فقال الله: الرحمن الذي أنكروه هو الذي علم القرآن.

قال الكلبي: علَّم محمداً وعلَّم محمد أمته[٢].

وقال الزجاج[٣]: يسّر القرآن لأن يذكر.

﴿خلق الإنسان﴾ قال ابن عباس وقتادة: آدم[٤].

و﴿البيان﴾: اللغات، والأسماء كلها.

وقال ابن كيسان: المراد بالإنسان: محمد ﷺ، علَّمه بيان ما كان ويكون[٥].

والصحيح: أن الإنسان: اسم جنس، وهو قول جمهور المفسرين[٦].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٣٠٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٦).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٩٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١١٤) عن قتادة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٠٦) عن ابن عباس وقتادة، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٩١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٦).

(٦) ذكره الطبري (٢٧/ ١١٤)، والماوردي (٥/ ٤٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٦).

قال الحسن: البيان: النطق والتمييز[(١)].

وقال يمان: البيان: الكتابة والخط[(٢)].

قال بعض العلماء: لما أراد الله تعديد نعمه على خلقه في هذه السورة بدأ بنعمة الدِّين؛ لكونها أجلّ المنن وأعظمها، وتعليم القرآن أعلى مراتبها وأقصى مراقيها؛ لأنه الصراط المستقيم المُفْضي إلى الجنة والسعادة الأبدية، وثَنَّى بخلق الإنسان؛ تنبيهاً له أنه خُلق للدين والعلم بالقرآن، وثَلَّث بنعمة تعليم البيان، وهو النطق الذي تميّز به عن سائر الحيوان، والذي هو وسيلة إلى العلم بالقرآن [والتمييز][(٣)] بين الخير والشر[(٤)].

قال صاحب الكشاف[(٥)]: "الرحمن": مبتدأ، وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد، كما تقول: زيدٌ أغناك بعد فقر، أعزّك بعد ذل، كثّرك بعد قلّة، فَعَلَ بك ما لم يَفعل أحد بأحد.

قوله: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ أي: يجريان بحساب معلوم، لمصالح العالم، على ما بيناه في مواضعه.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل: والتميز. والتصويب من ب.

(٤) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٣٥): فإن قيل: لِمَ قَدَّمَ تعليم القرآن للإنسان على خلقه وهو متأخر عنه في الوجود؟

قيل: لأن التعليم هو السبب في إيجاده وخلقه.

(٥) الكشاف (٤/ ٤٤٣).

﴿والنجم﴾ قال ابن عباس: هو كل نبت ليس له ساق[١].

قال اللغويون[٢]: هو النبات الذي ينجم، أي: يطلع ليس له ساق؛ كالبقول.

﴿والشجر﴾ الذي له ساق.

وقال مجاهد: المراد بالنجم: نجوم السماء[٣].

وجوّز الزجاج[٤] أن يراد: جميع ما نَبَتَ على وجه الأرض، وما طلع من نجوم السماء. وقال: يقال لكل ما يطلع: قد نَجَمَ.

والأول أصح.

وسجودهما: انقيادهما لما خُلقا له.

وقيل: سجودهما: ميلهما مع الشمس.

وقيل: [تفيّؤ][٥] ظلالهما.

وقد أشرنا إلى ذلك وإلى ما هو المختار عندنا من القول في هذه الآية وأمثالها في سورة الحج[٦].

قوله تعالى: ﴿والسماء رفعها﴾ أي: جعلها رفيعة عالية؛ ليتسع الفضاء بين الأرض والسماء، ولولا ذلك وجريان الريح؛ لمات الخلق كَرْباً.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٧).

(٢) انظر: معاني الزجاج (٥/ ٩٦)، ومعاني الفراء (٣/ ١١٢).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦٣٩)، والطبري (٢٧/ ١١٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٩٦).

(٥) في الأصل: تفؤ. والتصويب من ب.

(٦) عند الآية رقم: ١٨.

وقرأ أبو [السمّال][1]: "والسماءُ" بالرفع[2]، جعلها جملة مركّبة من مبتدأ وخبر معطوفة على الجملة التي هي قوله: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾.

﴿ووضع الميزان﴾ لينتصف بعض الناس من بعض.

قال الضحاك: هو الميزان ذو اللسان والكِفَّتين[3].

وقال مجاهد وقتادة والسدي: المراد بالميزان: العدل[4].

وقيل: القرآن[5].

والعدل شامل لجميع الأقوال، وبه تقدير الأشياء ووزنُها، وتمييز باطلها من حقها.

فالمراد بالميزان على هذا: كل ما تُعرف به المقادير، من ميزان ومكيال ومقياس وغير ذلك.

﴿أن لا تطغوا﴾ أي: وضعها لئلا تطغوا وتتجاوزوا القدر والعدل.

ويجوز أن تكون "أنْ" مفسرة و "لا" للنهي، تقديره: أي: لا تطغوا ﴿في الميزان﴾[6].

---

(١) في الأصل: السماك. والتصويب من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٨٨)، والدر المصون (٦/ ٢٣٧).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٧).

(٤) أخرجه مجاهد (ص: ٦٤٠)، والطبري (٢٧/ ١١٨). وذكره الماوردي (٥/ ٤٢٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٩٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٧) من قول الحسين بن الفضل.

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٤٣)، وأبي البقاء العكبري في التبيان (٢/ ٢٥١)، إلا أن أبا البقاء كأنّه تنبّه للاعتراض فقال: و"أنْ" بمعنى: أي، والقول مقدّر. قال السمين الحلبي في الدر =

﴿وأقيموا الوزن﴾ وفي قراءة ابن مسعود: "وأقيموا اللسان".

﴿بالقسط﴾ أي: لسان الميزان.

والمعنى: قوّموه بالقسط، وهو العدل.

﴿ولا تخسروا الميزان﴾ أي: لا تنقصوه. فنهى سبحانه أولاً عن الطغيان، وهو مجاوزة الحد في الاعتداء، وأمر بالتسوية والعدل ثانياً، ثم نهى عن التطفيف والنقصان ثالثاً. وكرّر ذكر الميزان؛ مبالغة في الحث على الأخذ به والعدل فيه.

قرأ بلال بن أبي بردة: "ولا تَخْسَرُوا" بفتح التاء والسين، على معنى: لا تخسروا في الميزان، فلما سقط الحرف الجار تعدّى الفعل، فنصب[١]. وروي عنه: "تَخْسِرُوا" بفتح التاء وكسر السين[٢].

قال الزجاج[٣]: روى أهل اللغة: أَخْسَرْتُ الميزان، وخَسَرْتُ الميزان.

وقال ابن جني[٤]: هو ما يشترك فيه فَعَلْت وأفْعَلْت من المعنى =

المصون (٦/ ٢٣٧): وقوله: "والقول مقدّر" ليس بجيد؛ لأنها لا تفسّر القول الصريح، فكيف يقدّر ما لا يصح تفسيره؟ فإصلاحه أن يقول: وما هو بمعنى القول مقدّر.

وردّ هذا القول -أي: أن تكون "أنْ" مفسرة و "لا" للنهي- أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ١٨٨) فقال: ولا يجوز؛ لأنه فات أحد شرطيها، وهو أن يكون ما قبلها جملة فيها معنى القول، ووضع الميزان جملة ليس فيها معنى القول، والطغيان في الميزان هو أن يكون بالتعمد، وأما ما لا يقدر عليه من التحرير بالميزان فمعفو عنه.

(١) قال أبو حيان في البحر (٨/ ١٨٨): ولا يحتاج إلى هذا التخريج؛ لأن خسر جاء متعدياً؛ كقوله تعالى: ﴿خسروا أنفسهم﴾ [الزمر:١٥]، و ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ [الحج:١٥].

(٢) انظر القراءتين في: البحر المحيط (٨/ ١٨٨)، والدر المصون (٦/ ٢٣٧).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٩٦).

(٤) المحتسب (٢/ ٣٠٣).

[الواحد][(١)]، نحو: أَجْبَرْتُه وجَبَرْتُه، وأَهْلَكْتُه وهَلَكْتُه.

وقال الزمخشري[(٢)]: يقال أيضاً: خسر الميزان يَخْسَره ويَخْسِره، بضم السين وكسرها.

قوله تعالى: ﴿والأرض وضعها للأنام﴾ أي: بَسَطَها ومهَّدَها للأنام.

قال ابن عباس: الأنام: الإنس[(٣)]. وأنشدوا قول [رقيقة][(٤)] بنت أبي صيفي في عبدالمطلب:

مُبارَكُ الوَجْهِ يُسْتَسْقَى الغمامُ به ... ما في الأنامِ له عِدْلٌ ولا خَطَرُ[(٥)]

وقال الحسن والزجاج[(٦)]: الإنس والجن[(٧)].

---

(١) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٢) الكشاف (٤/ ٤٤٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١١٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٢-٦٩٣) وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم. وذكره من نفس الطريق أيضاً، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) في الأصل: رفيقة. والمثبت من ب.

(٥) البيت لرقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف، تمدح عمها عبد المطلب حين استسقى به قومه فسقوا، وأولها:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ... وقد فقدنا الحيا واجلوَّذ المطر

وحديث رقيقة في سقيا عبد المطلب أخرجه ابن سعد في طبقاته (١/ ٨٩-٩٠)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٥٩ ح٦٦١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٧/ ١٤٩).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٩٧).

(٧) أخرجه الطبري (٢٧/ ١١٩) عن الحسن. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن الحسن.

وقال مجاهد وقتادة: هو اسم لكل ذي روح[١].

قال بعضهم: سُمِّي بذلك؛ لأنه ينام.

والآية التي بعد هذه مفسرة فيما مضى.

قوله تعالى: ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾ قرأ ابن عامر: "والحبَّ" بالنصب، "ذا" بالألف، "والريحانَ" بالنصب[٢]؛ عطفاً على قوله: ﴿وضعها للأنام﴾، على أن "وَضَعَهَا" بمعنى: خَلَقَهَا. المعنى: والأرض خلقها وخلق الحب والريحان.

وقرأ الباقون: "والحبُّ" بالرفع[٣]، على معنى: فيها فاكهة والنخل والحب ذو العصف وفيها الريحان.

وقرأ حمزة والكسائي: "والريحانِ" بالجر[٤]، على معنى: ذو العصف وذو الريحان.

والحب: اسم جنس، يريد: الحبوب المأكولة.

قال ابن كيسان: يبدو أولاً ورقاً وهو العصف، ثم يبدو له ساق، ثم يُحدث الله فيه أكماماً، ثم يُحدث في الأكمام الحَبّ[٥].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٢٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٧-١٠٨).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٠)، والكشف (٢/ ٢٩٩)، والنشر (٢/ ٣٨٠)، والإتحاف (ص:٤٠٥)، والسبعة (ص:٦١٩).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٠)، والكشف (٢/ ٢٩٩)، والنشر (٢/ ٣٨٠)، والإتحاف (ص:٤٠٥)، والسبعة (ص:٦١٩).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٨).

قال الزجاج[١]: والعَصْفُ: ورق الزرع، ويقال: التِّبْن.

والريحان: الرزق. في قول أكثر المفسرين[٢].

قال الفراء[٣]: الريحان في كلام العرب: الرِّزق، يقولون: خرجنا نطلب ريحان الله. وأنشد الزجاج[٤] للنمر بن تولب:

سَلامُ الإلهِ وريحانُهُ ورحمتُهُ وسَماءٌ دِرَر[٥]

وبهذا التفسير تَحْسُنُ قراءة حمزة والكسائي.

المعنى: وفيها الحب ذو العصف الذي هو علف الأنعام، وذو الريحان الـذي هو [مَطْعَم][٦] الناس.

وقال الحسن والضحاك وابن زيد: هو الريحان المشموم[٧].

والقولان مرويان عن ابن عباس.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٩٧).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٦٤٠)، والطبري (٢٧/ ١٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٣-٦٩٤) عن ابن عباس ومجاهد والضحاك، وعزاه من طرق الثلاثة لابن جرير.

(٣) معاني الفراء (٣/ ١١٣-١١٤).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٩٧).

(٥) البيت للنمر بن تولب. انظر: ديوانه (ص:٣٤٥)، واللسان (مادة: روح، درر)، وغريب القرآن (ص:٤٢٦)، والطبري (٢٧/ ١٢٣)، والقرطبي (١٧/ ١٥٧، ٢٣٣)، وزاد المسير (٨/ ١٠٨)، والماوردي (٥/ ٤٢٦)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٢١)، والحجة للفارسي (٤/ ١٣).

(٦) في الأصل: طعام. والمثبت من ب.

(٧) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٢٢). وذكره الماوردي (٥/ ٤٢٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٩٣-٦٩٤) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لابن جرير. ومن طريق آخر عن ابن زيد، وعزاه لابن جرير أيضاً.

ثم خاطب الثقلين الإنس والجن بقوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي: بأيّ نعمه المذكورة في هذه السورة وغيرها تُكذبان.

والآلاء: النِّعَم، وهو جمع، واحده: إلىً، مثل: مِعَىً، ويقال: ألَىً، مثل: قَفَاً[(١)].

خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ أي: خلقه من طين يابس لم يُطبخ، إذا نقرته صوّت، فهو كالفخار، أي: كالطين المطبوخ بالنار.

وقد ذكرنا "الصلصال" و"الجان" في الحِجْر[(٢)].

قال ابن عباس: "المارج": لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت[(٣)].

وقال مجاهد: المختلطُ بعضُه ببعض من اللهب الأحمر والأخضر والأصفر الذي يعلو النار إذا أوقدت[(٤)].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: ألا).

(٢) عند الآية رقم: ٢٦-٢٧.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٢٦).

(٤) أخرجه مجاهد (ص: ٦٤٠)، والطبري (٢٧/ ١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٤) وعزاه =

قال الزجاج[1]: هو اللهب المختلط بسواد النار.

قال غيره: من مَرَجَ الشيء؛ إذا اضطرب واختلط[2].

وقال مقاتل[3]: المارج: لهب النار الصافي من غير دخان.

قال الزجاج[4] رحمه الله في قوله: ﴿خلق الإنسان من صلصال﴾ [الرحمن:١٤]، وقوله: ﴿من طين لازب﴾ [الصافات:١١]، وقوله: ﴿من حمأ مسنون﴾ [الحجر:٢٦]، وقوله: ﴿كمثل آدم خلقه من تراب﴾ [آل عمران:٥٩]: لا مناقضة بين هذه الآيات، فأصل الطين: التراب، فأعلم الله عز وجل أنه خلق آدم من تراب جُعِلَ طيناً، ثم انتقل فصار كالحمإ المسنون، ثم انتقل فصار صلصالاً كالفخار. فهذا كله أصله التراب.

قوله تعالى: ﴿رب المشرقين﴾ أي: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، ﴿ورب المغربين﴾ مغربهما.

وقيل: مشرق الشمس والقمر ومغربهما.

وقيل: مشرق الفجر والشمس، ومغرب الشمس والشفق.

قوله تعالى: ﴿مَرَجَ البحرين﴾ أرسل كل واحد من البحر العذب والبحر الملح على صاحبه ﴿يلتقيان﴾.

للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير.

(١) معاني الزجاج (٥/ ٩٩).

(٢) انظر: اللسان (مادة: مرج).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٠٤).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٩٨).

﴿بينهما برزخ﴾ حاجز من قدرة الله ﴿لا يبغيان﴾ لا يختلطان فيبْغِي [أحدهما][(١)] على الآخر.

وقد سبق هذا في سورة الفرقان[(٢)].

وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك: هو بحر السماء وبحر الأرض، يلتقيان كل عام[(٣)].

وقال الحسن وقتادة: "مرج البحرين" يعني: بحر فارس والروم[(٤)]، "بينهما برزخ": وهو الجزائر[(٥)].

قوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ قرأ نافع وأبو عمرو: "يُخْرَجُ" بضم الياء وفتح الراء، وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. وقرأ الباقون بفتح الياء وضم

---

(١) في الأصل: إحداهما. والمثبت من ب.

(٢) عند الآية رقم: ٥٣.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٢٨) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٦) وعزاه لابن جرير. وهذا القول هو الذي رجّحه الطبري، وأيّده بسياق الآية فقال: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عني به بحر السماء وبحر الأرض، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قطر ماء السماء؛ فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٢٩). وذكره الماوردي (٥/ ٤٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١١٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٩٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة، ولفظه: برزخ الجزيرة.

الراء[1]؛ لأنه إذا أُخرج فقد خَرج.

وقرأتُ لأبي عمرو من رواية العباس بن الفضل عنه: "يُخْرِجُ منهما" بضم الياء وكسر الراء، ونصب "اللؤلؤ والمرجان"[2].

قال الزجاج[3]: إنما يخرج من البحر الملح، وإنما جمعهما؛ لأنه إذا أُخرج من أحدهما فقد أُخرج منهما. ومثله: ﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ [نوح:١٦].

وقال أبو علي[4]: أراد: [يخرج][5] من أحدهما، فحذف المضاف.

وقال الزمخشري[6]: لما التقيا وصارا كالشيء الواحد، جاز أن [يقال][7]: يخرج منهما، [كما][8] يقال: يخرج من البحر، ولا يخرج من جميعه، ولكن من بعضه.

وجمهور المفسرين واللغويين: على أن اللؤلؤ: اسم جامع للحَبّ الذي يخرج من البحر، والمرجان: صغاره[9]. وقول مقاتل[10] والسدي على الضد من ذلك.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩١)، والكشف (٢/ ٣٠١)، والنشر (٢/ ٣٨٠-٣٨١)، والإتحاف (ص:٤٠٥)، والسبعة (ص:٦١٩).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٥)، والسبعة (ص:٦١٩).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٠٠).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٥).

(٥) في الأصل: خرج. والتصويب من ب.

(٦) الكشاف (٤/ ٤٤٥).

(٧) في الأصل: يقول. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٤٤٥).

(٨) في الأصل: لا. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٩) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٣٠-١٣١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٧) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس، ومن عدة طرق أخرى عن قتادة ومجاهد والحسن والضحاك.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٣٠٥)، وزاد المسير (٨/ ١١٣).

وقال ابن مسعود: "المرجان": الخرز الأحمر كالقضبان[(١)].

قال ابن عباس: إذا مطرت السماء فتحت الأصداف أفواهها، فما وقع فيها من مطر السماء فهو لؤلؤ[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾ وقرأ حمزة وعاصم بخلاف عنه: "المنشِآت" بكسر الشين[(٣)].

والمعنى: وله السفن الجواري، الواحدة منها: جارية، سميت بذلك؛ لأنها تجري في الماء بإذن الله.

والجارية: المرأة الشابّة، سميت بذلك لجريان ماء الشباب فيها.

والمنشآت: بفتح الشين: المرفوعات الشُّرَع، وبالكسر الرّافعات الشُّرَع، أو اللاتي يُنشئن [الأمواج بجريهن][(٤)].

قال الكلبي: ما رُفع قلعه منها، فهي منشأة، وما لم يرفع فليس بمنشأة[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٢١٨ ح٩٠٥٨). وذكره الماوردي (٥/ ٤٣١)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٩٧) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٣٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٤)، وابن أبي الدنيا في كتاب "المطر" (ص:٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٦) وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب المطر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩١-٦٩٢)، والكشف (٢/ ٣٠١)، والنشر (٢/ ٣٨١)، والإتحاف (ص:٤٠٦)، والسبعة (ص:٦١٩-٦٢٠).

(٤) في الأصل: بخروجهن. والتصويب والزيادة من ب.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٤٣١).

والأعْلام: جمع عَلَم، وهو الجبل الطويل[١]. وقد سبق ذكره[٢].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٨ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ أي: جميعُ مَنْ على الأرض هالك.

وقد تقدم ذكرها في قوله: ﴿والأرض وضعها﴾ [الرحمن:١٠].

﴿ويبقى وجه ربك﴾ مثل قوله: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص:٨٨].

﴿ذو الجلال والإكرام﴾ قال الخطابي[٣]: الجلال: مصدر الجليل، [يقال][٤]: جليل بين الجلالة والجلال.

[والإكرام][٥]: مصدر أَكْرَمَ يُكْرِمُ إِكْراماً.

والمعنى: أنه يستحق أن يُجَلَّ ويُكْرَمَ؛ لعزَّته وعظمته، أو لأنه يُجِلُّ أولياءه ويُكرمهم برفع الدرجات في الجنات.

وهاتان الصفتان من أعظم صفات الله عز وجل. وقد أمر رسول الله ﷺ [أمته][٦] أن يضرعوا إلى الله ويسألوه بهما على وجه الملازمة والإلحاح، فقال ﷺ:

---

(١) انظر: اللسان (مادة: علم).

(٢) في سورة الشورى آية رقم: ٣٢.

(٣) شأن الدعاء (ص:٩١-٩٢).

(٤) زيادة من ب، وشأن الدعاء (ص:٩١).

(٥) في الأصل: وإكرام. والتصويب من ب، وشأن الدعاء، الموضع السابق.

(٦) زيادة من ب.

«ألِظُّوا بياذا الجلال والإكرام»[١].

فإن قيل: أي نعمة في قوله: ﴿كل من عليها فان﴾ حتى عقبه بقوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾؟

قلتُ: هو نعمة لأولياء الله؛ حيث أفضى بهم إلى السعادة الأبدية والنعمة العظمى.

وجميع ما يأتيك في هذه السورة؛ فهو إما تحديث [بنعمة][٢]، أو تحذير من نقمة، أو إعلام بقدرة باهرة، أو عظمة ظاهرة، وجميع ذلك نِعَمٌ. فإن شخصاً لو جاءك منقذاً لك من هَلَكَةٍ كنتَ غافلاً عنها لرأيتها له نعمة جسيمة ومنّة عظيمة.

قوله تعالى: ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾ أي: يطلبون منه أنواع الحاجات؛ لِغِنَاهُ وفقرهم إليه.

﴿كُلَّ يوم هو في شأن﴾ أي: كل وقت وزمان هو في شأن من شؤون المُلْك، يُعِزُّ ويُذِلُّ، ويُغْني ويُفْقِر، ويُحيي ويُميت، ويُسْعِدُ ويُشْقِي، ويُمْرِض ويَشْفِي، إلى غير ذلك من تدبير ملكوت السموات والأرض، مما لا يُحيط به علماً سواه.

قرأتُ على أبي القاسم بن أبي منصور الموصلي، أخبركم أبو القاسم يحيى بن أسعد، أخبرنا أبو العز بن كادش، أخبرنا أبو علي الجازري، أخبرنا المعافى بن زكريا، حدثنا الحسن بن الحسين بن عبدالرحمن الأنطاكي، حدثنا محمد بن الحسن -يعني: أبا الحارث- الرملي، حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي، حدثنا الوزير بن

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٤٠ ح٣٥٢٥)، وأحمد (٤/ ١٧٧).

(٢) في الأصل: نعمة. والتصويب من ب.

صبيح الثقفي[١]، حدثنا يونس بن ميسرة بن [حَلْبَس][٢]، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ ((في قول الله عز وجل: ﴿كل يوم هو في شأن﴾: من شأنه [أن][٣] يغفر ذنباً، ويكشف كرباً، ويجيب داعياً، ويرفع قوماً ويضع آخرين))[٤].

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٢ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝٣٣ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٤ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لكم أيها الثقلان﴾ قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً وعبد الوارث عن أبي عمرو: "سَيَفْرُغُ لكم" بالياء، حملاً على قوله: "وله الجواري"، إلا أن الحلبي عن عبد الوارث زاد: ضم الياء وفتح الراء[٥]. وقرأ الباقون من العشرة

---

(١) الوزير بن صبيح الثقفي، أبو روح الشامي، صالح الحديث (تهذيب التهذيب ١١/ ١٠٢، والتقريب ص:٥٨٠).

(٢) في الأصل: حليس. والتصويب من ب. وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (١١/ ٣٩٤)، والتقريب (ص:٦١٤).

(٣) زيادة من سنن ابن ماجه (١/ ٧٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/ ٧٣ ح٢٠٢). وذكره البخاري معلقاً موقوفاً على أبي الدرداء (٤/ ١٨٤٧).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١١٥)، والدر المصون (٦/ ٢٤٢).

بالنون وضم الراء(١).

وقد سبق ذكر اختلافهم في "أيها الثقلان"(٢).

قال المفسرون: هذا وعيدٌ من الله وتهديدٌ منه لعباده(٣).

قال الزجاج(٤): تقول: سَأَفْرَغُ لفلان، أي: سأجعله قصدي.

فمعنى الآية: سيقصد لحسابكم. والثَّقَلان: الإنس والجن، سُمِّيا بذلك؛ لأنهما ثقلا الأرض.

ويدل على ذلك قوله: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا﴾ الأَقْطَار: النواحي.

قال ابن عباس: المعنى: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض(٥).

وقيل: إن استطعتم أن [تخرجوا](٦) من ملكوتي ومن سمائي وأرضي وتهربوا من قضائي وقدري، فلا يدركم الموت ولا ما تكرهونه من مرض وفقر وغيرهما، فانفذوا.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٢)، والكشف (٢/ ٣٠١)، والنشر (٢/ ٣٨١)، والإتحاف (ص:٤٠٦)، والسبعة (ص:٦٢٠).

(٢) في سورة النور، آية رقم: ٣١.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٩٩).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٣٧).

(٦) في الأصل: تحروا. والتصويب من ب.

﴿لا تنفذون﴾ أي: لا تقدرون على ذلك ﴿إلا بسلطان﴾ أي: بقدرة تتسلطون بها على ما تريدون، وأنّى لكم ذلك وأنتم خلقي وتحت سلطاني وفي قبضتي.

وقيل: المعنى: لا تنفذون إلا في سلطاني وملكي.

قوله تعالى: ﴿يرسل عليكما﴾ أي: على الكفار من الثقلين ﴿شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾. قرأ ابن كثير: "شِواظٌ" بكسر الشين، وضَمَّها الباقون[1]. وهما لغتان بمعنى واحد، وهو اللهب الخالص.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: "ونحاسٍ" بالجر، عطفاً على "نار". وقرأ الباقون بالرفع، عطفاً على "شُواظ"[2].

والنحاس -بالحركات الثلاث على النون-: الدخان[3]. وأنشدوا للنابغة الجعدي:

تُضيءُ كضوءِ سِراج السَّليـ ـط لم يجعل اللهُ فيه نُحَاسا[4]

أي: دخاناً.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٣)، والكشف (٢/ ٣٠٢)، والنشر (٢/ ٣٨١)، والإتحاف (ص:٤٠٦)، والسبعة (ص:٦٢١).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) البيت للنابغة الجعدي. انظر: ديوانه (ص:٨١)، واللسان (مادة: نحس)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٤٥)، وغريب القرآن (ص:٤٣٨)، والطبري (٢٧/ ١٤١) ونسبه للنابغة الذبياني، والقرطبي (١٧/ ١٧٢)، وزاد المسير (٨/ ١١٧)، والماوردي (٥/ ٤٣٥)، والبحر (٨/ ١٨٤)، والدر المصون (٦/ ٢٤٣) ونسبه للأعشى، ومعاني الفراء (٣/ ١٣٧).

وقيل: النُّحاس: الصُّفْر المذاب يُصب على رؤوسهم[(١)]. والقولان عن ابن عباس.

قال ابن عباس: [إذا][(٢)] خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر[(٣)].

وجاء في الحديث: «يُحاط على الخلق بلسان من نار، ثم ينادون: ﴿يا معشر الجن والإنس... الآية﴾، وذلك قوله: ﴿يرسل عليكما شواظ من نار﴾»[(٤)].

فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا انشقت السماء﴾ أي: تصدّعت من المجرة لنزول الملائكة يوم القيامة، ﴿فكانت وردة﴾ قال الزجاج[(٥)]: كلون فرسٍ وردةٍ،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١١٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٧٠٢) وعزاه لابن جرير، ولفظها: النحاس: الصُّفْر يعذبون به.

(٢) في الأصل: إذ. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٤٤٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٨/ ١٩٣).

(٤) ذكره القرطبي (١٧/ ١٧٠)، والبغوي (٤/ ٢٧١).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ١٠١).

والكُمَيْتُ[١]: [الوردُ][٢] يتلوّن فيكون لونه في الشتاء خلاف لونه في الصيف، ولونه في الفصل[٣] خلاف لونه في الشتاء والصيف. فالسماء تتلوّن من الفزع الأكبر.

وقال ابن قتيبة[٤]: فكانت حمراء في لون الفرس الورد. وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك والربيع وجمهور المفسرين[٥].

وقيل: هي وردة النبات. وقد تختلف ألوانها، إلا أن الأغلب عليها الحُمْرة[٦].

قال قتادة: هي اليوم خضراء كما ترون، ولها يوم القيامة لون آخر إلى الحُمْرة[٧].

---

(١) الكميت: الذي خالط حُمْرَتَهُ قُنوء، أي: الأحمر الأقنى. (انظر: اللسان، مادة: كمت).

(٢) زيادة من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ١٠١).

(٣) قال محقق معاني الزجاج (٥/ ١٠١ حاشية ٤): ويكون في أي فصل غير فصلي الشتاء والصيف بلون آخر، ولعله يعني بالفصل هنا أنه في الفاصل بين الشتاء والصيف بلون آخر.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٤٣٩).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠٢) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٦) قال الماوردي (٥/ ٤٣٦): وزعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة، وأنها لكثرة الحوائل وبُعد المسافة ترى بهذا اللون الأزرق، وشبهوا ذلك بعروق البدن، وهي حمراء كحُمْرة الدم، وترى بالحائل زرقاء. فإن كان هذا صحيحاً فإن السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء؛ لأنه أصل لونها.

(٧) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠٣) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

﴿كالدهان﴾ جمع دُهْن.

قال عطاء بن أبي رباح: كعصير الزيت يتلوّن في الساعة ألواناً[١].

وقال الحسين بن الفضل: كصبيب الدهن يتلوّن[٢].

قال الفراء[٣]: شَبَّهَ تلوّن السماء بتلوّن الورد من الخيل، وشبّه الورد في اختلاف ألوانه بالدهن واختلاف ألوانه.

قال ابن جريج: تذوب السماء كالدُّهن الذائب، وذلك حين يُصيبها حَرّ جهنم[٤].

وقال ابن عباس وابن السائب: الدهان: الأديم الأحمر[٥].

قوله تعالى: ﴿فيؤمئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ قال ابن عباس: لا يسأل بعضهم بعضاً؛ لاشتغال كل واحد بنفسه[٦].

وقال في رواية أخرى: لا يسألون ليعلم حالهم؛ لأن الله أعلم منهم بذلك[٧].

وقال الزجاج[٨]: لا يسأل أحد عن ذنبه ليستفهم، ولكنه يسأل سؤال توبيخ.

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٧٢).

(٢) ذكره القرطبي (١٧/ ١٧٣) من قول الحسن.

(٣) معاني الفراء (٣/ ١١٧).

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٢٧٢).

(٥) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠٢) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. وانظر: الماوردي (٥/ ٤٣٦) عن ابن عباس، والبغوي (٢/ ٢٧٢) عن ابن السائب الكلبي.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٢). وذكره الماوردي (٥/ ٤٣٦).

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٤٣٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٧٠٣) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٨) لم أقف عليه في معاني الزجاج. وانظر قوله في: زاد المسير (٨/ ١١٨).

وقد نقل نحوه عن ابن عباس أيضاً.

وبهذه الأقوال[١] يتبين لك أن لا مناقضة بين هذه الآية وبين قوله: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ [الحجر:٩٢].

والجانّ: أبو الجن. وقد ذكرناه [فيما][٢] مضى.

والمعنى: لا يسأل بعض من الإنس ولا بعض من الجن، فوضع "الجان" موضع الجن، كما يقال: تميم، والمراد: أولاده.

قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ المجرمون بسيماهم﴾ وهو سواد الوجوه، وزُرْقَةُ العيون، بدليل قوله: ﴿وتَسودُّ وجوه﴾ [آل عمران:١٠٦]، وقوله: ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ [طه:١٠٢].

﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ وهي جمع ناصية، وهي مُقدَّم الرأس[٣].

قال الضحاك: يُجمع بين قدميه وناصيته في سلسلة من وراء ظهره[٤].

وقيل: تسحبهم الملائكة تارة بأخذ النواصي وتارة [بالأقدام][٥].

قال مردويه الصائغ[٦]: صلى بنا الإمام صلاة الصبح، فقرأ سورة الرحمن،

---

(١) في ب: الأحوال.

(٢) في الأصل: في. والتصويب من ب.

(٣) انظر: اللسان (مادة: نصا).

(٤) أخرجه هناد في الزهد (١/ ١٨٠ ح٢٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠٤) وعزاه لهناد في الزهد.

(٥) في الأصل: بأقدام. والتصويب من ب.

(٦) عبد الصمد بن يزيد، المعروف بمردويه الصائغ، خادم الفضيل بن عياض، كان ثقة من أهل السنة والورع، مات سنة خمس وثلاثين ومائتين (لسان الميزان ٤/ ٢٣، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٠).

ومعنا علي بن الفضيل بن عياض، فلما قرأ الإمام: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ [خَرَّ][١] مغشياً عليه حتى فرغنا من الصلاة. فلما كان بعد ذلك قلنا له: أما سمعت الإمام يقرأ: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾؟ قال: شغلني عنها: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾ هو على إضمار القول، تقديره: يقال لهم إذا سُحبوا إليها تحقيراً وتعنيفاً وانتقاماً منهم: هذه جهنم.

ثم أخبر عن حالهم فيها بقوله: ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ قال الحسن والفراء[٣]: قد بلغ منتهى حَرّه[٤].

قال قتادة: قد آنى طبخه منذ خلق الله السموت والأرض[٥].

قال الزجاج[٦]: آنى يأنى فهو آنٍ؛ إذا انتهى حَرُّه.

وقال ابن قتيبة[٧]: الحميم: الماء الحار، والآني: الذي انتهت شدة حَرّه.

قال المفسرون[٨]: يطوفون بين الجحيم وبين الحميم، فإذا استغاثوا من النار

---

(١) في الأصل: فخر. والتصويب من ب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١١٩).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١١٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٤) عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٠٢).

(٧) تفسير غريب القرآن (ص:٤٣٩).

(٨) ذكره الماوردي (٥/ ٤٣٧)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٥)، وابن الجوزي في زاد المسير =

جعل غياثهم الحميم الآني الذي قد صار [كالمهل][١].

قال كعب الأحبار: ["آن"][٢]: وادياً من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم وهم في الأغلال، فيغمسون في ذلك الوادي، حتى [تنخلع][٣] أوصالهم، ثم يخرجون وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً، فيُلقون في النار[٤].

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ أي: ولمن خشي وقوفه بين يدي ربه للحساب، يوم يقوم الناس لرب العالمين؛ بُستانان.

المعنى: ولمن خاف مقام ربه بالحفظ والمراقبة، كقوله: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ [الرعد:٣٣].

قال مجاهد: هو الذي يهمُّ بالمعصية فيذكر الله فَيَدَعُها[٥].

= (٨/ ١١٩).

(١) في الأصل: كامهل. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: إن. والتصويب من القرطبي والبغوي.

(٣) في الأصل: تنخعل. والتصويب من ب.

(٤) ذكره القرطبي (١٧/ ١٧٦)، والبغوي (٤/ ٢٧٣).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢١٦ ح٣٥٤٦١)، والبيهقي في الشعب (١/ ٤٦٩ ح٧٣٨)، وابن أبي الدنيا في التوبة (ص:٩٩)، وهناد في الزهد (٢/ ٤٥٣ ح٨٩٩). =

ثم وصف الجنتين فقال: ﴿ذواتا أفنان﴾ [يجوز][1] أن يكون جمع فَنَن، وهو الغصن المستقيم طولاً، ويجوز أن يكون جمع فَنّ، وهو الضَّرْب.

فإن أريد الأول -وهو قول مجاهد، والضحاك، وعكرمة، وعطية العوفي، وابن السائب، والفراء، والزجاج- كان المعنى: ذواتا أغصان مُتشعِّبَة مُثمرة مُورقة، لتمتدّ ظلالها وتكثر ثمارها[2].

وإن أريد الثاني -وهو قول سعيد بن جبير- كان المعنى: ذواتا ضُروب وأصناف من النعم [المُسْتَلَذَّة][3] المُشْتَهاة[4]، ومنه قول الشاعر:

وَمِنْ كُلِّ أَفْنَانِ اللذَاذَةِ والصِّبَا لَهَوْتُ به والعيشُ أخضرُ نَاضِرُ[5]

قوله تعالى: ﴿فيهما عينان تجريان﴾ قال الحسن: تجريان بالماء الزلال، إحداهما: التَّسْنيم، والأخرى: السلسبيل[6].

وقال عطية: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين[7].

= وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠٦) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وهناد وابن أبي الدنيا في التوبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(١) في الأصل: ويجوز. والمثبت من ب.

(٢) ذكره الطبري (٢٧/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢٠)، والزجاج في معاني القرآن (٥/ ١٠٢).

(٣) في الأصل: المستذلة. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الطبري (٢٧/ ١٤٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢٠).

(٥) البيت لم أعرف قائله. وهو في: البحر (٨/ ١٨٥)، والدر المصون (٦/ ٢٤٦)، والكشاف (٤/ ٤٥٠)، وروح المعاني (٢٧/ ١١٧).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٦).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢٠).

قال أبو بكر الورّاق: فيهما عينان تجريان لمن كان لـه في الـدنيا عينـان تجريـان بالبكاء[١].

قوله تعالى: ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ أي: صِنْفَان، قيل: صِنْفٌ معروف، وصِنْفٌ غريب.

قال ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حُلْـوة ولا مُـرّة إلا وهـي في الجنـة، حتـى الحَنْظَل[٢].

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿متكئين على فرش﴾ حال من: "ولمن خاف"، أو نصب على المدح لهم[٣].

﴿بطائنها من إستبرق﴾ البِطَانة: ما تحت الظِّهـارة[٤]، والإسـتبرق: مـا غَلُـظَ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢٠).

(٢) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠٩)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢٧٤).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٢)، والدر المصون (٦/ ٢٤٦).

(٤) انظر: اللسان (مادة: بطن).

[من][1] الديباج[2]. وقد ذكرناه في الكهف[3].

قال أبو هريرة: هذه البطائن فما ظنكم بالظهائر[4].

قال ابن عباس: إنما ترك وصف الظهائر؛ لأنه ليس أحد يعلم ما هي[5].

﴿وجنى الجنتين دان﴾ أي: ما يُجْتَنَى منهما من الثمار، قريبٌ من جَانِبِهِ، لا يَـرُدُّ يده عنها بُعْدٌ ولا شَوْكٌ.

قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنيهـا وليّ الله، إن شـاء قـائماً وإن شـاء قاعداً[6].

قوله تعالى: ﴿فيهن﴾ أي: في الفرش أو في الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفُرُش، أو في الجنتين؛ لاشتمالهما على قصور وأماكن، أو في الجنات[7]. وقد دلَّ عليها ما تقدم ذكره.

﴿قاصرات الطرف﴾ مذكورٌ في الصافات[8].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: برق).

(٣) عند الآية رقم: ٣١.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٩) من حديث هبيرة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢١) عن أبي هريرة.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٦-٢٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢١).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٧).

(٧) في ب: الجنان.

(٨) عند الآية رقم: ٤٨.

﴿لم يطمثهن﴾ وقرأ الكسائي: "يَطْمُثْهُنَّ" بضم الميم، وهما لغتان[١].

قال الفراء[٢]: الطَّمْث: الافْتِضَاض، وهو النكاح بالتَّدْمِيَة.

والمعنى: لم يفتضّ بكارتهنّ.

قال مقاتل[٣]: لأنهن خُلِقْنَ في الجنة.

فعلى قوله: هُنَّ من حور الجنة.

وقال الشعبي: هُنَّ من نساء الدنيا، لم يمسسن مُذْ أنشئن[٤].

وهو قول ابن السائب: لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان[٥].

قال الزجاج[٦]: وفي هذه الآية دليل على أن الجني يَغْشَى ما يغشاه[٧] الإنسي.

وسُئل طلق بن حبيب: هل يدخل الجِنُّ الجَنَّةَ؟ [فقال][٨]: نعم، ثم تلا هذه الآية، فللجِنِّ جِنِّيات، وللإنس إنْسِيَّات[٩].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٤)، والكشف (٢/ ٣٠٣)، والنشر (٢/ ٣٨١-٣٨٢)، والإتحاف (ص:٤٠٦-٤٠٧)، والسبعة (ص:٦٢١).

(٢) معاني الفراء (٣/ ١١٩).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣١٠).

(٤) أخرجه هناد في الزهد (١/ ٥٧ ح٢٢). و ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٧١١) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٧).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٠٣).

(٧) في ب: يغشى.

(٨) في الأصل: قال. والمثبت من ب.

(٩) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٥١)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٦٩٦ ح١١٥١٧١) كلاهما من =

قوله تعالى: ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ قال قتادة: هُـنَّ في صـفاء اليـاقوت وبياض المرجان[١].

قال الزجاج وغيره من أهل اللغة[٢]: المرجان: اللؤلـؤ الـصغار، وهـو أشـد بياضاً من كبار اللؤلؤ.

وقال أهل اللغة: اليـاقوت: فـارسي مُعـرَّب، والجمـع: اليواقيـت[٣]. وقـد تكلَّمتْ به العرب. قال مالك بن [نويرة][٤]:

لَنْ يُذهبَ اللُّؤْمَ تاجٌ قد حُبيتَ به ... من الزبرْجَد والياقوتِ والذهب[٥]

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أول زمـرة تَلِجُ الجنة صورتهم صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوَّة، ورشحهم المـسك، لكل واحد منهم [زوجتان][٦]، يُرى مُخّ سُوقهما من وراء اللحم من الحُسن»[٧].

=

حديث أرطأة بن المنذر عن ضمرة بن حبيب. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١١) وعـزاه لابـن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة عن أرطأة بن المنذر قال: تذاكرنا عند ضمرة بن حبيب... فذكره.

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بـن حميد وابن جرير.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٠٣).

(٣) انظر: اللسان (مادة: يقت)، والصحاح للجوهري (١/ ٢٧١).

(٤) في الأصل: يويرة. والتصويب من ب.

(٥) انظر البيت في: زاد المسير (٨/ ١٢٣).

(٦) زيادة من ب، والصحيحين.

(٧) أخرجه البخاري (٣/ ١١٨٥ ح٣٠٧٣)، ومسلم (٤/ ٢١٨٠ ح٢٨٣٤).

وفي حديث أبي سعيد نحوه وقال فيه: «على كل زوجة سبعون حُلَّة، يُرى مُخّ ساقها من وراء لحمها ودمها وحُللها»[(١)].

قوله تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ أي: هل جزاء الإحسان في العمل في الدنيا إلا الإحسان في الجزاء في الآخرة.

قال ابن عباس: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة[(٢)].

وروى أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية وقال: هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن ربكم يقول: هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة[(٣)].

أخبرنا الإمام أبو العباس أحمد بن عبدالواحد بن أحمد، المعروف بالبخاري الفقيه الحنبلي رحمه الله، قراءة عليه وأنا أسمع بجامع دمشق، سنة سبع وستمائة، أخبرنا أبو المعالي عبدالمنعم بن عبدالله بن محمد الفراوي بمدينة شاذياخ[(٤)] "نيسابور" سنة ست وثمانين وخمسمائة قال: أخبرنا عبدالغفار بن محمد الشيروي

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٧٠ ح٢٥٢٢، ٤/ ٦٧٧ ح٢٥٣٥)، وأحمد (٣/ ١٦ ح١١١٤٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٧١٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادره (٢/ ٢٦٦)، والديلمي في الفردوس (٤/ ٣٣٧)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٤) وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبغوي في تفسيره والديلمي في مسند الفردوس وابن النجار في تاريخه.

(٤) شاذياخ: هي مدينة نيسابور، أم بلاد خراسان، وكانت قديماً بستاناً لعبد الله بن طاهر بن الحسين، ملاصق مدينة نيسابور (معجم البلدان ٣/ ٣٠٥).

سنة اثنتين وخمسمائة، أخبرنا القاضي أبو بكر الحيري.

وقرأتُ على الشيخ أبي طالب عبداللطيف بن محمد بن علي القبيطي ببغداد وولدي [أبو][١] الفضائل محمد -جبره الله- [يسمع][٢] سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، أخبركم أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي سنة إحدى وستين وخمسمائة فأقرَّ به، أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد الكاخي الساوي[٣] سنة سبع وثمانين وأربعمائة، أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم الأموي، حدثنا أبو يحيى زكريا بن يحيى المروزي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن سالم [بن][٤] أبي حفصة، عن منذر الثوري[٥] قال: قال محمد بن علي ابن الحنفية: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ قال: هي مُسَجَّلة للبرّ والفاجر[٦].

---

(١) في الأصل: أبي. والمثبت من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) محمد بن أحمد بن محمد الساوي الكاخي، محدّث رحّال فاضل، سمع بنيسابور القاضي أبا بكر الحيري، والصيرفي، والبرقاني، وهبة الله اللالكائي، وطائفة. حدّث عنه إسماعيل بن محمد الحافظ، وسعيد الميهني، وأبو زرعة المقدسي، وآخرون (سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٨٤-١٨٥).

(٤) في الأصل: عن. والتصويب من ب. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٣/ ٣٧٤)، والتقريب (ص:٢٢٦).

(٥) المنذر بن يعلى الثوري، أبو يعلى الكوفي، كان ثقة قليل الحديث (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٠، والتقريب ص:٥٤٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٥٣)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٥٢٥ ح٩١٥٤)، والبخاري في الأدب المفرد (ص:٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٤) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد والبخاري في الأدب وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان.

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ قال الزجاج[1]: المعنى: ولمن خاف مقام ربه جنتان ومن دونهما جنتان.

قال المفسرون: من دونهما في الفضل والدرجات، وهذا كما روى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «جنتان من ذهبٍ آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما»[2].

وقال الضحاك: الجنتان الأوليان من ذهب وفضة، والأخريان[3] من ياقوت وزمرد، وهما أفضل من الأوليين[4].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٨ ح٤٥٩٧)، ومسلم (١/ ١٦٣ ح١٨٠).

(٣) في ب: والآخرتان.

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٢٧٦)، والقرطبي (١٧/ ١٨٤).

قوله تعالى: ﴿مدهامتان﴾ قال ابن عباس وابن الزبير: [خضراوان][١] من الري[٢]، تَضربُ خضرتها إلى سواد. يقال: ادْهَامَّ الزَّرْعُ، فهو مُدْهَامٌّ[٣].

﴿فيهما عينان نضاختان﴾ قال أبو عبيدة[٤]: فوّارتان.

قال ابن قتيبة[٥]: النَّضْخُ -يعني بالخاء المعجمة- أكثر من النَّضْح.

قال ابن عباس: تَنْضَخُ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور[٦].

﴿فيهما فاكهة﴾ يعني: ألوان الفاكهة ﴿ونخل ورمان﴾.

قال الأزهري[٧]: العربُ تَذْكُرُ أشياء جملة، ثم تخصُّ شيئاً منها بالتسمية؛ تنبيهاً على فَضْلٍ فيه. قال الله تعالى: ﴿من كان عدواً﴾ إلى قوله: ﴿وجبريل وميكال﴾ [البقرة:٩٨]، وقد أشرنا إلى هذا المعنى في البقرة.

قال ابن عباس: نخل الجنة جذوعها زمردٌ أخضر، وكَرَبُها[٨] ذهب أحمر،

---

(١) في الأصل: خضروان. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٥) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن عبدالله بن الزبير وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) انظر: اللسان (مادة: دهم).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٦).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤٤٣).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٨).

(٧) تهذيب اللغة (٦/ ٢٥).

(٨) الكَرَب: أصول السعفِ الغِلاظ العِراض التي تيبَسُ فتصير مثل الكَتِف، واحدتها كَرَبة (اللسان، مادة: كرب).

وسعَفُها كسوة أهل الجنة، منها مقطّعاتهم وحُللهم[(١)].

قوله تعالى: ﴿فيهن﴾ أي: في الجنات الأربع ﴿خيرات﴾ وقرأ معاذ القارئ وعاصم الجحدري وأبو نهيك: "خَيِّرات" بتشديد الياء على الأصل[(٢)]؛ لأن التخفيف فرع عليه، كهَيِّن ولَيِّن.

وفي حديث أم سلمة عن النبي ﷺ قال: «خيرات الأخلاق، حسان الوجوه»[(٣)].

قوله تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ قال المفسرون: قُصرن على أزواجهن فلا يُردن غيرهم[(٤)].

وقال ابن عباس والحسن وأبو العالية ومقاتل وأبو عبيدة[(٥)]: مقصورات: محبوسات في الحِجال[(٦)].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٧ ح٣٧٧٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٦٨-١٠٦٩ ح٥٧٤)، وهناد في الزهد (١/ ٩١ ح٩٩)، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ص:٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٦-٧١٧) وعزاه لابن المبارك وابن أبي شيبة وهناد بن السري وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٢٥)، والدر المصون (٦/ ٢٤٩).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ٢٧٨ ح٣١٤١)، والكبير (٢٣/ ٣٦٨ ح٨٧٠)، والطبري (٢٧/ ١٥٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٥٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢١٥ ح٣٥٤٥٦)، وهناد في الزهد (١/ ٥٦ ح١٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٩) وعزاه لابن أبي شيبة وهناد بن السري وابن جرير عن مجاهد.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٣١٠). وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٤٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٥٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٢).

والعرب تقول: مَقْصُورَة وقَصِيرَة وقَصُورَة؛ إذا كانت ملازمة خدرها[١]. قال كثيّر:

لعمري لقدْ حَبَّبْتِ كلَّ قصيرةٍ إليَّ، وما تدري بذاكَ القَصَائِرُ

عَنَيْتُ قصيراتِ الحِجَالِ ولم أُرِدْ قِصَارَ الخُطا، شَرُّ النِّسَاءِ البَحَاتِرُ[٢]

ويروى: كُلَّ قَصُورَةٍ، وقَصُورات. والبَحَاتِر: القِصَار[٣].

قال عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس: الخيام: دُرٌّ مجوّف[٤].

وقال ابن عباس: الخيمة: لؤلؤة واحدة أربعة فراسخ [في أربعة فراسخ][٥]، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب[٦].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للمؤمن لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها في السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون

(١) انظر: اللسان (مادة: قصر).

(٢) البيتان لكثير عزة. انظر: ديوانه (١/ ٢٣٠)، والبحر (٨/ ١٨٥)، والدر المصون (٦/ ٢٤٩)، والقرطبي (١٧/ ١٨٩)، وزاد المسير (٨/ ١٢٦)، وروح المعاني (٢٧/ ١٢٣).

(٣) انظر: اللسان (مادة: بحتر).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٨)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن عمر بن الخطاب. ومن طريق آخر عن ابن مسعود، وعزاه لمسدد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) زيادة من ب.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٢ ح٣٤٠٦٢)، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ص:٣٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٩) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

يطوف عليهم، لا يرى بعضهم بعضاً))[١].

ويروى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ((مررتُ ليلة أسري بي بنهر حافَّتاه قباب المرجان، فنوديت منه: السلام عليك يا رسول الله، فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء جواري من الحور العين استأذنَّ ربَّهنَّ أن يُسَلِّمْنَ عليك، فأذِنَ لهنَّ فقلن: نحن الخالدات فلا نموتُ، ونحن الناعمات فلا نبأس، أزواجُ رجالٍ كرام، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ قال: محبوسات))[٢].

قوله تعالى: ﴿متكئين على رفرف خضر﴾ وقرأ عثمان بن عفان [وعاصم][٣] الجحدري وابن محيصن: "على رَفَارِف"، و"عباقِريَّ" بالجمع وعدم الصرف مع كسر القاف[٤].

وقرأ الضحاك وأبو العالية وأبو عمران مثلهم، إلا أنهم صرفوا[٥].

وأنكر الزجاج القراءتين في "عَبْقَري" وقال[٦]: لا مخرج لها في العربية؛ لأن الجمع الذي بَعْدَ أَلِفِهِ حرفان، نحو: "مساجد"، لا يجوز أن يكون فيه مثل: عباقري، لو جمعت عبقري لكان جمعه: عباقرة، مثل: مهالبة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٩ ح٤٥٩٨)، ومسلم (٤/ ٢١٨٢ ح٢٨٣٨).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ١٨٩).

(٣) في الأصل: عاصم. والتصويب من ب.

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٧)، والدر المصون (٦/ ٢٥٠). قال السمين الحلبي: هي مشكلة، إذ لا مانع من تنوين ياء النسب.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٢٧، ١٢٨).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٠٤-١٠٥).

وسوَّغ الجمع في عباقري مع الصرف: أبو حاتم، وأبو الفتح عثمان ابن جني[١]، والزمخشري، وقالوا: هي نسبة إلى عَبَاقِر، كالنسبة إلى مَدَائِن: مدائني. وأما ترك الصَّرْف فسوّغه بعضهم مع شذوذه في القياس لاستمراره في الاستعمال.

وقال الزمخشري[٢]: لا وجه لصحته.

قال ثعلب -على قراءة الأكثرين-: إنما لم يقل: "أخضر"؛ لأن الرفرف جمع، واحده: رفرفة[٣].

قال ابن عباس في رواية أبي صالح: الرَّفْرَف: رياض الجنة[٤].

وقال في رواية العوفي: فضول المجالس[٥] والبُسُط[٦].

وقال الحسن: الوسائد[٧].

﴿وعبقري حسان﴾ قال مجاهد: هو الديباج الغليظ[٨].

---

(١) المحتسب (٢/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٢) الكشاف (٤/ ٤٥٢).

(٣) انظر قول ثعلب في: زاد المسير (٨/ ١٢٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢٧).

(٥) في الطبري والدر: المحابس.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦٣)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٢ ح٣٤٠٧١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٢٢) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٤٤٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢٧).

(٨) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٣ ح٣٤٠٧٢)، وهناد في الزهد (١/ ٨٢ ح٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٢٢) وعزاه لابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

قال ابن قتيبة[١]: العَبْقَري: الطَّنافس الثِّخان.

قال أبو عبيدة[٢]: يقال لكل شيء من البُسُط: عَبْقَري.

قال [الزجاج][٣]: أصل العَبْقَري في اللغة: أنه وصفٌ لكل ما بولغ في وصفه، وأصله: أن "عَبْقَر" بلد كان توشّى فيه البُسُط وغيرها، فنُسب كل شيء جيد إليه.

قال زهير:

بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جَديرونَ يوماً [أن][٤] يَنالُوا فَيَسْتَعْلُوا[٥]

قال الخليل بن أحمد رحمه الله: كُلُّ جليلٍ نفيسٍ فاضلٍ فاخرٍ من الرجال وغيرهم عند العرب: عَبْقَري، ومنه الحديث في عمر بن الخطاب: "فلمْ أَرَ عَبْقَرياً يَفْرِي فَرِيَّهُ"[٦].

قوله تعالى: ﴿تبارك اسم ربك﴾ قيل: إن "اسم" صلة.

وقد سبق القول على تبارك[٧].

وكان ابن عامر يقرأ: "ذو" بالواو[٨]، وكذلك هو في مصاحف أهل الشام،

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٤٤٤).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٦).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٠٥). وما بين المعكوفين زيادة من ب.

(٤) زيادة من ب، ومصادر البيت.

(٥) البيت لزهير. انظر: ديوانه (ص:٨٤)، واللسان (مادة: عبقر)، والبحر (٨/ ١٨٦)، والقرطبي (١٧/ ١٩٢)، وزاد المسير (٨/ ١٢٨)، والعين (٢/ ٢٩٨).

(٦) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣/ ١٣٤٧ ح٣٤٧٩)، ومسلم (٤/ ١٨٦٢ ح٢٣٩٣).

(٧) في الأعراف، الآية رقم: ٥٤.

(٨) الحجة للفارسي (٤/ ١٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٤)، والكشف (٢/ ٣٠٣)، والنشر =

جعله صفة لـ"اسم". واتفقوا على الموضع الأول أنه بالواو.

[وفي][1] قراءة ابن مسعود: "ذي الجلال والإكـرام" باليـاء في الموضـعين[2]، صفة للرب عز وجل.

وقد سبق في هذه السورة معنى: ذي الجلال والإكرام.

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ في هذه السورة؟

قلتُ: قَرْعُ الأسماع بعظيم نعم الله وقدرته؛ تنبيهاً للخلق، وطـرداً لغفلـتهم، وحثاً لهم على الشكر، وتوكيداً لإقامة الحجة عليهم، عـلى أنـه أسـلوب مـسلوك للعرب. قال الشاعر:

[ولا تَمَلَّنَّ يوماً][3] من زيارتِه   زُرْهُ وَزُرْهُ وَزُرْ وَزُرْ وَزُرْ

وقد قررنا هذا المعنى مستوفى في البقرة وغيرها.

وقد أخرج الترمذي والحاكم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله قـال: «قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال: ما لي أراكـم سـكوتاً، الجن كانوا أحسن منكم رداً، ما قـرأت هـذه الآيـة مـن مـرة ﴿فبـأي آلاء ربكـما تكذبان﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد»[4]. والله تعالى أعلم.

= (٢/ ٣٨٣)، والإتحاف (ص:٤٠٧)، والسبعة (ص:٦٢١).

(١) في الأصل: في. والتصويب من ب.

(٢) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ١٩).

(٣) في الأصل: وتملن. والتصويب والزيادة من ب.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٩ ح٣٢٩١)، والحاكم (٢/ ٥١٥ ح٣٧٦٦).

وفي رواية الترمذي: «لقد [قرأتها][1] على الجن ليلة الجن»[2].

(١) في الأصل: فرقها. والتصويب من ب.

(٢) انظر: الترمذي (٥/ ٣٩٩).

سورة الواقعة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي سبع وتسعون آية في المدني، وست في الكوفي[1].

وهي مكية في قول ابن عباس والحسن وعطاء وعكرمة وقتادة ومقاتل[2] والأكثرين. واستثنى ابن عباس قوله: ﴿وتجعلون رزقكم﴾[3].

وروى عطية عن ابن عباس: أنها مدنية[4].

قال مسروق: من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار، ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة[5].

إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٣٩).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣١١).

(٣) انظر: الماوردي (٥/ ٤٤٥)، وزاد المسير (٨/ ١٣٠).

(٤) انظر: زاد المسير (٨/ ١٣٠).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٤٨ ح٣٤٨٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢

قال الله تعالى: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ قال ابن عباس: إذا قامت القيامة(١).

﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ قال الكسائي: هو بمعنى الكذب، كقوله تعالى: ﴿لا تسمع فيها لاغية﴾ [الغاشية:١١] أي: لغوٌ(٢).

قال الزجاج وغيره(٣): "كاذبة": مصدر، كقولك: عافاه الله عافيةً. فهذه أسماء في موضع المصادر.

وقال الزمخشري(٤): المعنى: ليس لها نفس كاذبة، أي: لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله.

قرأتُ على الشيخ أبي البقاء اللغوي رحمه الله [لليزيدي](٥) في اختياره: "خافضةً رافعةً" بالنصب، وهي قراءة أبي رزين، وأبي عبدالرحمن السلمي، وأبي العالية، والحسن، في آخرين. وقرأ الأكثرون بالرفع فيهما(٦).

فمن نصب؛ فعلى الحال، تقديره: إذا وقعت الواقعة في حال خفضها قوماً ورفعها آخرين.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٣١).

(٢) انظر: القرطبي (١٧/ ١٩٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٠٧).

(٤) الكشاف (٤/ ٤٥٤).

(٥) في الأصل: للزيدي. والتصويب من ب.

(٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٧)، وزاد المسير (٨/ ١٣١).

ومن رفع فعلى معنى: فهي خافضة رافعة.

قال أبو علي[١]: أضمر المبتدأ مع الفاء وجعلها جواب "إذا".

وقال عثمان: العامل في "إذا وقعت الواقعة": "إذا رجت الأرض".

وقال قوم: العامل فيه: "ليس لوقعتها".

وقيل: اذكر[٢].

---

(١) لم أقف عليه في: الحجة للفارسي.

(٢) وهو ما ذهب إليه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٥٤) قال: فإن قلت: بم انتصب "إذا"؟ قلت: بـ"ليس"؛ كقولك: يوم الجمعة ليس لي شغل. أو بمحذوف، يعني: إذا وقعت كان كيت وكيت، أو بإضمار: "اذكر". اهـ.

وردّ هذا القول أبو حيان في البحر (٨/ ٢٠٣) فقال: أما نصبها بـ"ليس" فلا يذهب نحوي ولا من شدا شيئاً من صناعة الإعراب إلى مثل هذا؛ لأن ليس في النفي كما، وما لا تعمل، فكذلك ليس، وذلك أن ليس مسلوبة الدلالة على الحدث والزمان. والقول بأنها فعل هو على سبيل المجاز، لأن حد الفعل لا ينطبق عليها. والعامل في الظرف إنما هو ما يقع فيه من الحدث، فإذا قلت: يوم الجمعة أقوم، فالقيام واقع في يوم الجمعة، وليس لا حدث لها، فكيف يكون لها عمل في الظرف؟ والمثال الذي شبه به، وهو يوم القيامة، ليس لي شغل، لا يدل على أن يوم الجمعة منصوب بليس، بل هو منصوب بالعامل في خبر ليس، وهو الجار والمجرور، فهو من تقديم معمول الخبر على ليس، وتقديم ذلك مبني على جواز تقديم الخبر الذي لليس عليها، وهو مختلف فيه، ولم يسمع من لسان العرب: قائماً ليس زيد. وليس إنما تدل على نفي الحكم الخبري عن المحكوم عليه فقط، فهي كما، ولكنه لما اتصلت بها ضمائر الرفع، جعلها ناس فعلاً، وهي في الحقيقة حرف نفي كما النافية.

ويظهر من تمثيل الزمخشري إذاً بقوله: يوم الجمعة، أنه سلبها الدلالة على الشرط الذي هو غالب فيها، ولو كانت شرطاً، وكان الجواب الجملة المصدرة بليس، لزمت الفاء، إلا إن حذفت في شعر، إذ ورد ذلك، فنقول: إذا أحسن إليك زيد فلست تترك مكافأته. ولا يجوز لست بغير فاء، إلا إن اضطر إلى ذلك. وأما تقديره: إذا وقعت كان كيت وكيت، فيدل على أن إذا عنده شرطية، ولذلك =

وقيل: جواب إذا: "فأصحاب الميمنة"[(١)].

وقال أبو سليمان الدمشقي: لما قال المشركون: متى هذا الوعد، متى هذا [الفتح][(٢)]، نزل قوله تعالى: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾. فالمعنى يكون: إذا وقعت الواقعة[(٣)].

قال ابن عباس في رواية العوفي عنه: خفضت فأسمعت القريب، [ورفعت][(٤)] فأسمعت البعيد[(٥)].

وقال في رواية عكرمة: خفضت أناساً ورفعت آخرين[(٦)].

وقال محمد بن كعب: تَخْفِضُ أقواماً كانوا مرتفعين في الدنيا، وترفع أقواماً كانوا منخفضين فيها[(٧)].

= قدر لها جواباً عاملاً فيها. وأما قوله: بإضمار اذكر، فإنه سلبها الظرفية، وجعلها مفعولاً بها منصوبة بأذكر. اهـ.

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٥١-٢٥٢).

(٢) زيادة من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣٠).

(٤) في الأصل: ووقعت. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦٧) ولفظه: أسمعت القريب والبعيد. وبلفظه ذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤) وعزاه لابن جرير وابن مردويه. وانظر لفظ المصنف في: زاد المسير (٨/ ١٣١).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٦ ح٣٤٧٨٣). و ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٣٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٧) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٢٨ ح١٥). وذكره الماوردي (٥/ ٤٤٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة.

قال المفسرون: تخفض أقواماً إلى أسفل سافلين في النار، وترفع أقواماً إلى عِلِّيين في الجنة[١].

قوله تعالى: ﴿إذا رُجَّت الأرض رجّاً﴾ جائز أن يكون بدلاً من "إذا وقعت الواقعة"[٢].

ويجوز أن ينتصب بـ"خافضة رافعة"، أي: تخفض وترفع وقت رَجِّ الأرض وبَسّ الجبال[٣].

قال ابن عباس: إذا رُجَّت الأرض وزُلْزِلَت[٤].

قال ابن جريج: تُرَجُّ بما فيها كما يُرَجُّ الغِرْبَال بما فيه[٥].

قيل ذلك؛ لإماتة من عليها[٦]. وقيل: لإخراج من في بطنها من الأموات[٧].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣١).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٣)، والدر المصون (٦/ ٢٥٣).

(٣) وهذا ما جوّزه الزمخشري في الكشاف(٤/ ٤٥٥). وردّه ولم يجوّزه أبو حيان في البحر (٨/ ٢٠٤) فقال: ولا يجوز أن ينتصب بهما معاً، بل بأحدهما.

ولأنه لا يجوز أن يجتمع مؤثران على أثر واحد.

وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٢٥٣): معنى كلامه أن كلاً منهما متسلط عليه من جهة المعنى، وتكون من التنازع، وحينئذ تكون العبارة صحيحة، إذ تصدق أن كلاً منهما عامل فيه وإن كان على التعاقب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٤٤٦) من قول الربيع بن أنس.

(٦) وهذا تأويلها على قول ابن عباس. ذكره الماوردي (٥/ ٤٤٦).

(٧) وهذا تأويلها على قول ابن جريج. ذكره الماوردي (٥/ ٤٤٦).

﴿وبُسَّتِ الجبال بساً﴾ أي: فُتّت حتى صارت كالدقيق، ولُتَّتْ كما يُلَتُّ السويق.

وقال مجاهد: سَالَتْ سَيْلاً[١].

وقال عكرمة: هُدَّتْ هَدّاً[٢].

﴿فكانت هباء منبثاً﴾ غباراً متفرقاً. وقد استوفينا القول عليه في الفرقان[٣].

ثم إن الله سبحانه وتعالى ذكر أحوال الناس يوم القيامة، وجِهَة انقسامهم فقال تعالى: ﴿وكنتم أزواجاً﴾ أي: أصنافاً ﴿ثلاثة﴾.

﴿فأصحاب الميمنة﴾ وفيهم خمسة أقوال:

أحدها: أنهم الذين كانوا على يمين آدم [حين][٤] أخرجت ذريته من صلبه. قاله ابن عباس[٥].

الثاني: أنهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم. قاله الضحاك[٦].

الثالث: أنهم الذين كانوا ميامين على أنفسهم، أي: مباركين. قاله الحسن والربيع[٧].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٤٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) عند الآية رقم: ٢٣.

(٤) زيادة من ب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣٢).

(٦) مثل السابق.

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٤٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣٢).

الرابع: أنهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة. حكاه الواحدي[١].

الخامس: أنهم أصحاب المنزلة الرفيعة. قاله الزجاج[٢].

وقوله: ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ تعظيمٌ لهم وتفخيمٌ لما أفضوا إليه من الكرامة.

قوله تعالى: ﴿وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ تفسيره على الضدّ من الذي قبله في تفسيره.

قوله تعالى: ﴿والسابقون السابقون﴾ قال الحسن وقتادة: هم السابقون إلى الإيمان من كل أمة[٣].

قال ابن سيرين: هم الذين صَلُّوا إلى القبلتين[٤].

وقال محمد بن كعب: هم الأنبياء[٥].

وقال الضحاك: هم أهل القرآن[٦].

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد: أن عثمان بن أبي سودة تلا هذه الآية: ﴿والسابقون السابقون﴾ قال: هم أوّلهم[٧] رواحاً إلى المسجد، وأولهم خروجاً في

---

(١) الوسيط (٤/ ٢٣٢).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٠٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٧٠). وذكره الماوردي (٥/ ٤٤٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٧١). وذكره الماوردي (٥/ ٤٤٨).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٤٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣٣).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣٣) عن كعب.

(٧) قوله: "أولهم" مكرر في الأصل.

سبيل الله[(١)].

قال الزجاج[(٢)]: "السابقون" الأول رفع بالابتداء، والثاني توكيد له، ويكون الخبر: ﴿أولئك المقربون﴾، ثم أخبر أين محلهم فقال: ﴿في جنات النعيم﴾. ويجوز أن يكون "السابقون" الأول مبتدأ، خبره: "السابقون" الثاني، فيكون المعنى -والله أعلم-: السابقون إلى طاعة الله تعالى السابقون إلى رحمة الله. ويكون ﴿أولئك المقربون﴾ من صفتهم.

وقال الزمخشري[(٣)]: "والسابقون السابقون" يريد: والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم، كقولك: وعبد الله عبد الله، وكقول أبي النجم:

..... وشِعْرِي شِعْرِي ....[(٤)]

كأنه قال: وشِعْري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته.

وقد جعل "السابقون" تأكيداً، و"أولئك المقربون": خبراً. وليس بذاك.

ووقف بعضهم على: "[والسابقون][(٥)]"، وابتدأ: "السابقون أولئك المقربون".

والصواب: أن يوقف على الثاني، لأنه تمام الجملة، وهو في مقابلة: "ما

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٢٦٣).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٠٩).

(٣) الكشاف (٤/ ٤٥٦-٤٥٧).

(٤) جزء من بيت، وهو:

أنا أبو النجم وشعري شعري ... لله دري ما يُجِنّ بصـــدري

انظر: الأغاني (٢٢/ ٣٤١)، والخصائص (٣/ ٣٣٧)، ومغني اللبيب (ص:٨٦٣)، والدر المصون (٦/ ٢٥٤).

(٥) في الأصل: السابقون. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٤٥٧).

أصحاب الميمنة"، و"ما أصحاب المشأمة".

قوله تعالى: ﴿أولئك المقربون﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: يعني: عند الله في ظل عرشه وجواره[١].

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثلة من الأولين﴾ "ثُلَّة": خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هم ثُلَّة[٢].

والثُّلَّة: الجماعة الكثيرة لا يحصرها عدد[٣].

قال مقاتل[٤]: يعني: سابقي الأمم.

﴿وقليل من الآخرين﴾ من هذه الأمة، يريد مقاتل: أن سابقي هذه الأمة قليل بالنسبة إلى سابقي الأمم الماضية.

وقيل: ثُلّة من الأولين من متقدمي هذه الأمة، وقليل من متأخريها؛ لأن الذين

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣٤).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٣)، والدر المصون (٦/ ٢٥٤).

(٣) انظر: اللسان (مادة: ثلل).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٣١٢).

اتبعوهم بإحسان قليل بالنسبة إليهم.

قوله تعالى: ﴿على سرر موضونة﴾ قال ابن عباس وغيره: مرمولة منسوجة بالذهب والجواهر[١]، قد أدخل بعضُها في بعض، ومنه سمي النِّسْع[٢]: الوَضِين.

ومنه بيت الأعشى:

ومنْ نَسْجِ داودَ مَوْضُونةٌ ....[٣]

وقول الآخر:

وبيضاءَ كالنهيِ موضونة ....[٤]

وقال الضحاك: "مَوْضُونة": مصفوفة، وهي رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس[٥].

قال ابن السائب: طول كل سرير ثلاثمائة ذراع، فإذا أراد العبد أن يجلس عليها

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٠)، وهناد في الزهد (١/ ٨٠ ح٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨) وعزاه لسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس.

(٢) في هامش ب: النِّسْع -بالكسر-: سَيْرٌ مضفورٌ يُجعل زماماً للبعير وغيره، وقد تنسج عريضةً تجعل على صدر البعير، وهو الوَضِين والبِطَان، والجمع: نِسْع وأنْسَاع (انظر: لسان العرب، مادة: نسع).

(٣) صدر بيت للأعشى، وعجزه: تسير مع الحي عيراً فعيرا. انظر: ديوانه (ص:٧١)، واللسان (مادة: وضن)، والبحر (٨/ ٢٠١)، والدر المصون (٦/ ٢٥٥)، والقرطبي (١٧/ ٢٠١)، والطبري (٢٧/ ١٧٢)، وروح المعاني (٢٦/ ٤١، ٢٧/ ١٣٥).

(٤) صدر بيت للأعشى، وعجزه: لها قونس فوق جبين البدن. وهو في: القرطبي (٨/ ٣٨٠، ١٧/ ٢٠١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث والنشور.

تواضعت له، فإذا جلس عليها ارتفعت[١].

قوله تعالى: ﴿متكئين عليها﴾ قال الزجاج والزمخشري[٢]: "متكئين": حال من الضمير في "على"، وهو العامل في الحال، أي: استقروا عليها متكئين، ﴿متقابلين﴾ لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض. وُصفوا بحُسْن العشرة وتهذيب الأخلاق [والآداب][٣].

قوله تعالى: ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ أي: مُبْقَوْنَ أبداً على شكل الولدان، لا يكبرون ولا ينقصون ولا يتغيرون ولا يموتون. هذا قول جمهور العلماء[٤].

وقال سعيد بن جبير: مُقَرَّطون[٥].

وقال الفراء وابن قتيبة وغيرهما[٦]: مُحَلَّوْنَ بالأسورة والأقراط، وأنشدوا:

ومُخَلَّداتٌ باللُّجَيْن كأنما أعْجَازُهُنَّ أقَاوِزُ الكُثْبَان[٧]

قال أهل اللغة[٨]: "الأباريق": فارسي مُعرَّب، وقد تكلمت به العرب قديماً.

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٢٠٢).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١١٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٥٨).

(٣) في الأصل: والأدب. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) ذكره الطبري (٢٧/ ١٧٣)، والماوردي (٥/ ٤٥٠).

(٥) ذكره الطبري (٢٩/ ٢٢٠) بلا نسبة، والقرطبي (١٧/ ٢٠٢)، والبغوي (٤/ ٢٨١).

(٦) معاني الفراء (٣/ ١٢٣)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٤٤٦-٤٤٧).

(٧) انظر البيت في: اللسان (مادة: خلد، قوز)، والطبري (٢٩/ ٢٢٠)، والقرطبي (١٧/ ٢٠٢)، والماوردي (٥/ ٤٥٠)، وزاد المسير (٨/ ١٣٦).

(٨) انظر: اللسان (مادة: برق)، والصحاح (٤/ ١٤٤٩).

قال عدي بن زيد:

ودَعَا بالصَّبُوحِ يوماً فجاءت قَينةٌ في يمينها إبريق[١]

قال الزجاج وغيره من المفسرين واللغويين[٢]: [الأكواب][٣]: آنية لا عُرى لها ولا خراطيم.

﴿لا يصدعون عنها﴾ أي: بسببها؛ كخمر الدنيا.

وقيل: لا يُفَرَّقُون عنها.

وما لم أفسره هاهنا مُفسَّر في الصافات[٤]، أو ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿وحور عين﴾.

قرأ حمزة والكسائي: بالجر فيهما، وقرأ الباقون من السبعة: بالرفع[٥].

وقرأ أبي بن كعب وعائشة وأبو العالية والجحدري: بالنصب[٦].

فمن قرأ بالجر: عطفه على ما قبله؛ إما لأنه ليس من شرط المعطوف مشاركة المعطوف عليه في المعنى، وأنشدوا:

---

(١) البيت لعدي بن زيد، وهو في: اللسان (مادة: برق، طرق)، والبحر (٨/ ٢٠٢)، والدر المصون (٦/ ٢٥٦)، وزاد المسير (٨/ ١٣٦)، وروح المعاني (٢٧/ ١٣٦)، والأغاني (٦/ ٨٥، ٨٦)، وتاج العروس (مادة: برق، طرق).

(٢) انظر: معاني الزجاج (٥/ ١١٠)، واللسان (مادة: كوب).

(٣) في الأصل: الأباريق. والمثبت من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) عند الآية رقم: ٤٧.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٢٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٥)، والكشف (٢/ ٣٠٤)، والنشر (٢/ ٣٨٣)، والإتحاف (ص:٤٠٧-٤٠٨)، والسبعة (ص:٦٢٢).

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٣٧)، والدر المصون (٦/ ٢٥٧).

إذا ما الغانياتُ برزنَ يوماً وزجَّجْنَ الحواجبَ والعُيُونا[١]

والعيون لا تُزَجَّج وإنما تُكحل، وأنشدوا أيضاً:

وعَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارداً ....[٢]

وإما لكونه لا يمتنع أن يطوف الولدان عليهم بالحور، ويكون ذلك من جملة ما يتنعّمون به ويُكرَمون بسببه.

ومن رفع فعلى معنى: وهناك حُورٌ، أو ولهم حور.

ومن نصب فعلى معنى: ويعُطون حوراً، هُنَّ في صفاء الألوان ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ في أصدافه، لم يتغير بمسّ الأيدي، ولم يتأثر بطول الاستعمال.

قوله تعالى: ﴿جزاءً﴾ مفعول له[٣].

قوله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً * إلا قيلاً سلاماً سلاماً﴾ قد سبق معنى اللغو والسلام عند قوله: ﴿لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً﴾ في مريم، ومعنى "التأثيم" في الطور[٤].

---

(١) البيت للراعي النميري، وهو في: اللسان (مادة: زجج)، ومعاني الفراء (٣/ ١٢٣)، والطبري (٢٧/ ١٧٦)، والقرطبي (١٧/ ٢٠٥)، وزاد المسير (٨/ ١٣٨)، والخصائص (٢/ ٤٣٢)، وتاج العروس (مادة: زجج).

(٢) صدر بيت لذي الرمة، وعجزه: (حتى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْناها). انظر ملحقات ديوانه (٣/ ١٨٦٢)، ومعاني الفراء (١/ ١٤ن ٣/ ١٢٤)، وتأويل المشكل (ص:٢١٣)، والخصائص (٢/ ٤٣١)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٨)، والإنصاف (٢/ ٦١٣)، وأوضح المسالك (١/ ٢٩٨)، والخزانة (١/ ٤٩٩)، واللسان (مادة: قلد).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٤)، والدر المصون (٦/ ٢٥٨).

(٤) في سورة مريم عند الآية رقم: ٦٢، وفي سورة الطور عند الآية رقم: ٢٣.

وقوله: ﴿سلاماً﴾ بدل من ["قِيلاً"][(١)]، بدليل الآية المذكورة في مريم، أو مفعول به لـ"قيلاً"، على معنى: لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاماً سلاماً[(٢)].

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وأصحاب اليمين﴾ هم أصحاب الميمنة.

﴿في سدر مخضود﴾ قال عكرمة: لا شَوْك فيه[(٣)].

قال ابن قتيبة[(٤)]: كأنه خُضِدَ شوكه، أي: قُطِع، ومنه قول النبي ﷺ في المدينة: «لا يُخْضَدُ شوكها»[(٥)].

وقال مجاهد والضحاك: "مخضود": [موقر][(٦)]، وهو الذي تَثْنِي أغصانه لكثرة

---

(١) في الأصل: قليلاً. والتصويب من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٤)، والدر المصون (٦/ ٢٥٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٧٩)، وهناد في الزهد (١/ ٩٥ ح١٠٩). وذكره الماوردي (٥/ ٤٥٣).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٤٤٧).

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٨ ح٣٧٧٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٨٠)، وهناد في الزهد (١/ ٩٥ ح١٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣) وعزاه لهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث. وما بين المعكوفين في الأصل: موفر. والمثبت من ب.

حمله، من قولهم: خَضَدَ الغصن؛ إذا ثناه وهو رَطْب[١]. والقولان عن ابن عباس[٢].

قوله تعالى: ﴿وطلح منضود﴾ الطَّلْحُ: شجر الموز، في قول علي، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، والحسن، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وجمهور المفسرين[٣].

وقال أبو عبيدة وغيره من أهل اللغة[٤]: الطَّلْحُ عند العرب: شجرٌ عِظَامٌ، كثير الشوك. [وهو شجر][٥] أم غَيْلان[٦]. قال الحادي:

بَشَّرَها دَلِيلُهَا وقالا   غداً تَرَيْنَ الطلحَ والحبالا[٧]

فإن قيل: ما الفائدة فيه حتى جُعل من شجر الجنة؟

---

(١) انظر: اللسان (مادة: خضد).

(٢) أخرج القول الأول: الطبري (٢٧/ ١٧٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر من طرق عن ابن عباس.
وأخرج القول الثاني: الطبري (٢٧/ ١٧٩). وذكره السيوطي (٨/ ١٢) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦٤٧)، وهناد في الزهد (١/ ٩٦ ح١١١، ١١٢)، والطبري (٢٧/ ١٨١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٠-٣٣٣١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه عن علي بن أبي طالب. ومن طرق أخرى عن أبي سعيد الخدري ومجاهد.

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٥٠).

(٥) في الأصل: وشجر. والتصويب من ب.

(٦) انظر: اللسان (مادة: طلح).

(٧) البيت للنابغة الجعدي، وهو في: مجاز القرآن (٢/ ٢٥٠)، والطبري (٢٧/ ١٨١)، والماوردي (٥/ ٤٥٤)، والقرطبي (١٧/ ٢٠٨)، وزاد المسير (٨/ ١٤٠).

قلتُ: كثرة نوره، وطيب ريحه، وامتداد ظله[1]، وما بين شجر الدنيا وشجر الجنة اشتراك إلا في الأسماء، وإلا [فلتلك][2] ثمار ونُوَّار لا يعلمه أهل الدنيا.

وروى محمد بن جرير بإسناد له قال[3]: قرأ رجل عند علي عليه السلام: ﴿وطلح منضود﴾ قال علي: ما شأن الطلح، إنما هو: ["وطلع][4] منضود"، ثم قرأ: ﴿طلعها هضيم﴾ فقيل له: إنها في المصحف بالحاء، أفلا نحوّلها؟ فقال: إن القرآن لا يُهَاجُ اليوم.

ويروى: أن علياً عليه السلام كان يقرأ: "وطَلْعٍ منضود"[5] [بالعين][6]. والله أعلم بصحة ذلك عنه.

والذي أطبقت عليه الأمة واختارته الأئمة ما نُقل على لسان التواتر، ونَطق به الإمام الذي [أجمعت][7] عليه الصحابة فمن بعدهم: مصحف عثمان رضي الله عنه.

والمنضُود: المُتَراكم الذي ينضد بالحمل من أوله إلى آخره.

قال مسروق: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها ثمر كله[8].

---

(١) في الأصل زيادة قوله: ما بين. وانظر: ب.

(٢) في الأصل: فتلك. والتصويب من ب.

(٣) تفسير الطبري (٢٧/ ١٨١).

(٤) في الأصل: طلع. والتصويب من ب، ومن الطبري، الموضع السابق.

(٥) انظر هذه القراءة في: الماوردي (٥/ ٤٥٤)، والدر المصون (٦/ ٢٥٩).

(٦) زيادة من ب.

(٧) في الأصل: اجتمعت. والمثبت من ب.

(٨) ذكره القرطبي (١٧/ ٢٠٩)، والبغوي (٤/ ٢٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤٠) بمعناه.

قوله تعالى: ﴿وظل ممدود﴾ أي: دائم لا تنسخه الشمس.

قال الربيع: يعني: ظل العرش[(١)].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم بن عبدالله بن عبدالصمد العطار، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبدالله الصوفي قالا: أخبرنا عبدالأول بن عيسى، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وظل ممدود﴾»[(٢)]. هذا حديث متفق على صحته، أخرجاه من طرق، ورواه جماعة من الصحابة منهم: سهل بن سعد، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وغيرهم[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وماء مسكوب﴾ أي: دائم الجرية لا ينقطع.

﴿وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة﴾ في [بعض][(٤)] الأحايين كثمار الدنيا، ﴿ولا ممنوعة﴾ من [متناولها][(٥)] بوجه من الوجوه.

قوله تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾ قيل المراد بالفُرُش: النساء، على معنى: مرفوعة بالجمال على نساء الدنيا، أو مرفوعة على السرر. ويدل عليه قوله: ﴿إنا أنشأناهن﴾.

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٢٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥١ ح٤٥٩٩)، ومسلم (٤/ ٢١٧٥ ح٢٨٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٧٦ ح٢٨٢٧-٢٨٢٨) من حديث سهل بن سعد وأبي سعيد الخدري.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: تناولها. والمثبت من ب.

والصحيح: ما عليه عامة المفسرين: من أنها الفُرُش المعروفة، أي: مرفوعة بزيادة الحشو، أو على السرر.

وفي الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض، مسيرة ما بينهما خمسمائة عام»[١].

قوله تعالى: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ قال ابن عباس: يريد: النساء الآدميات[٢].

وفي الترمذي من حديث أنس: «أن من المنشآت اللاتي كُنَّ في الدنيا عُمْشاً رُمْصاً»[٣].

والمعنى: أنشأناهنَّ إنشاءً جديداً من غير أن تشتمل عليهن أصلاب الفحول وأرحام الطوامث.

فإن قيل: قد أسلفتَ أنه لا يكنى عن شيء إلا وقد تقدمه ما يدل عليه، فأين جرى هاهنا ذكر نساء أهل الدنيا لترجع الكناية في قوله: "أنشأناهن" إليهن؟

قلتُ: إن أريد بالفُرُش: النساء، فلا إشكال، وإلا فقد دلَّت عليهن دلالة ملازمة.

﴿فجعلناهن أبكاراً﴾ عذارى.

قال ابن عباس: لا يأتيها زوجها إلا وجدها بكْراً[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٧٩ ح٢٥٤٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٢ ح٣٢٩٦).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٤٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤٢).

﴿عرباً أتراباً﴾ وقرأ حمزة: "عُرْباً" بإسكان الراء[١].

والعُرُب: جمع عَرُوب. قال الشاعر:

وفي الحُدُوج[٢] عَرُوبٌ غيرُ فاحشةٍ ... رَيّا الرَّوادِفِ يَغْشَى دُونها البصر[٣]

وهي المُتَحَبِّبَة إلى زوجها، الحسنة التَّبَعُّل. قاله ابن عباس وعامة المفسرين واللغويين[٤]. وإليه يؤول قول عكرمة: أنهن الغَنِجَات[٥].

وقول الحسن وقتادة: العواشق لأزواجهن[٦]؛ لأن عشقهن لهم يزيدهم ميلاً إليهن.

وقول ابن زيد: الحسِناتُ الكلام[٧].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٢١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٦)، والكشف (٢/ ٣٠٤-٣٠٥)، والإتحاف (ص:٤٠٨)، والسبعة (ص:٦٢٢).

(٢) الحُدُوج: جمع، واحدها: حِدْج، وهي مراكب النساء، أو الهودج. (انظر: اللسان، مادة: حدج).

(٣) البيت للبيد بن ربيعة، وهو في: مجاز القرآن (٢/ ٢٥١)، والحجة للفارسي (٤/ ٢٢)، والماوردي (٥/ ٤٥٥)، والطبري (٢٧/ ١٨٦)، والقرطبي (١٧/ ٢١١).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٦) وعزاه لابن جرير. وانظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٥١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٨٧-١٨٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٧-١٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٨٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٢). وذكره الماوردي (٥/ ٤٥٥).

ويروى في [الحديث][(١)]: أن النبي ﷺ قال: ((كلامهن عربي))[(٢)].

"أتراباً" مفسر في ص عند قوله: ﴿وعندهم قاصرات الطرف أتراب﴾ [ص:٥٢].

واللام في قوله: ﴿لأصحاب اليمين﴾ متعلقة بقوله: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾، تقديره: إنا خلقناهن خلقاً جديداً بعد أن كُنَّ عجائز عُمْشاً، ثم صِرْنَ في القبور تراباً، فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين.

قوله تعالى: ﴿ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين﴾ أي: أصحاب اليمين، وهم أهل الجنة جماعة كثيرة من الأولين وجماعة كثيرة من الآخرين.

وفي "الأولين" و"الآخرين" القولان السابقان في التي قبلها.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال ((في قوله: ﴿ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين﴾: جميع الثُّلَّتَيْن من أمتي))[(٣)].

فإن قيل: هل بين قوله: ﴿وقليل من الآخرين﴾ وقوله: ﴿وثلة من الآخرين﴾ مناقضة؟

قلتُ: كلا؛ لأن الآية الأولى في السابقين من الأمم، على ما أشرنا إليه من قول مقاتل، وقد كشفنا عن وجه معناه. وهذه في مطلق أهل الجنة، إما من جميع الأمم أو من هذه الأمة. وكلا الفريقين الداخلين إلى الجنة من الأولين والآخرين ثلة غير

---

(١) في الأصل: حديث. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٩١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٩) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن مردويه.

محصورة، على أن قوله: ﴿وقليل من الآخرين﴾ لا ينافي كون القليل ثُلَّة، وإنما أفاد كثرة الثُّلَّة الأوّلة بالنسبة إلى الثُّلَّة الآخرة.

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾ هذا تعجيب من سوء حالهم.

﴿في سموم﴾ قال ابن قتيبة[1]: هو حرّ النار.

﴿وحميم﴾ هو الماء الحار. وقد سبق تفسيرهما[2].

﴿وظلّ من يحموم﴾ يَفْعُول، من الأحم، وهو الأسود الشديد السواد.

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٤٤٩).

(٢) سبق تفسير السموم في سورة الطور، آية رقم: ٢٧، وتفسير الحميم في سورة الحج، آية رقم: ١٩.

قال الفراء[١]: الدخان الأسود.

وقال ابن عباس: ظل من دخان[٢].

ثم نعته فقال: ﴿لا بارد ولا كريم﴾ قال ابن عباس: لا بارد المدخل ولا كريم المنظر[٣].

﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ في الدنيا ﴿مترفين﴾ أي: مُتَّعين مُنَعَّمين منهمكين في اللذات، راكبي رؤوسهم في اتباع الشهوات.

﴿وكانوا﴾ مع ذلك ﴿يصرون على الحنث العظيم﴾. قال الحسن والضحاك وابن زيد: هو الشرك بالله[٤].

وقال مجاهد وقتادة: هو الذنب العظيم لا يتوبون منه[٥].

وقال الشعبي: هو اليمين الغموس[٦].

يشير -والله أعلم- إلى حلفهم أنهم لا يُبْعَثُون. ويدل عليه قوله: ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ١٢٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٩٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٣)، والحاكم (٢/ ٥١٨ ح٣٧٧٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٠) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٩٤). وذكره الماوردي (٥/ ٤٥٧).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٦٤٩)، والطبري (٢٧/ ١٩٤). وذكره الماوردي (٥/ ٤٥٧).

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٤٥٧)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٢٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤٤).

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: "أئذا" بهمزتين محقَّقتين، وفصل بينهما بألف؛ هشام، الباقون بتحقيق الأولى وتليين الثانية، وفصل بينهما بألف: أبو عمرو وقالون، ولم يقرأه أحد على الخبر.

وقرأ نافع والكسائي: "إنا" على الخبر، الباقون: بهمزتين، وحققهما ابن عامر وعاصم وحمزة، وفصل بينهما بألف: هشام، وحقق الأولى وليّن الثانية: ابن كثير وأبو عمرو، وزاد أبو عمرو الفصل بألف[1]. وقد أشرنا إلى علة ذلك في أوائل الرعد[2].

وقرأ نافع وابن عامر: "أَوْ آباؤنا" بسكون الواو[3]. وقد ذكرته في الصافات[4]، وبيّنت معناه.

قال الزمخشري[5]: إن قلت: كيف حَسُنَ العطف على المضمر في: ﴿لمبعوثون﴾ من غير تأكيد؟

قلتُ: حَسُنَ للفاصل الذي هو الهمزة، كما حَسُنَ في قوله: ﴿ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ [الأنعام:١٤٨] لفصل "لا" المؤكدة للنفي. و"مِنْ" في قوله: ﴿مِنْ شَجَرٍ﴾ لابتداء الغاية، وفي قوله: ﴿مِنْ زَقُّوم﴾ لبيان الشجر وتفسيره. وأنَّث ضمير الشجر على المعنى، وذكَّره على اللفظ في قوله: "منها" و "عليه".

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٢٢)، والنشر (١/ ٣٧٣)، والإتحاف (ص:٤٠٨)، والسبعة (ص:٦٢٣).

(٢) عند الآية رقم: ٥.

(٣) الحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٦)، والنشر (٢/ ٣٥٧)، والإتحاف (ص:٤٠٨).

(٤) عند الآية رقم: ١٧.

(٥) الكشاف (٤/ ٤٦٢).

ويجوز عندي: أن يكون الضمير في قوله: ﴿فشاربون عليه﴾ راجعاً إلى "الزقوم"، يدل عليه قراءة من قرأ: "من [شَجَرَة][(١)]".

وما لم أذكره مُفسّر في مواضعه.

قوله تعالى: ﴿فشاربون شُرْبَ الهيم﴾ قرأ نافع وعاصم وحمزة وأبو جعفر: "شُرْبَ" بضم الشين. وقرأ الباقون من العشرة: بفتحها[(٢)].

قال الزجاج[(٣)]: "الشَّرْبُ" -بالفتح-: المصدر، وبالضم: الاسم.

وقال الزمخشري[(٤)]: هما مصدران.

وقال الكسائي: قوم من بني سعد يقولون: "شِرْبَ الهيم" بكسر الشين[(٥)].

قال غيره: "الشِّرْبُ" -بكسر الشين- بمعنى: المشروب.

والهِيمُ: الإبل التي بها الهُيام، وهو داءٌ لا تَرْوى معه من شُرْب الماء. يقال: بعيرٌ أهْيَمٌ وناقةٌ هَيْمَاءُ[(٦)]. قال ذو الرمة:

فأصبحتُ كالهَيْمَاءِ لا الماءُ مُبْرِدٌ ... صَدَاها ولا يَقْضِي عليها هِيَامُها[(٧)]

---

(١) في الأصل: شجر. والتصويب من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٢٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٦)، والكشف (٢/ ٣٠٥)، والنشر (٢/ ٣٨٣)، والإتحاف (ص:٤٠٨)، والسبعة (ص:٦٢٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١١٣).

(٤) الكشاف (٤/ ٤٦٢).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤٥).

(٦) انظر: اللسان (مادة: هيم).

(٧) البيت لذي الرمة، انظر: ديوانه (ص:٧١٤)، والبحر (٨/ ٢٠٨)، والدر المصون (٦/ ٢٦١)، والكشاف (٤/ ٤٦٢)، وروح المعاني (٢٧/ ١٤٦).

هذا قول مجاهد [وعكرمة][(١)] والضحاك وقتادة وعطاء وجمهور المفسرين[(٢)].

وقيل: إن الهِيم: الرمال التي [لا][(٣)] تروى من الماء[(٤)]. والقولان عن ابن عباس.

قال أبو عبيدة[(٥)]: الهِيمُ: ما لا يَروى من رمْل أو بعير.

وقال الزمخشري[(٦)] -على القول الثاني-: وجهه: أن يكون الهِيم جمع: الهَيَام -بفتح الهاء-، وهو الرمل الذي [لا][(٧)] يتماسك، جُمِعَ على فُعُل؛ كسَحَاب وسُحُب، ثم خُفِّف وفُعِلَ به ما فُعِلَ بجَمْع أَبْيَض.

ومعنى الآية: أنه يُسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم، فإذا ملؤوا منه بطونهم سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم، [فيشربونه][(٨)] شُرْبَ الهِيم.

قوله تعالى: ﴿هذا نزلهم﴾ أي: هذا الطعام والشراب نُزُلُهُم الذي أعددنا لهم

---

(١) في الأصل: عكرمة. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٦٤٩-٦٥٠)، والطبري (٢٧/ ١٩٥-١٩٦).

وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١-٢٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن أبي مجلز وعكرمة وقتادة والحسن والضحاك.

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٤٥٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٢) وعزاه لسفيان بن عيينة في جامعه.

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٥١).

(٦) الكشاف (٤/ ٤٦٢).

(٧) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٨) في الأصل: فشربونه. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

﴿يوم الدين﴾ أي: يوم الجزاء والحساب. وقد سبق ذكره في الفاتحة.

وفي هذا تهكُّمٌ بهم؛ لأن النُّزُل: ما يُعَدّ للأضياف من الرزق تكرمةً لهم.

نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿نحن خلقناكم﴾ أي: نحن قدَّرنا هيئتكم وأوجدناكم، ﴿فلولا﴾ أي: فهلاّ ﴿تصدقون﴾ بالبعث وتعتبرون إحدى النشأتين بالأخرى، أو فهلاّ تصدقون بالحق تصديقاً لا مناقضة فيه، فإن الإقرار بالخلق الأول مع إنكار الخلق الثاني متناقضان.

﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ وقرأ أبو [السَّمَّال][1]: "تَمْنُون" بفتح التاء[2].

وقد ذكرنا أنهما لغتان، أَمْنَى ومَنَى.

والمعنى: أخبروني ما تلقونه في أرحام النساء ﴿أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾.

قرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم الإمام أبو منصور محمد بن أسعد العطاري فأقر به قال: سمعت الإمام أبا محمد الحسين بن مسعود البغوي يقول: روي عن علي رضي الله عنه: أنه قرأ في الصلاة بالليل: ﴿أفرأيتم ما تمنون * أأنتم

---

(١) في الأصل: السماك. والتصويب من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٢١٠)، والدر المصون (٦/ ٢٦٣).

تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ قال: بل أنت يا رب ثلاثاً[١]، وكذلك في قوله: ﴿أم نحن الزارعون﴾، ﴿أم نحن المنزلون﴾[٢].

﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ وقرأ ابن كثير: "قَدَرْنا" بالتخفيف[٣]، وهما لغتان بمعنى واحد.

قال الضحاك: سوينا بينكم فيه[٤]. فيكون التقدير بمعنى: القضاء.

وقال مقاتل[٥]: المعنى: منكم من يموت كبيراً، ومنكم من يموت صغيراً وشاباً وشيخاً.

﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أي: بمغلوبين.

﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ قال الزجاج[٦]: المعنى: إن أردنا أن نخلق خلقاً غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا ذلك.

﴿وننشئكم في ما لا تعلمون﴾ من الصور.

---

(١) ساقط من ب.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٤٥٢-٤٥٣ ح٤٠٥٣)، والحاكم (٢/ ٥١٨ ح٣٧٨٠)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٣١١ ح٣٥١٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٢) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر والحاكم والبيهقي في سننه.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٢٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٦)، والكشف (٢/ ٣٠٥)، والنشر (٢/ ٣٨٣)، والإتحاف (ص:٤٠٨)، والسبعة (ص:٦٢٣).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٤٥٨، ٤٥٩).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٣١٦).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١١٤).

قال مجاهد: نخلقكم في أيّ خلق شئنا[1].

فمعنى الآية: وما نحن بمسبوقين على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم، وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونه.

وقيل: تقديره: على أن نبدلكم بأمثالكم، فحذف المفعول الأول، والجارّ من المفعول الثاني.

وقيل: الأمثال: جمع مثل، بمعنى الصفة، أي: نبدّل صفاتكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها.

﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ أقرّيتم بها واعترفتم بصحّة كونها، ﴿فلولا تذكرون﴾ فتستدلوا بالنظير على النظير.

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾

﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ في الأرض وتلقون فيها من البذر.

﴿أأنتم تزرعونه﴾ تُنبِتُونَه وتُخْرِجُونه نابتاً نامياً، ﴿أم نحن الزارعون﴾.

﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً﴾ قال الزجاج[2]: أبطلناه حتى يكون متحطماً لا حنطة فيه ولا شيء.

---

(١) أخرجه مجاهد (ص: ٦٥٠)، والطبري (٢٧/ ١٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١١٤).

﴿فَظَلْتُم﴾ وقرأ الشعبي وأبو العالية: "فَظِلْتُم" بكسر الظاء[١]؛ لأن الأصل [فيه: "ظَلِلْتُم"][٢]، فنقل حركة اللام إلى الظاء، وهذا الحرف آخر الحروف التسعة التي جاءت بالظاء في القرآن. وقد ذكرتها في سورة النحل عند قوله: ﴿ظل وجهه مسوداً﴾ [٥٨]، فاطلبها هنالك.

ومعنى: ﴿تفكهون﴾ تعجبون مما نزل بكم في زرعكم.

وقيل: تندمون على عملكم[٣] فيه وإنفاقكم عليه. والقولان مشهوران في التفسير.

ويقال: إنه من الأضداد. تَفَكَّهَ بمعنى: تَنَعَّم، وتَفَكَّهَ بمعنى: تَحَزَّن.

وقرأ أُبيّ بن كعب وابن السميفع والقاسم بن محمد وعكرمة: "تَفَكَّنُون" [بنون][٤] بدل الهاء، بمعنى: تندَّمون[٥].

[ومنه][٦] الحديث: «مثلُ العالم مَثَلُ الحَمَّة، يأتيها البُعَداء ويتركها القُرَبَاء، فبينما هم كذلك إذ غار ماؤُها، فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكَّنون»[٧]. أي: يتندّمون.

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٤٨)، والدر المصون (٦/ ٢٦٤).

(٢) في الأصل: فظللتم. والمثبت من ب.

(٣) في ب: تعبكم.

(٤) زيادة من ب.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٤٨)، والدر المصون (٦/ ٢٦٤).

(٦) في الأصل: منه. والتصويب من ب.

(٧) أخرجه ابن قتيبة في المعارف (ص:٤٣٩). وذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٤٦٤).

﴿إنا لمغرمون﴾ قال الزجاج[١]: أي يقولون: إنا لمغرمون قد غرمنا وذهب زرعنا.

وقيل: لمعذبون من الغرام، وهو الهلاك.

﴿بل نحن محرومون﴾ مُحَارَفُون محدودون.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

والمُزْن: السَّحَاب، واحدتها: مُزْنَة[٢].

وقيل: هو السحاب الأبيض خاصة، وهو أعذب ماء.

﴿لو نشاء جعلناه أجاجاً﴾ ملحاً زُعاقاً لا تقدرون على شُرْبه ﴿فلولا تشكرون﴾ أي: فهلاّ تشكرون الذي أنزله عذباً ثَجَّاجاً ولم يجعله ملحاً أجاجاً.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ تقدحونها وتخرجونها[٣] من الزناد.

قال الزجاج[٤]: يقال: وَرَى الزند يَرِي فهو وَارٍ؛ إذا انقدحت منه النار،

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ١١٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: مزن).

(٣) في ب: وتستخرجونها.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ١١٥).

وأَوْرَيْتُ النار؛ إذا قدحتها[١]. والعرب تَقْدَحُ بالزَّند والزَّندة، وهو خشب يُحَكُّ بعضه على بعض، فتخرج منه النار، وهذا قول ابن قتيبة أيضاً وعامة أهل اللغة والتفسير.

﴿أأنتم أنشأتم شجرتها﴾ وهي المَرْخ والعَفَار، وفي كل شجر نار.

وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن المراد بشجرتها: الحديد[٢].

﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ تذكيراً لنار جهنم وأنموذجاً لها.

أنبأنا أبو علي بن عبدالله المذكّر قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبدالواحد، أخبرنا الحسن بن علي [الواعظ][٣]، أخبرنا أبو بكر[٤] أحمد بن جعفر، أخبرنا عبدالله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبدالرزاق، حدثنا معمر، عن همام، حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نارُكم هذه ما يوقد بنو آدم جزءٌ واحد من سبعين جزءاً من حر جهنم. قالوا: والله إن كانت لكافيةً يا رسول الله. قال: فإنها فَضَلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرّها»[٥]. أخرجاه في الصحيحين.

قوله تعالى: ﴿ومتاعاً للمُقْوِين﴾ أي: ومنفعة للذين ينزلون القَواء، وهي القفْر والأرض الخالية.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: وري).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤٩).

(٣) في الأصل: الحافظ. والمثبت من ب، وقد سبق عدة مرات كما أثبتناه.

(٤) في الأصل زيادة قوله: "بن". وهو خطأ. وانظر: ب.

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١١٩١ ح٣٠٩٢)، ومسلم (٤/ ٢١٨٤ ح٢٨٤٣)، وأحمد (٢/ ٣١٣ ح٨١١١).

ومنه قول النابغة:

.... أقوتْ وطَالَ عليها سالفُ الأبد[١]

وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك[٢].

قال بعض العلماء: المسافر أشدّ حاجةً إليها من المقيم؛ لأنه إذا أوقدها هربت منه السّباع، واهتدى بها الضّالّ، واصْطَلَى بها في شدة البرد[٣].

وقال مجاهد: متاعاً للمسافرين [والحاضرين][٤].

ولعمري إنها كذلك، ولكن الاشتقاق لا يساعده على هذا، اللهم إلا أن يكون مثل قوله: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل:٨١].

وقال الربيع والسدي: متاعاً للمُرْمِلين المُقْوين الذين لا زاد معهم، يوقدون ناراً فيختبزون بها[٥].

---

(١) عجز بيت للنابغة، وصدره: يا دار ميّة بالعلياء فالسند. انظر: ديوانه (ص:٣٠)، والخزانة (٤/ ٤٠٩)، وشرح شواهد المغني (٤/ ٣١٥)، والتصريح على التوضيح (١/ ١٤٠)، والدرر اللوامع (١/ ٦١)، والأشموني (١/ ٢١٠)، والبحر المحيط (١/ ١٤١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠١-٢٠٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠٢)، وهناد في الزهد (١/ ١٦٨ ح٢٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤) وعزاه لهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر. وما بين المعكوفين في الأصل: والضحاضرين. والتصويب من ب.

(٥) ذكره الثعلبي (٩/ ٢١٧).

وقال ابن زيد: "للمقوين": للجائعين[١]. تقول: أَقْوَيْتُ من كذا وكـذا؛ إذا لم تأكل شيئاً[٢].

وقال قطرب وغيره من أهل اللغة والواحدي[٣]: المُقْوي من الأضداد، يكون بمعنى: الفقير، ويكون بمعنى: الغني. ويقال: أقوى الرجل؛ إذا قوي على ما يريد، وأقوى: إذا افتقر وخلا من المال[٤].

قال الواحدي[٥]: فالمعنى: ومتاعاً للأغنياء والفقراء، وذلك أنه لا غنى لأحد عنها.

وهذا القول من الواحدي فيه إشعار أن اللفظة الواحدة تُستعمل في الشيء وضده في حالة واحدة، وهذا لا يجوز، فإنه لا يسوغ أن تُطلق القُرْء وأنت تريد به: الحيض والطهر.

قوله تعالى: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي: نَزِّه ربك مما يقولون.

أمر الله تعالى نبيه بالتسبيح شكراً له على ما فضّله من ذكر نعمه ودلائل وحدانيته وقدرته على البعث.

۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠٢). وذكره الماوردي (٥/ ٤٦١).

(٢) انظر: اللسان (مادة: قوا).

(٣) الوسيط (٤/ ٢٣٨).

(٤) انظر: اللسان (مادة: قوا).

(٥) الوسيط (٤/ ٢٣٨).

مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ قال الزجاج[١] وأكثر المفسرين واللغويين: معناه: فأقسم بمواقع النجوم، فـ"لا" مزيدة مؤكدة، كقوله: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ [الحديد:٢٩].

وقيل: إن "لا" على أصلها، فهي ناهية، بمعنى: لا تكفروا ولا تجحدوا ما ذكرت من نعمي، ولا تنكروا قدرتي، أو نافية لما يقوله الكفار في القرآن.

وقرأ الحسن: "فَلَأُقْسِمُ"[٢] على معنى: فلأنا أقسم.

قال مجاهد: "مواقع النجوم": مطالعها ومساقطها[٣].

وقال الحسن: انتثارها وانكدارها يوم القيامة[٤].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنها نجوم القرآن[٥]؛ لأنه كان ينزل على النبي ﷺ نجوماً شيئاً بعد شيء.

قال الزجاج[٦]: ودليل هذا القول: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ١١٥).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٥١)، والدر المصون (٦/ ٢٦٦).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦٥٢)، والطبري (٢٧/ ٢٠٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٠/ ١٥٤)، والطبري (٢٧/ ٢٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٥) وعزاه لابن مردويه.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١١٥).

كريم﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: "بمَوْقِعِ" على التوحيد وإرادة الجنس[١].

وقال المبرد: هو مصدر، يصلح للواحد والجمع.

ثم استعظم سبحانه وتعالى القَسَم بمواقع النجوم تفخيماً لشأنه، وتنبيهاً على عظيم قدرته فيه وحكمته فقال: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾. وهاهنا اعتراضان:

أحدهما: بين القَسَم والمُقْسَم عليه، وهو قوله: ﴿وإنه لقسم...﴾ إلى آخر الآية.

الثاني: بين الموصوف وصفته، وهو قوله: ﴿لو تعلمون﴾.

﴿إنه لقرآن كريم﴾ على الله، عظيم النفع للناس؛ لما اشتمل عليه من الأحكام والحكم.

﴿في كتاب مكنون﴾ قال ابن عباس: هو اللوح المحفوظ[٢].

فالمعنى بكونه مكنوناً على هذا القول: صيانته عن غير الملائكة المقربين الذين أذن الله لهم في الأخذ منه والنظر فيه.

وقال مجاهد وقتادة: هو المصحف[٣].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٢٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٧)، والكشف (٢/ ٣٠٦)، والنشر (٢/ ٣٨٣)، والإتحاف (ص:٤٠٩)، والسبعة (ص:٦٢٤).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٥١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٦) وعزاه لآدم ابن أبي إياس وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في المعرفة عن مجاهد.

فالمعنى على هذا القول بكونه مكنوناً: صيانته عن الباطل، وحفظه عنه.

وقال عكرمة: المراد بالكتاب: التوراة والإنجيل[١].

وقال السدي: الزبور[٢]. على معنى: أنّ ذِكْر القرآن ومن ينزل عليه القرآن في الكتب المتقدمة.

قوله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ الضمير يعود إلى "الكتاب".

فإن قلنا: هو اللوح المحفوظ؛ فالمطهرون: الملائكة.

وإن قلنا: هو المصحف أو غيره من الكتب المنزلة: فيكون النفي في معنى النهي، على معنى: لا ينبغي أن يمسه إلا المطهرون من الأحداث. وهذا قول قتادة[٣].

ويؤيده ما أخرج مالك في الموطأ: أن في الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ لعمرو بن حزم: «أن لا يمس القرآن إلا طاهر»[٤].

وقال ابن السائب: المطهرون من الشرك[٥].

وقال الربيع بن أنس: المطهرون من الذنوب والخطايا[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠٦). وذكره الماوردي (٥/ ٤٦٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٦٣) بلا نسبة.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٥٢).

(٤) أخرجه مالك (١/ ١٩٩ ح٤٦٩).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٤٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٥٢).

(٦) ذكره الماوردي، وابن الجوزي في زاد المسير، الموضعين السابقين، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

وقيل: إن هذا إخبارٌ من الله تعالى بأنه لا يجد طعم القرآن ونفعه إلا من آمن به. حكاه الفراء[١].

قوله تعالى: ﴿تنزيل﴾ صفة رابعة "للقرآن"، أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو تنزيل ﴿من رب العالمين﴾[٢].

ولما عظّم الله القرآن وفخّمه وأقسم على كرامته أنكر عليهم تكذيبهم به، فذلك قوله تعالى: ﴿أفبهذا الحديث﴾ يعني: القرآن ﴿أنتم مدهنون﴾.

قال الزجاج[٣]: المُدْهِن والمُدَاهِن: الكذّاب المنافق.

وقال ابن قتيبة[٤]: يقال: أدْهَنَ في دِينه ودَاهَنَ.

﴿وتجعلون رزقكم﴾ أي: شكر رزقكم، على حذف المضاف.

وقرأ علي عليه السلام: وتجعلون شكركم ﴿أنكم تكذبون﴾[٥].

فالمعنى: وتجعلون شكر رزقكم ونعمة الله عليكم بالقرآن؛ التكذيب.

والذي عليه ابن عباس وجمهور المفسرين: أن هذه الآيات نزلت في الأنواء ونسبتهم السقيا إليها. وأن المراد بالرزق: المطر، على معنى: وتجعلون شكر ما [يرزقكم][٦] الله من المطر أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى، حيث تنسبونه إلى النجوم، يدل على ذلك؛ ما أخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قال:

(١) معاني الفراء (٣/ ١٣٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٤)، والدر المصون (٦/ ٢٦٨).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١١٦).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص: ٤٥١).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٥٤)، والدر المصون (٦/ ٢٦٩).

(٦) في الأصل: رزقكم. والمثبت من ب.

«مُطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فنزلت هذه الآية: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ حتى بلغ: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾»[(١)].

وأخرج الترمذي بإسناده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ قال: شكركم أن تقولوا: مُطِرْنا بنوء كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا»[(٢)].

وقرأتُ للمفضل عن عاصم: "تَكْذِبُون" بفتح التاء وسكون الكاف والتخفيف[(٣)].

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ أي: فهلاّ إذا بلغت الروح الحلقوم. وترك ذكرها لدلالة الكلام عليها، كما قال:

أمَاويُّ ما يُغني الثَّرَاءُ عَنِ الفتى ... إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضَاقَ بها الصدرُ[(٤)]

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٨٤ ح٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠١ ح٣٢٩٥).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٢٥)، والسبعة (ص:٦٢٤).

(٤) البيت لحاتم الطائي، انظر: اللسان (مادة: حشرج)، والماوردي (٥/ ٣٤٨)، والقرطبي =

﴿وأنتم﴾ يا أهل الميت ﴿حينئذ تنظرون﴾ تشاهدون أحب الناس إليكم وأعزهم عليكم يُسْتَلَبُ منكم.

﴿ونحن أقرب إليه﴾ أي: إلى المحتَضر ﴿منكم﴾ يا أهله بقدرتنا وعلمنا، أو بملك الموت وأعوانه، ﴿ولكن لا تبصرون﴾.

قال ابن عباس: لا تبصرون الملائكة(١).

وقيل: لا تعلمون. [على](٢) أن الخطاب فيه للكفار(٣).

قوله تعالى: ﴿فلولا إن كنتم غير مَدِينين﴾ هذا الكلام مُلتفٌ بالذي قبله، وترتيبه: فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إذا بلغت الحلقوم، وكرر [لولا](٤) لطول الكلام.

وقال الفراء(٥): ﴿ترجعونها﴾ جواب لقوله: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾، وقوله: ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين﴾ فإنهما أجيبا بجواب واحد، كقوله: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم﴾ [البقرة:٣٨].

قال ابن عباس في قوله: "غير مدينين": غير محاسبين(٦).

= (١٧/ ٢٣٠)، والطبري (١٣/ ٣٠)، وروح المعاني (٢٩/ ١٤٦).

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٥٥).

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) انظر: الوسيط (٤/ ٢٤١).

(٤) في الأصل: لا. والتصويب من ب.

(٥) معاني الفراء (٣/ ١٣٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢١٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

وقال قتادة: غير مبعوثين[١].

وقال أبو عبيدة: غير مَجْزِيِّين[٢].

وقال ميمون بن مهران: غير مقهورين[٣].

وقال الفراء[٤]: غير مملوكين.

[ووجه][٥] ارتباط الكلام وانتظامه: إن كنتم كما تزعمون غير محكوم عليكم وغير مقهورين وكنتم صادقين في أنه ليس لكم إله يبعثكم ويحاسبكم ويجزيكم على أعمالكم، فهلاّ تردون نفس المحبوب إليكم، العزيز عليكم.

المعنى: فإذا لم تقدروا على ذلك [فاعلموا][٦] أن لكم إلهاً قادراً ورباً عظيماً يفعل ذلك.

فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

ثم إن الله سبحانه وتعالى ذكر طبقات المحتضرين فقال: ﴿فأما إن كان من

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢١٠) عن الحسن. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٥٦) عن قتادة.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٥٢).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٦٥).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٣١).

(٥) في الأصل: وو. والمثبت من ب.

(٦) في الأصل: فاعلموا. والتصويب من ب.

المقربين﴾ أي: إن كان الذي بلغت روحه الحلقوم من المقربين عند الله.

وقال أبو العالية: من السابقين[١].

قال بعضهم: من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة في أول السورة.

﴿فَرَوْحٌ﴾ أي: فله رَوْح، أي: استراحة من كل هَمٍّ وغَمٍّ وتَعَبٍ ونَصَب، وذلك بما أفضى إليه من كرامة الله عز وجل، المُعَدَّة لأوليائه في الجنة.

وقرأت للكسائي من رواية ابن أبي سريج عنه، وليعقوب من رواية رويس عنه: "فَرُوحٌ" بضم الراء[٢]. وهي قراءة أبي بكر الصديق، وعائشة، وأبي رزين، والحسن، وقتادة، في آخرين.

قالت عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿فَرُوحٌ وريحان﴾ بضم الراء[٣].

قال الحسن: الرَّوْح: الرحمة؛ لأنها كالحياة للمرحوم[٤].

وقيل: المعنى: فله البقاء الدائم.

وقد ذكرنا في سورة الرحمن[٥] أن الريحان: الرزق.

وقال الحسن وأبو العالية: يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه، ثم تقبض فيه روحه[٦].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٥٦).

(٢) النشر (٢/ ٣٨٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٥ ح٣٩٩١)، والترمذي (٥/ ١٩٠ ح٢٩٣٨)

(٤) ذكره القرطبي (١٧/ ٢٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) عند الآية رقم: ١٢.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور =

قال أبو عمران الجوني: بلغنا أن المؤمن إذا قبض روحه تُلُقِّيَ بضبائر الريحان من الجنة فتجعل روحه فيه[١].

قوله تعالى: ﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ أي: أنك ترى فيهم ما تُحب من السلامة فلا تهتمّ لهم.

وقال مقاتل[٢]: هو أن الله يتجاوز عن سيئاتهم ويتقبل حسناتهم.

وقال عطاء: تُسَلِّمُ عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين[٣].

وقيل: المعنى: فسلام عليك يا محمد من أصحاب اليمين، أي: أنهم يسلمون عليك[٤] في الجنة؛ كقوله: ﴿إلا قيلاً سلاماً سلاماً﴾ [الواقعة:٢٦].

قوله تعالى: ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين﴾ وهم أصحاب المشأمة.

﴿فَنُزُلٌ﴾ أي: فلهم نُزُل ﴿من حميم﴾، وهو مثل قوله: ﴿هذا نزلهم يوم الدين﴾ [الواقعة:٥٦].

قوله تعالى: ﴿إن هذا﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره في هذه السورة، من تنوع أحوال المحتضرين وغيره ﴿لهو حق اليقين﴾ من باب إضافة الشيء إلى نفسه؛ كصلاة الأولى. وأنشدوا:

= (٨/ ٣٧-٣٨) وعزاه للمروزي في الجنائز وابن جرير عن الحسن. ومن طريق آخر عن أبي العالية وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(١) ذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣١٩).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٥٨).

(٤) في ب: عليه.

ولوْ أقْوَتْ عليكَ ديارُ عَبْسٍ عَرَفْتَ الذُلَّ عِرْفانَ اليقين[(١)]

وقد استوفينا القول في مثل هذا في مواضع، [وذكرنا][(٢)] فيه مذهب البصريين والكوفيين[(٣)].

﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ مفسر في هذه السورة[(٤)].

وفي حديث عقبة بن عامر الجهني قال: «لما نزلت: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ قال رسول الله ﷺ: اجعلوها في ركوعكم، ولما نزلت: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى:١] قال رسول الله ﷺ: اجعلوها في سجودكم»[(٥)].

قُرئ على الشيخ أبي المجد محمد بن محمد بن أبي بكر الهمذاني[(٦)] وأنا أسمع، أخبركم الشيخان أبو المحاسن عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد، وابن عمه المطهّر بن عبدالكريم قالا: أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن حمد بن الحسن الدوني، أخبرنا القاضي أبو نصر أحمد بن الحسين الكسار، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني، أخبرنا أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى[(٧)]، حدثنا إسحاق بن

---

(١) البيت لم أعرف قائله. وهو في: معاني الفراء (٢/ ٥٦)، والطبري (١٣/ ٨١)، والقرطبي (٩/ ٢٧٥).

(٢) في الأصل: ذكرنا. والتصويب من ب.

(٣) انظر: الآية رقم: ٧ من سورة النمل.

(٤) عند الآية رقم: ٧٤.

(٥) أخرجه أبو داود (١/ ٢٣٠ ح٨٦٩)، وابن ماجه (١/ ٢٨٧ ح٨٨٧).

(٦) في ب: الهمداني.

(٧) أحمد بن علي بن المثنى بن عيسى بن هلال بن أسد الموصلي، أبو يعلى، سمع منه الأئمة والحفاظ، ورحل إليه من خراسان والعراق وغيرهما من البلاد، توفي في سنة سبع وثلاثمائة (التقييد =

[أبي][1] إسرائيل[2]، حدثنا محمد بن منيب العدني[3]، حدثنا السري بن يحيى الشيباني[4]، عن أبي شجاع[5]، عن أبي ظبية[6]، أن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تُصبه فاقةٌ أبداً. قال: وقد أمرتُ بناتي أن يقرأنها كل ليلة»[7]. والله تعالى أعلم.

= ص:١٥٠-١٥٢).

(١) زيادة من مصادر ترجمته.

(٢) إسحاق بن أبي إسرائيل واسمه إبراهيم بن كامَجْرا، أبو يعقوب المروزي، نزيل بغداد، صدوق تكلم فيه لوقفه في القرآن، ولد سنة إحدى وخمسين ومائة، ومات سنة خمس وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١٩٥-١٩٦، والتقريب ص:١٠٠).

(٣) محمد بن منيب، أبو الحسن العدني، روى عن السري بن يحيى الشيباني البصري، وقريش بن حيان العجلي، وعدة، روى عنه علي بن المديني، وزيد بن المبارك الصنعاني، وغيرهم (تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢١، والتقريب ص:٥٠٩).

(٤) السري بن يحيى بن إياس بن حرملة بن إياس الشيباني، أبو الهيثم، ويقال: أبو يحيى البصري، ثقة صدوق، مات سنة سبع وستين ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٤٠٠، والتقريب ص:٢٣٠).

(٥) أبو شجاع، وقيل: شجاع، نكرة لا يعرف. روى عن أبي ظبية عن ابن مسعود، قال أحمد بن حنبل: لا أعرفهما (ميزان الاعتدال ٧/ ٣٨٠، ولسان الميزان ٣/ ١٣٩).

(٦) انظر التعليق السابق.

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٩١ ح٢٤٩٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٠).

سورة الحديد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي ثلاثون آية، [إلا آيتين][1] في المدني، [وإلا آية][2] في الكوفي[3].

قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وعكرمة وجابر بن زيد: هي مدنية[4].

وقال الكلبي: هي مكية[5].

وبهذا الإسناد السالف قال [ابن][6] السني: أخبرنا أبو عبد الرحمن -يعني: النسائي-، أخبرنا علي بن حُجر[7]، حدثنا بقية بن الوليد[8]، عن

---

(١) في الأصل: الآيتين. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: والآية. والتصويب من ب.

(٣) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤١).

(٤) قال السيوطي في الإتقان (١/ ٤٣-٤٤): قال ابن الغرس: الجمهور على أنها مدنية. وقال قوم: إنها مكية. ولا خلاف أن فيها قرآناً مدنياً، لكن يشبه صدرها أن يكون مكياً.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٤٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٦٠).

(٦) زيادة على الأصل. وقد سبق.

(٧) علي بن حُجر بن إياس بن مقاتل بن مخادش بن مشمرج بن خالد السعدي، أبو الحسن المروزي، كان فاضلاً حافظاً، ثقةً مأموناً، صدوقاً متقناً، وقد اشتهر حديثه بمرو، مات في جمادى الأولى سنة أربع وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٥٩، والتقريب ص:٣٩٩).

(٨) بقية بن الوليد بن صائد بن كعب بن حريز الكلاعي الميتمي، أبو يُحْمِد الحمصي، صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، مات سنة سبع وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ١/ ٤١٦-٤١٩، =

[بَحِير][1] بن سعيد[2]، عن خالد بن معدان[3]، عن عبدالله بن أبي بلال[4]، عن العرباض بن سارية[5]: «أن النبي ﷺ كان يقرأ بالمسبِّحات قبل أن يرقد، ويقول: إن فيهن آية أفضل من ألف آية»[6].

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣

قال الله عز وجل: ﴿سبح لله ما في السماوات والأرض﴾ أخْبَرَ الله سبحانه وتعالى أن أهل سماواته وما في أرضه من إنسي وجنِّي ناطق وصامت يعظمونه ويسبحونه.

= والتقريب ص:١٢٦).

(١) في الأصل و ب: بجير. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في التعليق التالي.

(٢) بحير بن سعيد السحولي، أبو خالد الحمصي، ثقة ثبت صالح الحديث (تهذيب التهذيب ١/ ٣٦٨، والتقريب ص:١٢٠).

(٣) خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي، أبو عبد الله الشامي الحمصي، تابعي ثقة عابد، يرسل كثيراً، مات سنة ثلاث ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ١٠٢، والتقريب ص:١٩٠).

(٤) عبد الله بن أبي بلال الخزاعي الشامي، روى عن العرباض بن سارية، وعبد الله بن بسر، وعنه خالد بن معدان (تهذيب التهذيب ٥/ ١٤٤، والتقريب ص:٢٩٧).

(٥) العرباض بن سارية السلمي، كنيته أبو نجيح، صحابي كان من أهل الصفة، ونزل حمص، مات بعد السبعين (تهذيب التهذيب ٧/ ١٥٧، والتقريب ص:٣٨٨).

(٦) أخرجه أبو داود (٤/ ٣١٣ ح٥٠٥٧)، والنسائي في الكبرى (٥/ ١٦ ح٨٠٢٦)، وأحمد (٤/ ١٢٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢١).

وقد بيّنا في سورة "سبحان"[١] ما هو المختار من القول في تسبيح ما لا يعقل، وقررناه بها نرجو فيه عقبى الله عز وجل.

واللام في قوله: "لله" مثلها في قولهم: نصحته ونصحت له، وشكرته وشكرت له، أو هي بمعنى: لأجل الله.

قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر﴾ أي: هو القديم قبل كل شيء، الباقي بعد هلاك كل شيء.

﴿والظاهر﴾ بالحجج والبراهين الواضحة الدالة على وحدانيته وعظمته وقدرته، فهو الظاهر للبصائر، الباطن المحتجب عن الأبصار.

وقيل: هو الظاهر، أي: العالي على كل شيء، الغالب له، من قولهم: ظَهَرَ على كذا.

﴿والباطن﴾ الذي بطن كل شيء، أي: علم باطنه.

قال صاحب الكشاف[٢]: الواو الأولى [معناها][٣]: الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين [الأوليّة والآخريّة][٤]، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء. وأما الوسطى، فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأولين وبين مجموع الصفتين الآخرتين.

---

(١) سورة الإسراء، عند الآية رقم: ٤٤.

(٢) الكشاف (٤/ ٤٧١).

(٣) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: الأولوية والأخروية. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

والآية التي بعد هذه مُفسّرة في الأعراف[١] وسبأ[٢] إلى قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ أي: هو معكم بالعلم والقدرة أينما كنتم، من أرض وسماء، وبَرٍّ وماء.

قال قتادة: ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في أصحابه إذ أتى عليهم سحاب، فقال: هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا العنان، هذا زوايا الأرض يسوقه الله تعالى إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه. ثم قال: هل [تدرون][٣] ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فذكر السموات السبع والعرش والأرضين السبع، وأن بين كل جرمين مسيرة خمسمائة عام. ثم قال: والذي نفسي بيده لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله، ثم قرأ

(١) عند الآية رقم: ٥٤.

(٢) عند الآية رقم: ٢.

(٣) في الأصل: ترون. والمثبت من ب.

هذه الآية: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾[(١)].

ومعنى: "لهبط على الله": [أي][(٢)]: على علمه [وقدرته][(٣)] وخلقه وملكه.

وما بعده مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ أي: مما جعلكم خلفاء في التصرف فيه؛ لأن الأموال خلقٌ لله عز وجل، أباح لهم الانتفاع بها، وخوّلهم الاستمتاع بمنافعها، وليسوا بأربابها المالكين لها على الحقيقة.

وقال الحسن: جعلكم مستخلفين فيه ممن كان قبلكم؛ بتوريثه إياكم[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله﴾ المعنى: أيُّ عذر لكم في ترك الإيمان.

والواو في قوله: ﴿والرسول﴾ واو الحال، على معنى: ما لكم لا تؤمنون والرسول يدعوكم [بالبراهين][(٥)] النيرة، ويبين لكم الحق من الباطل.

﴿لتؤمنوا بربكم وقد أَخَذَ ميثاقَكُم﴾ حين أخرجكم من ظهر آدم.

وقيل: بما ركَّب فيكم من العقول، وأوضح لكم من الدلائل، فما عذركم بعد ذلك.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب في رواية أبي حاتم عنه: "أُخِذَ" بضم الهمزة وكسر الخاء، "مِيثَاقُكُم" بالرفع[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢١٦، ٢٨/ ١٥٤).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: قدرته. والمثبت من ب.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٤٧١).

(٥) في الأصل: بابراهين. والتصويب من ب.

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٧-٦٩٨)، والكشف (٢/ ٣٠٧)، والنشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤٠٩)، والسبعة (ص:٦٢٥).

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بالحجج والدلائل.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

وما بعده مُفسّر إلى قوله: ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ معناه: وأيُّ عذر لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله، والله مهلك من في السموت والأرض ووارثهم، فجدير بمن هذه حاله أن لا يبخل بإنفاق ما يتقرب به إلى الله تعالى مما سينتقل عنه ويُسلب منه.

ثم بيَّن التفاوتَ بين المُنْفِقِينَ منهم فقال: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ أي: من قبل فتح مكة، وعزّ الإسلام، واستفحال سلطانه، وقوة أهله.

وقال الشعبي: من قبل الحديبية[1].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٠). وذكره الماوردي (٥/ ٤٧١)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥١٠) =

المعنى: ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل، فحذف لوضوح معناه.

قال ابن السائب وجمهور المفسرين: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه[١]. ويؤيد هذا: أن أبا بكر أول من أسلم وأنفق في سبيل الله، وأول من قاتل على الإسلام.

قال ابن مسعود: أول من أظهر إسلامه بسيفه النبي ﷺ، [وأبو بكر][٢] رضي الله عنه[٣].

وقال ابن [عمر][٤]: بينا النبي ﷺ جالس وعنده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، عليه عباءة قد خَلَّهَا[٥] على صدره بخِلال، إذ نزل جبريل عليه السلام عليه، وأقرأه من الله عز وجل السلام وقال: يا محمد! ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال؟ قال: يا جبريل! أنفق[٦] ماله عليّ قبل الفتح. قال: [فَأَقْرِهِ][٧] من الله تبارك وتعالى السلام وقل: يقول لك ربك: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر! هذا جبريل يقرئك من الله عز وجل السلام ويقول لك ربك: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فبكى أبو بكر وقال: على ربي أسخط؟ أنا عن ربي راض، أنا عن

= وعزاه لعبد بن حميد.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٦٣).

(٢) في الأصل: أبو بكر. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٤٥).

(٤) في الأصل: مسعود. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٥) خلّها: أي: جمعها بين طرفيه (انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٧٣).

(٦) في الأصل زيادة قوله: عليَّ. وفي ب: أنفق ماله قبل الفتح عليّ.

(٧) في الأصل: قاره. والتصويب من ب.

ربي راض[١].

وفي قوله: ﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ دليل على أن أبا بكر أفضل بني آدم بعد رسول الله ﷺ.

أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه، قال: أخبرنا العباس بن محمد بن العباس، المعروف بعبَّاسة، أخبرنا محمد بن سعيد بن فرخزادا، أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق الثعالبي[٢]، أخبرنا عبدالله بن حامد الفقيه، أخبرنا أبو بكر محمد بن إسحاق، أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا عقبة بن سنان أبو بشر، حدثنا [ابن][٣] شداخ[٤]، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبدالله بن سِلمة، عن علي عليه السلام قال: سبق رسول الله ﷺ، وصلَّى[٥] أبو بكر، وثلّث عمر، فلا أوتى برجل فَضَّلَني على أبي بكر إلا جلدته جلد المفتري[٦].

قرأ ابن عامر: "وَكُلٌّ" بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب[٧].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ١٠٥)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٢٤٦). قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٠٨): هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه. والله أعلم.

(٢) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، أبو إسحاق الثعلبي، صاحب التفاسير، كان أوحد زمانه في علم القرآن. توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة. قال السمعاني: يقال له: الثعلبي والثعالبي، وهو لقب له لا نسب (طبقات المفسرين للداودي ١/ ٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٣٥-٤٣٧).

(٣) في الأصل: أبو. والصواب ما أثبتناه. وانظر ترجمته في التعليق التالي.

(٤) هو الهيصم بن شداخ، روى عن الأعمش، روى عنه على بن أبى طالب البزاز، والوليد الطيالسي (الجرح والتعديل ٩/ ١٢٣).

(٥) السابق: الأول، والمُصَلِّي: الثاني (انظر: اللسان، مادة: صلا).

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٢٤٠).

(٧) الحجة للفارسي (٤/ ٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٨)، والكشف (٢/ ٣٠٧)، والنشر =

فمن رفع؛ فعلى: وكُلٌّ وعده الله الحسنى. ومن نصب: فبفعل مُضْمَر يُفسِّره ما بعده.

والمعنى: وكل واحد من الفريقين ﴿وعد الله الحسنى﴾ وهي الجنة، أو المثوبة الحسنى، وهي الجنة أيضاً.

قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ مفسرٌ في البقرة(١).

قرأ ابن عامر وعاصم: "فَيُضَاعِفَهُ" بنصب الفاء وحذف الألف. وشدَّدَ العين حيث كان: ابن كثير وابن عامر(٢)، وكذلك خلفهم في التي في البقرة(٣). وقد أشرنا إلى علة الرفع والنصب هناك.

قوله تعالى: ﴿يوم ترى﴾ ظرف لقوله: ﴿وله أجر كريم﴾، أو منصوب بإضمار: "أذكروا".

المعنى: [ترى](٤) المؤمنين والمؤمنات يسعى نور إيمانهم وأعمالهم.

قال ابن مسعود: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من نوره مثل الجبل، وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه يطفىء مرة ويَقِدُ أخرى(٥).

= (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤٠٩)، والسبعة (ص:٦٢٥).

(١) عند الآية رقم: ٢٤٥.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٢٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٩)، والكشف (٢/ ٣٠٨)، والنشر (٢/ ٢٢٨)، والإتحاف (ص:٤١٠)، والسبعة (ص:٦٢٥).

(٣) عند الآية رقم: ٢٤٥.

(٤) في الأصل: يوم. والمثبت من ب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٦)، والحاكم (٢/ ٥٢٠ ح٣٧٨٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٠٧ ح٣٤٥٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢) وعزاه لابن أبي شيبة =

وقال قتادة: إن المؤمن يُضيء له نوره كما بين عدن [إلى][1] صنعاء ودون ذلك، حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه[2].

﴿بين أيديهم﴾ قال الحسن: على الصراط[3].

قال مقاتل[4]: هو دالّهم إلى الجنة.

﴿وبأيمانهم﴾ قال الفراء[5]: عن أيمانهم، وذلك حين يسلك بهم إلى الجنة.

وقال الضحاك ومقاتل[6]: المعنى: يسعى نورُهم بين أيديهم وكتبهم بأيمانهم.

والقول هاهنا مُضمر، تقديره: وتقول لهم الملائكة: ﴿بُشْرَاكم اليوم جنات... الآية﴾.

يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ

= وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه.

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٩٩ ح٣٥٣١٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٣٢٢).

(٥) معاني الفراء (٣/ ١٣٢).

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٣). وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٣٢٢).

قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿انظرونا﴾ قرأ حمزة: بقطع الهمزة وفتحها وكسر الظاء. وقرأ الباقون: بوصل الهمزة وضم الظاء[1]. والابتداء على هذه القراءة بضم الهمزة، وحمزة جعله من الإنظار، وهو التأخير والإمهال، كقوله: ﴿أنظرني إلى يوم يبعثون﴾ [الأعراف:١٤].

وقال الفراء[2]: تقول العرب: أنظِرْني بمعنى: انتظرني. قال عمرو بن كلثوم:

أَبَا هندٍ فلا تَعْجَلْ عَلَيْنا ... وأَنْظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليقِينا[3]

والباقون جعلوه من نظر العين، أو بمعنى: انظرونا؛ لأنهم يسرع بهم إلى الجنة، [كالبرق][4] الخاطف، والمنافقون مشاة.

قال المفسرون: تغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة، [فيعطى][5] المؤمنون

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٢٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٩-٧٠٠)، والكشف (٢/ ٣٠٩)، والنشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤١٠)، والسبعة (ص:٦٢٥-٦٢٦).

(٢) معاني الفراء (٣/ ١٣٣).

(٣) البيت لعمرو بن كلثوم. انظر: ديوانه (ص:٧١)، ولسان العرب (مادة: نظر)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٣٦٩)، وشرح القصائد السبع (ص:٣٨٧)، والحجة للفارسي (٤/ ٣٠)، والطبري (٢٧/ ٢٢٤)، والقرطبي (٢/ ٦٠، ١٧/ ٢٤٥)، والدر المصون (١/ ٣٣٢)، والماوردي (٥/ ٤٧٤).

(٤) في الأصل: كابرق. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: فيطى. والتصويب من ب.

النور، فيمشي المنافقون بنور المؤمنين، فإذا سبقهم المؤمنون قالوا: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾، فيقول لهم المؤمنون، -وقيل: الملائكة- تهكُّماً بهم واستهزاء: ﴿ارجعوا وراءكم﴾ إلى الموضع الذي أعطينا فيه النور، ﴿فالتمسوا نوراً﴾ فيرجعون فلا يجدون شيئاً، فيلحقون بهم، فيحال بينهم وبينهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فضرب بينهم بسور﴾.

قال قتادة: حائط بين الجنة والنار[١].

قال ابن عباس ومجاهد: هو الأعراف[٢].

وكان جماعة من العلماء قد ذهبوا إلى أنه يكون بالموضع الذي يسمى: وادي جهنم، شرقي البيت المقدس، منهم: عبدالله بن عمرو بن العاص، وابن عباس في رواية ابنه علي، وكعب الأحبار[٣].

وفي الحديث: أن عبادة بن الصامت قام على سور بيت المقدس الشرقي فبكا، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: مِنْ هاهنا أخبرنا رسول الله ﷺ أنه رأى جهنم[٤].

قوله تعالى: ﴿له باب﴾ أي: لذلك السور بابٌ لأهل الجنة يدخلون منه،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٦٥٧)، والطبري (٢٧/ ٢٢٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٥)، والحاكم (٤/ ٦٤٣ ح٨٧٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥-٥٦) وعزاه لعبد بن حميد عن أبي سنان قال: كنت مع علي بن عبدالله بن عباس... فذكره، ومن طريق آخر عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن عساكر.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢١ ح٣٧٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥) وعزاه لعبد بن حميد.

﴿باطنه﴾ باطن السور أو الباب، وهو الشق الذي يلي الجنة ﴿فيه الرحمة وظاهره﴾ ما ظَهَرَ لأهل النار ﴿من قبله﴾[(١)] من جهته ﴿العذاب﴾ الظلمة والنار.

﴿ينادونهم ألم نكن معكم﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين: ألم نكن معكم على دينكم نصلي بصلاتكم ونغزو معكم، فيجيبهم المؤمنون: ﴿بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ مَحَنْتُمُوها بالنفاق وأهلكتموها، ﴿وتربصتم﴾ بالمؤمنين الدوائر، ﴿وارتبتم﴾ شككتم في دين الإسلام مع وضوح دلائل صحته، ﴿وغرّتكم الأماني﴾ الكاذبة والآمال [الخائبة][(٢)]، ﴿حتى جاء أمر الله﴾ نزل بكم سلطان الموت.

وقال قتادة: هو إلقاؤهم في النار[(٣)].

﴿وغركم بالله الغرور﴾ وهو الشيطان.

﴿فاليوم لا يؤخذ منكم﴾ وقرأ ابن عامر: "تُؤْخَذ" بالتاء؛ لتأنيث الفدية[(٤)].

وقد سبق القول على مثل ذلك في مواضع.

والمعنى: لا يؤخذ منكم عِوَضٌ ولا بَدَل، والخطاب للمنافقين؛ بدليل قوله: ﴿ولا من الذين كفروا﴾.

﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾ قال أبو عبيدة[(٥)]: أولى بكم.

---

(١) في الأصل زيادة قوله: العذاب. وستأتي بعد.

(٢) في الأصل: الخائنة. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٧٦).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٣٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٠)، والكشف (٢/ ٣٠٩)، والنشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤١٠)، والسبعة (ص:٦٢٦).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٥٤).

قال الزمخشري[١]: حقيقتُه: [مَحْراكم ومقمنكم . أي][٢]: مكانكم الذي يقال فيه: هو أولى بكم، كما يقال: هو مئنَّةٌ للكرم، أي: مكان لقول الناس: إنه لكريم. ويجوز أن يراد: هي ناصركم، أي: لا ناصر لكم غيرها. والمراد: نفي الناصر على البت. ومنه قوله: ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ [الكهف:٢٩].

وقيل: هي تتولاكم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ أخرج مسلم في صحيحه أن ابن مسعود قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بقوله: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ إلا أربع سنين»[٣].

وفي رواية أخرى: فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً[٤].

وقال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر

---

(١) الكشاف (٤/ ٤٧٤).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣١٩ ح٣٠٢٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٦٧).

الله﴾[١].

وقال ابن السائب: نزلت في المنافقين، آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم[٢].

والمعنى: ألم يَحِن، من أَنَى الأمر يَأْنِي؛ إذا جاء إِنَاهُ، وهو حينه ووقته[٣]، "أن تخشع": تلين وتخضع، "لذكر الله": وهو القرآن.

﴿وما نزل من الحق﴾ وهو القرآن أيضاً؛ [لأنه][٤] جامع بين الوصفين، كونه ذِكْراً وحقاً نازلاً.

قرأ نافع وحفص: "نَزَلَ" بالتخفيف، وشدَّدها الباقون من العشرة[٥].

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وأبو العالية: "نُزِّلَ" بضم النون وكسر الزاي وتشديدها[٦].

وقرأ ابن مسعود وأبو رجاء: "أَنْزَلَ" بهمزة مفتوحة[٧].

وقرأ أبو مجلز وعمرو بن دينار: "أُنْزِلَ" بهمزة مضمومة وكسر الزاي[٨].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٨) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٧٧). وهذا القول غير صحيح؛ لأن الآية صريحة في الذين آمنوا.

(٣) انظر: اللسان (مادة: أني).

(٤) في الأصل: لا. والتصويب من ب.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٣٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٠)، والكشف (٢/ ٣١٠)، والنشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤١٠)، والسبعة (ص:٦٢٦).

(٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٠)، وزاد المسير (٨/ ١٦٨).

(٧) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٦٨)، والدر المصون (٦/ ٢٧٧).

(٨) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٦٨)، والدر المصون (٦/ ٢٧٧).

﴿ولا يكونوا﴾ وقرأ رويس عن يعقوب: "ولا تكونوا" بالتاء[١]، على طريقة الالتفات، أو على مخاطبتهم بالنهي.

وقراءة الأكثرين عطفٌ على "أن تخشع".

﴿كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿فطال عليهم الأمد﴾ قال ابن قتيبة[٢]: الأَمَدُ: الغاية.

والمعنى: أنه بَعُدَ عهدهم بالأنبياء والصالحين.

﴿فقست قلوبهم﴾ قال ابن عباس: مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله[٣].

﴿وكثير منهم فاسقون﴾ وهم الذين رفضوا ما في الكتابين ونبذوه وراء ظهورهم.

ويروى: أن أبا موسى رضي الله عنه طلب قرّاء أهل البصرة، فَدُخِلَ عليه بثلاثمائة رجل قد قرؤوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقُرّاؤها، فاتلوه، ولا يَطُولَنَّ عليكم الأَمَدُ فتقسوا قلوبكم كما قَسَتْ قلوب من كان قبلكم[٤].

والمقصود من الآية التي بعدها: الاستدلال على صحة البعث وكونه.

وقال ابن عباس: المعنى: اعلموا أن الله يُلَيِّن القلوب بعد قسوتها[٥]، فيجعلها

---

(١) النشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص: ٤١٠).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٤٥٣).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٥٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٧٢٦ ح١٠٥٠)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٤٢ ح٣٤٨٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٩) وعزاه لابن أبي شيبة.

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣/ ١٤٧) عن صالح المري. وذكره السيوطي في الدر المنثور =

مُجيبة مُنيبة، ويُحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة، وإلا فقد [عُلِمَ][(١)] إحياء الأرض بالمطر مشاهدة.

إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿إن المصدقين والمصدقات﴾ أصلها: المتصدقين والمتصدقات، فأدغمت التاء في الصاد.

وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم: بتخفيف الصاد فيهما[(٢)]، بمعنى: إن المؤمنين والمؤمنات.

قال أبو علي[(٣)]: من حجة من شدّد أنهم زعموا: أن في قراءة أبيّ: "إنَّ المتصدقين والمتصدقات"، ومن حجتهم: أن قوله: ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ اعتراضٌ بين الخبر والمخبر عنه، والاعتراض بمنزلة الصفة، فهو للصدقة أشدّ [ملاءمةً][(٤)] منه للتصديق.

(٨/ ٥٧) وعزاه لابن المبارك.

(١) زيادة من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٣١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠١)، والكشف (٢/ ٣١٠)، والنشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤١٠)، والسبعة (ص:٦٢٦).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٣١).

(٤) في الأصل: ملازمة. والمثبت من ب، والحجة (٤/ ٣١).

ومن حجة من خفَّفَ: أن "المُصَدِّقين" أعمّ من "المتصدِّقين"، فهو أذهب في باب المدح، والعطف بقوله: ﴿وأقرضوا الله﴾ على معنى الفعل في المصدقين؛ لأن اللام بمعنى: الذين، واسم الفاعل بمعنى: اصدقوا، كأنه قيل: إن الذين اصدّقوا وأقرضوا.

﴿يضاعف لهم﴾ وقرأ ابن عامر وابن كثير: "يُضَعَّفُ" بتشديد العين من غير ألف[١]. وقد ذكرنا تفسير ذلك في البقرة.

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ مبتدأ، خبره: ﴿أولئك هم الصِّدِّيقون﴾[٢].

قال مجاهد: كُلُّ من آمن بالله ورسوله فهو صِدِّيق، ثم قرأ هذه الآية[٣].

ثم استأنف كلاماً آخر فقال: ﴿والشهداء﴾ وهو جمع شاهد، أو شهيد.

وهم الأنبياء، في قول ابن عباس، ومسروق، والكلبي، في آخرين[٤].

وقال مقاتل بن سليمان ومحمد بن جرير[٥]: هم الذين قتلوا في سبيل الله.

ثم أخبر عن حال الشهداء فقال: ﴿عند ربهم﴾ يعني: أنهم في جنة مخصوصة بهم في جوار ربهم عز وجل.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٢٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٩)، والنشر (٢/ ٢٢٨)، والإتحاف (ص:٤١٠)، والسبعة (ص:٦٢٥).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٧٨).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٠)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٤٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٠).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٣٢٤)، وتفسير ابن جرير الطبري (٢٧/ ٢٣٢).

ويجوز أن يكون الخبر: ﴿لهم أجرهم﴾[1]، على معنى: والشهداء في حكم ربهم لهم أجرهم الذي هو أجرهم المخصوص بهم، ﴿ونورهم﴾.

وقال قوم: الواو في قوله: "والشهداء" واو النَّسق. والمعنى: أولئك هم الصديقون، وهم الشهداء عند ربهم.

قال ابن مسعود: كلُّ مؤمن صِدِّيقٌ شهيد[2].

وقال غيره: يشهدون لأنبيائهم بتبليغ الرسالة[3].

وقال الضحاك: نزلت في ثمانية نفر سبقوا أهل زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وزيد، وحمزة بن عبد المطلب، وتاسعهم عمر بن الخطاب، ألحقه الله بهم؛ لما عَرَفَ من صِدْق نيته[4].

ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٧٨).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٤٤) من قول مجاهد، والسيوطي في الدر (٨/ ٦١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد عن مجاهد، ومن طريق آخر، وعزاه لعبد بن حميد عن عمرو بن ميمون.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٧٩) من قول الكلبي.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٠).

ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ باطلٌ وغرورٌ، ثـم ينقـضي ويزول عن قريب.

والمراد: إعلامُ العبد أن الدنيا التي حالت بين أكثرهم وبـين النظـر لآخـرتهم الباقية هي هذه اللذات الحائلة الزائلـة، التـي هـي في نـضارتها وحُـسن رونقهـا كالزرع.

قال علي عليه الصلاة والسلام لعمار بن ياسر: لا تحزن على الدنيا فهـي سـتة أشياء: مطعوم، ومشروب، وملبوس، ومـشموم، ومركـوب، ومنكـوح، فـأكبر طعامها العسل، وهو بزقة ذبابة، وأكبر شرابها الماء، واستوى فيـه جميـع الحيـوان، وأكبر الملبوس من الديباج، وهو نسج دودة، وأكبر المشموم المسك، وهو دم فأرة ظبْية، وأكبر المركوب الفرس، وعليها تُقتل الرجال، وأكبر المنكوح النساء، وهـو مَبَالٌ في مَبَال. والله! إن المرأة لتُزَيِّنُ أحسنَها، [فيرادُ منها][١] أقبحُها[٢].

ثم إن الله سـبحانه وتعـالى ضرب لهـا مـثلاً فقـال: ﴿كمثـل غيـث أعجـب الكفار﴾[٣] يعني: الزرَّاع. وقيل: الكفَّار بالله؛ لأنهم أفرحُ بالدنيا وجودة نباتها من المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿نباته﴾ وهو ما ينبت به، ﴿ثم يهيج﴾ يَيْبَس ﴿فتراه مصفراً﴾ بعد خضرته وريِّه ﴿ثم يكون حطاماً﴾ يتحطم وينكسر.

(١) في الأصل و ب: يراد به، والمثبت من تفسير السراج المنير (٤/ ٢١١).

(٢) ذكره الثعلبي (٩/ ٢٤٤) في تفسيره، والخطيب الشربيني في تفسيره السراج المنير (٤/ ٢١١).

(٣) في الأصل زيادة قوله: ﴿نباته﴾. وستأتي بعد قليل.

وقد سبق بيان هذا المثل في سورة يونس[١]، وفي سورة الكهف[٢].

والمقصود: تحقير شأن الدنيا وتعظيم أمر الآخرة، ألا تراه يقول: ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ يعني: لمن كفر وعصى، ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ لمن آمن وأطاع.

وباقي الآية والتي تليها مُفسّر في آل عمران[٣] إلى قوله تعالى: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ فبيَّن بهذا أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضله سبحانه وتعالى.

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾ يعني: من انقطاع المطر ونقصان الثمر وغير ذلك، ﴿ولا في أنفسكم﴾ من الأمراض وموت الأولاد وغير ذلك، ﴿إلا في كتاب﴾ وهو اللوح المحفوظ، ومحله: الحال[٤]، تقديره: إلا مكتوباً أو مثبتاً في كتاب ﴿من قبل أن نبرأها﴾ أي: من قبل أن نخلق الأنفس أو المصيبة.

---

(١) عند الآية رقم: ٢٤.

(٢) عند الآية رقم: ٤٥.

(٣) عند الآية رقم: ١٨٥.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٦)، والدر المصون (٦/ ٦٧٩).

وقال سعيد بن جبير: من قبل أن نبرأ الأرض والنفس[١].

﴿إن ذلك﴾ أي: إن تقدير ذلك وإثباته في كتاب من قبل كونه ﴿على الله يسير﴾.

ثم بَيَّنَ الحكمة في ذلك، فقال: ﴿لكيلا تأسوا﴾ أي: تحزنوا ﴿على ما فاتكم﴾ من الدنيا مما لا يُقَدَّرُ لكم ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ قرأ أبو عمرو وحده من بين القرّاء العشرة: "بما أَتَاكُم" بقصر الهمزة[٢]، جعله فعلاً ماضياً، بمعنى: جاءكم ليُعَادِل به ما فاتكم، فكما أن الفعل [للفائت][٣] في قوله: "فاتكم"، كذلك يكون الفعل [للآتي][٤] في [قوله][٥]: "بما أتاكم"، والعائد إلى الموصول بين الكلمتين، أعني: "فاتكم" و"أتاكم" هو الضمير المرفوع، بأنه فاعل.

ومن قرأ: "بما آتاكم" بالمد، فمعناه: بما أعطاكم، والفاعل هو الله تعالى.

والمراد: لكيلا تُفرطوا في الأسى والفرح.

قال ابن عباس: ليس أحدٌ إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن العاقل من جعل الفرح شكراً، والحزن صبراً[٦].

---

(١) ذكره القرطبي (١٧/ ٢٥٧).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٣١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠١-٧٠٢)، والكشف (٢/ ٣١١)، والنشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤١١)، والسبعة (ص:٦٢٦).

(٣) في الأصل: الفائت. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: الآتي. والتصويب من ب.

(٥) زيادة من ب.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٣٥)، والحاكم (٢/ ٥٢١ ح٣٧٨٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٧ ح٣٤٧٨٩)، والبيهقي في الشعب (١/ ٢٢٩ ح٢٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٢) وعزاه =

وقال جعفر الصادق عليه السلام: يا ابن آدم! ما لك تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت، وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت[١].

وقيل لبرزجمهر: ما لك أيها الحكيم، لا تأسف على ما فات ولا تفرح بما هو آت، فقال: إن الفائت لا يُتلافى بالعبرة، والآتي لا يُستدام [بالحَبْرَة][٢].

وكان سالم الخواص يقول: من أراد أن يأكل الدارين فليدخل في مذهبنا عامين [ليضع][٣] الله [تعالى][٤] الدنيا والآخرة بين يديه، قيل: وما مذهبكم؟ قال: الرضا بالقضاء ومخالفة الهوى[٥]، وأنشد:

لا تُطِلِ الحُزْنَ على فائتٍ فَقَلَّما يُجدي عليكَ الحزن
سِيَّانِ محزونٌ على ما مضى ومُظهِرٌ حُزناً لما لم يكن[٦]

وقال قتيبة بن سعيد: دخلت بعض أحياء العرب، فإذا أنا بفضاء من الأرض [مملوء][٧] من الإبل موتى، بحيث لا أحصي عددها، فسألت عجوزاً: لمن هذه

= لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٢٢٩ ح٢٣٦) عن يحيى بن معاذ الرازي. وذكره القرطبي (١٧/ ٢٥٨) عن جعفر الصادق.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٤٥). وما بين المعكوفين في الأصل: بالخبرة. والمثبت من ب. والحبرة: الفرح والسرور (اللسان، مادة: حبر).

(٣) في الأصل: ليضيع. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من ب.

(٥) ذكره الثعلبي (٩/ ٢٤٦).

(٦) البيتان لمحمود الوراق، انظرهما في: أدب الدنيا والدين (١/ ٣٦٣).

(٧) في الأصل: مملوءاً. والتصويب من ب.

الإبل؟ فأشارت إلى شيخ على تلٍّ [يغزل][1] الصوف، فقلت له: [يا شيخ][2] ألك كانت هذه الإبل؟ قال: كانت باسمي. قلت: فما أصابها؟ قال: ارتجعها الذي أعطاها، قلت: فهل قلت في ذلك شيئاً؟ قال: نعم:

لا والذي أنا عَبْدٌ من خَلائِقِهِ والمرءُ في الدَّهْرِ نصبُ الرُّزْءِ والمحن

ما سَرَّني أنّ إبلي في مَبَارِكَها وما جَرَى في قضاء الله لم يكن[3]

وما بعد هذه الآية مُفسّر في النساء[4] إلى قوله: ﴿ومن يتول﴾ أي: من يُعْرِضْ عن أوامر الله ونواهيه ﴿فإن الله هو الغني﴾ لم يأمركم وينهاكم لنفع يعود عليه بل عليكم، ﴿الحميد﴾ فهو يستحق الحمد منكم بإحسانه إليكم.

وقرأ ابن عامر ونافع: "فإن الله الغني"، بإسقاط "هو"، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام[5].

قال أبو علي[6]: من قرأ "فإن الله هو" بإثبات "هو"، فإن "هو" يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون فَصْلاً لا موضع له من [الإعراب][7]، ويكون الخبر: "الغني".

---

(١) في الأصل: يغز. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) ذكره الثعلبي (٩/ ٢٤٦).

(٤) عند الآية رقم: ٣٧.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٣٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٢)، والكشف (٢/ ٣١٢)، والنشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤١١)، والسبعة (ص:٦٢٧).

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٣٢).

(٧) في الأصل: إعراب. والتصويب من ب.

والآخر: أن يكون "هو" مبتدأ، و"الغني": خبره، والجملة خبر "إنّ".

والأول أولى؛ بدلالة قول من حذفه؛ لأن الفصل حذفه أسهل من حيث إنه لا موضع له من الإعراب.

ومن قرأ بحذف "هو" فحجَّته: أنه حذفه اختصاراً؛ إذ كان لا موضع له من الإعراب، وحذفه لا يخلّ بالمعنى.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾ أي: بعثنا المرسلين من الأنبياء بالحجج البالغة، ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ [وهو][1] اسم جنس، يريد: الكتب التي جاءت بها المرسلون، والمعيّة هاهنا مثلها في قوله في الأعراف: ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ [الأعراف:١٥٧]، غير أن الوجه الذي [استنبطته][2] هناك مختص بتلك الآية.

وقال بعض العلماء: "أرسلنا رسلنا" يريد: الملائكة إلى الأنبياء، وأظن الحامل له على ذلك [قوله][3]: ﴿وأنزلنا معهم﴾، والأنبياء منزّل عليهم لا منزّل[4] معهم.

---

(١) في الأصل: هو. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: استنبطه. والتصويب من ب.

(٣) زيادة من ب.

(٤) قوله: "منزل" ساقط من ب.

والأول هو الصحيح، وهو المتبادر إلى الأفهام. والذي يدل على صحته قوله: ﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب﴾ [البقرة:٢١٣].

﴿والميزان﴾ العدل، في قول ابن عباس وقتادة ومقاتل بن حيان[١]، على معنى: أمرناهم به.

وقال ابن زيد ومقاتل بن سليمان[٢]: هو ما يوزن به.

فيكون المعنى: وأنزلنا معهم الأمر بالميزان.

ويروى: أن جبريل نزل بالميزان فدفعه إلى نوح، وقال: مُرْ قومك يَزِنُوا به[٣].

﴿وأنزلنا الحديد﴾ قال ابن عباس: نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من الحديد: السِّنْدَان والكَلْبَتَان والمِيقَعَة[٤] والمِطْرَقَة والإبرة[٥].

ويروي في الحديث: أن النبي ﷺ قال: «إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: أنزل الحديد، والنار، والماء، والملح»[٦].

وقال الحسن وجمهور أهل المعاني: ﴿وأنزلنا الحديد﴾: خلقناه؛ كقوله في الزمر:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٢٦) وفيه: العدل -كالقول الأول-. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٤).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٧٨).

(٤) الكلبتان: هي الآلة التي تكون مع الحدَّادين (اللسان، مادة: كلب).

والميقعة: المِسَنُّ الطويل. وقيل: هي المطرقة (اللسان، مادة: وقع).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٣٧) من غير ذكر الإبرة. وذكره الثعلبي (٩/ ٢٤٦).

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٢٦٠)، والبغوي (٤/ ٢٩٩).

﴿وأنزل لكم من الأنعام﴾[1] [الزمر:٦].

﴿فيه بأسٌ شديد﴾ وهو المحاربة به، يشير إلى أنه يُتخذ منه السلاح ﴿ومنافع للناس﴾ في معايشهم ومصالحهم وصنائعهم، فقلّ أن ترى صنعة إلا والحديد قوامها، أو له فيها مدخل بوجه من الوجوه.

﴿وليعلم الله﴾ علم مشاهدة ورؤية ﴿من ينصره ورسله﴾ أي: وينصر رسله بالآلة التي تُتَّخَذُ من الحديد للمحاربة؛ كالسيوف والرماح، ﴿بالغيب﴾ أي: ينصرونه غائباً عنهم، فهو حال من المفعول[2].

قال ابن عباس: ينصرونه ولا يبصرونه[3].

﴿إن الله قوي عزيز﴾ لا يُغَالَب، فلو شاء أن ينتقم من أعدائه لفعل، لكنه أمر أولياءه بمجاهدة[4] أعدائه لينتقم منهم بأيديهم، ويُنيلهم إذا امتثلوا أمره درجاتٍ مخصوصاتٍ بالمجاهدين.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٤) بلا نسبة.

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٨٠).

(٣) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٤٧٨).

(٤) في ب: بجهاد.

فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾

وما بعده مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه﴾ يعني: الحواريين وأتباعهم ﴿رأفة﴾ وقد ذكرنا فيما مضى أنها أبلغ الرحمة، ﴿ورهبانيةً﴾ منصوب بفعل مُضْمَر يُفسّره ما بعده[1]، تقديره: ابتدعوها من قِبَل أنفسهم؛ تقرباً إلينا، ابتدعوها ونذروها.

﴿ما كتبناها عليهم﴾ أي: ما فرضناها وأوجبناها عليهم، ﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾ استثناء منقطع، أي: [ولكنهم][2] ابتدعوها ابتغاء رضوان الله.

قال ابن مسعود: كنتُ رديف رسول الله ﷺ على حمار فقال: يا ابن أم عبد! هل تدري من أين اتخذت بنو إسرائيل هذه الرهبانية؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام، يعملون بمعاصي الله، فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم، فهُزم أهل الإيمان ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: إن [ظهرنا هؤلاء][3] أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو إليه، فتعالوا نتفرّق في

---

(١) وهو ما ذهب إليه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٧٩)، وأبو البقاء في التبيان (٢/ ٢٥٧)، فهو من باب الاشتغال.

وردّ أبو حيان في البحر (٨/ ٢٢٦) هذا الإعراب من حيث الصناعة، وقال: وهذا إعراب المعتزلة، لأن مثل هذا هو مما يجوز فيه الرفع بالابتداء، ولا يجوز الابتداء هنا بقوله: "ورهبانية" لأنها نكرة لا مسوغ لها من المسوغات للابتداء بها، فلا يصلح نصبها على الاشتغال.

(٢) في الأصل: ولكونهم. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: ظهروا هؤلاء، والمثبت من ب، ومصادر التخريج.

الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا عيسى -يعنون: محمداً ﷺ-، فتفرقوا في غِيران الجبال وأحدثوا الرهبانية، فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر، ثـم تـلا هذه الآية: ﴿ورهبانية ابتدعوها... الآية﴾، ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم﴾ أي: الـذين ثبتوا عليها ﴿أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾. ثم قال النبي ﷺ: يا ابن أم عبد: تدري ما رهبانية أمَّتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التّلاع[(١)].

قوله تعالى: ﴿فما رعوها﴾ يعني: جميعهم ﴿حق رعايتها﴾ بل فرطوا فيما وجب عليهم بالتزامهم وإن لم يكن واجباً بأصل الشرع، كما لو نذر الواحد منا في شريعتنا فعل عبادة لا تلزمه، فإنه يصير لازماً له بالتزامـه ونـذره، كـذلك أولئـك نـذروا والتزموا فعل الرهبانية، فلما ضيّعوا وفرّطوا عاب الله عليهم ذلك[(٢)].

وقيل: إن منهم من بدّل وغَيَّر الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام.

وقيل: الإشارة بقوله: "فما رعوها" إلى الأتبـاع لا إلى المتبـوعين الـذين كـانوا الأصل في الرهبانية. وهذا المعنى منقول عن ابن عباس[(٣)].

﴿فآتينا الذين آمنوا﴾ ثبتوا على إيمانهم، وتمسكوا بقوانين دينهم وشريعة نبيهم، إلى أن بعث محمد ﷺ، ﴿أجرهم﴾ ثواب إيمانهم وطاعتهم، ﴿وكثير منهم فاسقون﴾

---

(١) أخرجه الثعلبي (٩/ ٢٤٧-٢٤٨).

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٦-١٧٧): قال القاضي أبـو يعـلى: والابتـداع قـد يكـون بالقول؛ وهو ما ينذره ويوجبه على نفسه، وقد يكون بالفعل بالدخول فيه. وعموم الآية تتـضمن الأمرين. فاقتضى ذلك أن كل من ابتدع قربة قولاً أو فعلاً فعليه رعايتها وإتمامها.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٣٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٧).

خارجون عن الطاعة.

أخرج الحاكم في صحيحه من حديث ابن مسعود قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ فقال: اختلف من كان قبلي على ثنتين وسبعين فرقة، نجا منها ثلاث وهلك سائرهم، فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين [الله ودين عيسى بن مريم حتى قتلوا. وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك فأقاموا بين ظهراني قومهم، فدعوهم إلى دين الله ودين](١) عيسى، فأخذوهم فقتلوهم وقطعوهم بالمناشير، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك، ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم فيدعوهم إلى دين الله ودين عيسى، فساحوا في البلاد وترهّبوا، وهم الذين قال الله عز وجل ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم... الآية﴾، فقال النبي ﷺ: من آمن بي وصدّقني واتّبعني، فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يتّبعني فأولئك هم الهالكون(٢).

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ خطاب لأهل الكتابين ﴿اتقوا الله وآمنوا برسوله﴾ محمد ﷺ، كما آمنتم بموسى وعيسى، ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ سبق

---

(١) زيادة من الحاكم (٢/ ٥٢٢).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٢ ح٣٧٩٠).

معنى "الكِفْل" في النساء[١].

والمعنى: يؤتكم كِفْلين بسبب إيمانكم الأول والثاني. ومنه الحديث الصحيح: «أيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد فله أجران»[٢]. أخرجه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ.

وقال ابن زيد: يؤتكم أجر الدنيا والآخرة[٣].

﴿ويجعل لكم﴾ على الصراط ﴿نوراً تمشون به﴾.

وقيل: يجعل لكم نوراً وهو القرآن[٤]. والقولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ قال الفراء[٥]: العرب تجعل "لا" صلة في كل كلام دخل في آخره أو في أوله جحد، فهذا مما جعل في آخره جحد.

واللام في لـ"يعلم" يتعلق بـ"يؤتكم كفلين"، وما في حيزها.

المعنى: يؤتكم لإيمانكم أجركم مرتين، ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ.

﴿أن لا يقدرون على شيء من فضل الله﴾ "أنْ" مخففة من الثقيلة بإضمار الشأن، على معنى: أن الشأن لا يقدرون على شيء من فضل الله، وأنهم لا أجر لهم.

﴿وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء﴾ فآتى المؤمنين أجرهم مرتين.

---

(١) عند الآية رقم: ٨٥.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٣٤ ح١٥٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٤٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) معاني الفراء (٣/ ١٣٧).

قال الواحدي -وقد ذكر هذا المعنى-[١]: هذه آية مشكلة، ليس للمفسرين ولا [لأهل][٢] المعاني فيها بيان ينتهي إليه، ويلفّق بينه وبين الآية التي قبلها، وأقوالهم مختلفة متدافعة، وقد بان واتضح المعنى فيما ذكرناه.

ولقد صدق الواحدي رحمه الله، فإنني تتبعت كثيراً من كتب التفسير والمعاني، فلم [أظفر][٣] بقولٍ يكشف عن وجه المقصود ويوضح ارتباط إحدى الآيتين بالأخرى.

وفي الذي ذكره واعتقد اتضاح المعنى به وقفةٌ.

والذي يظهر في نظري: أن المعنى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ من أهل الكتابين، واستثمروا من إيمانهم علماً جازماً بمعرفة محمد ﷺ لا يستطيعون دفاعه عنهم، بل يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ﴿اتقوا الله﴾ بترك العناد والحسد، ﴿وآمنوا برسوله﴾ الذي تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، ﴿يؤتكم... إلى آخر الآية﴾.

ثم قال: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ أي: يؤتكم إذا اتقيتم وآمنتم كِفْلين، ويجعل لكم نوراً، ويغفر لكم ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أن لا يقدرون على شيء من فضل الله﴾، إذ لو قدروا عليه لما رضوا لأنفسهم بخزي الدنيا وعذاب الآخرة، وليعلموا أن الفضل بيد الله في ملكه وتصرفه وتحت قدرته، فهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وليس لهم إلى هداية أنفسهم والقدرة على شيء من فضل الله من الإسلام وغيره سبيل إلا بإذنه، ﴿يؤتيه من يشاء﴾ ممن

(١) الوسيط (٤/ ٢٥٧).

(٢) في الأصل و ب: أهل. والمثبت من الوسيط، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: أ. والمثبت من ب.

خَلَقَه [للسعادة][1] وعَلِمَ أنه أهل لها ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾.

---

(١) في الأصل: للعبادة. والتصويب من ب.

فهرس المحتويات